

البرهان

البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

تحقيق
محمّد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

المكتبة الجبيلية
مكتبة

في علوم القرآن

Bibliotheca Alexandrina

0003954

البرهان

في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزكشي

تقديم
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

منشورات المكتبة العصرية
طبع - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الحادى عشر

المتى وإرادة الواحد (*)

كقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١) ؛ وإنما يخرج من أحدهما .
ونظيره قوله تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ ثَمًا كُلُّوْنَ لَحْمًا طَرِبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾^(٢) ، وإنما تخرج الحلية من « اللعق »^(٣) ، وقد غلط فى هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلى حيث ، قال يذكر الدرة :

فجاء بها ما شئت من لَطْمِيَّةٍ يَدُومُ الفرات فوقها ويموج^(٤)

والفرات لا يدوم فوقها ؛ وإنما يدوم الأجاج .

وقال أبو عليّ فى قوله تعالى : ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرَّتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾^(٥) : إن ظاهر اللفظ يقتضى أن يكون من مكة والطائف جميعاً ؛ ولما لم يمكن أن يكون منهما ، دلّ المعنى على تقدير : « رجل من إحدى القرّتين » .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾^(٦) أى فى إحدهما .

* تابع أقسام التوكيد ؛ وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن ، المدرجة تحت النوع السادس والأربعين ؛ وأوله فى الجزء الثانى من ٢٨٢

(٢) سورة طاهر ١٢

(١) سورة الرحمن ٢٧

(٣) وهو المذكور فى أول الآية من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ

سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . . ﴾

(٤) ديوان المهذلين ١ : ٥٧ . واللمية : الدرة المنسوبة إلى اللطمية ؛ وهى السوق التى تباع فيها المطربات . ويدوم الفرات ؛ من دام الماء بمعنى سكن وركد . وروى بعضهم : « يدوم البحار » مكان « الفرات » ؛ وبهذا يعلم البيت من التقيد . وانظر ديوان المهذلين وحواشيه .

(٦) سورة نوح ١٦

(٥) سورة الزخرف ٣١

وقوله تعالى: ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾^(١)، والناسي كان يوشع، بدليل قوله لموسى: ﴿قَاتِلْ نَسِيتُ الْحُوتَ﴾^(٢)؛ ولكن أضيف النسيان لهما جميعا لسكوت موسى عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾^(٣) والتعجيل يكون في اليوم الثاني، وقوله: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾، قيل: إنه من هذا أيضاً، وإن موضع الإيم والتعجيل يحمل للتأخر الذي لم يتصر مثل ما جعل للمفسر. ويمحتمل أن يراد: لا يقولن أحدهما لصاحبه: أنت مفسر؛ فيكون المعنى: لا يؤثم أحدهما صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُوْنِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَلَدُسٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(٥)، أى أحدهما، على أحد القولين.

وقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُعِيْمَا حَدُوْدَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾^(٦) فالجناح على الزوج لأنه أخذما أعطى؛ قال أبو بكر الصيرفي: المعنى: فإن خيف من ذلك جازت الفدية، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة.

وقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾^(٧)، قيل هو خطاب للذئب. وقال المبرد: ثناء على «ألقى»، والمعنى: ألقى ألقى^(٨)، وكذلك القول في «قفا»^(٩) وخالفه أبو إسحاق، وقال: بل هو مخاطبة للذئبين.

-
- | | |
|---|----------------------|
| (١) سورة الكهف ٦١، ٦٢ | (٢) سورة البقرة ٢٠٣ |
| (٣) سورة النساء ١١ | (٤) سورة الأعراف ١٩٠ |
| (٥) سورة البقرة ٢٢٩ | (٦) سورة ق ٢٤ |
| (٧) نقله صاحب الكشاف ١: ٣٠٧، والمباردة فيه: «إن تلبية الفاعل نزلت منزلة تلبية الفعل: لانحادهما كأنه قيل: ألقى، ألقى». | |
| (٨) يشير إلى ما نقله صاحب الكشاف أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان؛ فكثرت على أنفسهم أن يقولوا: خليلي وصاحبي، وقفا وأسمعدا؛ حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين. | |

وقال القراء في قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ^(١) قال : يخاطب الإنسان مخاطبه بالثنائية .

وجعل منه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ ^(٢) : وقوله تعالى : ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ ^(٣) فقيل : جنة واحدة بدليل قوله تعالى ^(٤) آخر الآية : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ﴾ ^(٥) فأفرد بمد مائتي .

وقوله : ﴿كَلِمَاتٍ آلَجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ ^(٦) فإنه مائتي هنا إلا للإشعار بأن لها وجهين ، وأنت إذا نظرت عن يمينك ويسارك رأيت في كلتا الناحيتين مائلاً يمينك قرته ، وصدرك مسرة .

وقوله تعالى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ^(٧) وإنما التَّخَذَ إلهاً عيسى دون مريم ؛ فهو من باب « والنجوم الطوالع » ^(٨) قاله أبو الحسن ، وحكاها عنه ابن جني في كتاب « اللد » وعليه حل ابن جني وغيره قول امرئ القيس :
* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * ^(٩)

(١) سورة الرحمن ١٣

(٢) سورة الرحمن ٤٦

(٣) سورة الكهف ٣٢ والآية : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ . . .)

(٤) كذا في الأصل ؛ ولعل صواب العبارة : * بمد هذه الآية .

(٥) سورة الكهف ٢٢

(٦) سورة الكهف ٣٥

(٧) إشارة إلى بيت الفرزدق :

(٨) سورة المائدة ١١٦

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قِرَافَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ

ديوانه ٥١٩ ، و « لنا قراها » يريد الشمس والقمر ، وانظر جني المبتين ١٢٧

(٩) ديوانه ٨ وفيه :

* بِسْطِ الْوَلَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ *

ويؤيده قوله بعده :

• أَصَاحَ تَرَى بَرَقًا أُرِيكَ وَمِمْضَةً ^(١)

وقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ سَالَ الْمِرْبَدَانِ كَلَامُهَا سَحَابَةٌ مَوْتٍ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ ^(٢)
وإنما هو مرئيد البصرة قط .

وقوله : « ودار لها بالرفتين » ^(٣)

وقوله : « يطن للكتين » ^(٤) .

وقول جرير :

لَا مَهْدَتْ بِالذَّيْرَيْنِ أَرْقَى صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ ^(٥)
قالوا : أراد « دير الوليد » ^(٦) ؛ فتناء باعتبار ما حوَّله .

القسم الثاني عشر

إطلاق الجمع وإرادة الواحد

كقوله تعالى : ﴿ بَنَاتُهَا أَرْسَلْ كُتُوبًا مِنَ الطُّبَيَّاتِ ﴾ ^(٧) ، إلى قوله : ﴿ فَذَرَهُمْ

(١) ديوانه ٢٤ وحيته :

• كَلَمْعَ الْيَدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَلَّلٍ •

(٢) ديوانه ٨٦١ ؛ وروايته : « عجاجة موت » . (٣) من قول زهير :

ودارٍ لها بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِيرٍ مِمْصَمٍ

ديوانه • . والرقتان : روضتان بناحية الصبان ؛ وهو هنا من اللحن المفق ؛ فلا يكون موصفا للشاهد .

(٤) أورد الرافعي منه قول الشاعر :

قَوْلًا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِ تَحَاشَدُوا وَسَيَرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخْلِ

(٥) ديوانه ٣١١

الأمل ٢ : ١٨٤

(٦) سورة « الزُّمَر » ٥١

(٧) دير الوليد ؛ بالتمام ، قاله ياقوت .

فِي قَوْمِهِمْ حَتَّى جِئَ^(١)، قال أبو بكر الصديق: فهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده؛ إذ لا نبي معه ولا بعده.

ومثله: ﴿نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مِمِّشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾^(٢) الآية، وهذا مما لا شريك فيه، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لا كانت تصاريف أقضية سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه نزلت أفلاطم منزلة قبول القول بمورد الجمع.

وجعل منه ابن فارس قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمِ رَاجِعِ الثُّرَايُونَ﴾^(٣)، والرسول كان واحدا، بدليل قوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾^(٤).

وفيه نظر؛ من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم، فإن العادة جارية لاسيما من الملوك ألا يرسلوا واحدا.

ومنه: ﴿قَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾^(٥) وغير ذلك؛ وقد تقدم في وجوه المخاطبات^(٦).

ومنه: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾^(٧)، وللمراد جبريل. وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٨)؛ وللمراد محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٩)؛ والمراد بهم ابن مسعود التقي^(١٠)؛ وإنما

-
- | | |
|-----------------------|----------------------------------|
| (١) سورة المؤمن ٥٤ | (٢) سورة الزخرف ٣٢ |
| (٣) سورة النمل ٢٥ | (٤) سورة النمل ٣٧ |
| (٥) سورة الشعراء ٢١ | (٦) الجزء الثاني ص ٢١٧ وما بعدها |
| (٧) سورة النحل ٢ | (٨) سورة النساء ٥٤ |
| (٩) سورة آل عمران ١٧٣ | |

(١٠) روى أن أبا سفيان ناضى عند انصرافه من أحد: يا محمد، موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن شاء الله؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران؛ فألقى الله الرعب في قلبه؛ فبداه أن يرجع، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي - وقد قدم محمرا - فقال: يا نعيم؛ إني واعدت محمدا أن تلقى بموسم بدر، وإن هذا عام جيب، ولا يصلحنا =

جاز إطلاق لفظ « الناس » على الواحد؛ لأنه إذا قال الواحد قولاً له أتباع يقولون مثل قوله ، حَسَنَ إِضَافَةً ذَلِكَ النِّسْلَ إِلَى الْكُلِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ ^(١) ، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ يَأْمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٢) والقاتل ذلك وهو سهم . وقيل : المراد بالناس ركب من عبد القيس ^(٣) دَسَمَهُمْ أَيْ يَوْسُفِيَّانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَضَمِّنَ لَهُمْ عَلَيْهِ جَعَلَا ، قَالَه أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُمَا ^(٤)

القسم الثالث عشر

إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٥) فإنه وإن كان لفظه لفظ التثنية فهو جمع ، والمعنى « كرات » لأن البصر لا يحصر إلا بالجمع . وجعل منه بعضهم قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ﴾ ^(٦)

القسم الرابع عشر

التكرار على وجه التأكيد

وهو مصدر كرر إذا ودد وأعاد ؛ هو « تَقَال » بفتح التاء ؛ وليس بقياس ، بخلاف

التفصيل .

== إلا عام نزع في الشجر وتضرب فيه اللبن ، وقد بدا لي ، ولكن إذ خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة ، قالني بالمدنية ويطعمه ولك عندي عشر من الإبل . فخرج فم فوجد المسلمين يتجهزون قتاله لهم : ماعذا بالرائ ، أتوم في دياركم وقرارك فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا ؛ فريدون أن تخرجوا وقد جموا لكم عند الموسم ؛ فوافقه لا يفلت منكم أحد . - الكشف ١ : ٣٣٩ - ٣٤٠

(١) سورة البقرة ٧٧

(٢) سورة البقرة ٧٧

(٣) قبل : مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس ؛ يريدون للدينة لليرة ؛ فجعل لهم حمل يسم من ذيب إن يملوم ؛ فكره المسلمون الخروج ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « والله نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد ؛ فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون : حينا الله ونعم الوكيل . - الكشف ١ : ٣٤٠

(٤) سورة التلك ٤

(٥) تفسر الطبري ٧ : ٤٠٩

(٦) سورة البقرة ٢٢٩

وقال الكوفيون : هو مصدر « قَتَلَ » والآف عوض من الياء في التثنية .

والأول مذهب صيدوي .

وقد غلطَ مَنْ أنكر كونه من أساليب الفصاحة، فلما أنه لا فائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض ؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أجهت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه ، كررتة توكيدا ، وكلتها تقيم تكرراره مقام القسم عليه ، أو الاجتهاد في الدعاء عليه ، حيث قصدت الدعاء ؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم ، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا السلك نستحكم الحجة عليهم في مجزم عن المارضة . وعلى ذلك يحتمل ماورد من تكرار اللواظ والوعد والوعيد ، لأن الإنسان مجبول من الطباع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشهوات ، ولا يجمع ذلك إلا تكرار اللواظ والتوابع ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(١) قال في « الكشف » ^(٢) : أي سهّلناه للإدراك والاتماظ بأن نسجناه ^(٣) بالمرادف الشافية وصرّفنا فيه من الوعد والوعيد .

ثم تارة يكون التكرار مرتين ؛ كقوله : ﴿ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرٌ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى . ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ لَقَرُونَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَقَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَيَمْلِكُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَمْلِكُونَ ﴾ ^(٧) .

(١) الكشف ٤ : ٣٤٦

(٢) سورة الدثر ١٩ ، ٢٠

(٣) سورة التكاثر ٦ ، ٧

(٤) سورة القمر ١٧

(٥) الكشف : « شحاه » .

(٦) سورة النبا ٣٤ ، ٣٥

(٧) سورة النبا ٤ ، ٥

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَقُولُون هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١) .
وقوله : ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ﴾^(٢) .

وقائده المظلي^(٣) التفسير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرر تكرر .

وقد أخبر الله سبحانه بالبب الذي لأجله كرر الأناصيص والأخبار في القرآن^(٤) قال :
﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَمِمْ يَبْتَذِرُون﴾^(٥) .

وقال : ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٦) .

وحقيقته إعادة اللفظ أو مراده لتقرير معنى ؛ خشية تناسي الأول ، لطول المهدي به .

فإن أعيد لا لتقرير للمعنى السابق لم يكن منه ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُّ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي . فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
دُونِهِ﴾^(٧) .

فأعاد قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُّ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^(٨) بعد قوله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ، لا لتقرير الأول ؛ بل لنرض آخر ؛ لأن معنى الأول
الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها ، ومعنى الثاني أنه يخص الله
وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص ؛ ولذلك قدّم^(٩) الفصول على فصل العبادة في الثاني ،

(١) سورة آل عمران ٧٨

(٢) سورة التوبة ٦٩

(٣) ت : « فيه » .

(٤) ومن التوائد المظلي التفسير .

(٥) سورة القصص ٥١

(٦) سورة طه ١١٣

(٧) سورة الزمر ١١ - ١٥

(٨) ت : « عظيم » .

وأخر في الأول ؛ لأن الكلام أولاً في الفعل ؛ وثانياً في قيل لأجله الفعل .
واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل ، أما إذا وافق
الأصل فلا ؛ ولهذا لا يصح سؤالهم : لِمَ كرر « إياك » في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) .

قيل : إنما كررت للتأكيد ، كما قول : « بين زيد وبين عمرو مال » .
وقيل : إنما كررت لارتفاع أن يتوهم - إذا حذفت - أنَّ مفعول « نستعين » ضمير
متصل واقع بعد الفعل ، فتغوت إذ ذاك الدلالة على المنى المقصود ، بتقديم المفعول على عامله .
والتحقيق أنَّ السؤال غير متجه ؛ لأنَّ هنا عاملين متغايرين ، كلُّ منهما يقتضى
معمولاً ، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعده قد جاء الكلام على أصله ، والحذف
خلاف الأصل ، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكرهما الأصل ذكره ، ولا حاجة إلى تكلف
الجواب عنه ، وقس بذلك نظائره .

[فوائد التكرير]

وله فوائد :

أحدها : التأكيد ؛ واعلم أنَّ التكرير أبلغ من التأكيد ، لأنه وقع في تكرار
التأسيس ؛ وهو أبلغ من التأكيد ، فإنَّ التأكيد يقرر لإفادة معنى الأول وعدم التجوز ،
فهذا قال الإخشي في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) : إنَّ الثانية تأسيس لا تأكيد ؛ لأنه جل الثانية أبلغ في الإنشاء قال : وفي
﴿ ثُمَّ ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول .

وكذا قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ﴾ ^(٢) ، يمتثل أن يكون منه ، وأن يكون من اللامتين .

والحاصل أنه : هل هو إخبار تأكيد ^(٣) ، أو إنذاران ؟ فإن قلت : « سوف نعلم ، ثم سوف نعلم » كان أجود منه بنير عطف ؛ لتجريحه على غالب احتمال التأكيد ، ولعدم احتماله لتمدد الخبر به .

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح « الخلاصة » ^(٤) : أن الجملة التأكيدية قد توصل باحلف ، ولم تختص بنم ، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص ؛ وليس كذلك ؛ فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْقُبْ قَسَمٌ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ أَتَقْتُلُونَ ؟ ﴾ ^(٥) ، فإن الأمور فيها واحد ، كما قاله النحاس والزنجشري والإمام نجر الدين والشيخ عز الدين ، ورجعوا ذلك على احتمال أن تكون « التقوى » الأولى مصروفة لشيء غير « التقوى » الثانية ، مع شأن إرادته .

وقولهم : إنه تأكيد ، فإدام تأكيد للأمور به بتكرير الإنشاء ، لا أنه تأكيد لفظي ، ولو كان تأكيداً لفظياً لما فصل بالطف ، ولما فصل بينه وبين غيره : ﴿ وَلْتَنْتَرْقُبْ قَسَمٌ ﴾ ^(٥) .

فإن قلت : « اتقوا » الثانية معطوفة على « ولتنظر » .

(٢) سورة المدثر ١٩ ، ٢٠ .

(١) سورة الاقطار ١٧ ، ١٨ .

(٣) ت : « مؤكدا » .

(٤) هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن مالك التوفيق سنة ٦٨٠ : شرح الألفية للرفوعة بالملامة في النحو ؛ وهو شرح متقن اشتهر بشرح ابن المصنف ؛ خطأ والده في بعض المواضع . كشف الظنون ١٥١ .

(٥) سورة المعصر ١٨ .

أجيب بأنهم قد اتفقوا على أن : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١) ، مطوف على ﴿ لَا تَقْبِضُونَ عَلَى أَعْيُنِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، لا على قوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ^(٣) ؛ وهو نظير ما نحن فيه .

وقوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِعِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ ^(٥) ويحتمل أن يكون « اصطفاين » و « ذكرين » ، وهو الأقرب في الذكر ، لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر .

وكقوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرُكَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ^(٧) ، كرر « أولئك » .

وكذلك قوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٨) . وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِعَ بِالَّذِي . . . ﴾ ^(٩) إلى قوله : ﴿ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴾ ^(١٠) ، كررت « أن » في أربع مواضع تأكيذا .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(١١) .



الثاني : زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، ومنه قوله

- | | |
|---------------------|------------------------|
| (١) سورة البقرة ٨٣ | (٢) سورة آل عمران ٤٢ |
| (٣) سورة البقرة ١٩٨ | (٤) سورة طه ٣٣ ، ٣٤ |
| (٥) سورة الرعد ٥ | (٦) سورة البقرة ٥ |
| (٧) سورة القصص ١٩ | (٨) سورة الزمر ١١ ، ١٢ |

تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَؤُلَاءِ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ ^(١) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

الثالث : إذا طال الكلام وخشى تملص الأول أعيد ثانياً بطريقة له ، وتجديداً
لمعناه ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَئِذٍ
ذَلِكَ ﴾ ^(٢) وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَئِذِهِمَ لَغَفَّارٌ رَحِيمٌ ^(٣) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَئِذٍ مَا فَعَلْنَا ... ﴾ ^(٤) الآية .
وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٥) ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا ﴾ ^(٦) فهذا تكرار للأول ، ألا ترى أن لا لا نجيء بالقاء !

ومثله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ ^(٧) ، ثم قال : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ ﴾ ^(٨) .
وقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَئِذِهِمْ ﴾ ^(٩) ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُّوا ﴾ ^(١٠) .

ومنه قوله : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ ﴾ ^(١١)

وقوله : ﴿ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ ^(١٢)
قوله : ﴿ أَنْتُمْ ﴾ الثاني بناء على الأول ، إذ كادراً به خشية تناسيه .
وقوله : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ ^(١٣) .

(٢) سورة النحل ١١٩

(٤) سورة البقرة ٨٩

(٦) سورة البقرة ٢٥٣

(٨) سورة المؤمنون ٣٥

(١) سورة المؤمن ٣٨ ، ٣٩

(٣) سورة النحل ١١٠

(٥) سورة آل عمران ١٨٨

(٧) سورة يوسف ٥

(٩) سورة الروم ٧

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ تَجْزَى الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَتَذَيَّنَّا بِذِي عَرْشٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَبُكَ تَجْزَى الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) .

بغير ﴿ إِنَّا ﴾ وفي غيره من مواضع ذكر ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ ﴾ ، لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله ﴿ إِنَّا كَذَبُكَ ﴾ ؛ فكأنه طرح فيها الكثرة أولاً عن ذكره ثانياً . ولأن التأكيد بالنسبة ، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده .

ويمحتمل أن يكون من باب الاكتفاء ؛ وهذا أسلوب غريب ، وقل في القرآن وجوده ، وأكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ ، كالمبتدأ ، وحروف الشرطين الواقفين في الماضي والاضارع . ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسي .

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن ، فإذا خشي عليها التناسي لطول المهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجلي ، كقوله تعالى : ﴿ قَبِمَا نَقِضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٤) قوله « فيظلم » بيان ذكر الجلي على ما سبق في القول من التفصيل ، وذلك أن الظلم جلي على ما سبق من التفاصيل من التقصير والكفر وقتل الأنبياء ، ﴿ وَتَوَلَّوْا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾^(٥) والقول على مريم بالبهتان ، ودعوى قتل المسيح عليه السلام ، إلى ما تحل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين . وهما قوله : ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِكْفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾^(٨) ، وأنه لما ذكر بالبناء جلي الظلم من قوله « فيظلم » لأنه يرم على كل ما تقدم وينطوي عليه ، ذكر حينئذ متعلق الجلي من قوله : ﴿ قَبِمَا نَقِضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾^(٩) عقب الباء لأن العامل في الأصل حقه أن يلي معموله ، قال : ﴿ فَيُظْلَمُونَ مِنْ

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا^(١)؛ هو متعلق بقوله : ﴿فَبُظِّلَ﴾^(٢) ، وقد اشتمل الظلم على كل ما تقدم قبله ، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرمات الأخر التي عدت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالمعوم والخصوص ؛ فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كل واحد ، ثم ذكر العام للنطوى عليها ؛ فهذا تسميم بعد تخصيص . ثم ذكرت جزئيات آخر بخصوصها ، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية ؛ وهو التسميم بعد التخصيص ، ثم التخصيص بعد التسميم ، ثم البناء بعد الاعتراض .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤) ، قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿بِفَيْضِ عِلْمِهِ﴾^(٦) هو للفتن في الأول للتعظيم ، وقوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾^(٧) هو للفتن في الثاني وهو البناء ، لأنه للذكر بالفتن في الأول الذي هو «لولا» خشية تناسيه ، فهو مبني على الأول ، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله : ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾^(٨) وروداً واحداً من حيث أخذنا مما ، كأنهما متفتن منفرد ، من حيث هما واحد بالنوع ؛ وهو الشرط للأي . قوله : ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾^(٩) بناء على قوله : ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾^(١٠) نظر في المضارعة . وأما قوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَمَلُوا الشُّعْرَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَنفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١١) فيجوز أن يكون تكريماً ، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله : ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بياناً لجمل لا تكريماً .

وقد جعل ابن التبر^(١٢) من هذا القسم قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾^(١٣) ثم قال : ﴿مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾^(١٤) .

(٢) سورة التفتح ٢٥

(١) سورة النساء ١٦٠

(٣) سورة التعل ١١٩

(٤) هو الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن التبر الإسكندري ؛ صاحب كتاب الاتصاف بين فيه ماقتضيه كتاب الكشاف من الاعتزال ؛ وتواتره في أطرب وأحسن فيها الجمال ؛ توفي سنة ٦٨٣ . كشف

(٥) سورة التعل ١٠٦

الفتون ١٤٧٧

وقوله : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ثم قال : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾ ^(٢) ونازعه العراق ^(٣) لأن للماد فيهما أخص من الأول ؛ وهذا يحىء في كثير مما ذكرناه ، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخص منه كما بينا .

الرابع : في مقام التعظيم والتهويل ؛ كقوله تعالى : ﴿ الْخَلْقَ مَا الْخَلْقَ ﴾ ^(٤) . ﴿ الْقَارِعَةَ مَا الْقَارِعَةَ ﴾ ^(٥) . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ ^(٦) .
وقوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ ^(٧) .
وفوله : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ ^(٨) .
وقوله : ﴿ لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ﴾ ^(٩) .

الخامس : في مقام الوعيد والتهديد ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٠) وذكر « ثم » في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول ، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يقطر من إليه تغيير ، بل هو مستمر دائماً .

(١) سورة الفتح ٢٥

(٢) هو الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي ، صاحب كتاب الإصناف ، جملته حكاه بين الكشاف والاعتصاف ، توفي سنة ٧٠٤ هـ . كشف الظنون ١٤٧٧

(٣) سورة الفارعة ١

(٤) سورة الحاقة ٢٠١

(٥) سورة الواقعة ٢٧

(٦) سورة القدر ١ ، ٢

(٧) سورة الواقعة ٨ ، ٩

(٨) سورة التكاثر ٦ ، ٧

السادس : التَّعَجُّبُ ، كقوله تعالى : (فَتَقِيلُ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ)^(١) ، فأعيد تعجباً من تقديره وإصابته الفرض ، على حد : قاله الله ما أشجبه !

السابع : لتمدد المتعلق ، كما في قوله تعالى : (قَبَائِىْ آلَآءِ رَبِّكُمْ أَنْ تَكْذَبَآنِ)^(٢) ، فإنها وإن تمددت ؛ فكل واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها التَّقْلِينَ من الإنس والجن ، وعدّد عليهم نعمه التي خلقها لهم ، فكلماً ذكر فصلاً من فضول النعم طلب إقرارهم واقتضاء الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة ، وصور شتى .

فإن قيل : فإذا كان المعنى في تكريرها عدّ النعم واقتضاء الشكر عليها ، فما معنى قوله : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَفْتَحِرَآنِ)^(٣) ؟ وأى نعمة هنا ؛ وإنما هو وعيد .

قيل : إن نعم الله فيما أنذر به وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها ، نظير أنعمه على ما وعده ، وبشر من ثوابه على طاعته ؛ ليرغبوا فيها ، ويحرموا عليها ؛ وإنما تتحقق معرفة الشيء بأن تستبره بضده ، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما ، فإنهما مضاربان في موضع النعم بالتوقيف على ممالك الأمر منها ، وعليه قول بعض حكماء الشعراء :
والخادعات وإن أصابك بؤسها فهو القى أنبئك كيف يسى ،

وإنما ذكرنا هذا ، لتعلم الحكمة في كونها زادت على ثلاثة ، ولو كان عائداً لشيء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة .

فإن قيل : فإذا كان المراد بكل ما قبله ، فليس ذلك بإطناب ، بل هي ألقاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر .

(٢) سورة الرحمن ١٣ وما بعدها

(١) سورة الدھر ١٩ ، ٢٠

(٣) سورة الرحمن ٣٥

قلت : إن قلنا : العبرة بموم اللفظ ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر .
وقد تكلف لتوجيه اللمة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة ، قال الكرماني :
جاءت آية واحدة في هذه السورة كررت نيفاً وثلاثين مرة ، لأن ست عشرة راجعة
إلى الجنان ؛ لأن لها ثمانية أبواب ، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنعم ، فأعظم النعم
جهنم ، ولها سبعة أبواب . وجاءت سبعة في مقابلة تلك الأبواب ، وسبعة عقب كل نعمة
ذكرها للتقليل .

وقال غيره : نية في سبع منها على ما خلقه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدة
أمهات النعم ، وأفرد سبعا منها للتخويف ، وإنذاراً على عدة أبواب الخوف منه ، وفصل
بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوى فيها بين الخلق كلمهم فيما كتبه عليهم من الفناء ،
حيث اتصلت بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ ﴾ ^(١) ، فكانت خمس عشرة ، أنبت
بنائية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها ، ثم بنائية آخر في وصف الجنتين اللتين
من دون الأولين لتلك أيضاً فاستكمل إحدى وثلاثين .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَذِّبِينَ ﴾ ^(٢) ، في سورة الرسائل
عشر مرات ، لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة ، وأنبيء كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه
قال عقب كل قصة : ويل للكَذِّبِينَ بهذه القصة ١ وكل قصة مخالفة لصاحبها ،
فأنبت الويل لمن كذب بها .

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بشر أمثالها ، وجعل للكفار في مقابلة كل مثل
من الثواب ويل .

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى : ﴿ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ .

وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^(١) في ثمانية مواضع ؛ لأجل الوعظ ، فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة .

وأما قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ، فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام ، والمعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها .

وأما مناسبة قوله : ﴿ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ، فإنه تعالى نقي الإيمان عن الأكثر ؛ فدلّ بالفهم على إيمان الأقل ، فكانت العزة على من لم يؤمن ، والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبتان كترتب الفريقين . ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ... ﴾^(٢) الآية ، لأنّ عليهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب اللّام ؛ وهذا أقرب للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه ؛ فإنّ للمعاملات الإلهيّة للطائع والعاصى متغيرة الأنواع الدنيوية البرزخية ، ثمّ الحشرية ، كما أن أحوال الاستقرار بمدّ الجميع في الناية ؛ بل كل مقام من هذه الأنواع مختلفة ، وفي « ثم » دلالة على الترقى ، إن لم يجعل الزمان مرتباً في الإنذار على التكرار ، وفي للنذر به على التنويع .

ومنه تكرار : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾^(٣) ، قال الزمخشري^(٤) : كرّر ليجدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاطوا وتنبهوا ، وأنّ كلا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يخص به ، وأن يتنبهوا كيلا يفلت منهم السرور والتفلة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ... ﴾^(٥) إلى آخرها

(١) سورة الشعراء ٩٠٨ (٢) سورة النجم ٣٩ (٣) سورة النجم ٦٧ ، ٦٨ (٤) الكشاف ٤ : ٣٤٩ ؛ والمبارة فيه : « فادّعه أن يجحدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكركم واتعاطوا ، وأن يتأثروا تنبهاً واستيقاظاً ؛ إذا سمعوا الحديث على ذلك والبث ، وأن يفرح لهم الصامرات ويهتف لهم الشن تارات ؛ لئلا يفلت منهم السهر ، ولا تتولى عليهم التفلة ... » (٥) سورة الكافرون ١ ، ٢

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية فقال : إني أجد في القرآن تكراراً وذكر له ذلك ، فأجابه الحسن بما حاصله : إن الكفار قالوا : نعبد إلهك شهراً ونعبد آلهتنا شهراً ، فجاء النبی متوجهاً إلى ذلك . وللتصوّد أن هذه ليست من التكرار في شيء ، بل هي بالحذف والاختصار أليق ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾^(١) ؛ أي لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل ، وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، أي ولا أنا عابدٌ في الحال ما عبدتم في المستقبل ، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ ، في الحال ما أعبد في المستقبل .

والحاصل أن القصد نفي عبادته لأهلهم في الأزمنة الثلاثة : الحال ، والماضي ، والمستقبل ؛ والمذكور في الآية النفي في الحال والمستقبل ، وحذف للماضي من جهته ومن جهتهم ؛ ولا بد من نفيه ، لكنه حذف دلالة الأولين عليه .

وفيه تقدير آخر ؛ وهو أن الجملة الأولى ضمنية ، والثانية اسمية ، وقولك : « لا أفضله » و « لا أنا بأفضله » أحسن من قولك : « لا أفضله » ، « لا أفضله » ؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه ، والاسمية نفي لاتصافه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي السُّعْيِ عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُخْرِجٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(٣) . والمعنى أنه تبارأ من فعله ومن الاتصاف به ، وهو أبلغ في النفي ؛ وأما للشركون فلم ينتف عنهم إلا بصيغة واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ ﴾ في الموضعين .

وفرق آخر ، وهو أن قال في نفيه الجملة الاسمية : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ، وقال في النفي عنهم : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبُدُ ﴾ عائد في حقه بين الملتزمين ، وقال : ﴿ لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالمضارع ، وفي الثاني : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ بالماضي ، فإن المضارع يدل على الدوام ، بخلاف الماضي ، فأفاد ذلك أن ما عبدتموه ولومرّة ما أنا عابد له البتّة ، ففيه كمال

برأته ودوامها تما عبوده ولو مرة ؛ بخلاف قوله : ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ، فإن النقي من جنس الإتيان ، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومتفردا .

ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة^(١) ؛ لأنّ للفقيرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس : اليهود ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم . وأهل النفاق أشدّ إنكاراً له ، لأنه كان أول نسخ نزل . وكفار قریش قالوا : ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قِبَلَتِنَا ، وكانوا قبل ذلك يمتنعون عليه فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ؛ وقد فارق قِبَلَتَهُمَا وآثر عليها قبلة اليهود ؛ وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿ لَتَثَلَا بِكُنَّ لِنَاسٍ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾^(٢) والاستثناء منقطع ، أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون . وقال سبحانه : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْزِفِينَ ﴾^(٣) أى الذين أشركوا فلا تنتر في ذلك ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَسْلُونَ ﴾^(٤) ، أى يكتمون ما علوا أن الكعبة هى قبلة الأنبياء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾^(٥) . وقال صاحب « ينبوع »^(٦) : لم يلفظ عن القسرين فيه شئ .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ قَوْلُ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ آية ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠

(٢) سورة البقرة ١٤٧

(٣) سورة البقرة ١٥٠

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الصافات ١٧١ ، ١٧٥ ، وكرر ما بين الآيتين قوله تعالى بعد ذلك في السورة ١٧٨ ، ١٧٩ :

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر . للشيخ المغل للثوق سنة ٥٦٥ هـ ؛ صاحب كتاب ينبوع المباحة في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ منه أجزاء مغرفة خطوطه بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٩٠ تحقيق .

وقال المفسرون في غريب القرآن : هما في المعنى كالأيتين المتقدمتين ، فكأننا كيد
وتشديد الوعيد .

ويحتمل أن يكون « الحيف » في الأولين ^(١) يوم بدر ، و « الحين » في هاتين ^(٢)
يوم فتح مكة .

ومن فوائد قوله تعالى في الأولين : ﴿ وَأَنْصِرْهُمْ ﴾ وفي هاتين : ﴿ فَأَنْصِرْ ﴾ أن الأولى
ينزل المذاب بهم يوم بدر قتلا وأسرا وهزيمة ورعبا ، فما تضمنت التشنق بهم قيل له :
﴿ أَنْصِرْهُمْ ﴾ ، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم
فلم يكن وقتا للتشنق بهم ، بل كان في استسلامهم ، وإسلامهم لبيته قوة ، وقلبه مسرة ،
فقيل له : ﴿ أَنْصِرْ ﴾ .

ويحتمل على هذا - إن شاء الله - أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذه : ﴿ فَسَوْفَ
يُنصِرُونَ ﴾ أي ينصرون منك عليهم بالأمان ، ومثنا عليهم بالإيمان .
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَّهُنَّ ﴾ ^(٣) .
وللتكرار [هنا] فائدتان :

إحداها : أن التحريم قد يكون في الطرفين ؛ ولكن يكون المانع من إحداها ؛
كالو ارتدت الزوجة قبل الدخول ؛ يحرم النكاح من الطرفين ؛ والمانع من جهتها ،
فذكر الله سبحانه الثانية ؛ ليدل على أن التحريم كاهو ثابت في الطرفين كذلك
للمانع منها .

والثانية : أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي ؛ ولهذا أتى فيها بالاسم الدال
على الثبوت ؛ والثانية في المستقبل ، ولهذا أتى فيها بالفعل للمستقبل .

ومنه تكرار الإضراب .

واعلم أن « بل » إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب .
وهو إما أن يقع في كلام أنخلق ؛ ومعناه إبطال ما سبق على طريق النفاط من التكلم ؛
أو أن الثاني أوّل .

وإما أن يقع في كلام الله تعالى ، وهو ضربان :
أحدهما : أن يكون ما فيها من الردّ راجعا إلى العباد ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضُنُّوا
أَحْلَامَ بَلِّ أَفْقَرَهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ ^(١) .

والثاني : أن يكون إبطالا ؛ ولكنه على أنه قد انقضى وقته ؛ وأن الذي بعده
أولى بالذكر ، كقوله تعالى : ﴿ بَلِّ أَدَارَكَ عِلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿ بَلِّ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
ذِكْرِي بَلِّ لَنَا يَدُوتُوا عَذَابٍ ﴾ ^(٢) .

وزعم ابن مالك في شرح « الكافية » أن « بل » حيث وقعت في القرآن التران فإنها
للاستئناف لفرض آخر لا لإبطال الأول ؛ وهو مردود بما سبق ، وبقوله : ﴿ وَقَالُوا
أَتَحْذَرُ الرَّسْمَ وَلَدَا سُبْحَانَهُ بَلِّ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ ^(٣) ؛ فأضرب بها عن قولهم ،
وأبطل كذبهم .

وقوله : ﴿ بَلِّ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ ^(٤) ، أضرب بها عن حقيقة إتيانهم الذكور
وترك الأزواج .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ ^(٥) ،

(٢) سورة ص ٨

(٤) سورة الشعراء ١٦٦

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الطلاق ٢

فَالأَوَّلُ لِلْمُطَلَّقِينَ وَالثَّانِي لِلشُّهُودِ ؛ نَحْوُ : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَنْ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ^(١) ، أَوْهَا لِلأَزْوَاجِ ، وَآخِرُهَا لِلأَوْلِيَاءِ .

ومنه تكرار الأمثال ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ ^(٢) .

وكذلك صَرَّبَ مثل اللناقين أول البقرة ^(٣) ثناء الله تعالى .

قال الزخشرى : « والثاني أبلغ ^(٤) من الأول لأنه أدل على قُرْطِ الحيرة ؛ وشدة الأمر وفظاعته » ، قال : « ولذلك أُخِّرَ » ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ .

ومنه تكرار التخصص في القرآن ؛ كقصة إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء ، قال بعضهم : ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعا من كتابه ، قال ابن العربي ^(٥) في « القوامس » : ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية ، وقصة موسى في سبعين آية . انتهى .

وإنما كررها لفائدة خلت عنه في اللوح الآخر وهي أمور :

(١) سورة البقرة ٢٣٢

(٢) سورة طه ١٩ - ٢٢

(٣) يشير إلى قوله تعالى في الآية السابعة عشرة من سورة البقرة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . مع قوله في الآية التاسعة عشر : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُبَاتٌ يُجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾

(٥) هو الإمام أبو بكر بن العربي صاحب

(٤) الكشاف ١ : ٦١

كتاب القوامس .

أحدهما : أنه إذا كررت القصة زاد فيها شيئا ، ألا ترى أنه ذكر الحية^(١) في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعبانا ، فقائدته أن ليس كل حية ثعبانا^(٢) ، وهذه عادة البلغاء ، أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة ، لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يسمعون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ؛ وكان أكثر من آمن به مهاجريا ؛ فولا تكرار القصة لوقت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة القوم ، وزيادة [تأكيد وتبصرة]^(٣) ، لآخرين وهم المخضرون ، وعبر عن هذا ابن الجوزي وغيره .

الثالثة : تسليته لقلب النبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق للأنبياء مثله مع أعمهم^(٤) قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾^(٥) .

الرابعة : أن إيراد الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا ينبغي ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : أن الدواعي لا تتوفر على قلبها كتوفرها على قل الأحكام ، فلها تكررت القصص دون الأحكام .

(١) في قوله تعالى في سورة طه ٢٠ : ﴿ قَالَتْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسَى ﴾ .

(٢) من قوله تعالى في سورة الأعراف ١٠٧ : ﴿ قَالَتْ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقوله في سورة الشعراء ٢٢ : ﴿ قَالَتْ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

(٤) ت « أعمهم » ، صوابه من م .

(٥) تسكية من م .

(٥) سورة هود ١٢٠

السادسة: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعَجَزَ القوم عن الإتيان بمثل آية ، لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في مجزئهم ؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا ، بأي عبارة عبروا ، قال ابن فارس ^(١) : وهذا هو الصحيح .

السابعة : أنه لما سَخَّرَ العرب بالقرآن قال : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(٢) ، وقال في موضع آخر : ﴿ فَأَتُوا بِبَشِيرٍ سُوْرٍ ﴾ ^(٣) ، فلو ذكر قصة آدم مثلا في موضع واحد واكتفى بها لقال المرئي بما قال الله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ، « إيتونا أنتم بسورة من مثله » ، فأنزلها سبحانه في تعداد السور ، دَفْعًا لِحَبِيْهِمْ من كل وجه .

الثامنة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ؛ كقصة موسى مع فرعون - وإن ظُنَّ أنها لا تغاير الأخرى - قد يوجد في ألفاظها زيادة وقصان وتقديم وتأخير ، وتلك حال للماني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ؛ فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه ، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها ؛ فكان الله تعالى فرق ذكر مدار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات ^(٤) التكرار لتوجد متفرقة فيها ؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتضمنة ؛ من اغتراد كل قصة منها بموضع ؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة ، فاجتمعت في هذه الخاصية ؛ من نظم القرآن عدة معاني مجيبة :

منها : أن التكرار ^(٥) فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقِع في اللفظ هجئة ، ولا أحدث مَلَلًا ، فبان بذلك كلام الملقين .

ومنها : أنه ألبسها زيادة وقصانا وتقدما وتأخيرا ؛ ليخرج بذلك الكلام أن

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٤) م : « متلرات » .

(١) قه اللغة ١٧٨

(٣) سورة هود ١٣

(٥) م : « منها » .

تكون الفاظه واحدة بأعيانها، فيكون شيئاً معاداً؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التفسيرات .
ومنها : أن اللغز التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة
في تارات التكرير فيجد البليغ - لما فيها من التفسير - ميلا إلى سماعها ، لما جُبلت عليه
التفويك من حبّ التنقل في الأشياء للتجدة التي لكل منها حصّة من الالتذاذ
به مستأفة .

ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد ؛ وقد كان
للشركون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه
القصص والأنباء مع تمايز أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فترتفعهم الله سبحانه أن
الأمر بما يعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد ؛ لقوله
نعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ
رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبِئْثَلٍ مَدَدًا ﴾ ^(١) وكقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ
وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ ... ﴾ ^(٢) الآية .

وقال القفال ^(٣) في تفسيره : ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوها من المقاصد :
أحدها : الدلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلّم ؛
وذلك لا يمكن إلا بالوحى .

الثاني : تنديد النعم على بني إسرائيل ، وامنّ الله على أسلافهم من الكرامة والفضل ؛
كالنجاة من آل فرعون ، وفرق البحر لهم ، وما أنزل عليه في التيه من اللّٰه والسوى ،
وتعجّر الحجر ، وتظليل الغمام .

(٢) سورة ائمان ٢٧

(١) سورة الكهف ١٠٦

(٣) هو محمد بن أحمد بن الحسين الشافعي القفال ؛ رئيس الشافعية في عصره . توفي سنة ٥٠٧ هـ
(ابن خلكان) : ٦٤

الثالث : إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعتيمهم على الأنبياء ، فلكأنه تعالى يقول : إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيهم الذى أعزهم الله به ، وأقنمهم من العذاب بسببه ؛ فقير يدع ما يامله به أخلافهم محمدا صلى الله عليه وسلم .
الرابع : تحذير أهل الكتاب للوجودين فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نزول العذاب بهم ؛ كما نزل بأسلافهم .

وهنا سؤالان :

أحدهما : ما الحكمة فى عدم تكرار قصة يوسف عليه السلام ، وسوقها مساقا واحداً فى موضع واحد ، دون غيرها من القصص ؟

والجواب من وجوه :

الأول : فيها من تشييب النسوة به ، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوة افتتن بأبدع الناس جمالا ، وأرفهم مثالا ، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك . وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديثا مرفوعا : النهى عن تعليم النساء سورة يوسف .

الثانى : أنها اختصت بمحصول الفرج بد الشدة ، بخلاف غيرها من القصص ، فإن ما لها إلى الوبال ، كقصة إبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ؛ وغيرهم ، فلما اختصت هذه القصة فى سائر القصص : بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص .

الثالث : قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائينى إنما كرر الله قصص الأنبياء ، وساق قصة يوسف مساقا واحداً ، إشارة إلى عجز الرب ، كأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم :

إن كان من تلقاء نفسه تصديره على القصص ، فافلوا في قصة يوسف ما فلت في قصص سائر الأنبياء .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط ، وموسى ، في سورة الأعراف وهود والشعراء ، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم ، وإنما ذكرها في سورة الأنبياء ، ومريم ، والمنكيات ، والصافات .

والسر في ذلك أن تلك السور الأولى ذكر الله فيها نصر رسله بإهلاك قومهم ، ونجاء الرسل وأتباعهم ، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم ؛ بل كان القصد ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم ؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء ؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء ؛ وبدأ بقصة إبراهيم ، إذ كان للقصد ذكر كرامته الأنبياء قبل عهد ، وإبراهيم أكرمهم على الله ، وهو خير البرية ، وهو أب أكثرهم ، وليس هو أب نوح ووط ؛ لكن لوط من أتباعه ، وأيوب من ذريته ، بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾ ^(١) .

وأما سورة المنكيات ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر فيها امتحانه للؤمنين ، ونصرهم ، وحاجتهم إلى الجهاد ؛ وذكر فيها حسن العاقبة لمن صبر ، وعاقبة من كذب الرسل ؛ فذكر قصة إبراهيم ؛ لأنها من النمط الأول .

وكذلك في سورة الصافات قال فيها : ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَنَظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ ^(٢) ؛ وهذا يقتضى أنها عاقبة رديئة ؛ إما بكونهم غلبوا وذلوا ؛ وإما بكونهم أهلكوا ؛ ولهذا ذكر قصة إيليس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه ، بل قال : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَاهَهُمْ لَمُحَضَّرُونَ ﴾ ^(٣) .

(٢) سورة الصافات ٧١ ، ٧٣

(١) سورة الأنعام ٨٤

(٣) سورة الصافات ١٢٧

وقد رَوَى أن الله رفع إيلس ؛ وهذا يقتضى عنايتهم فى الآخرة ؛ فإن إيلس لم يتم بينهم ، وإيلس اللروف بعد موسى من بنى إسرائيل ، وبعد موسى لم يهلك للكذابين بذاب الاستئصال ؛ وبعد نوح لم يهلك جميع النوع ، وقد بعث الله كل أمة نذيراً ، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلَكوا ، كما ذكر ذلك عن غيرهم ؛ بل ذكر أنهم أقره فى النار ، فجعلها برءاً وسلاماً ، وفى هذا ظهور برهانه وآياته ؛ حيث أذلهم ونصره ؛ (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين) ^(١) وهذا من جنس الجاهد [الذى يرضى عدوه ، والقصاص الأول من جنس الجاهد الذى] ^(٢) قتل عدوه ، وإبراهيم بعد هذا لم يتم بينهم بل هاجر وتركهم ؛ وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلَكوا ، ولم يوجد فى حق إبراهيم سبب الملاك ؛ وهو إقامة فيه ، وانتظار المذاب النازل ؛ وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ، لم يتم فيه ، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك ؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل ؛ فإنهم إذا علوا حصل للتصود ، وقد يتوب منهم من تاب ، كما جرى قوم يونس ؛ فهذا - والله أعلم - هو السر فى أنه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء ؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم .

فإن قيل : فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك ؟

فالجواب : أمّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل ؛ فلم يسح فى هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم ؛ وقد قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَمُوتُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنَبْلَنَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ) ^(٣) ، وكان كل قوم يطلبون هلاك نبيهم فوقبوا ؛ وقوم إبراهيم وإن أوصوه إلى المذاب ؛ لكن جعله الله عليه برءاً وسلاماً ،

(٢) حكمة من ت .

(١) سورة الصافات ٩٨

(٣) سورة إبراهيم ١٣ ، ١٤

ولم يضلوا بعد ذلك ما يستحقون به المذاب ؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام ؛ وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة ؛ كما في العقوبات الشرعية ، فمن أرادوا عداوة [أحد] من أتباع الأنبياء ليهلكوه فصمه الله ، وجعل صورة الهلاك نعمة فحقه ؛ ولم يهلك أعداءه بل أخزاهم ونصره ؛ فهو أشبه إبراهيم عليه السلام ؛ إذ عصمه الله من كيدهم ، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجلا ، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن محمدا سيد الجميع ، وهو خليل الله ، كما أن إبراهيم عليه السلام خليله ، واختليانهما أفضل للجميع ، وفي طريقهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما ، ولم يذكُر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير الشرك ، وكذلك عن قوم نوح ، وأما عاد فذكر عنهم الصَّخْر ، وعمارَة الدنيا ، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء ، وأهل مدين النظم في الأموال مع الشرك ، وقوم لوط استحلل الفاحشة ، ولم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد ، بخلاف سائر الأمم ، وهذا يدل على أنهم لم يكونوا مشركين ، وإنما كان دينهم استحلل الفاحشة ونواع ذلك ، وكانت عقوبتهم أشد .

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم ؛ ولما لم يكن في قوم نوح خير يرجى غرق الجميع . والله المستعان .



فأمل هذا الفصل وعظم فوائده وتدبر حكمته ، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم ، كقوله تعالى : (أَنهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى)^(١) ، فأعاد ذكر « الأنهار » مع كل صنف ؛ وكان يكفي أن يقال فيها : « أنهار من ماء ، ومن لبن ، ومن خمر ، ومن

عمل ؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة ؛ وفيما عدا^(١) الماء مجازا للتشبيه ؛
فلم يقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز .
فإن قلت : فمألف فرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة ؟ قيل : لو فعل
ذلك لجمع بين محامل من المجاز مختلفة في صيغة واحدة ، وهو قريب في النسخ من
الذي قبله .

فائدة

[في صنيهم عند استئصال تكرار اللفظ]

قد يستعملون تكرار اللفظ فيمدلون لعناء ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ
أَمَهُمْ رُؤُودًا ﴾^(٢) ؛ فإنه لما أعيد اللفظ غير « مهْل » إلى « أفل » فلما نلت ترك اللفظ
أصلا ، قال : « رويدا » .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾^(٣) ، ثم قال : ﴿ إِمْرًا ﴾^(٤) .
قال الكسائي : معناه شيئا منكرا كثيرا الدهاء من جهة الإنكار ؛ من قولهم :
أمر القوم إذا كثروا .

قال الفارسي : وأنا أستحسّن قوله هذا .

وقوله تعالى : ﴿ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ﴾^(٥) ، قال الفارسي : ﴿ وراءكم ﴾ في موضع فعل الأمر
أي تأخروا ؛ والمعنى ارجعوا تأخروا ؛ فهو تأكيدي ليستظروا ؛ لأن الظروف لا يؤكد بها .
وإذا تكرّر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة ؛ كقوله تعالى : ﴿ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ

(١) سورة الطارق ١٧

(٤) سورة الحديد ١٣

(١) ت : د وما

(٢) سورة الكهف ٧٥ ، ٧٦

أَلَيْمٌ ﴿٣١﴾ ، والقصد للبيان ، أى عذاب مضاعف ، وبالعطف كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ﴿٣٢﴾ ، وقوله : ﴿ تَأَعَّبُوا وَاصْفَحُوا ﴾ ﴿٣٣﴾ .

القسم الخامس عشر

الزيادة فى بنية الكلمة

واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أهمل منه ؛ فلا بد أن يتضمن من اللفظ أكثر مما تضمنه أولاً ؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني ؛ فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة المعانى ضرورة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ﴿٣٤﴾ ؛ فهو أبلغ من « قادر » لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة ؛ لا يردّ شيء عن اقتضاء قدرته ؛ ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة للمعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾ فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من « اصبر » .
وقوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ﴿٣٥﴾ لأنه لما كانت السببة محيلة وفيها تكلف زيد فى لفظ فعلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يُصْطَرِّخُونَ فِيهَا ﴾ ﴿٣٦﴾ ؛ فإنه أبلغ من « يتصارخون » .
وقوله تعالى : ﴿ فَكَيْسِكُبُوا فِيهَا ﴾ ﴿٣٧﴾ ولم يقل « وكبوا » قال الزمخشري ﴿٣٨﴾ : والكسبة تكرير الكب ، جُمِلَ التكرير فى اللفظ دليلاً على التكرير فى المعنى ، كأنه إذا ألقى

(٢) سورة يوسف ٨٦

(٤) سورة القمر ٤٢

(٦) سورة طه ٣٧

(٨) الكشاف ٣ : ٢٠٣

(١) سورة سبأ ٥

(٣) سورة البقرة ١٠٩

(٥) سورة البقرة ٢٨٦

(٧) سورة الفراء ٩٤

في جهنم [بِنَكَبٍ] ^(١) كبة مرة بعد أخرى حتى يستقر في قصرها ، اللهم أجرنا منها خير مستجارا

وقرب من هذا قول الخليل في قول العرب : صَرَ الْجُنْدُب ، وصرصر البازي ، كأنهم توههوا في صوت الجندب استطلاعة ، قالوا : صَرَ صريرا ، فدوا وتوههوا في صوت البازي قطعيا ، قالوا : « صرصر » .

ومنه الزيادة بالتشديد أيضا ؛ فَإِنَّ « سَتَّاراً » و « غَفَّاراً » أبلغ من « سائر » و « غافر » ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾ ^(٢) ؛ ومن هذا رجع بعضهم معنى « الرحمن » على معنى « الرحيم » ؛ لما فيه من زيادة البناء ، وهو الألف والنون ، وقد سبق في السادس .

ويقرب منه التضعيف - ويقال التكثير - وهو أن يؤتى بالصيغة دالة على وقوع الفعل مرة بعد مرة . وشرطه أن يكون في الأفعال للتعدية قبل التضعيف ؛ وإنما جعله متعلّيا تضعيفه ؛ ولهذا رُدَّ على الزحشرى في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ^(٣) ؛ حيث جعل ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ؛ هنا للتضعيف .

وقد جاء التضعيف دالاً على الكثرة في اللازم قليلا ، نحو مَوْتٍ لَمَّا . وجاء حيث لا يمكن فيه التكثير ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٤) ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ ^(٥) .

فإن قلت : ﴿ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ﴾ ^(٦) مشكل على هذه القاعدة ، لأنه إذا كان « قتل » للتكثير ، فكيف جاء « قليلا » نعتا لمصدر « متع » وهذا وصف كثير بقليل ، وإنه ممنوع .

(٢) سورة نوح ١٠

(٤) سورة الرعد ٧

(٦) سورة البقرة ١٢٦

(١) تكة من الكشاف

(٣) سورة البقرة ٢٣

(٥) سورة الإسراء ٩٥

قلت : وصف بالقلّة من حيث صيرورته إلى غاد وقص وفناء .

واعلم أن زيادة للمنى في هذا القسم مقيد بنقل صيغة الرباعى غير موضوعة لمنى ؛ فإنه لا يراد به ما أريد من قل الثلاثى إلى مثل تلك الصيغة ؛ قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَسْكِينًا ﴾ ^(١) ؛ لا يدلّ على كثرة صدور الكلام منه ؛ لأنه غير منقول عن ثلاثى . وكذا قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُرَتِّبًا ﴾ ^(٢) يدلّ على كثرة القراءة على هيئة التانى والتدبّر .

وكذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ ﴾ ^(٣) ، ليس النفى للبالغة ؛ بل نفي أصل الفعل .

القسم السادس عشر

التفسير

وقسمه العرب في مواضع التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(١) ، قال البيهقى في شرح الأسماء الحسنى : قرأت في تفسير الجليدى أن قوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ ﴾ ^(٢) ، تفسير للقيوم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقٌ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ آتٌ عَظِيمٌ مُنُوعًا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) فإن هذا تفسير لوعد .

(٢) سورة الزمل ٢

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة اللائدة ٩٥ .

(١) سورة النساء ١٦٤

(٢) سورة يس ٦٩

(٥) سورة البارج ١٩ ، ٢١

وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾^(١)

تفسير للوعد وتبيين له ، لا مفعول ثان ؛ فلم يستدل الفعل منها إلا إلى واحد .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٢)

« خلقه » تفسير للفعل .

وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ﴾^(٣) ، « ذ » يُذَبِّحُونَ ، وما

ببده تفسير للسؤال ، وهو في القرآن كثير .

قال أبو الفتح بن جني : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها

لأن تفسير الشيء لاحق به ، و متم له ، وجار مجرى بعض أجزائه ؛ كالفصلة من للوصول ،
والصفة من للوصوف .

وقد يجيء لبيان العلة والسبب ، كقوله تعالى : ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ

مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٤) ؛ وليس هذا من قولهم ، وإلا لما حزن الرسول ؛ وإنما

يجيء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم .

وكذلك قوله : ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٥) .

ولو جاءت الآياتان على حدة ما جاء قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٦) ، لكأن « أن » مفتوحة ، لكنها جاءت

على حد قوله . . .^(٧)

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة يس ٢٦

(٦) سورة الثالثة ٩

(١) سورة التور ٥٥

(٣) سورة البقرة ٤٩

(٥) سورة يونس ٦٥

(٧) كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصلين ت ، م

فائدة

قيل : الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب . وقيل : يكون لها موضع إذا كان للفسر موضع ؛ ويقرب منها ذكره تفصيلا ، كما سبق في قوله : ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِثْرِ قَمَمِ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ^(١) .
ومثل : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ ^(٢) .

انضم السابع عشر

خروج اللفظ مخرج الخالب

كفوله تعالى : ﴿ وَذَرَايَئُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٣) ، فإن الجبر ليس بقيد عند العلماء ؛ لكن قائدة التقييد تأكيد الحکم في هذه الصورة مع ثبوته عند علمها ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٤) ولم يقل : « ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ ﴾ ولم يكن في حجوركم » فدل على أن الجبر خرج مخرج المادة .

واعترض بأن الحرمة إذا كانت بالجموع فالحل يثبت بانتفاء الجموع ، والجموع ينتفى بانتفاء جزئه ، كما ينتفى بانتفاء كل فرد من الجموع .

وأجيب بأنه إذا نفي أحد شرطى الملة كان جزء الملة ناجيا ؛ فيعمل عليها .

فإن قيل : لا قال : ﴿ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ ﴾ ^(٥) ، قال في الآية بعدها :

(١) سورة الأعراف ١٤٢

(٢) سورة البقرة ٩٦

(٣) سورة النساء ٢٣

.....

﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ ^(١) عِلْمٌ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَنَّ الرِّبِيَّةَ لَا تَحْرُمُ إِذَا لَمْ يَدْخُلْ بِأَمْنِهَا ؛ فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ قَلَّاجَاتٍ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٢) ؟
 قيل : فائده ألاَّ يجوز أن قيد الدخول خرج مخرج الغالب لا مخرج الشرط ؛ كافي
 الحَجَرُ المَقْهُومُ إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ ، فَلَا تَقْيِيدُ فِيهِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ ، خِلَافًا لِإِمَامِ الْحَرَمِيِّنَ وَالشَّيْخِ
 عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَالْمِرَاقِ ، حَيْثُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حُجَّةً بِلَا خِلَافٍ
 إِذَا لَمْ تَنْقَلِبْ ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ إِذَا كَانَتْ غَالِبَةً دَلَّتْ الْمَادَّةَ عَلَيْهَا ؛ فَلَمَسْتَفَى التَّكَلُّمُ بِالْمَادَّةِ عَنْ
 ذِكْرِهَا ، فَلَمَّا ذَكَرَهَا مَعَ اسْتِثْنَائِهِ عَنْهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ الْإِخْبَارُ بِوُقُوعِهَا لِلْحَقِيقَةِ ؛
 بَلْ لِيَتَرَبَّعَ عَلَيْهَا نَفْيُ الْحُكْمِ مِنَ السَّكُوتِ ؛ أَمَّا إِذَا لَمْ تَكُنْ غَالِبَةً أَمَكُنْ أَنْ يُقَالَ : إِنَّمَا
 ذَكَرَهَا لِيَعْرِفَ السَّامِعُ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ تَمْرُضُ لَهُذِهِ الْحَقِيقَةِ .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ ^(٤) ،
 وَجُوزُوا أَنَّ الرِّهَانَ لَا يَخْتَصُّ بِالسَّفَرِ ، لَكِنْ ذُكِرَ لِأَنَّ قَدْرَ الْكَاتِبِ يَكُونُ فِيهِ غَالِبًا ،
 فَلَمَّا كَانَ السَّفَرُ مَظْلَمَةً إِعْوَازَ الْكَاتِبِ وَالشَّاهِدِ لِلْوَثُوقِ بِهِمَا ، أَمِيرٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِرْشَادِ بِحِفْظِ
 مَالِ السَّافِرِينَ بِأَخْذِ الْوَثِيقَةِ الْآخَرَى ؛ وَهِيَ الرِّهَانُ .

وقوله تعالى : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ ^(٥) ،
 وَانْقَصَرَ جَائِزٌ مَعَ أَمْنِ السَّفَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ لَا الشَّرْطِ ، وَغَالِبُ أَسْفَارِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْبَابِهِ لَمْ تَحُلْ مِنْ خَوْفِ الْعَدُوِّ .

ومنه من جعل الخوف هنا شرطًا إن حمل القصر على ترك الركوع والسجود والنزول

(٢) سورة النساء ٢٣

(٤) سورة البقرة ٢٨٢

(١) سورة النساء ٢٤

(٣) الإسراء ١١

(٥) سورة النساء ١٠١

عن الدابة والاستقبال ونحوه ؛ لافي عدد الركعات ، لكن ذلك شدة خوف لا خوف ،
وسبب النزول لا يداعه .

وكقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ يَوْمٌ إِنَّ عَلَّمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ^(١) .

القسم الثامن عشر

القسم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر ، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾ ^(٢) قسماً وإن كان فيه إخبار ، إلا أنه لما جاء توكيداً
للخبر سُمي قسماً .

ولا يكون إلا باسم معظم ، كقوله : ﴿ قَوْرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُفِئَمَنَّ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ قَوْرَبَّكَ لَنَحْشُرَنَّهمُ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ قَوْرَبَّكَ لَنَفْسَانَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٨) .

وقوله : ﴿ فَلَا أَفْئِمُّ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ^(٩) .

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه والباقي كله أقسم بمخلوقاته .

(١) سورة التور ٢٣

(٢) سورة القاريات ٢٣

(٣) سورة التناين ٧

(٤) سورة البجر ٩٢

(٥) سورة المارج ٤٠ .

(٦) سورة التناين ١

(٧) سورة يونس ٥٣

(٨) سورة مريم ٦٨

(٩) سورة مريم ٦٨

كقوله : ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾^(١).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَشَاءُونَ عَظِيمٌ﴾^(٢).

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْعَنَاسِ . الْجَوَارِي الْكَُنَاسِ﴾^(٣).

وإنما يحسن في مقام الإنكار .

فإن قيل : ما معنى القسم منه سبحانه ؟ فإنه إن كان لأجل اللؤم ، فالؤمن يصدق

بجود الإخبار ؛ وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد .

فالجواب : قال الأستاذ أبو القاسم التشيرى : إن الله ذكر القسم لكمال الحجة

وتأكيدها ، وذلك أن الحكم يفصل باثنين : إما بالشهادة ، وإما بالقسم ، فذكر تعالى

النوعين حتى لا يبقى لم حجة .

وقوله : ﴿لَمَسْرُكٍ لَّهُمْ . إِنِّي سَكَرَتِهِمْ يَمْمَهُونَ﴾^(٤)

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ .

فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾^(٥) صاح وقال : من الذى أغضب الجليل حتى أجهأ

إلى اليمين ؟ قالوا ثلاثا ، ثم مات .

فإن قيل : كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهى علينا ألا نقسم بمخلوق ؟

قيل : فيه ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنه حذف مضاف ، أى «ورب العجبر» و «رب الثين» ، وكذلك الباقي .

والثاني : أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها ؛ فنزل القرآن على ما يرفعون .

(٢) سورة الواقعة ٩٥

(٤) سورة الحجر ٧٢

(١) سورة الثين ٩

(٣) سورة التكاوير ١٥ ، ١٦

(٥) سورة الفارص ٢٢ ، ٢٣ .

والثالث : أن الأقسام إنما تجب بأن يُقسم الرجل بما يظمه ، أو بمن يحله ؛ وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه ؛ فأقسم تارة بنفسه ، وتارة بمصنوعاته ، لأنها تدل على باري وصانع ؛ واستحسنه ابن خالويه .

وقسمه بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله ، ومكانته لديه ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في « كنز اليواقيت » : والقسم بالشيء لا يخرج عن وجهين : إما لفضيلة أو لمنفعة ؛ فلفضيلة كقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ ^(١) ، والمنفعة نحو : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ ^(٢) .

وأقسم سبحانه بثلاثة أشياء : أحدها : بذاته ، كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٣) ﴿ قَوْلَ رَبِّكَ لِلنَّاسِ أَنِ اجْمَعِينَ ﴾ ^(٤) .

والثاني : بفعله ، نحو : ﴿ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا . وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ^(٥) .

والثالث : مفعوله ، نحو : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ^(٦) ، ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ ﴾ ^(٧) .

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمير : فالظاهر كقوله تعالى : ﴿ قَوْلَ رَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٧) ونحوه .

(٢) سورة القارط ٢٣

(٤) سورة الشمس ٧ ، ٥

(٦) سورة الطور ١

(١) سورة التين ٢ ، ٣

(٣) سورة الحجر ٩٢

(٥) سورة النجم ١

(٧) سورة القارط ٢٣

وللضمر على قسمين : قسم دلت عليه لام القسم ، كقوله : ﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾^(١) وقسم دل عليه النون ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٢) تقديره « والله » .

وقد أقسم تعالى بطوائف لللائكة في أول سورة الصافات^(٣) ، وللرسل^(٤) ، والنازعات^(٥) .

فوائد

الأولى : أكثر الأقسام المحذوقة الفصل في القرآن ؛ لا تكون إلا بالواو ، فلذا ذكرت الباء أتى بالفعل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾^(٦) ﴿ مَعْلُقُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٧) . ولا نجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلا ؛ وعليه حمل بعضهم قوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾

(٢) سورة مريم ٧١

(١) سورة آل عمران ١٨٦

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا . قَالِزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . قَالَتَالْيَاتِ ذِكْرًا ﴾^(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٢٥ : أقسم الله سبحانه بطوائف لللائكة أو بنفوسهم الصافات أقسامها في الصلاة .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا . قَالَمُصِيفَاتٍ عَصَفًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا . قَالَفَارِقَاتٍ فَرَقًا . قَالَتَلْقِيَاتِ ذِكْرًا . عُدْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّا تَوْعَدُونَ لَوَاقِعُ ﴾^(٤) قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٥٤١ : « أقسم سبحانه بطوائف من اللائكة أرسلهن بأوامره فصفن في مضيهن كما تصف الرياح ؛ تخففا في امتثال أمره »

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غُرَفًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّاجِدَاتِ سَجْدًا . قَالَتَلْقِيَاتِ سَبْعًا . قَالَتَلْقِيَاتِ أَمْرًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾^(٥) قال الزمخشري في الكشاف ٤ : ٥٥٣ : « أقسم سبحانه بطوائف اللائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد ؛ وبالطوائف التي تنشطها ، أي تخرجها . . . وبالطوائف التي تسبح في مضيها ، أي تسبح فتسبق لك ما أمروا به ، فتدبر أمرا من أمور المباد بما يصلحهم في دينهم أو دنياهم » .

(٧) سورة التوبة ٦٢

(٦) سورة النحل ٣٨

لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ^(١) وقال : الباء باء القسم ؛ وليست متملقة بـ « تُشْرِكْ » ، وكأنه يقول :
 (يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ) ثم ابتداء قال : (بِاللَّهِ) لا تشرك ؛ وحذف « لا تشرك » دلالة
 الكلام عليه : وكذلك قوله : (أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ)^(٢) ؛ قيل : إن قوله :
 « بما عهد » قسم ؛ والأولى أن يقال : إنه سؤال لا قسم .

وقوله : (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ)^(٣) حذف
 على (لِي) وتبتدئ (بحق) فحمله قسما .

هذا مع قول التحوين : إن الواو فرع الباء ؛ لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال
 ويقل الأصل .

الثانية : قد علمت أن القسم إنما جرى به لتوكيد القسم عليه ؛ فثارة يزيدون فيه للبالغة
 في التوكيد ، وثارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالحذف .

فأزادوه لفظ « إِي » بمعنى « نعم » ، كقوله تعالى : (قُلْ إِي وَرَبِّي)^(٤) .
 وما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكورا ، كقوله تعالى :
 (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ^(٥)) أى « والله » .

وقوله : (لَا تَقْطَعْنَ أَيُدِيَكُمْ)^(٦) ، (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ)^(٧) ، (لَيُسْجَنَ وَلَيْكُونَا^(٨)
 مِنَ الصَّاغِرِينَ) .

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسم للعلم به ، كقوله تعالى : (ص . وَالْقُرْآنِ

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة يونس ٥٣

(٦) سورة الشعراء ٩٦

(٨) سورة يوسف ٣٢

(١) سورة نفيان ١٣

(٣) سورة المائدة ١١٦

(٥) سورة الأحزاب ٢١

(٧) سورة الملق ١٥

ذِي الْقَرْعَةِ^(١) على أحد الأقوال ؛ أن الجواب حُذِفَ لطول الكلام ؛ وتقديره « لأعذبهم على كفرهم » .

وقيل : الجواب : إن ذلك لحق .

ومما حذف فيه القسم به قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾^(٢) ، أى خلف إِنَّكَ لرسول الله ؛ لأن الشهادة بمعنى اليمين ، بدليل قوله : ﴿ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةٌ ﴾^(٣) .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾^(٤) ، فالأول قسم بمنزلة ، « والحق » ، وجوابه « لأملأن » ، وقوله : ﴿ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾^(٥) توكيد للقسم .

وأما قوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾^(٧) قالوا : وهو جواب القسم ، وأصله « لقد قتل » ثم حذف اللام وقد .

الثالثة : قال الفارسي في الحجة : الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان :

أحدهما : ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم ، فلا تعجب بجوابه ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٨) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾^(٩) ، ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾^(١٠) ؛ فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسمًا وأن يكون حالًا لخلوه من العجوب .

والثاني : ما يشلق بجواب القسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا

(٢) سورة الناقين ١

(٤) سورة ص ٨٤

(٦) سورة البروج ١٠١

(٨) سورة البقرة ٦٣

(١) سورة ص ١٠١

(٣) سورة الناقين ٢٠

(٥) سورة ص ٨٤

(٧) سورة الحديد ٨

(٩) سورة المجادلة ١٨

الْكِتَابَ لَتَعْبِتَنَّهُ^(١) ، (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ^(٢)) .

الرابعة : القسم والشرط ، يدخل كل منهما على الآخر ؛ فإن تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم ؛ وأغنى عن جواب الشرط ؛ وإن عكس فبالعكس ؛ وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له .

ومن تقدم القسم قوله تعالى : (لَنْ لَمْ تَفْتَحْ لَأَرْجُحَنَّكَ^(٣)) ، تقديره « والله لن لم تفتحه » ، فاللام الداخلة على الشرط ليست باللام القسم ، ولكنها زائدة ، وتسمى الموطئة للقسم ويمنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم منتظر ؛ أى الشرط لا يصلح أن يكون جواباً ؛ لأن الجواب لا يكون إلا خيراً .

وليس دخولها على الشرط بواجب ، بدليل حذفها في قوله تعالى : (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٤)) .

والذى يدل على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ؛ وأنه ليس بمجزوم ، بدليل قوله تعالى : (لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ^(٥)) ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً .

وأما قوله تعالى : (وَلَنْ مُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَأَكِلَ اللهُ تَحْشُرُونَ^(٦)) ؛ فاللام في « ولئن » هي الموطئة للقسم ، واللام في (لَأَكِلَ اللهُ) هي لام القسم ؛ ولم تدخل توف التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور . والأصل « لئن تم أو قتلتم لتحشرون إلى الله » فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه .

(٢) سورة النحل ٣٨

(٤) سورة اللائدة ٧٣

(٦) سورة آل عمران ٩٠-٩١

(١) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة مريم ٤٦

(٥) سورة الإسراء ٨٨

القسم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة الاستحيل على طريق اللبانة ليدل على بقاء جملة

كقول العرب : لا أكلك حتى يبيض القار ، وحتى يشيب الغراب ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ﴾^(١) ، بمعنى والجل لا يلجج في السم ، فهو لا يدخلون ، فهو في المعنى متملق بالخال ، فالعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً ، وليس للغاية هنا مفهوم ، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء ببيئته ، لأنه جلّ ولوج الجل في السم غاية لنفى دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة متنفياً .

وغالى بعض الشعراء في وصف جسمه بالنحول ، فجاء بما يزيد على الآية ، فقال :
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْىِ وَصْبَانَةٍ عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ
وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار اللبانة ، وإلا فعارضات القرآن لا تجوز ، كما سبق التنبيه عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا فَرَغْتُمْ﴾^(٢)
فإن المعنى : إن كان ماسلف في الزمن السالف يمكن رجوعه فله ثابت ، لكن لا يمكن رجوعه أبداً ، ولا يثبت حله أبداً ، وهو أبلغ في النهى المجرد .
ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْيَائِسِينَ﴾^(٣) ، أى ولكن ليس له ولد ، فلا أعبد سواه .

(١) سورة الأعراف ٤٠

(٢) سورة النساء ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٨١

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَكُمْ قَوْلًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ ^(١) ، أى إن كان تسليم بعضهم على بعض ، أو تسليم اللانكسة عليهم لنوا ، فلا يسمعون لنوا إلا ذلك ؛ فهو من باب قوله وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفُهُمْ بَيْنَ قَوْلٍ مِنْ قَوَائِمِ الْكِتَابِ ^(٢) ومنه قوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ ^(٣) ، فإن الناس استشكلوا وجه الاستثناء ، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً . ومقتضى استثناءها من النفي أنهم يذوقونها في الجنة وليس كذلك .

ووجهه الزمخشري ^(٤) بأنه من التوكيد في الدلالة ، والموتة الأولى لا يذوقونها أصلاً ؛ إذ يستحيل عود ما وقع ؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلاً ، أى إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى ، وإن كان إيقاع الموتة الأولى في الجنة مستحيلاً ، ففرض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها .

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً ؛ فإن كان منقطعاً ، فالنفي : « لكن الموتة الأولى قد ذاقوها » .

ويمتثل على الاتصال أن يكون للنفي فيها ، أى في مقدّماتها ، لأن الذى يرى مقامه في الجنة عند الجنة عند موته ينزل منزلة من هو فيها ، بتأويل الذوق على معنى المستحيل . فهذه ثلاثة أوجه .

القسم الثانى العشر الاستثناء والاستدراك

ووجه التأكيد فيه أنه نفي ذكره مرتين ، مرة في الجملة ومرة في التفصيل .

(٢) البيت لنبأه القيانى ، ديوانه ٦

(٤) انظر الكشاف ١ : ٢٢٣

(١) اسورة مريم ٦٢

(٣) سورة الباق ٥٦

فإذا قلت : قام القوم إلا زيدا ، فكأنه كان في جملتهم ، ثم خرج منهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(١) ؛ فَإِنَّ فِيهِ مَعْنَى زَائِدًا عَلَى الاستثناء ، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس ، من كونه خرق إجماع للملائكة ، وفارق جميع اللائ الأعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم ؛ وهو بمثابة قولك : أمر الملك بكذا فأطاع أمره جميع الناس ؛ من أمير ووزير إلا فلانا ؛ فَإِنَّ الإخبار عن معصية الملك بهذه الصيغة ، أبلغ من قولك : أمر الملك فصاه فلان .

وفي ضمن ذلك وصف الله سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خزي الدنيا ، وختم عليه من عذاب الآخرة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ أَلَا حَسِيبَ عَامًا ﴾ ^(٢) فَإِنَّ فِي الإخبار عن اللدة بهذه الصيغة تهويلًا على السامع ؛ ليشهد عذر نوح عليه السلام في الدعاء على قومه . وحكمة الإخبار عن اللدة بهذه الصيغة تعظيم للدة ؛ ليكون أول ما يبائر السمع ذكر « الألف » واختصار اللفظ ؛ فَإِنَّ لفظ القرآن أخصر من « تسعة وخسين عاما » ؛ ولأن لفظ القرآن يفيد حصر العدد للذكور ولا يحتمل الزيادة عليه ولا النقص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(٣) فَإِنَّهُ سَبْعَانَهُ لِمَا عَلِمَ أَنْ وَصَفَ الشقاء بهم للؤمن الماصى والكافر ، استقنى من حكم مخلوده في النار لفظ مطيع ، حيث أثبت الاستثناء للطلق ، وأكده بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ قَالُ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار . ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء ، حيث قال : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ

(٢) سورة التكوين ١٤

(١) سورة الحجر ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة هود ١٠٦ ، ١٠٧

تَجْدُوزِ^(١) أى غير منقطع ؛ ليعلم أن عطاءه لم الجنة غير منقطع . وهذه المعاني زائدة على الاستثناء القفوى .

وقيل : وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية ، ويؤيده قول بعض^(٢) الصحابة :

* وَإِنَّا لَنَرَّجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَقَاهِرَا *

وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهرير ، أو إلى نوع آخر من العذاب بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر في النار ، وجعل الاستثناء الثانى دالاً على نجاة أهل الكبائر من العذاب ، فكأنه تصور^(٣) أن الاستثناء الثانى لما لم يحمل على انقطاع النعيم ، لقوله تعالى : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجْدُوزِ ﴾ فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام . وقال : معنى قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ عقب الاستثناء الأول في مقابلة قوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ تَجْدُوزِ ﴾ عقب الثانى ، أن الله تعالى يفضل بأهل النار ما يريد من العذاب ، كما يعطى لأهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له^(٤) .

قيل : وما أصدق في سياق الزمخشري في هذا للوضع قول القائل :

* حَفِظْتَ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

وذلك لأن ظاهر الاستثناء ؛ هو الإخراج عن حكم ما قبله ، ولا موجب لدول

(٢) هو التابعة الجمدى ؛ أى النبي صلى الله

(١) سورة هود ١٠٨

عليه وسلم فأثبته قصيدته ؛ فلما بلغ إلى قوله :

بَلَمَنَّا السَّمَاءَ تَجْدُوزًا وَجُدُودَنَا وَإِنَّا لَنَرَّجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَقَاهِرَا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى ابن يابا ليلى ؟ » ، قال : إلى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شاء الله » الثمر والتمر ٢٤٧ (٣) م : « تصور » .

(٤) راجع الكشف ٢ : ٣٣٦

عن الظاهر في الاستثناء الأول ، فخل على النجاة . ولما كان إيجاب السحق للذئاب محلّ
تعجب وإنكار ، عقبه بقوله : ﴿ إِنْ رَبَّكَ قَالُوا لِمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أى من الذئاب
والإنجاء منه ، بفضل ، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد ؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .
وأما الاستثناء الثانى فلما لم يكن على ظاهره ، كان إخراج أهل الجنة للصحّتين
للتواب وقطع النعم لا يناسب إجماع أهل النار للصحّتين للذئاب ، فلذا عقب بقوله :
﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ ^(١) بيانا للنصود .

ورعاية هذا الباب أولى من رعاية الباب القى توم الزخشرى ؛ فإنّ حاصله يرجع
إلى أن الاستثناء الثانى لما لم يكن على ما هو الظاهر في باب الاستثناء ، ينبى ألا
يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر . ولا يخفى على النصف أنّه تستف .
وأما قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ ^(٢) فاللغى لا طعام لهم أصلاً ؛ لأنّ
الضريع ليس طعام البهائم فضلاً عن الإنس ؛ وذلك كقولك : ليس فلان ظل إلا الشمس ؛
تريد بذلك نقي الظلّ عنه على التوكيد ، والضريع نبت ذو شوك يسى الشبرق فى حال
خضرته وطراوته ، فإذا يبس ثممى الضريع ، ، والإبل ترعاه طرياً لا يابساً .

وقريب منه تأكيد للدح بما يشبه النّم ، بأن يستثنى من صفة ذم متقية عن الشئ صفة
مدح ، بتقدير دخولها فيها ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمُونَ فِيهَا نَحْوًا وَلَا نَأْتِيًا . إِلَّا قِيلاً
سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ^(٣) التأكيد فيه من وجهين : على الاتصال فى الاستثناء والاقطاع .

انضم الحادى والعشرون

المبالة

وهى أن يكون للشئ صفة ثابتة ؛ فزيد فى التعريف بمقدار شدته أو ضعفه ؛ فيدعى

له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع ؛ أو ^(١) يحيلُ عقله ثبوته .
ومن أحسنها قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَشْهَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ^(٢) ، وهي ^(٣) ظلمة البحر وظلمة اللوج فوقه ، وظلمة السحاب فوق اللوج .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(٤) ، أى كادت تبلغ ؛ لأن القلب إذا زال عن موضعه ملت صاحبه .

وقيل : هو حقيقة ، وإن الخوف والروع يوجب للشائف أن تتنخس رثته ، ولا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة . ذكره الفراء وغيره .

أو أنها لما اتصل وجيئها واضطربها يلبت الحناجر .

ورده ابن الأنباري ^(٥) تقدير « كادت » فإن « كاد » لا تنصرف .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَرْرُهُمْ لَيَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ نَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ .

ومنه البالغة في الوصف بطريق التشبيه ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَرَىٰ بِشَرِّ كَاَلْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾ ^(٧) .

(١) م « إذ » ؛ والصواب ما أثبتته من ب . (٢) سورة التور ٤٠

(٣) : « فني » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٤) سورة الأحزاب ١٠ (٥) هو أبو بكر عبد بن القاسم الأنباري ؛

وقوله أيضا الصريف الرقي ؛ ورده . وانظر غرر الفوائد ٧ : ٣٣٤

(٦) سورة إبراهيم ٣٦ (٧) سورة مريم ٩٠

(٨) سورة الرسالات ٣٢ ، ٣٣

وقد يخرج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للبالغة وهو مجاز، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالَّذِلكُ صَمًا صَمًا﴾^(١)، فحصل بحى جلال آياته، بحيث أنه سبحانه، على البالغة.

وكقوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ قَوْفًا حِسَابَهُ﴾^(٢)؛ فحصل قلبه بالملكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للجازى.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿بَكَادُ سَنَا بَرْقًا يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾^(٣)، فإن اقتران هذه بـ «بكاد» صرفها إلى الحقيقة، فاقطب من الامتناع إلى الإمكان.

وقد نحيى البالغة مدحجة، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ أَلْقَوْلَ وَمَنْ جَمَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْقِلِيلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٤)، فإن البالغة فى هذه الآية مدحجة فى القابلة، وهى بالنسبة إلى المخاطب، لا إلى المخاطب؛ معناه أن علم ذلك متذرع عندكم؛ وإلا فهو بالنسبة^(٥) إليه سبحانه إيس بمبالغة.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ لِأَيْحَرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى...﴾^(٦) الآية، قيل^(٧): سببها أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: كيف عتقنا بهذا القول: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ آلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٨)، ونحن قد أوتينا التوراة، وفيها كلام الله^(٩) وأحكامه، ونور وهدى! فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية.

(١) سورة النور ٣٩ (٢) سورة النور ٤٣

(٣) كذا فى م، وفى ت: «ق» .

(٤) قوله الواحدى فى أسباب النزول ٢٢٥،

(٥) سورة الإسراء ٨٥

(٦) عبارة أسباب النزول: «أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة قد أوتي خيراً كثيراً» .

(١) سورة النور ٢٧

(٢) سورة الرعد ١٠

(٣) سورة الكهف ١٠٩

عن ابن عباس .

وقيل : إنما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾^(١) .
قال المفسرون : والفرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته ؛ وهي في نفسها غير متناهية
وإنما قرب الأمر على أفهام البشر بما يقتضيه ؛ لأنه غاية ما يمهده البشر من الكثرة .
وقال بعض المحققين : إن ما تضمنت الآية أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفد ، ولم
تقتض الآية أنها تنفذ بأكثر من هذه الأقلام والبحور ؛ وكما قال الخضر عليه السلام :
ما نقص على وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا المصفور من ماء البحر حين غس
مقارنه فيها .

وعده بعضهم من هذا القليل ما جاء من اللبالة في القرآن من الإغضاء عن العيوب ،
والصنح عن الذنوب ، والتغافل عن الزلات ، والستر على أهل الروايات ، كقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) .
وقيل في تفسيره : أن فصل من قطعك ، وتعطى من حرمك وتمفو من ظلمك .
وقوله تعالى : ﴿ أَدْفَعْ بِآيَاتِي إِلَى أَحْسَنَ ... ﴾^(٣) الآية .

(١) سورة لقمان ٢٧ ، وفي أسباب النزول الواحدى من ٢٦٠ أيضاً : « قال المفسرون : سألت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأُتزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛
أنابه أجبار اليهود فقالوا : يا محمد ، بلينا عنك أنك تقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
أفصينا أم قومك ؟ فقال : كلا عتيت ؛ قالوا : أأنت تلو فيها جاءك لما قد أوتينا النوراة وفيها علم كل شيء ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي في علم الله سبحانه قليل ، ولقد آتاكم الله ما إن علمه به انفضت به » ،
فقالوا : يا محمد ، كيف تزعم هذا وأنت تقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
وكيف يجتمع هذا ؛ علم قليل وخير كثير ! فأُتزل الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ
أَقْلَامٌ ... ﴾

تَنْبِيْهِ

(١) محتمل مما سبق أن قصد اللبائنة يستلزم في الحال الإيجاز؛ إما بالحذف، وإما بجعل الشيء نفس الشيء، أو بتكرار لفظ يتم بذكره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٢).
وقد نص سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لاقتراحها في أحكام.

فائدة

[في اختلاف الأقوال في تقدير اللبائنة في الكلام]

اختلف في اللبائنة على أقوال :

أحدها : إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستعانة .

والثاني : أنها النافية في الحسن ؛ وأعذب الكلام ما بولغ فيه ؛ وقد قال النابغة :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْفَرْيَلَمْنَ فِي الصُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

والثالث : وهو الأصح ؛ أنها من محاسن الكلام ؛ ولا يتحصر الحسن فيها - فإن

فضيلة الصدق لا تُنكر - ولو كانت ممضية لم ترد في كلام الله تعالى ؛ ولها طريقان :

أحدهما : أن يستعمل اللفظ في غير معناه لئلا ، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة وغيرها ، من أنواع المجاز .

والثاني : أن يُشَمَّعَ ما يُفهم اللغوي بالمعنى على وجه يقتضي زيادة ؛ فتترادف (٣) الصفات

(٢) سورة الحاقة ١

(١) هذا التنبيه ساقط من ت .

(٣) ق : « قترداد » .

يقصد التهويل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ^(١) .

القسم الثاني والفترو

الاعتراض

وأسماء قدامة ^(٢) : « الثقاتا » ^(٣) ، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى ، بشئ يتم الفرض الأصلي بكونه ، ولا يفوت بغواته ، فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين ، لنكتة .

وقيل : هو لإرادة وصف شيئين : الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار ؛ وله تعلق بالأول بضرب من التأكيد .

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد .

وقال الشيخ عز الدين في أماليه : الجملة للمترضة تارة تكون مؤكدة ، وتارة تكون مشددة ؛ لأنها إما ألا تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام بل دلت عليه قط ، فهي مؤكدة . وإما أن تدل عليه وعلى معنى زائد ، فهي مشددة . انتهى .

وذكر النحاة مما تتميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبية ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٤٠

(٢) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر ؛ صاحب كتاب قد الشعر .

(٣) قال : « ومن فوات للماني الالتفات ؛ وهو أن يكون الشاعر آخفا في معنى ؛ فكأنه يترضه ؛ لما شك فيه ، أو ظن أن راداً يرد عليه قوله ؛ أو سائلاً يألوه عن سببه ؛ فيعود راجعاً إلى ما قدمه فلما أن يذكر سببه ؛ أو يحل الشك فيه » وانظر قد الشعر ٨٧ ، وديع القرآن ٤٢

﴿وَمَنْ يَفْزِرْ لَذُنُوبٍ إِلَّا آلَهُ﴾^(١)، فإنه معترض بين : ﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢)، وبين : ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾^(٣).
وله أسباب :

منها تقرير الكلام ، كقولك : فلان أحسن بفلان - ونعم ماضل . ورأى من الرأى كذا - وكان صوابا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض ؛ وللرأى تقرير إثبات البراءة من نعمة السرقة .

وقوله : ﴿وَأَمْتُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٥) .
﴿وَجَعَلُوا أَعْرَآةً أَهْلِيًا أَذِلَّةً وَكَذَلِكِ يَفْعَلُونَ﴾^(٦)، واعتراض بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٧) ، بين كلامها^(٨) .

وقوله : ﴿وَأَنوَابِهِ مُتَشَابِهًا﴾^(٩) .

ومنها قصد التنزيه ، كقوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَانَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١٠) ، فاعتراض ﴿سُبْحَانَهُ﴾ لغرض التنزيه والتعظيم ، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله .

ومنها قصد التبرك ، وكقوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ آلَهُ آمِينَ﴾^(١١) .

(٢) سورة يوسف ٧٣

(١) سورة آل عمران ١٣٥

(٤) سورة النمل ٣٤

(٣) سورة القتال ٢

(٥) أى من كلام بلقيس ؛ وبقيّة كلامها : ﴿إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ...﴾ .

(٧) سورة النحل ٥٧

(٦) سورة البقرة ٢٥

(٨) سورة الفتح ٢٧

ومنها قصد التأكيد: كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَفْلَحُونَ عَظِيمٌ﴾^(١) .

وفيها اعتراضان ؛ فإنه اعترض بقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾^(١) بين القسم وجوابه ، واعتراض بقوله : ﴿لَوْ تَفْلَحُونَ﴾^(١) بين الصفة والوصف ؛ وللراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم ، وتأكيده لإجلاله في النفوس ، لا سيما بقوله : ﴿لَوْ تَفْلَحُونَ﴾^(١) .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا . أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(٢) ذ « أولئك » الخبر و « إِنَّا لَا نُضِيعُ » اعتراض .

ومنها كون الثاني بيانا للأول ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَقْبَلَ حُبِّ التَّوَّابِينَ وَحُبِّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣) ؛ فإنه اعترض وقع بين قوله: ﴿فَأَتَوْهُنَّ﴾^(٣) ، وبين قوله: ﴿وَنَسَاؤُكُمْ حَرِثُكُمْ﴾^(٤) ، وهما متصلان معنى ؛ لأنَّ الثاني بيان للأول ؛ كأنه قيل : فَأَتَوْهُنَّ من حيث يحصل منه الحرث . وفيه اعتراض بأكثر من جملة .

ومنها تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما ، كقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي فَرَلَوْلَا ذَلِكَ لَفُتِ الْفِتْنَةُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٥) بين « ووصينا » وبين الموصى به ، وفائدة ذلك إذكارة الولد بما كابده أمه من المشقة في حمله وفساله ، فذكر الحمل والفسال يفيد زيادة التوصية بالأم ، لتحملها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد ، ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأم ثلاثا ، وبالأب مرة .

(٢) سورة الكهف ٣٠ - ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٢٣

(١) سورة الواقعة ٧٥ ، ٧٦

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة لقمان ١٤٠

ومنها زيادة الرد على الخصم ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أَنْتُمْ فِيهَا... ﴾^(١) الآية قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ خُرِجْتُمْ ﴾^(٢) اعتراض بين المظوف والمطوف عليه . وقادته أن يقرّر في أنفس الخطابين أن تدارو بني إسرائيل في قتل تلك الأتقى لم يكن نافعا لهم في إخطائه وكماته ، لأن الله تعالى مظهر لذلك^(٣) ومخرجه ، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَ أَنْتُمْ فِيهَا ﴾^(٤) ﴿ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِمَعْصِيَا ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتُمْ مُفْتَرٍ ﴾^(٦) ، فاعترض بين « إذ » وجوابها بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ ﴾^(٧) ؛ فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً .

قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾^(٨) إلى قوله : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١٠) إلى قوله : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ اعتراض في أثناء الكلام . وهو قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ ﴾ الآية ، وذلك لأن قوله : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾ سبب عن قوله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَمَزَتْ ﴾ على معنى أنهم يشتمزون من توحيد الله تعالى ، ويستبشرون بالشرك الذي هو ذكر الآلهة ؛ فلذا مَسَّ أحدهم ضُرٌّ أو أصابته شدة تناقض في دعواه ، فدعا من اشتماز من ذكره وانقبض من توحيدهِ ولجأ إليه دون الآلهة ، فهو اعتراض بين السبب والسبب ، هيّد القول بما فيه من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بأمره بذلك ، وبقوله ﴿ أَنْتُمْ تَحْكُمُونَ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾ ، ثم عقبه من الوعيد العظيم أشد التأكيد وأعظمه وأبلغه ؛

(٢) م : « ذلك » .

(٤) سورة البقره ١٠١

(١) سورة البقرة ٧٢

(٣) سورة البقرة ٧٣

(٥) سورة الزمر ٤٥ - ٤٩

ولذلك كان اتصال قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾^(١) للسبب الواقع فيها، وخلق الأول، منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة، ومناسبة أوجبت العطف بالواو للوضوح لطلاق الجمع، كقولهم: قام زيد وعمر. وتسيب السبب مع ما في ظاهر الآية من اشتراطهم ليس يقتضى التصاهم إلى الله تعالى، وإنما يقتضى إعراضهم عنه من جهة أن سياق الآية يقتضى إثبات التناقض؛ وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى: فإذا مسه الضر لجأ إليه فهذا سبب ظاهر مبنى على إطراد الأمر وتقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضر لجأ إليه، فنجى بالقاء هنا كالأول لفرض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفره منزلة الإيمان في فصل سبب الاعتناء؛ فانت؛ تلزمه العكس؛ بأنك إنما قصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من ضله^(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) بقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) اعتراض واقع في أثناء كلام متصل؛ وهو قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥)، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٦)، وهو على مذهب أسلوب القرآن؛ من ذكر العذبة عقب العذبة؛ كقيل:

* وبضلها تبيين الأشياء *

ومنها الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَلَسَأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٧)، فاعترض بقوله: ﴿فَأَسْأَلُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٨) إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

(٢) كذا وردت الباري في الأصول وفيها غرض.

(٤) سورة الزمر ٦٣

(٦) سورة التحل ٤٣، ٤٤

(١) سورة الزمر ٥٨

(٣) سورة الزمر ٦٢

(٥) سورة الزمر ٦٤

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي على الفارسي قوله : إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة .

ورُدَّ بأن جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين وشبهه عند آخرين ، فهو مع جملة الشرط ، كالجملة الواحدة . ثم جوزوا في قوله تعالى : ﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ قُرْمٍ بَطَّاءَتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾^(١) ، أن يكون حالا من قوله : ﴿ وَلَمِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(٢) ، فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلات ؛ إن كان : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾^(٣) ، خبر مبتدأ محذوف ؛ وإلا فيكون بست جمل .

وقال الزخشري في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ . . . ﴾^(٤) الآية : إن في هذه الآية الكريمة سبع جمل معترضة : جملة الشرط ، و « اتقوا » و « فتحننا » و « كذبوا » و « أخذناهم » و « بما كانوا يكسبون » . وزعم أن « أفأمن »^(٥) معطوف على ﴿ فَاَخَذْنَاهُمْ بِبَقَّةٍ ﴾^(٦) ، وكذا نقله ابن مالك عن الزخشري وتبعه أبو حيان ، ولم يوجد ذلك في كلام الزخشري .

قال ابن مالك : ورد عليه من ظن أن الجملة والكلام مترادفان ، قال : وإنما يعترض بأربع جمل ؛ وزعم أن من عند ﴿ وَلَوْ أَنَّ ﴾^(٧) إلى ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾^(٨) جملة ؛ لأن الثالثة إنما تتم بمجموعه .

وفي القولين نظر ؛ أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمان جمل ؛ أحدها :

(٢) سورة الرحمن ٤٦

(٤) سورة الأعراف ٩٦

(٦) سورة الأعراف ٩٠

(١) سورة الرحمن ٥٤

(٣) سورة الرحمن ٤٨

(٥) سورة الأعراف ٩٧

﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وأربعة في حيز «لو» وهي ﴿آمنوا﴾ و ﴿اتقوا﴾ و ﴿فصحنا﴾ ،
والركبة مع أن وصلاً مع «ثبت» مقدراً على الخلاف في أنها فلية أو اسمية ، والسادسة
﴿ولكن كذبوا﴾ والسابعة ﴿فأخذناهم﴾ والثامنة ﴿بما كانوا يكسبون﴾ .

وأما قول المترض فلأنه كان من حق أن يمدّها ثلاث جمل ؛ أحدها ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ؛
لأنها حال مرتبطة باملها وليست مستقلة برأسها ؛ والثانية ﴿لو﴾ وماقى حيزها ، جملة واحدة
فلية إن قدر : «ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا» ، أو اسمية وفلية إن قدر :
إيمانهم ، واتقوا ثابتان ، والثالثة ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)
كله جملة .

وينبى على قواعد البيانين أن يمدّوا الكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض ،
وعلى رأى النعناع ينبى أن يكون ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾^(٢) جملة واحدة
لارتباط الشرط بالجزاء لفظاً ، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ ثانية أو ثالثة ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ ثالثة
أو رابعة ، و ﴿بما كانوا يكسبون﴾ متعلق بـ «أخذناهم» فلا يمدّ اعتراضاً .

وقوله : ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى﴾^(٣) ، فهذه ثلاث
جمل مترضة بين ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكِ﴾^(٤) وبين ﴿وَقِيلَ بُدْأ﴾ .

وفيه اعتراض في اعتراض ؛ فإن ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ مترض بين ﴿غِيضَ الْمَاءِ﴾
وبين ﴿واستوت﴾ .

ولا مانع من وقوع الاعتراض في الاعتراض ، كقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ
عَظِيمٌ﴾^(٥) .

ومنه قوله تعالى في سورة النكبات ذاكراً عن إبراهيم قوله : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقِمْوهُ﴾^(١) ، ثم اعترض تلمية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿وَإِنْ تَكْذُبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢) ، وذكر آيات ، إلى أن قال : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٣) يعني قوم إبراهيم ، فرجع إلى الأول .

وجعل الرخصى قوله تعالى : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾^(٤) ، وفي آخر الصافات معطوفاً على ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾^(٥) في أول السورة^(٦) : وقال في قول بعضهم في : ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(٧) : إنه حال من فاعل ﴿ثُمَّ﴾^(٨) في أول هذه السورة ، هذا من يدع التفسير^(٩) . وهذا الذي ذكره في الصافات منه .

ومن السجدة دعوى بعضهم كسر همزة «إِنْ» في قوله تعالى : ﴿إِنْ ذَٰلِكَ كَانَ تَخَافُمْ أَهْلَ النَّارِ﴾^(٨) على جواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالْقُرْآنُ آيَاتٍ لِلذَّكْرِ﴾^(٨) ، حكاه الرماني .

فإن قيل : أين خبر «إِنْ» في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ كُرْ لَّا جَاءَهُمْ﴾^(٩) قيل الجواب : ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١٠) .

(١) سورة النكبات ١٦

(٢) سورة النكبات ٢٤

(٣) سورة الصافات ١٤٩ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ .

(٤) سورة الصافات ١١ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَمْ أَسْأَلُ خَلْقًا أَمْ خَلْقًا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَا رَيْبَ﴾ .

(٥) سورة الصافات ١١ ، والآية : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَمْ أَسْأَلُ خَلْقًا أَمْ خَلْقًا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَا رَيْبَ﴾ .

(٦) سورة الدثر ٣٦

(٧) سورة الدثر ٣٦

(٨) سورة الدثر ٣٦

(٩) سورة الدثر ٣٦ ، وعبارته : «معطوف على مثله في أول السورة وإن تبعاعدت بينهما المسافة» .

(١٠) سورة الدثر ٣٦

(١١) سورة فصلت ٤٦

(١٢) سورة فصلت ٤٤

فَسَوَائِدُ

قال ابن عمرو : لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه ؛ وقد أجازوه قوم في « ثم » و « أو » فتقول : « زيد قائم ثم والله عمرو » .
 وقوله تعالى : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا ﴾^(١) اعتراض بين الشرط وجوابه مع أن فيه فاء والجملة مستندة لـ « يَكُنْ » .
 قال الطيبي : سئل الزمخشري عن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾^(٢) : أهو اعتراض ؟ قال : لا ، لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها ؛ وأما بالقاء فلا .
 وفيهم صاحب « فرائد القلائد » من هذا اشتراط الواو ، فقال : وقد ذكر الزمخشري : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾^(٣) هذه الجملة اعتراض بين البذل وبين البذل منه ، أعنى « إبراهيم » و « إله » قال : هذا معترض لأنه اعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال ، وليس كما قال ، قد يأتي بالواو كما سبق في الأمثلة ، وبدونها كقوله سبحانه : ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٤) . وقد اجتمعا في قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَلَّيْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾^(٥) .

القسم الثاني والعشرون

الاعتراض

وهو أن يكون الكلام محتملا لشيء بعيد ، فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال ؛ كقوله

(١) هو محمد بن عبد بن أبي علي بن أبي سعد عمرو ، التحوى ؛ أخذ عن ابن عبيس ؛ وله شرح على التفسير ؛ توفي سنة ٦٤٩ - بنية الوعة ٩٩
 (٢) سورة النساء ١٣٥
 (٣) سورة الدثر ٥٥
 (٤) سورة مريم ٤٩ ، ٥٦
 (٥) سورة الواقعة ٧٥ - ٧٧

تعالى : ﴿ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ^(١) ، فاحترس سبحانه بقوله : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عن إمكان أن يدخل في ذلك البَيِّن والْبَرَس .

وقوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) فإنه لو اقتصر على وصفهم بالقلة وهو السهولة لتوهم أن ذلك لضعفهم ، فلما قيل : ﴿ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ علم أنها منهم تواضع ؛ ولهذا عدى « القل » بلى لتضمنه معنى العطف .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَحْطِئُكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) بقوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٥) احتراص بين أن عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطلون غلة فافوقها إلا بالآل يشعروا بها .

وقد قيل : إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها ؛ ولذلك أكد التبسم بالضحك ؛ لأنهم يقولون : تبسم كتبسم الفضياب ؛ لينبه على أن تبسمه تبسم سرور .

ومثله قوله تعالى : ﴿ فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ^(٦) التفتت إلى أنهم لا يقصدون ضرر مسلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ بُدْءُ الْقَوْمِ الْفَٰلِئِينَ ﴾ ^(٧) ؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان ، عقبهم بالدعاء عليهم ، ووصفهم بالظلم ، ليعلم أن جيمهم كان مستحقاً للعذاب ،

(٢) سورة لئلة ٥٤

(٤) سورة النمل ١٨

(٦) سورة هود ٤٤

(١) سورة القصص ٣٢

(٣) سورة الفتح ٢٩

(٥) سورة الفتح ٢٥

احتراس من ضعف يوم أن الهلاك بعمومه ربما شمل مَنْ لا يستحق المذاب ؛ فلما دعا على المالكين ، ووصفهم بالظلم علم استحقاقهم لما نزل بهم وحل بساحتهم ، مع قوله أولاً : ﴿ وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ ﴾ ^(١) .

وأعجبُ احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ قُضِيَنا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ . . . ﴾ ^(٢) الآية .

وقال حكاية عن موسى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(٣) ، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرف بالمكان بالثبوت ^(٤) ولم يقل في هذا الموضع ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ كما قال : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(٥) أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفى عنه كونه بالجانب الأيمن ، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليمين ، أو مشاركاً لمادته ، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذكر الجانب الأيمن تشریفاً لموسى ؛ فراعى في اللقائين حسن الأدب معها ، تلميحاً للأمة ، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب .

وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٦) فإنه لو اختصر لترك : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ ؛ لأن سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة ، لكن حسن ذكره رفع توهم أن التكذيب للشهود به في نفس الأمر .

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ ^(٧) ولم يذكر الجلب مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين :

(٢) سورة القصص ٤٤

(٤) سورة النافقون ١

(١) سورة هود ٣٧

(٣) سورة مريم ٥٢

(٥) سورة يوسف ١٠٠

أحدهما: ثلثا يستحي إخوته ، والكريم ينفى ؛ ولا سيما في وقت الصفاء .

والثاني : لأن السجن كان باختياره ، فكان الخروج منه أعظم ، بخلاف الحب .

وقوله : ﴿ نَكَلَّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ ^(١) ؛ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إيجاز فيه ؛ لأنه كان في العادة ، أن من جُعل في المهد أنه لا يعيش ولا يمادى به العمر ، فجعل الاحتراس بقوله : ﴿ وَكَهْلًا ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ فَفَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ^(٢) ، والسقف لا يكون إلا من فوق ؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يقوم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة ؛ فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً تقوم وسقفاً لآخرين ؛ فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين وهما قوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ونقطة ﴿ خَرَّ ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفلى .

وقيل : إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته ، والمرب قول : خَرَّ علينا سقف . ووقع علينا حائط ، فجاء بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم ، فقال : ﴿ من فوقهم ﴾ ، أي عليهم وقع ؛ وكانوا تحته ، فهلكوا وما أفلتوا .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَوْا حَرَّتِكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ^(٣) ؛ لأنه لما كان يحتمل معنى « كيف » و « أين » احتس بقوله : ﴿ حَرَّتِكُمْ ﴾ ؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور ، وينبت الزرع ، وهو المحل المخصوص .

وقوله : ﴿ وَكَانَ يَنْفَعُكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ^(٤) ؛ وذلك لأن الاشتراك في الصيبة يخفف منها ، ويلى عنها ؛ فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك .

(٢) سورة الزخرف ٢٩

(٤) سورة النحل ٢٦

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٣) سورة المائدة ١١٠

فائدة

عاب قدامة على ذى الرُمة قوله :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَ حَيٍّ عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مِنْهُلًا بِجَرَعَانِكَ الْقَطَرُ^(١)

فإنه لم يحترس ، وهلا قال كما قال طرفة^(٢) :

• فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفِيدَهَا •

وأجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار .

وقيل : لم يرد بقوله : « وَلَا زَالَ مِنْهُلًا » اتصال الدوام بالشقيا من غير إقلاع ، وإنما

اذلك بمثابة من يقول : ما زال فلان يزورنى ، إذا كان متعامداً له بالزيارة .

القسم الرابع والعشرون

التذييل

مصدر « ذَبِيل » للبالغة ؛ وهى لنة ، جعلُ الشيء ذيلالآخر . واصطلاحاً أن يُؤتى

بعد تمام الكلام بكلام مستقل فمعنى الأول ؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول ، أو مفهوماً ؛

ليكون معه كالدليل ليظهر للعق عند من لا يفهم ؛ ويكمل عند من فهمه .

كتوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾^(٣) ، ثم قال عز من قائل : ﴿ وَهَلْ

(٢) ديوانه ٧٧ (من مجموعة القديسين) ، وحيته :

• صَوَّبُ الرِّمِيحِ وَدِيمَةُ تَهِي •

(١) ديوانه ٢٠٦

(٣) سورة سبأ ١٧

تَجَاوِزُ إِلَّا الْكُفُورَ^(١)، أى هل يجازى ذلك الجزاء الذى يصحفه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثانى مفيداً فائدة زائدة .

وقوله : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوًّا﴾^(٢) .

وقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلَاقًا إِنْ مِنْهُمْ أَتَّخَذُوا^(٣)﴾ .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعٍ . إِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمِعُوا دَعْوَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا بُيُوتَكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿وَلَا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ تذييل لاشباهه على . .^(٥)

وقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾^(٧) .

وجعل القاضى أبو بكر فى كتابه «الإيجاز» منه قوله تعالى : ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيعُ أِبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ سِائِهِمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿فَالْقَظَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كُنْ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(٩) .

ويحتمل أن يكون من التمثيل .

وقوله : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١٠) ، قوله :

(٢) سورة الإسراء ٨١

(٤) سورة طه ١٣ ، ١٤

(٦) سورة المؤمن ٤٦

(٨) سورة القصص ٤

(١٠) سورة الزخرف ٢٢

(١) سورة سبأ ١٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٤

(٥) يائس فى الأصلين .

(٧) سورة الأعراف ١٣٣

(٩) سورة القصص ٩

﴿وَكَذَلِكَ﴾^(١) ، تذييل ، أى ذلك شأن الأمم مع الرسل ، وقوله : ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْنٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾^(٢) ، جعل التذييل هنا من التفسير .

القسم الخامس والعشرون

التسميم

وهو أن يتم الكلام ، فيلحق به ما يكمله ، إما مبالغة ، أو احترازاً ، أو احتياطاً ؛ وقيل : هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح ؛ وربما كان السامع لا يتأمله ليعود للتكلم إليه شارحاً ؛ كقوله تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٣) ، فالتسميم في قوله : ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ ، جعل الماء كناية عن الطعام مع اشتباهه . وكذلك قوله : ﴿وَأَنَّى الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ﴾^(٤) .
وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَمْلِكْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٥) ، قوله : ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تسميم في غاية الحسن .

القسم السادس والعشرون

الزيادة

والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ، ويسمون التأكيده . ومنهم من يسميه بالصلة . ومنهم من يسميه بالتعم .

(٢) سورة البقره ٨

(٤) سورة النساء ١٢٤

(١) سورة الزخريه ٢٣

(٣) سورة البقره ١٧٧

قال ابن جنى : كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى .
وبابها الحروف والأفعال .

كقوله تعالى : ﴿ فَيَا قَضِيْبِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ ^(١) . ﴿ فَيَا رَحْمَةً مِنْ أَفْئِدَةٍ ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمْ مَنْ كَانَ فِي الْهَيْدِ صَبِيًّا ﴾ ^(٣) قيل : (كان) هاهنا
زائدة ؛ وإلا لم يكن فيه إيجاز ؛ لأن الرجال كلهم كانوا في الهيد ، وانصب (صبيًّا)
على الحال .

وقال ابن عصفور : هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام للتأكيد ؛ وهي مؤكدة
للماضى فى ﴿ قَالُوا ﴾ .

ومنه زيادة « أصبح » ، قال حازم : إن كان الأمر الذى ذكر أنه أصبح فيه [يكن
أسمى فيه ، فليست زائدة ، وإلا فهى زائدة ؛ كقولك : أصبح الصل حلواً .
وأجاب الرماني عن قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ ^(٤) ، فإن المادة أن من به علة
تزداد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح ، فاستعمل « أصبح » لأن الخسران جعل لم
في الوقت الذى يرجون فيه الفرج ، فليست زائدة .

وهو معنى قول غيره : إنها تأتي للدوام واستمرار الصفة ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحُوا
لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآلِ مَرْيَمَ ﴾ ^(٦) .
وأما قوله تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَفِيمٌ ﴾ ^(٧) فهو على الأصل ، لظهور
الصفة نهارة ، والمراد الدوام أيضاً ، أى استقرت له الصفة نهارة ^(٨) .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة اللأئمة ٥٣

(٦) سورة القصص ٨٢

(٨) كلمة : « نهارة » ، ساقطة من ث .

(١) سورة اللأئمة ١٣

(٣) سورة مريم ٢٩

(٥) سورة الأحقاف ٢٥

(٧) سورة النمل ٥٨

واعلم أن الزيادة واللفظ من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال^(١) سيبويه عقب قوله تعالى : ﴿ فَيَا قَهْقَرِهِمْ ﴾^(٢) : إن « ما » لنو ، لأنها لم تُحْدَث شيئاً .

والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى ، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب ، لا من جهة اللفظ ، فإن قوله : ﴿ فَيَا رَحْمَةً مِنْ آفِهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ﴾^(٣) معناه : « ما لنت لم إلا رحمة » ؛ وهذا قد جمع شيئاً وإثباتاً، ثم اختصر على هذه الإرادة، وُجِع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي « ما » .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَفْكُهُ إِلهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٤) ذ « إِنَّمَا » ها هنا حرف تحقيق وتمحيق ، إن هنا للتحقيق ، وما للتمحيق فاختصر ، والأصل : « ما الله اثنان فصاعداً ، وأنه إله واحد » .

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن ؛ فمنهم من أنكره ، قال الطرطوسي في « الثمذة »^(٥) : زعم للبرّد وثعلب ألا صلة في القرآن ، والهاء من الهماء والفقهاء وللقرّين على إثبات الصلّات في القرآن ، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره فذكر كثيراً .

وقال ابن الخباز^(٦) في التوجيه^(٧) : وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد، لأنه تكلم بغير فائدة ، وما جاء منه حمّله على التوكيد .

(٢) سورة النساء ١٥٥

(١) الكتاب ٧ : ٣٠٥

(٤) سورة النساء ١٧١

(٣) سورة آل عمران ١٠٩

(٥) هو كتاب عمدة الحكم فيما لا ينفذ من الأحكام ؛ لقاضي نعيم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي

المنقح للنوف سنة ٧٥٨ ، كشف الظنون ١١٦٦ - ١١٦٧

(٦) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي ، الإربلي الضرير ، المعروف بابن الخباز ؛ توفي سنة ٦٣٩

(٧) ذكره صاحب كشف الظنون .

نكت المبيان ٩٦

ومنه من جوزه وجل وجوده كالمدم ؛ وهو أفسد الطرق .

وقد رُدَّ على غر الدين الرازي قوله : إنَّ المحققين على أن للهمل لا يقع في كلام الله سبحانه ؛ فأما في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنْ أَفْهِ ﴾ ^(١) فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب ، والتقدير « فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ ؟ » فجعل الزائد مهملًا ، وليس كذلك ، لأن الزائد ما أتى به لفرض التقوية والتوكيد ، والهمل ما لم تضمه العرب ، وهو ضدّ للاستعمل ، وليس المراد من الزيادة - حيث ذكرها النحويون - إهمال اللفظ ، ولا كونه نونا فحتاج إلى التنكّب عن التعبير بها إلى غيرها ؛ فأتهم إنما سمّوا « ما » زائدة هنا لجواز تمدّي العامل قبلها إلى ما بعدها ، لا لأنها ليس لما معنى .

وأما ما قاله في الآية : إنها للاستفهام التمجّي ، قد انتقد عليه بأن قيل : تقديره « فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ » دليل على أنه جعل « ما » مضافة للرحمة ، وأسماء الاستفهام التمجّي لا يضاف منها غير « أي » ؛ وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلًا منها ، وللبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام ، وليست الهمزة مذكورة ، فدل على بطلان هذه الدعوى ؛ وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة في إدخال « ما » ها هنا ، فانظر هناك .

تنبيهات

الأول : أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه : منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقصأ تأكيدًا ، نحو : ﴿ فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنْ أَفْهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ ﴾ ^(٢) . ﴿ إِنْ أَفْهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَ بَوُؤْةً ﴾ ^(٣) . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٤) .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(٤) سورة النور ١١

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٣) سورة البقرة ٢٦

ومعنى كونه زائداً أن أصلَ اللفظ حاصل بدونه دون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد ، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة .
وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف ، وما معناه ؛ إذ إسقاط الحرف لا يخل باللفظ ؟
قال : هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، قال : ومثال ذلك مثال المارف بوزن الشعر طبعاً ؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال : أجد نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن ، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس اللطوبع عند قصائنها ، ويجد نفسه زيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بتقصائنها .

الثاني : حق الزيادة أن تكون في الحرف وفي الأفعال كما سبق ؛ وأما الأسماء فنص
أكثر النحويين على أنها لا تزداد . ووقع في كلام كثير من المفسرين الحكم عليها في بعض
النواضع بالزيادة ، كقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ مُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) :
إن اسم الجلالة مقسم ، ولا يتصور مخادعتهم لله تعالى ^(٢) .

الثالث : حقها أن تكون آخرًا وحشوا ؛ وأما وقوعها أولاً فلا لما فيه من التناقض ،
إذ قضية الزيادة إمكان أطرافها ، وقضية التصدير الالتهام ، ومن ثم ضُفِّ قول بعضهم
بزيادة « لا » في قوله تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٣) . وأبعد منه قول آخر :
إنها بمعنى « إلا » ، والظاهر أنها ردت لكلام تقدم في إنكار البيت ، أي ليس الأمر
كما تقولون ، ثم قال بعده : ﴿ أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤) ، وعليه فيجوز الوقف على « لا »
وفيه بطل .

(٢) الكشاف ١ : ٤٤

(١) سورة البقرة

(٣) سورة القيامة ١

فصل

[في حروف الزيادة]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي ، كالباء في خير ليس وما ، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على الابتداء .

وحروف الزيادة سبعة : إن ، وأن ، ولا ، وما ، ومن ، والباء ، واللام . بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة ؛ لأنها لازمة للزيادة . ثم ليس للراء حصر الزوائد فيها ، فقد زادوا الكاف وغيرها ؛ بل للراء أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها .

[زيادة « إن »]

فأما إن الخفيفة فتطرد زيادتها مع ما النافية ، كقول امرئ القيس ^(١) :
حَلَفْتُ لِمَا بِالْقَوْدِ حَلْفَةً فَاجِرٍ لَنَامُوا فَا إِنِّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا مَالٍ
أي فما حديث . فزاد « إن » للتوكيد ، قال القراء : إن الخفيفة زائدة ، فجمعوا بينها وبين ما النافية ، تأكيداً للنفي ، فهو بمنزلة تكرارها ، فهو عند القراء من التأكيد للفظي ، وعند سيبويه من التأكيد للمعنوي .

وقيل : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ ^(٢) ﴾ : أنها زائدة .
وقيل نافية ؛ والأصل « في القى ما مكناكم فيه » بدليل : ﴿ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ^(٣) ﴾ ؛ وكأنه إنما عدل عن « ما » لثلاث تكرار فيقول اللفظ .
ووم ابن الحالج ؛ حيث زعم أنها تزداد بعد « لا » الإيمانية ؛ وإنما تلك في « أن » المفتوحة .

(٢) سورة الأحقاف ٢٦

(١) ديوانه ٣٢

(٣) سورة الأنعام ٦

[زيادة « أن »]

وأما أن المفتوحة فتزاد بعد لما الظرفية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمُ ﴾^(١) ، وإنما حكموا بزيادتها ؛ لأن « لما ظرف زمان ؛ ومعناها وجود الشيء لوجود غيره ؛ وظروف الزمان غير للتمكنة لا تضاف إلى للفرد ، « وأن » المفتوحة تجعل الفصل بعدها في تأويل للفرد ؛ فلم تبق « لنا » مضافة إلى الجمل ؛ فلذلك حكموا بزيادتها .

وجعل الأخفش من زيادتها قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٢) ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٣) . وقيل : بل هي مصدرية ؛ والأصل « وما لنا في ألا نفعل كذا » ؛ فليست زائدة ؛ لأنها حملت النصب في المضارع .

[زيادة « ما »]

وأما « ما » فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر ؛ فتزاد بعد « من » و « عن » غير كافة لها عن العمل ، وتزاد بعد الكاف ، ورب ، والباء ؛ كافة [تارة] وغير كافة أخرى . والكافة إما أن تكلف عن عمل النصب والرفع ؛ وهي للمتصلة بإن وأخواتها ؛ نحو : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾^(٤) . ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾^(٥) . وجعلوا منها : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٦) ؛ ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى « الذي » و « العلماء » خبر ، والمائد مستتر في « يخشى » ، وأطلقت « ما » على جماعة العقلاء ،

(٢) سورة إبراهيم ١٢

(٤) سورة النساء ١٧١

(٦) سورة طه ٢٨

(١) سورة الشكوت ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٤٦

(٥) سورة الأحقال ٦

كافي قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١)

وإما أن تكف عن عمل الجبر، كقوله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ﴾^(٢)
وقيل: بل موصولة؛ أي «كالتي هو لهم آلهة».

وغير الكافة تقع بعد الجازم؛ نحو: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾^(٣)، ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا﴾^(٤).
﴿أَيُّهَا تَكُونُوا﴾^(٥).

وبعد الخافض؛ حرفاً كان: ﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾^(٦). ﴿فَيَا قُضَيْبٍ مِثْلَهُمْ﴾^(٧).
﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾^(٨). ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾^(٩)، أو اسماً، نحو: ﴿أَيُّهَا الْأَجَلَيْنِ فَضَيْتُ﴾^(١٠).

وتزاد بعد أداة الشرط؛ جازمة كانت، نحو: ﴿أَيُّهَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ
الْمَوْتُ﴾^(١١). أو غير جازمة، نحو: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا شَرِدَ عَلَيْهِمْ تَعْمَهُمْ﴾^(١٢).

وبين للتبوع وتابعه؛ نحو: ﴿مَثَلًا مَا بِمَوْصَةَ﴾^(١٣)، قال الزجاج: ما حرف زائد
للتوكيد عند جميع البصريين.

ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود. و«بموضة» بدل. وقيل «ما» اسم نكرة
صفة لـ «مثلاً»، أو بدل و«بموضة» عطف بيان.

وقيل في قوله: ﴿قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١٤) بأنها زائدة لجرد تقوية الكلام؛ نحو:

(٢) سورة الأعراف ١٢٨

(٤) سورة الإسراء ١١٠

(٦) سورة آل عمران ١٥٩

(٨) سورة «الؤمنون»

(١٠) سورة القصص ٢٨

(١٢) سورة فصلت ٢٠

(١٤) سورة البقرة ٨٨

(١) سورة النساء ٣

(٣) سورة الأعراف ٢٠٠

(٥) سورة النساء ٧٨

(٧) سورة اللأئمة ١٣

(٩) سورة نوح ٢٥

(١١) سورة الباء ٧٨

(١٣) سورة البقرة ٢٦

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾^(١) و« قليلا » في معنى النفي ، أو لإفادة التقليل كما في نحو « أكلت أكلاما » ، وعلى هذا فيكون : « قليلا بعد قليل ^(٢) » .

[زيادة « لا »]

وأما « لا » فتزاد مع الواو بعد النفي ، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾^(٣) ؛ لأن « استوى » من الأفعال التي تطلب اسمين أي لا تليق بفعل واحد ؛ نحو « اختصم » ، فلم أن « لا » زائدة . وقيل : دخلت في السيئة لتحقيق أنه لا تساوى الحسنة السيئة ، ولا السيئة الحسنة .

وتزاد بعد « أن » للصربية ؛ كقوله : ﴿لَيْثَلَا يَسْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾^(٤) ؛ أي ليعلم ؛ ولولا تدوير الزيادة لانعكس المعنى ؛ فزيدت « لا » لتوكيد النفي . قاله ابن جني .

واعترضه ابن منكون ؛ بأنه ليس هناك نفي حتى تكون هي مؤكدة له . ورد عليه السكوني بأن هنا ما معناه النفي ؛ وهو ما وقع عليه العلم من قوله : ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٥) ؛ ويكون هذا من وقوع النفي على العلم ، وللراد ما وقع عليه العلم كقوله : « ما علمت أحداً يقول ذلك إلا زيدا » فأبدلت من الضمير الذي في « يقول » ما بعد « إلا » ؛ وإن كان البديل لا يكون إلا في النفي ؛ فكما كان النفي هنا واقفاً على العلم ، وحكم لما وقع عليه العلم بحكمه ، كذلك يكون تأكيد النفي أيضاً على ما وقع عليه العلم ، ويحكم العلم بحكم النفي ، فيدخل على العلم توكيد النفي ، وللراد تأكيد نفي ما دخل عليه العلم .

(١) في النفي « قليلا بعد قليل » .
(٢) سورة الحديد ٢٩

(١) سورة آل عمران ١٥٩
(٢) سورة فصلت ٣٤

وإذا كانوا قد زادوا « لا » في اللوجب للمعنى لما توجه عليه فعل منفى في المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ۖ ﴾^(١)، للمعنى « أن تسجد »، فزاد « لا » تأكيذاً للمعنى المعنوى الذى تضمنه « منعك »؛ فكذلك تَزَادُ « لا » في العلم اللوجب تأكيداً للمعنى الذى تضمنه للوجه عليه .

قال الشلوبيين : وأما زيادة « لا » في قوله: ﴿ لَيْتَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ۖ ﴾^(٢) فشيء متفق عليه؛ وقد نص عليه سيبويه، ولا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة « لا » فيها، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه .

ويدل عليه قراءة ابن عباس وعاصم والحيدى: « لَيْتَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ » وقرأ ابن مسعود وابن جبير « لَيْكُنْ يَعْلَمُ » وهاتان القراءتان تفسير لزيادتها؛ وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً؛ وهو أن للشركيين كانوا يقولون: إن الأنبياء منا، وكفروا مع ذلك بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْتَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ . . . ﴾^(٣) الآية .

ومنه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ ۖ ﴾^(٤)، بدليل الآية الأخرى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ۖ ﴾^(٥)؛ وليس للمعنى: ما منعك من ترك السجود؟ فإنه ترك؛ فلا يستقيم التوبيخ عليه .

وقيل: ليست بزيادة من وجهين:

أحدهما: أن التقدير ما دعاك إلى ألا تسجد؟ لأن الصارف عن الشيء دافع إلى تركه، فيشتركان في كونهما من أسباب علم الفعل .
الثانى: أن التقدير ما منعك من ألا تسجد .

(٢) سورة الحديد ٢٩

(٣) سورة الأعراف ١٢

(١) سورة الأعراف ١٢

(٢) سورة الحديد ٢٩٠

(٥) سورة ص ٧٥

وهذا أقرب مما قبله ؛ لأن فيه إبقاء النعم على أصله ، وعدم زيادتها أولى ؛ لأن حذف حرف الجر مع « أن » كثير كثرة لا تصل إلى المجاز ، والزيادة في درجته .

قالوا : وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات ؛ فإن وضع « لا » نفي ما دخلت عليه ، فهي معارضة للإثبات ؛ ولا يخفى أن حصول الحكم مع المعارض أثبت مما إذا لم يمترضه للمعارض ، أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط .

ومنه : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ ^(١) .

وقيل : وقد تراد قبل القسم ، نحو : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ^(٢) .
﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ ^(٣) . ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٤) ؛ أى أقسم بثبوتها .

وضُعت في الأخيرة ، بأنها وقت صدرا ، بخلاف ما قبلها ، لوقوعها بين القاء ومعلوفها .

وقيل : زيدت توطئة لنفي الجواب ؛ أى لا أقسم بيوم القيامة ، فلا يترك سُدًى .
توله تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . . . ﴾ ^(٥) الآيات ، فإن جوابه مثبت ، وهو : ﴿ هَذَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ ^(٥) .

وقيل غير زائدة .

وقيل : هي رد للكلام قد تقدم من الكفار ، فإن القرآن كله كالسورة الواحدة ، فيجوز أن يكون الادعاء في سورة ، والرد عليهم في أخرى ؛ فيجوز الوقف على « لا » هذه .

(٢) سورة المارج ٤٠

(٤) سورة القيامة ١

(١) سورة طه ٩٢ ٩٣

(٣) سورة الواقعة ٧٠

(٥) سورة البلد ١ ٤

واختلف في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَسْأَلُونَ أُنْثَىٰ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾^(١) .

قيل : زائدة ليصح للمعنى ؛ لأنَّ الحَرَّمَ الشَّرَكَ .

وقيل : نافية أو ناهية .

وقيل : الكلام تمَّ عند قوله : ﴿ حَرَّمَ رَبِّي ﴾ ، ثم ابتداء : ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُبَشِّرُكُمْ أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) ؛ فيمن فزع الهمزة^(٣) ، قيل « لا » زائدة ، وإلا لكان عنراً للكفار .

ورده الزجاج بأنها نافية في قراءة الكسر^(٤) ، فيجب ذلك في قراءة التنوين .

وقيل : نافية وحذف المعلوم ؛ أي وأنهم يؤمنون .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٥) .

وقيل : « لا » زائدة ، والمنع : بمنع^(٦) على أهل قرية قدرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة .

وعلى هذا فـ « حرام » خبر مقدم وجوبا لأنَّ الخبر عنه « أَنْ وَصَلَهَا » .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

(٢) سورة الأنعام ١٠٩

(١) سورة الأنعام ١٥١

(٣) عمرواية الراقيين غالبة عن أبي بكر من طريق يحيى ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢١٥ « على أنها بمعنى لعل ؛ وهي في مصحف أبي كذلك ، أو على تقدير لام الله ؛ والتقدير : إنما الآيات التي يقرؤها إذا جاءت لا يؤمنون ، وما يشرك اعتراض بين الله واللول » .

(٤) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر ويعقوب وخلف . الإتحاف ٢١٥

(٦) ت « ينجح »

(٥) سورة الأنبياء ٩٠

يَقُولُ لِنَاسٍ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُسَلُّونَ
الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ
أَرْبَابًا ^(١) عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ ^(٢) **(يَأْمُرُكُمْ)** ^(٣) عَطْفًا عَلَى **(يُؤْتِيهِ)** ذ « لا » زائدة
مؤكدّة لعنى النفي السابق .

وقيل : عطف على **(يَقُولُ)** ، وللعنى : ما كان لبشر أن ينصبه الله للادعاء إلى عبادته
وترك الأنداد ، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ، ويأمرهم أن تتخذوا الملائكة
والنبيين أرباباً .

وقيل : ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان ينهى قريشاً عن عبادة للملائكة ،
وأهمل الكتاب عن عبادة عزير وعيسى ؛ فلما قالوا له : أتعبدك رباً ؟ قيل لهم :
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ، ثم يأمر الناس بعبادته ، وبنهم عن
عبادة الملائكة والأنبياء .

[زيادة « من »]

وأما « من » فإنها تزداد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه ؛ نحو : **(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ
وَرَقَةٍ إِلَّا يَسْلُمُهَا)** ^(١) . **(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى
مِنْ فُتُورٍ)** ^(٢) . **(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)** ^(٣) .

(١) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠ (٢) قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء

البشر ١٧٧ : « واختلف في **(وَلَا يَأْمُرُكُمْ)** ، فابن عامر وعاصم وحزة وكذا يعقوب وخلف بنصب
الراء ؛ أى ولله أن يأمركم ، فإن مضرة ، أو منصوب باليطلق على **(يُؤْتِيهِ)** ، والفاعل ضمير
« يضر » ، وواقعهم الحسن واليزيدى والأعمش ؛ والباقرن بالرفع على الاستثاب ، وطلعه ضمير اسم الله
تعالى أو يضر » . (٣) سورة الأنعام ٩٩

(٥) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة الملك ٣

وجوز الأخش زيادتها مطلقاً؛ عتجاً بنحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ
الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). ﴿يَنْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٢). ﴿يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ
ذَهَبٍ﴾^(٣). ﴿وَيُكْفَرُ عَنْكُمْ مِنَ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٤).

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿فَيَا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَيَا
تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾^(٦)، فـ «ما» في هذين للوضوح زائدة؛ إلا أن فيها فائدة جلية؛
وهي أنه لو قال: فبرحة من الله لنت لهم، وبقضهم لعناهم، جوزنا أن اللين واللين كانا
للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل «ما» في اللووعين قطعنا بأن اللين لم يكن
إلا للرحمة، وأن اللين لم يكن إلا لأجل قض اللياق.

[زيادة الباء]

وأما الباء فتزاد في الفاعل؛ نحو «كنى بالله»، أى كنى الله، ونحو «أحسن زبداً»
إلا أنها في التصحب لازمة. ويجوز حذفها في فاعل «كنى بالله شهيداً»، «وكنى بنا
حاسبين»^(٧) وإعماها «كنى الله» و«كفانا».

وقال الزجاج: دخلت لتضمن «كنى» معنى اكتفى؛ وهو حسن.
وفي المفعول، نحو: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٨)؛ لأن الفعل يمتد
بنفسه؛ بدليل قوله: ﴿وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(٩)، ونحو: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِمِذْبَعِ
النَّخْلَةِ﴾^(١٠). ﴿الْمَ يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾^(١١). ﴿فَلْيَسُدُّ سَبَبَ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١٢)

- | | |
|------------------------------|---------------------|
| (١) سورة الأنعام ٣٤ | (٢) سورة نوح ٤ |
| (٣) سورة الحج ٢٣، والنكهف ٣١ | (٤) سورة البقرة ٢٧١ |
| (٥) سورة آل عمران ١٥٩ | (٦) سورة الواقعة ١٤ |
| (٧) سورة الأنبياء ٤٧ | (٨) سورة البقرة ١٩٥ |
| (٩) سورة الحجر ١٩ | (١٠) سورة مريم ٢٥ |
| (١١) سورة الطلق ١٤ | (١٢) سورة الحج ١٥ |

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾^(١). ﴿فَطَلِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾^(٢)، أى يمسح السوق مسحاً .

وقيل فى الأول : ضَمَنَ « تَلَقَّوْا » معنى « تَقَضَّوْا » .

وقيل : للمنى لا تلقوا أضحكم بسبب أيديكم ؛ كما يقال : لا تضد أمرَك برأيك .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿تَنَبَّأُ بِالَّذِينَ﴾^(٣) : إن الباء زائدة ؛ وللراد : « تنبأت

اللعن » .

وفى للبدا ؛ وهو قليل ؛ ومنه عند سيويه : ﴿بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ﴾^(٤) .

وقال أبو الحسن : ﴿بِأَيْكُمْ﴾ متعلق باستقرار محذوف مخبر عنه بالمفتون ؛

ثم اختلف قليل : « اللفتون » مصدر بمعنى للفتنة ، وقيل : الباء ظرفية ، أى فى أَيْكُمْ الجنون .

وفى خبر البتدا ؛ نحو : ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا﴾^(٥) . وقال أبو الحسن : الباء زائدة ، بدليل قوله فى موضع آخر : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٦) .

وفى خبر ليس ؛ كقوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْصِيَ الْمَوْتِ﴾^(٧) .
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٨) .

وقال ابن عصفور فى « القرب »^(٩) : وتزاد فى تلدير كلام لا يُقَاسُ عليه ، كقوله تعالى : ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْصِيَ الْمَوْتِ﴾^(١٠) . انتهى

(١) سورة الحج ٢٥
(٢) سورة المؤمنون ٢٠
(٣) سورة ن ٦ والفتون : الجنون
(٤) سورة التورى ٤٠
(٥) سورة التوبة ٣٦
(٦) سورة النجاة ٤٠
(٧) القرب فى النحو : لابن عصفور على بن مؤمن الحضرمي ؛ للقرئ سنة ، ٦٦٣ ؛ وعليه شرح له
ومنه لبح خلية بدار الكتب المصرية . وانظر كشف الظنون .

ومراده الآية التي أولاها : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَنَادِيرَ﴾^(١) ، ولما صرح به ابن أبي الربيع^(٢) في القراءتين :
 ويدل على الزيادة الآية التي في [الإسراء] : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ وَيَجْعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣) .
 وزعم^(٤) ابن النحاس أنه أراد الآية الأولى ، أعنى قوله : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ
 عَلَى أَنْ يُخْصِيَ الْمَوْتَى﴾^(٥) ، فاعتذر عنه بأنه : إنما قال ذلك - وإن كان في خبر ليس -
 لأن « ليس » هنا بدخول الممزة عليها لم يبق معناها من النفي ، فصار الكلام تقريراً
 ويعنى بقوله : « في نادر » في القياس لا في الاستعمال .

[زيادة اللام]

وأما اللام ، فتزاد معترضة بين الفعل ومفعوله ؛ كقوله :
 وملكت ما بين العراق ويثرب مُلْكاً أجار أسلم ومعاذ .
 وجعل منه للبرز قوله تعالى : ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾^(٦) ، والأكثر أن على أنه ضَمَنُ
 ﴿رَدِفَ﴾ معنى : « اقترب » ؛ كقوله : ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٧) .
 واختلف في قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾^(٨) ، قيل
 زائدة ، وقيل للتعطيل وللعمول محذوف ، أى يريد الله التبيين وليبين لكم ويهديكم ، أى
 فيجمع لكم بين الأمرين .

(٢) هو أحمد بن سليمان الكنانى الأندلسى .

مسند القراء بالأندلس . توفي سنة ٤٦٠ . طبقات القراء ١ : ٨٠ .

(٤) كفا في م ، وفى ت : « وطن » .

(٦) سورة البقرة ٧٢ .

(٨) سورة النساء ٢٦ .

(١) سورة الأحقاف ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء ٩٩ .

(٥) سورة القيامة ٤٠ .

(٧) سورة الأنبياء ١ .

وقال الزخشرى في قوله تعالى : ﴿وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) ، في سورة الزمر^(٢) : لك أن تجعل اللام مزينة مثلها في « أردت لأن أفعل » ، ولا تزد إلا مع « أن » خاصة دون الاسم الصريح ؛ كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه ؛ كما أنت^(٣) السين في « أسطاع » يعنى بقطع الهزمة عوضاً من ترك الأصل الذى هو « أطوع » والدليل على هذا بحجة بنير لام ؛ في قوله تعالى : ﴿وَأَمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤) . انتهى .

وزيادتها في « أردت لأن أفعل » لم يذكره أكثر النحويين ؛ وإنما ترمضوا لها في إعراب : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^(٥) .

وتزاد لقوية العامل الضيف إما لتأخره ، نحو : ﴿هُدًى وَرَحَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَهْتَبُونَ﴾^(٦) ، ونحو ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٧) .

أو لكونه فرعاً في العمل ، نحو : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾^(٨) ، ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٩) ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوْىِ﴾^(١٠) .

وقيل منه : ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرَبِّكَ﴾^(١١) ، وقيل : بل يعلق بمستقر محذوف صفة لعدو ؛ وهى للاختصاص .

وقد اجتمع^(١٢) التأخر والفرعية ، في نحو : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١٣) .

(٢) الكشاف ٤ : ٦٣

(١) سورة الزمر ١٢

(٣) عبارة الكشاف : « كما عوض السين » .

(٤) سورة الزمر ١٢

(٥) سورة النساء ٢٦

(٦) سورة الأعراف ١٥٤

(٧) سورة يوسف ٤٣

(٨) سورة البقرة ٩١

(٩) سورة البروج ١٦

(١٠) سورة الماعز ١٦

(١١) سورة طه ١١٧

(١٢) م : « يجتمع » .

(١٣) سورة الأنبياء ٢٨

وأما قوله تعالى ﴿تَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(١) ، فإن كان «تذيراً»^(٢) بمعنى للذير ، فهو مثل : ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٣) ، وإن كان بمعنى الإنذار ، فاللام مثلها في : «سقياً زيد» .

وقد نحى اللام للتوكيد بعد النفي ، وتسمى لام الجحود ، وتقع بعد «كان» مثل : ﴿وَمَا كَانَ آفَهُ لِيُذَيِّبَهُمْ﴾^(٤) ، اللام لتأكيد النفي ، كالباء الداخلة في خبر «ليس» ، ومعنى قولهم : «إنها لتأكيد» أنك إذا قلت : «ما كنت أضربك» بنير لام ، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه ؛ فإن قلت : «ما كنت لأضربك» ، فاللام جعلته بمنزلة ما لا يكون أصلاً .

وقد تأتي مؤكدة في موضع ، وتخفف في آخر لاقضاء المقام ذلك .
ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِئْسَ دَلِيلَ لِمِيتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بِئْسَ دَلِيلَ لِمِيتُونَ﴾^(٥) ، فإنه سبحانه أكد إثبات الموت الذي لا ريب فيه تأكيداً ، وأكد إثبات البعث الذي أنكره تأكيداً واحداً ، وكان للتبادر العكس ، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار ؛ لكن في النظم وجوه :

أحدها : أن البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكر له كالمنكر للبداهيات ؛ فلم يحتاج إلى تأكيد ؛ وأما الموت فإنه - وإن أقروا به - لكن لما لم يعلموا بصدقه تركوا منزلة من لم يقرب به ؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك ؛ لأنه^(٦) قد ينزل المنكر كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمله ارتدع عن الإنكار^(٧) . ولما ظهر على المخاطبين من التماهي في التفلة والإعراض عن العمل

(٢) ت : «التذير» .

(١) سورة الدھر ٣٦

(٤) سورة الأقال ٣٣

(٣) سورة البروج ١٦

(٦) ت : « وذلك أن قد ينزل المنكر » .

(٥) سورة المؤمنون ١٥ ، ١٦

(٧) م : « من إنكار » .

لما بدى والانهاك في الدنيا ، وهى من أمارات إنكار اللوت ، فلذا قال : « ميتون » ولم يقل : تموتون ؛ وإنما أكد إثبات البعث الذى أنكروه تأكيداً واحداً ، لظهور أدلته للزيلة للإنكار ، إذا تأملوا فيها ، ولذا قيل : « تبشون » على الأصل ، وهو الاستقبال بخلاف « تموتون » .

الثانى : أن دخول اللام على « ميتون » أحق ؛ لأنه تعالى يرده على الدهرية القائلين ببقاء النوع الإنسانى ، خلفاً عن سلف ، وقد أخير تعالى عن البعث في مواضع من القرآن ، وأكده وكذب منكروه ؛ كقوله : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى ورنى لتبعثن)^(١) قاله الشيخ تاج الدين بن الفر كاح^(٢) .

الثالث : أنه لما كان السلف يقتضى الاشتراك في الحكم استغنى به عن إعادة لفظ اللام ؛ وكأنه قيل : « تبشون » واستغنى بها في الثانى لذكرها في الأول .

الرابع : قال الزمخشري : يولغ في تأكيد اللوت ؛ تنبيها للإنسان أن يكون اللوت نصب عينيه ، ولا يفغل عن رقبه ؛ فإن ماله إليه ؛ فكأنه أكد جملته ثلاث مرات ؛ لهذا المعنى ، لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعى ؛ كأنه مخلد ، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ « إن » لأنه أبرز بصورة القطوع به الذى لا يمكن فيه نزاع ، ولا يقبل إنكاراً . قلت : هذه الأجوبة من جهة المعنى ؛ وأما الصناعة فوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه وهو حذف اللام في « تبشون » لأن اللام تخلف المضارع للحال ؛ فلا يجاء [به] مع يوم القيامة ، لأنه مستقبل ، ولأن « تبشون » عامل في الظرف المستقبل . وأما قوله : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ)^(٣) ؛ فيمكن تأويلها بتقدير عامل .

(١) سورة النازعات ٧ (٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم الترمذى سنة ١٩٠ طبعات الشافعية ٥ : ٧٠

(٣) سورة النحل ١٢٤

ونظير هذا آية الواقعة؛ وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَكَفُّورًا﴾^(١). وقال سبحانه في الماء: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾^(٢) بغير لام؛ والفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها: أن سيرورة الماء ملحا أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاما، إذ للماء العذب يمرُّ بالأرض السبخة فيصير ملحا، فالوعود به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أن الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بمعا ونحوه لم يحتاج إلى تأكيد، وإذا توعد بالقتل احتاج إلى تأكيد.

والثاني: إن جعل الحرث حطاما - قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجاجا قلب للكيفية قط، وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو»^(٣) لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تليق الجزء [بالشرط]^(٤) أنى باللام علما على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الشيء إذا علم [وشهر موقعه، وصار مألوفاً ومأنوساً به]^(٥) لم يبال بإسقاطه من التنظير [استثناء بمعرفة السامع]^(٦) ويساوى لشهرته حذفه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقتها؛ لأن تقدم ذكرها - والمسافة قصيرة - ينفي عن ذكرها ثانيا.

الرابع: أن اللام أدخلت في آية الطعوم؛ للدلالة على أنه يقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفتقده أشد وأصعب، من قيل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للطعوم؛ ولهذا قدمت آية الطعوم على آية المشروب، ذكرها والقي قبله الزمخشري.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ

(١) سورة الواقعة ٦٥، ٧٠.

(٢) الكشاف ٤: ٢٧١؛ مع تصرف في الباء.

(٣) تكملة من الكشاف.

(٤) تكملة من الكشاف.

وَالرَّسُولِ^(١) وإبانتها بعد قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ وَلِيُّرَسُولِهِ ... ﴾^(٢) الآية ، والجواب أنك إذا عطفت على مجرور^(٣) ...

الضم السابع والعشرون

باب الاشتغال

فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَضْيَرُّ ثُمَّ فَسَّرَ كَانَ أَنْفَعُ عَمَّا إِذَا لَمْ يَتَقَدَّمْ بِإِضْمَارٍ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَجِدُ اهْتِزَازًا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ^(٤) .

وفي قوله : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكَوْنَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي^(٥) .

وفي قوله : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(٦) .

وفي قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ^(٧) لا تجد مثله إذا قلت : وإن

استجارك أحد من المشركين فأجره . وقولك : لو تملكون خزائن رحمة ربي . وقولك :

لَا تُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا^(٨) وقولك : هَدَى فَرِيقًا وَأَضَلَّ

فعل الفسر في تقدير المذكور مرتين .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ^(٩) ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَغْطَرَتْ^(١٠) ، ونظائره ،

فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره^(١١) .

(٢) سورة الأفعال ٤١

(٤) سورة التوبة ٦

(٦) سورة الحجر ٣١

(٨) سورة الانشقاق ١

(١٠) هذا القسم جيهه ساقط من نسخة ت .

(١) سورة الأفعال ١

(٣) كذا ورد الكلام ناقصا في الأصول .

(٥) سورة الإسراء ١٠٠

(٧) سورة الأعراف ٣٠

(٩) سورة الانشقاق ١

القسم الثامن والعشرون

التعليل

بأن يذكر الشيء معللاً؛ فإنه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين :
أحدهما : أن العلة المنصوطة قاضية بسوم العلول ؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في
العلة المنصوطة .

الثاني : أن النفوس تنبث إلى قتل الأحكام المعلقة ، بخلاف غيرها ؛ وغالب التعليل في
القرآن ، فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى ، وهو سؤال عن العلة .
ومنه : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ^(١) . ﴿ إِنَّ زَكْرَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٢) .
﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ^(٣) .
وتوضيح التعليل أن القاء السببية لو وضعت مكان « إِنَّ » لَحَسُنَ .

والطرق المالة على العلة أنواع :
الأول : التصريح بلفظ الحكم ، كقوله تعالى : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ ^(٤) .
وقال : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(٥) ، والحكمة هي العلم النافع
والعمل الصالح .

(٢) سورة الحج ١

(٤) سورة النور ٥

(١) سورة يوسف ٥٤

(٣) سورة التوبة ١٠٣

(٥) سورة النباء ١١٣

الثاني : أنه فعل كذا لكذا ، أو أمر بكذا لكذا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) .
وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا ﴾ ^(٢) .

﴿ جَلَّ اللَّهُ الْكِبَرُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ ^(٣) .
﴿ لَيْسَ بَسْمَلٍ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ ^(٥) .
﴿ وَنُزِّلْ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ ^(٦) .
﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ ^(٧) ، وهو كثير .
فإن قيل : اللام فيه العاقبة ، كقوله تعالى : ﴿ فَالْقَطْعُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُبْلِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾ ^(٩) ، وإنما قلنا ذلك لأن أفعال الله تعالى لا تمل .

فالجواب أن معنى قولنا : إن أفعال الله تعالى لا تمل ، أي لا تجب ؛ ولكنها لا تخلو عن الحكمة ، وقد أجاب للملائكة عن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ^(١٠) بقوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١١) .

ولو كان فعله ^(١٢) سبحانه مجرداً عن الحكم والناليت لم يسأل الملائكة عن حكمته ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح ، وفرق بين العلم والحكمة ؛

- | | |
|---------------------|---------------------------|
| (١) سورة المائدة ٩٧ | (٢) سورة الطلاق ١٢ |
| (٣) سورة الحديد ٢٩ | (٤) سورة البقرة ١٤٣ |
| (٥) سورة الأنفال ١١ | (٦) سورة آل عمران ١٢٦ |
| (٧) سورة القصص ٨ | (٨) سورة الحج ٥٣ |
| (٩) سورة البقرة ٢٠ | (١٠) م : « عليه » تصحيف . |

ولأنَّ لامَ العاقبة إما تكون في حق من يجهل العاقبة ، كقوله : ﴿فَالْقَظَّةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١) ؛ وأما مَنْ هو بكلِّ شيءٍ عليمٌ فستحيلة في حقِّه ؛ وإلما اللام الواردة في أحكامه وأفضاله لامَ الحكمة والغاية للطلوبة من الحكمة . ثم قوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ هو تلميل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم ، فإن التقاطهم إما كان بقضائه وقدره ، وذكر فعلهم دون قضائه ؛ لأنه أبلغ في كونه حزنًا لهم وحسرة عليهم .

قاعدة نحوية^(٢) :

حيث دخلت واو الماطف على لام التلميل فله وجهان : أحدهما : أن يكون تلميلاً معللاً مخوف ، كقوله تعالى : ﴿وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءَ حَسَنًا﴾^(٣) ؛ فالعنى وللإحسان إلى المؤمنين فَمَلَّ ذلك . الثاني : أن يكون معطوفاً على علة أخرى مضمرة ، ليظهر صحة المطف ، كقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَاحْتَقِرْ وَتُجْزَى﴾^(٤) ؛ التقدير : ليستدل بها للكلف على قدرته تعالى وتجزى . وكقوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾^(٥) ؛ التقدير : ليتصرف فيها ونعلمه .

والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة ، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد . وقد يحتملها الكلام ، كقوله تعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾^(٦) ، فالتقدير على الأول ، ولنجعل آية فعلنا ذلك ، وعلى الثاني : ولنبين للناس قدرتنا ولنجعل آية . ويتركز الوجهان في نظرهما ، ويرجح كل واحد بحسب اللتام ، وحذف المثل ما هنا أرجح ، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بد من مثل مخوف ، وليس قبلها ما يصلح له .

(٢) هذه القاعدة مأخوذة من

(٤) سورة البقرة ٢٢

(٦) سورة البقرة ٢٥٩

(١) سورة القصص ٨

(٣) سورة الأنفال ١٧

(٥) سورة يوسف ٢١

فَإِنْ قُلْتَ : لِمَ قَدَّرَ لِلْعَلَلِ مُؤَخَّرًا ؟

قلت : فائدة هذا الأسلوب هو أن يحاط بالعلّة بالواو للاهتمام بشأن العلة للذكورة ؛ لأنه إما أن يقدّر علة أخرى ليمطف عليها ، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أمّ ، وإما أن يكون على تقدير معلّل ؛ فيجب أن يكون مؤخراً ليشتدّ تخديعه بالاهتمام .

الثالث : الإتيان بكى ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلًا بِكُنْزٍ دُولَةٍ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾^(١) ، فقل سبحانه قسمة التي بين هذه الأصناف كَيْلًا يتداوله الأغنياء دون الفقراء .

وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(٢) ، وأخير سبحانه أنه قدّر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرا الأرض أو للمصيبة أو الأرض أو المجموع ، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه يدين عليه ، وحكته البالغة التي منها ألا يمحزن عباده على ما فاتهم ، ولا يفرحوا بما آتاهم ، فإنهم إذا علوا أن المصيبة فيه مقدرة كائنة ، ولا بدّ قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفات ، فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا .

الرابع : ذكر المفعول له وهو علة لفضل المعلّل به ، كقوله : ﴿ وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّبًا تَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً ﴾^(٣) .

ونُصِبَ ذلك على المفعول له أحسن من غيره ، كما صرح به في قوله : ﴿ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَمِمْ نِمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ نَفْسٌ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(٣) ، أى لأجل الذِّكْرِ ؛ كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَمْزِنَآهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ قَالُمُقِيَّاتٍ ذِكْرًا - عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ ^(٥) ، أى للإعذار والإنذار .

وقد يكون مفعولا بـ «لَمَّا» أخرى ، كقوله تعالى ﴿ يَحْمِلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ ^(٦) ، فـ «من الصَّوَاعِقِ» يحتمل أن تكون فيه «من» لا ابتداء الغاية فتصلق بمحذوف ، أى حوقاً من الصَّوَاعِقِ ، ويجوز أن تكون مفعلة بمعنى اللام كما في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ ^(٧) ، أى لغمٍّ .

وعلى كلا التقديرين فـ «من الصَّوَاعِقِ» في محل نصب ؛ على أنه مفعول له ، والعامل فيه ﴿ يحملون ﴾ . و «حذر الموت» مفعول له أيضاً فالعامل فيه ﴿ من الصَّوَاعِقِ ﴾ ، فـ «من الصَّوَاعِقِ» علة لـ «يحملون» . مفعول لحذر الموت ، لأن المفعول الأول الذى هو «من الصَّوَاعِقِ» يصلح جواباً لقولنا : لم يحملوا أصابهم في آذانهم ؟ والمفعول الثانى الذى هو «حذر الموت» يصلح جواباً لقولنا : لم يخافون من الصَّوَاعِقِ ؟ فقد ظهر ذلك .

الخامس : اللام في المفعول له ، وتقوم مقامه الياء ، نحو : ﴿ فَيُظْلَمُ مِنَ الدِّينِ هَادُوا ﴾ ^(٨) .

(١) سورة البقرة ١٥٠

(٢) سورة البقرة ٥٨

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) سورة النساء ١٦٠

(١) سورة النحل ٤٤

(٢) سورة النور ١٧

(٣) سورة المائدة ٤ ، ٥

(٤) سورة الحج ٢٢

ومن، محو: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا﴾^(١).
والكاف، نحر: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَيْكُمْ﴾^(٤)، أى لإرسالنا وتعليمنا.

السادس: الإتيان بإن، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٦).

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٧).

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾^(٨).

وكقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْشِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٩)، وليس هذا

من قولهم، لأنه لو كان قولهم لما حزن الرسول، وإنما جيء بالجملة ليبان العلة والسبب في أنه
لا يحزنه قولهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْفِئَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(١٠) والوقف على

القول في هاتين الآيتين والابتهاء وإن لازم.

وقد يكون علة كقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(١١)

وفيها وجهان لأهل اللامى.

(٢) سورة البقرة ١٥١، ١٥٢، ١٣٩

(٤) سورة التوبة ١٠٣

(٦) سورة طه ١٠

(٨) سورة يونس ٦٥

(١) سورة المائدة ٢٢

(٣) سورة الزمل ٢٠

(٥) سورة يوسف ٥٣

(٧) سورة يس ٧٦

(٩) سورة الفرقان ٦٥، ٦٦

أحدهما : أن سؤالهم لصرف العذاب معلل بأنه غرام ، أى ملازم التريم ، وبأنها ساءت مستقرا ومقاما .

الثانى : أن « ساءت » . تعليل لكونه غراما .

السابع : أن والفعل للمستقبل بعدها ؛ تعليلا لما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِأَحْسَرَنِ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾^(٣) كأنه قيل : لم فاضت أعينهم من الدمع ؟ قيل : للحزن ، قيل^(٤) : لم حزنوا ؟ قيل : لثلا يجدوا .

وقوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾^(٥) .

ونظائره كثيرة . وفى ذلك طريقان :

أحدهما للكوفيين ؛ أن للمنى لثلا يقولوا ، ولثلا قول نفس .

الثانى للبصريين ؛ أن للمفول له محذوف ؛ أى كراهة أن يقولوا ، أو حذار أن يقولوا ،

فإن قيل : كيف يستقيم الطريقان فى قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى ﴾^(٥) ؟ فإنك إذا قدرت : « لثلا تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا » لم يستقم عطف « فتذكر »

عليه ؛ وإن قدرت « حذار أن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا » لم يستقم العطف أيضا ؛ لأنه لا يصح

أن تكون الضلالة علّة لشهادتهما .

(٢) سورة الزمر ٧٧

(٤) ت : « فسل » .

(١) سورة الأنعام ١٥٦

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) سورة البقرة ٢٨٢

قيل : بظهور المعنى يزول الإشكال ؛ فإن المقصود إذكاري إحداهما الأخرى إذا ضلّت ونسيت ؛ فلما كان الضلال سبباً للإذكار جُمِلَ موضعُ العلة ، قول : « أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدعِم بها » ؛ فإنما أعددتُها للدعْم لا للميل ^(١) ؛ وأعددت هذا العواء أن أمرض فأداوى به ونحوه ، هذا قول سيديويه والبصريين .

وقال الكوفيون : تقديره في « تُذكّر إحداهما الأخرى » إن ضلّت ، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ، فتصحّت أن .



الثامن : « من أجل » في قوله تعالى : « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ » ^(٢) فإنه لتعليل الكتب ، وعلى هذا فيجب الوقف على : « مِنَ النَّادِمِينَ » ^(٣) . ولأن قوم أنه تبليغ لقوله : « مِنَ النَّادِمِينَ » ؛ أى من أجل قتله لأخيه ؛ وهو غلط ، لأنه يشوش صحّة النظم ، ويُحِلُّ بالقائدة .

فإن قلت : كيف يكون قتل أحد ابني آدم للأخيرة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم ؟ وإذا كان عليه فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم ؟

قيل : إن الله - سبحانه - يجعل أفضيته وأقداره عللاً لأسبابه الشرعية وأمره ، فجعل حكمه الكوني القدرى علّة لحكمة أمره الديني ؛ لأنّ القتل لما كان من أعلى

(١) الكتاب لسيديويه ١ : ٤٣ ؛ وعبارته بعد أن أورد الآية : بنصب (فَتَذَكَّرُ) : « فانتصب لأنه أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى ، ومن أجل أن تذكر . فإن قال إنسان : كيف جاز أن تقول : أن قتل ولم يعد هذا للضلال والالتباس ، فإنما ذكر (أَنْ تَضِلَّ) ؛ لأنه سبب الإذكار ؛ كما يقول الرجل : أعددت أن يميل الحائط فأدعِمه ؛ وهو لا يطلب إعداد ذلك ميلان الحائط ؛ ولكنه أخبر به الدعم وبسببه ، وقرأ أهل الكوفة : (فَتَذَكَّرُ) رضاء ، وانظر الكتاب أيضاً ١ : ٧٦ ؛

أنواع الظلم والفساد، فمُنَّ أمره، وعظم شأنه، وجُعِلَ إيمه أعظم من إيم غيره، وتَزَلَّ قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الأخرى كلها في أصل المناب؛ لا في وصفه .



التاسع : التعليل بـ"لعل"، كقوله تعالى : ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ، قيل : هو تليل لقوله : ﴿اعْبُدُوا﴾^(٢) ، وقيل لقوله : ﴿خَلَقَكُمْ﴾ .

وقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) ؛ حيث لمع فيها معنى الرجاء رجعت إلى المخاطبين .



العاشر : ذكر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف للناسب له ، فحارة يذكر بأن ، وتارة بالقائه ، وتارة بمجرد .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿خَاشِعِينَ﴾ . وقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾^(٥) .
والثاني : كقوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٦) . ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٧) .

والثالث : كقوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٨) . ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(٢) سورة الأنبياء ٨٩

(٤) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٦) سورة المجز ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٣) سورة البقرة ١٧٦ ، ١٧٧

(٥) سورة النور ٢

(٧) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

(٨) سورة البقرة ٢١ ، ١٨٣

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١) .

الحادى عشر : تعليله سبحانه عدم الحكم بوجود اللانع منه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ . . .﴾^(٢) الآية .
وقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبِفَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) .

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٤) ، أى آيات الاقتراح ، لا الآيات الدالة على صدق الرسل التى تأتى منه سبحانه ابتداء .
وقوله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُصِيَ الْأَمْرُ﴾^(٦) ، فأخبر سبحانه عما يمنع^(٧) من إنزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه ، وإن عنايته وحكمته بحلقه اقتضت منع ذلك ؛ بأنه لو أنزل عليه الملك ثم عابوه ولم يؤمنوا به لموجلو بالعقوبة ، وجعل الرسول بشراً ليكنهم التلقى عنه والرجوع إليه . . . ولو جملة ملكاً ؛ فإما أن يدعه على هيئته الملكية ، أو يجعله على هيئة البشر ؛ والأول يمنهم من التلقى عنه ، والثانى لا يحصل مقصوده ؛ إذا كانوا يقولون : هو بشر لا ملك .

الثانى عشر : إظهاره عن الحكيم والنايات التى جعلها فى خلقه وأمره ، كقوله :

(٢) سورة الزخرف ٣٣

(٤) سورة الإسراء ٩٠

(٦) سورة الأنعام ٨

(١) سورة البقرة ٢٧٧

(٣) سورة الفورى ٢٧

(٥) سورة فصلت ٤٤

(٧) م : منع .

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...)^(١) الآية.

وقوله : (أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِثْقَالًا...)^(٢) الآيات .

وقوله : (وَأَفَلَا جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...)^(٣) الآية .

وكا يفصِّدون البسط والاستيفاء يفصِّدون الإجمال والإيجاز ، كما قيل :

يَرْمُونُ بِالْمَطْلَبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ لِلْمُلاحِظِ خِيفَةَ الرَّقِيَاءِ^(٤)

وقوله : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا)^(٥) .

(٢) سورة النبا ٦

(١) سورة البقرة ٢٢

(٣) سورة النحل ٨٠

(٤) البيت لأبي دؤاد بن حريز الإيادي ؛ ذكره الملاحظ في البيان والتبيين ١ : ٤٤ ، ١٥٥

(٥) سورة الروم ٢١

الأسلوب الثاني

الحذف

وهو لغة الإسقاط ؛ ومنه حذفُ الشعر إذا أخذت منه .

واصطلاحاً إسقاطُ جزء الكلام أو كله لدليل . وأما قول النحويين : الحذف
لغير دليل ، ويسى اقتصاراً ؛ فلا تحرير فيه ، لأنه لا حذف فيه بالكلية كما سنبينه فيما
يلتبس به الإضمار والإيجاز .

والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون [في الحذف] مَقْدَرٌ ؛ نحو :
﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ ^(١) بخلاف الإيجاز ؛ فإنه عبارة عن اللفظ التلخيص الجامع للمعاني الجمة بنفسه .
والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط الضمير بقاء أثر المقدّر في اللفظ ، نحو : ﴿يَدْخُلُ
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ^(٢) . ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ ^(٣) .
﴿أَتَبُوءُوا خِيَرًا لَكُمْ﴾ ^(٤) . أي اتُّبُوا أمراً خيراً لكم ؛ وهذا لا يشترط في الحذف .
وبلغة على أنه لا بدّ في الإضمار من ملاحظة المقدّر بلبّ الاشتقاق ؛ فإنه من أضمرت
الشيء ، أخفيت ، قال :

• سبق لما في مُضْمَرِ القلب والحشا • ^(٥)

(١) سورة يوسف ٨٧

(٢) سورة الفهر ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٢٤

(٤) سورة النساء ١٧١ وانظر الكشاف ١ : ٤٦٠

(٥) بقيته :

• سَرِيْرَةٌ وَحَرَّ يَوْمٍ تَبْلَى السَّرَائِرُ •

من آيات لبيها صاحب المصان (٦ : ١٦٢) لله الأحوس بن عبد الأصارى .

وأما الحذف ؛ فن حذف الشيء قطعه ؛ وهو يُشعر بالطرح ، بخلاف الإختصار ،
ولهذا قالوا : « أن » تنصب ظاهرة ومضرة .
ورد ابن ميمون قول النحاة : إن الفاعل ^(١) يحذف في باب المصدر ، وقال بالصواب
أن يقال : يضر ولا يحذف ؛ لأنه عمدة في الكلام .
وقال ابن جنى في « خاطرياته » : من اتصال الفاعل بالقمل أنك تضمره في لفظ إذا عرفته
نحو تم ؛ ولا تحذفه ^(٢) كحذف للبتداء ؛ ولهذا لم يميز عندنا ما ذهب إليه الكسائي في
« ضربتي ، وضربت قومك » .

فصل

[في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور]

للمشهور أن الحذف مجاز ؛ وحكى إمام الحرمين ^(٣) في « التلخيص » عن بعضهم :
أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك .
وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف ؛ وحذف اللصاف هو عين المجاز أو معطلة ؛
وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر ، وليس كل حذف مجازاً . انتهى .
وقال الزنجاني في « الليار » ^(٤) : إنما يكون مجازاً إذا تقرر بسببه حكم ^(٥) ؛

(١) كذا في ت ، وفي م : « بأن » . (٢) ساقطة من م .

(٣) هو أبو للمال عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المعروف بإمام الحرمين ؛ توفي سنة ٤٧٨ هـ ؛ ولتأبه تلخيص التريب ؛ ذكره ابن خلكان ١ : ٤٨٧ .

(٤) هو كتاب سيار النظائر في علوم الأشعار لمز الدين أبي للمال عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني ؛ منه نسخة مخطوطة يدار الكتب المصرية برقم ١٣٦ م أدب .

(٥) م : « إذا تقرر به حكمه » .

فأما إذا لم يتغير به حكم ، كقولك : زيد منطلق وعمره ، بحذف الخبر ؛ فلا يكون مجازاً إذا لم يتغير حكم ما بقى من الكلام .

والتحقيق أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالحذف ليس كذلك ، لعدم استعماله ، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره . وهو المجاز العلى . فالحذف كذلك .

فصل

[في أن الحذف خلاف الأصل]

والحذف خلاف الأصل ؛ وعليه يبنى فرعان :
أحدهما : إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحل على عدمه أولاً ، لأن لأصل عدم التغيير .

والثاني : إذا دار الأمر بين قلة الحذف وكثرته ؛ كان الحل على قلته أولاً .

[أوجه الكلام على الحذف]

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه : في فائدته ، وفي أسبابه ، ثم في أدلته ، ثم في شروطه ، ثم في أقسامه .

[فوائد الحذف]

الوجه الأول في فوائده :

فإنها التخصيم والإعظام ؛ لما فيه من الإيهام ، لقناع القهن في كل مذهب ، وتشوته إلى ما هو للراد ، فيرجع^(١) قاصراً عن إدراكه ، فنسب ذلك بظلم شأنه ، ويؤلف في النفس مكانه . ألا ترى أن الحذف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يحتاج في الوم من الراد ، وخَلَصَ للذكور

(١) م : « فرجع » ، وما أتته من ت .

ومنها : زيادة لثة بسبب استنباط القهن للحذوف ، وكلما كان الشهور بالحذوف أعسر ، كان الالتزام به أشد وأحسن .

ومنها : زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك ؛ بخلاف غير الحذوف ، كما قول في السنة للسنبطة والنصومة .

ومنها : طلب الإيجاز والاختصار ، وتحصيل للمنى الكثير في اللفظ التليل .

ومنها : التشجيع على الكلام ؛ ومن ثم سماه ابن جنى : « شجاعة العربية » .

ومنها : موقفه في النفس في موقعه على الذكر ؛ ولهذا قال شيخ الصنائع عبد القاهر الجرجاني : ما من أسم حُذِفَ في الحالة التي ينبغي أن يُحذَفَ فيها إلَّا وحذفه أحسن من ذكره . والله در التاتل :

إذا نطقت جاءت بكل مكيعة وإن سكنت جاءت بكل مليعة

[أسباب الحذف]

الثاني في أسبابه :

فنها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر ، نحو : الهلال والله ، أى هذا ، لحذف للبداً استثناء عنه بقرينة شهادة الحال ، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول .
ومنها : التنبيه على أن الزمان يقتصر عن الإتيان بالحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يُفضى إلى ترويت اللهم ، وهذه هي قائمة باب التحذير ؛ نحو : إياك والشر ، والطريق الطريق ، الله الله . وباب الإغراء هو لزوم أمر محمد به ، وقد اجتمعا في قوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ ^(١) على التحذير ؛ أى احذروا ناقة الله فلا تحربوها ، و « سقياها » إغراء بتقدير الزموا ناقة الله .

ومنها التضييق والإعظام ؛ قال حازم في « منهاج البلاء » : إنما يحسن الحذف ما لم

يشكل به المعنى ، بقوة الدلالة عليه ، أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون في تعدادها طول وسأمة ، فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه ، وترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال . قال : وبهذا التصدي يؤثر في اللواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ^(١) فحذف الجواب ؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويقومونه عند ذلك لا يقتضى ، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه ، وترك النفوس تهذراً ما شأنه ، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك ، قوله عليه الصلاة والسلام : « لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

قلت : ومنه : ﴿ فَفَشَّيْهُمْ مِنَ النَّارِ مَا غَشَّيْهُمْ ﴾ ^(٢) ما لا يعلم كنهه إلا الله ، قال الزمخشري : وهذا من باب الاختصار ومن جوامع الكلم للتحلة مع قلها للمعاني الكثيرة .

ومنها : التخفيف ؛ لكثرة دورانه في كلامهم ، كما حذف حرف النداء ، في نحو : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ ^(٣) وغيره . قال سيبويه : العرب تقول لا أدر ؛ فيحذفون الياء ، والوجه « لا أدرى » ، لأنه رفع ، وتقول : « لم أبل » ، فيحذفون الألف ، والوجه « لم أبال » . ويقولون : « لم يك » ، فيحذفون النون ؛ كل ذلك يفعلونه استخفافاً لكثرتهم في كلامهم .

ومنها : حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق ، نحو « الضارب يا زيدا » و « الضاربون زيدا » وقراءة من قرأ : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ^(٤) كأن النون تاجية ، فلما ذلك لاستطالة للوصول

(١) سورة الزمر طه ٧٨

(٢) سورة الزمر ٧٣

(٣) سورة المجمع ٣٥ ؛ بالنصب وهي قراءة أبي

(٤) سورة يوسف ٢٩

عمرو ؛ على نون النون ؛ وأن حذفها لتخفيف لعل الاسم ؛ وأند سيبويه :

الْحَافِظُ عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا نُطْفُ

واقتر الكتاب ١ : ٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٢ : ٥٩

في الصلة ، نحو : ﴿وَالْقَلِيلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ ^(١) حذفت الياء للتخفيف .

ويحكى عن الأخفش أن للوزج السدوسي سأل : [عن ذلك] قال : لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، فصل ، قال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشئ عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى ، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كافي قوله : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَنِيًّا﴾ ^(٢) ، الأصل « بنية » فلما حوّل وقيل عن فاعل نقص منه حرف . انتهى .

ومنها : رعاية للقاصلة ، نحو : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ^(٣) . ﴿وَالْقَلِيلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ ^(٤) ونحوه . وقال الرماني : إنما حذفت الياء في القواصل لأنها على نية الوقف ، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بنفير ياء .

ومنها : أن يُحذف صيانة له ؛ كقوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَالِكِينَ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٦) ؛ حذف للبند في ثلاثة مواضع : قبل ذكر الرب ، أي هو رب السموات . والله ربكم . والله رب للشرق ؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وخشياً ، فاقصر على ما يستدل به من أفساله الخاصة به ، ليعرفه أنه ليس كمثل شئ . وهو السميع البصير .

ومنها : صيانة اللسان عنه ، كقوله تعالى : ﴿سَمُّ بِكُمْ مُمَيِّ﴾ ^(٧) ، أي م .

(٢) سورة مريم ٧٨

(١) سورة النجم ٤

(٤) سورة القبر ٤

(٣) سورة النسا ٣

(٥) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨ والآيات بناتها : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْمَالِكِينَ .

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لَنْ حَوْلَ إِلَّا نَسْتَعِينُ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

(٦) سورة البقرة ١٨

ومنها : كونه لا يصلح إله ، كقوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١) . (قَالَ لِمَا يُرِيدُ)^(٢) .

ومنها : شهرته حتى يكون ذكره وعلمه سواء ، قال الزنجشیری : وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان اللقال ، كقول رؤبة : خير ، جواب من قال : كيف أصبحت ؟ خفف الجار ، وعليه حمل قراءة حمزة : ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٣) لأن هذا مكان شهر بذكر الجار ، قللت الشهرة مقام الذكر .

وكذا قال الفارسي متعلماً من عدم إعادة حرف الجر في اللطوف على الضمير الجرور : إنه مجرور بالجار للقدرة ، أي و « بالأرحام » وإنما حذف استغناء به في للضمير الجرور قبله .

فإن قلت : هذا للقدرة يحيل للسألة ؛ لأنه يصير من عطف الجار والجرور على مثله ! قلت : إعادة الجار شرط لصحة العطف ؛ لا أنه مقصود لقائه .

[أدلة الحذف]

الوجه الثالث في أدلته :

ولما كان الحذف لا يجوز إلا لليل احتيج إلى ذكر دليله .

والدليل تارة يدل على محذوف مطلق ، وتارة على محذوف معين .

فنها : أن يدل على العقل حيث نستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف ، كقوله تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٤) ؛ فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمكنة إلا مجزأة . ومنها : أن تدل على العادة الشرعية ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَةَ﴾^(٥)

(٢) سورة البروج ١٦

(٤) سورة يوسف ٨٢

(١) سورة المؤمنون ٩٢

(٣) سورة النساء ١

(٥) سورة التحل ١١٥

فإن الفات لا تنصف بالحل والحرمة شرعاً، وإنما من صفات الأفعال الواقعة على القوات، فلم أن المحذوف تناول؛ ولكنه لما حذف وأقيمت للية مقامه أسند إليها النقل، وقطع النظر عنه، فلذلك أتت الفعل في بعض الصور، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾^(١)، وقول صاحب التلخيص^(٢): إن هذه الآية من باب دلالة العقل بمنوع، لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة، فلهذا جلتاه من دلالة العادة الشرعية.

ومنها: أن يدلّ العقل عليهما، أى على الحذف والتصين، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(٣)، أى أمره أو عذابه أو ملائكته؛ لأن العقل دلّ على أصل الحذف، ولا استحالة مجيء الباري عقلاً؛ لأن المجيء من سمات الحدوث. ودلّ العقل أيضاً على التصين، وهو الأمر ونحوه، وكلام الزمخشري يقتضى أنه لا حذف البتة؛ فإنه قال: هذه الآية^(٤) الكريمة تمثيل؛ مثلث حاله سبحانه وتعالى في ذلك بحال للآلة إذا حضر بنفسه. وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٥)؛ لأنه في معرض التوحيد، فلم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء المألوم ضرورة، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها.

ومنها: أن يدلّ العقل على أصل الحذف، وتدلّ عادة الناس على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِّ لِسْكَنَ الَّذِي لُتْمَتْنِي فِيهِ﴾^(٦)؛ فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفاً للوَمِينِ؛ فتعين أن يكون غيره؛ فقد دلّ العقل على أصل الحذف. ثم يجوز أن يكون الظرف حبه، بدليل: ﴿شَقَقَهَا حَبًّا﴾^(٧)، أو مرادوته بدليل: ﴿تَرَاوَدُّ فَتَاهَا﴾^(٨)، ولكن

(١) تلخيص الفتاح للخطيب التزويني.

(٢) الكشف ٤: ٦٠٠

(٣) سورة يوسف ٣٢

(٤) سورة المائدة ٣

(٥) سورة البقر ٢٢

(٦) سورة الأنبياء ٢٢

(٧) سورة يوسف ٣٠

القول لا يبين واحداً منها ؛ بل المادة دلّت على أن المحذوف هو الثاني ، فإن الحب لا يلام عليه صاحبه ؛ لأنه يقهره ويظلمه ، وإنما اللوم فيما لنفس فيه اختيار ، وهو للراودة ، تضرته على دفعها .

ومنها : أن تدلّ المادة على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ﴾^(١) ، أى مكان قتال ، وللراد مكاناً صالحاً للقتال ، لأنهم كانوا أخيراً الناس بالقتال ، والمادة تمنع أن يريدوا : لو نعلم حقيقة القتال ؛ فذلك قدره مجاهد : « مكان قتال » .

وقيل : إن تعيين المحذوف هنا . لآلة السياق لا المادة .

ومنها : أن يدلّ اللفظ على الحذف ، والشروع فى الفعل على تعيين المحذوف كقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾^(٢) فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفاً ؛ لأن حرف الجر لا بدّ له من متعلق ودلّ الشروع على تعيينه ؛ وهو الفعل الذى جعلت التسمية فى مبدئه ؛ من قراءة ، أو أكل أو شرب ونحوه ، ويقدر فى كل موضع ما يليق ، ففى القراءة : أقرأ ، وفى الأكل : أأكل ؛ ونحوه .

وقد اختلف : هل يقدر الفعل أو الاسم ؟ وعلى الأول ، فهل يقدر عام كالاجتماع أو خاص كما ذكرنا ؟

ومنها اللنة كضربت ؛ فإن اللنة قاضية أن الفعل للتمتدّى لا بدّ له من مفعول ؛ نعم هى تدلّ على أصل الحدث لا تعيينه . وكذلك حذف للبدا والخبر .

ومنها : تقدم ما يدلّ على المحذوف وما فى سياقه ، كقوله : ﴿ وَأَنْصِرْ فَسَوْفَ يُبْعِرُونَ ﴾^(٣) ، وفى موضع آخر نحو : ﴿ مَا مَتَّعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾^(٤) . وفى موضع :

(٢) سورة الفاتحة ١

(٤) سورة ص ٧٥

(١) سورة آل عمران ١٦٧

(٣) سورة الصافات ١٧١

﴿الَّا تَسْجُدَ﴾^(١) . وكنوه : ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾^(٢) أى هذا ،
بدليل ظهوره فى سورة إبراهيم ، قال تعالى : ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣) ، ونظائره .
ومنها اعتضاده^(٤) بسبب النزول ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٥) ،
فإنه لا بد فيه من تقدير قال زيد بن أسلم : أى قمت من اللجاج - يبنى النوم - وقال غيره :
إما يبنى إذا قمت محدثين .

واحْتِجُّ زيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب هذان عائشة رضى الله عنها عندها ،
فأَنزَلُوا الرِّحْلَ إِلَى أَنْ أَضَاءَ الصَّبْحُ ، فطلبوا للاء عند قيامهم من نومهم فلم يجدوه ؛ فأنزل
الله هذه الآية .

وبما رُجِّحَ من طريق النظر بأن الأحداث للذكورة بعد قوله : ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾^(٦) ،
الأولى أن يحمل قوله ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ معنى غير الحدث ، لما فيه من زيادة الفائدة ، فتكون
الآية جامعة للحدث ولسبب الحدث ؛ فإن النوم ليس يحدث بل سبب للحدث .

[شروط الحذف]

الوجه الرابع فى شروطه :

فنها : أن تكون فى المذكور دلالة على الحذف ؛ إما من لفظه أو من سياقه ، وإلا
لم يُتِمَّكُنْ من معرفته ، فيصير اللفظ مُحْتَلًّا بالفتح . ولثلاثا يصير الكلام لئلا فيهجن^(٧) فى
الفصاحة ، وهو معنى قولهم : لا بد أن يكون فيما أتى دليل على ما أتى .
وتلك الدلالة مقالية وحالية .

فالاقالية قد تحصل من إعراب اللفظ ، وذلك كما إذا كان منصوبا ، فيُعلم أنه لا بد له

(٢) سورة الأحاف ٢٥

(٤-٤) ساقط من ت

(٦) ت : هـ فيجبر .

(١) سورة الأعراف ١٢

(٢) سورة إبراهيم ٥٢

(٥) سورة اللأمة ٦

من ناصب ، وإذا لم يكن ظاهرا لم يكن بدّ من أن يكون مقدّرا ، نحو : أهلا وسهلا ومرحبا ، أى وجدت أهلا ، وسلكت سهلا ، وصادفت رجبا . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(١) على قراءة النصب . وكذلك قوله : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(٢) والتقدير : احذوا الحذر ، واحفظوا الأرحام ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِغَةً ﴾^(٣) . ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٤) .

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والنظر العلم ؛ فإنه لا يتم إلا بحذف ، وهذا يكون أحسن حالا من النظم الأول لزيادة صومعه ، كافى قولهم : فلان يحلّ ويربط ، أى يحلّ الأمور ويربطها ، أى ذو تصرف .

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير ؛ كقولهم فى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٥) : إن التقدير لأننا أقسم لأنّ فعل الحال لا يقسم عليه . وقوله تعالى : ﴿ تَقْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾^(٦) ، التقدير : لا تقف ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتا لدخلت اللام والنون ، كقوله : ﴿ عَلَى وَرَثَى لَتُبْعَنَّ ﴾^(٧) .

وهذا كله عند قيام دليل واحد ، وقد يكون هناك أدلة يعتمد التقدير بحسبها ، كافى قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾^(٨) ، فإنه يحتمل ثلاثة أمور : أحدها : كمن لم يزّن له سوء عمله ، والمعنى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ

(١) سورة الفاتحة ٢ : قال أبو عبد الله الترمذى : « وروى عن سفيان بن عيينة ورؤية بن الساج »
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ، بنصب الدال ، على إضمار فعل . وقراءة الرفع هى قراءة القراء السبعة وجمهور الناس .
 الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٣٥

(٢) سورة البقرة ١٢٨

(٣) سورة النساء ١

(٤) سورة التوبة ١

(٥) سورة الماع ٧٨

(٦) سورة التين ٧

(٧) سورة يوسف ٨٥

(٨) سورة طه ٨

حَسَنًا^(١) من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما ، كن لم يزين له ١ ثم كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له ذلك ، قال : لا ، قيل : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾^(٢) .

ثانيها : تقدير : ذهبتْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ خُذِفَ الجُزْءُ لِإِلَاقَةِ ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾ .

ثالثها : تقدير : « كمن هداه الله » ، خُذِفَ لِإِلَاقَةِ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) .

واعلم أن هذا الشرط إنما يحتاج إليه إذا كان الحذوف الجملة بأسرها ؛ نحو : ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٤) ، أَيْ سَلَّمْنَا سَلَامًا ، أو أحد ركنيها نحو : ﴿ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^(٥) أَيْ « سلام عليكم أنتم قوم منكرون » ، خُذِفَ خبر الأولى ومبتدأ الثانية .

وأما إذا كان الحذوف فُضْلَةً فلا يشترط لحذفه دليل ؛ ولكن يشترط ألا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو اللفظ ، كما في حذف المائد للنصوب ونحوه .

وشرط ابن مالك في حذف الجار أيضاً أَمْنُ اللبس ، وَمَنْعُ الحذف في نحو : رَغِبْتَ أَنْ تَقُلَ ، أو عن أن تفعل ، لإشكال للراد بعد الحذف .

وأورد عليه ﴿ وَتَرَعَّبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُمْ ﴾^(٦) ، خُذِفَ الحرف .

وجوابه أَنَّ النساء يشتملن على وصفين ، وصف الرغبة فيهنّ وعنهنّ ، خُذِفَ للتعميم .

(٢) سورة هود ٦٩

(٤) سورة النساء ١٢٧

(١) سورة فاطر ٨

(٣) سورة التاريات ٢٠

وشرط بعضهم في الدليل اللغوي أن يكون على وفق المحذوف . وأنكر قول القراء -
في قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوءَ
بَنَاتَهُ ﴾ ^(١) أن التقدير : بلى حسبنا قادرين ، والحساب للذكور بمعنى الفتن ، والمحذوف
بمعنى العلم ؛ إذ التردد في الإعادة كثير ، فلا يكون مأمورا به .

ويجيب بأن الحساب للتقدير بمعنى الجزم والاعتقاد ؛ لا بمعنى الفتن ، وتقديره بذلك
أولى ، لموافقته للمعنى .

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع أخر :
منها - وهو أقواها ، كقوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ
رَبُّكَ ﴾ ^(٢) أى أمره ، بدليل قوله : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ^(٣) .
وقوله في آل عمران : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٤) ، أى كمرض ؛
بدليل التصريح به في آية الحديد ^(٥) .

وفيه إيحاء بليغ ؛ فإنه إذا كان المرص كذلك . فما ظنك بالطول ! كقوله : ﴿ بَطَّأَتْهَا
مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ ^(٦) .

وقيل : إنما أراد التعميم والسعة لأحقية المرض ، كقوله :
كَأَنَّ بِلَادَ أَفْئِدَةٍ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَلَائِفِ لِلظُّلُومِ كِفَّةٌ حَابِلٍ
ومنها : ألا يكون الفعل طالبا له بنفسه ^(٧) ، فإن كان امتنع حذفه كالتمثيل . ومفعول
ما لم يسم فاعله ، واسم كان وأخواتها ، وإنما لم يحذف لما في ذلك من نقص الفرض .

(٢) سورة الأنعام ١٠٨

(١) سورة القيامة ٤٣

(٤) سورة آل عمران ١٣٣

(٣) سورة النحل ٣٣

(٥) آية ٢١ : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَفْجَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَمَرْضٍ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الرحمن ٥٤ قال صاحب الكشاف : « إذا كانت البطائن من إستبرق ، فما ظنك
بالظواهر ! » .
(٧) ت : « بيضة » .

ومنها: قال أبو الفتح بن جني: ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط؛ لأن طرف الشيء أضف من قلبه ووسطه، قال تمال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾^(١)، وقال الطائي الكبير^(٢):

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطَ لِلْمَنْوَعِ فَاسْتَلَيْتُ مَا حَوْلَهَا الْخَيْلُ حَتَّى أَصْبَحْتُ طَرَفَا
فَكَانَ الطَّرَفَيْنِ سِيَاحٌ لِّلْوَسْطِ وَمَبْذُولَانِ لِّلْمَوَارِضِ دُونَهُ ، وَلَقَدْ تَجَدَّدَ الْإِعْلَالُ
عِنْدَ التَّصْرِيفَيْنِ ، بِالْحَذْفِ مِنْهَا^(٣) ، فَحَذَفُوا الْفَاءَ فِي الْمَوَارِضِ مِنْ بَابِ وَعْدٍ ، نَحْوَ الْعِدَّةِ وَالزَّيْنِ
وَالْهَبَةِ وَاللَّامِ فِي نَحْوِ الْيَدِ وَالْهَمِّ وَالْقَمِّ وَالْأَبِّ وَالْأَخِّ ، وَقَدْ تَجَدَّدَ الْحَذْفُ فِي الْعَيْنِ لِمَا ذَكَرْنَا ،
وَبِهَذَا يَظْهَرُ لَعَفُ هَذِهِ الْقَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

تَنْبِيْهَات

الأول: قد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان للمنى غير متوقف عليه؛ كما في قوله:
« لا إله إلا الله » فإن الخبر محذوف ، وقدّره النحاة بـ « موجود » أو « لنا » .
وأنكره الإمام غفر الدين ، وقال : هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير ، وتقديرهم فاسد ،
لأن نقي الحقيقة مطلقة أعم من فيها مقيدة ، فإنها إذا انتفت مطلقاً كان ذلك دليلاً على سلب
الماهية مع القيد ، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر .
ولا معنى لهذا الإنكار ؛ فإن تقدير « في الوجود » ، يستلزم نقي كل إله غير الله قطعاً
فإن العلم لا كلام فيه ، فهو في الحقيقة نقي للحقيقة مطلقة لا مقيدة . ثم لا بد من تقدير
خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ، ظاهرأ أو مقدراً ؛ وإنما يقدر النحوي القواعد
حقها وإن كان للمنى مفهومها ، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث

(١) سورة الرعد ٤١

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس ، ديوان ٢ : ٣٧٤ .

(٣) أى من الأطراف .

اللفظ مثالا ، لا من حيث اللفظ ، ولم تقديران : إعرابى ، وهو الذى خفي على المتعرض ، وممنوى وهو الذى أُرجم ، وهو غير لازم .

ومن للتكرّر فى هذا أيضاً قول ابن الطراوة : إن الخبر فى هذا « إلا الله » ، وكيف يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة !

الثانى : اعتبر أبو الحسن فى الحذف التدرج حيث أمكن ؛ ولهذا قال فى قوله تعالى : ﴿ وَأَتَمُّوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾^(١) : إن أصل الكلام : « يوم لا تجزى فيه » ، حذف حرف الجرّ ، فصار « تجزى » ، ثم حذف الضمير فصار « تجزى » ؛ وهذا ملاطفة فى الصناعة ، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة .

وقال أبو الفتح^(٢) فى « الحنط » : وقول أبى الحسن أوثق فى النفس وأنس من أن يحذف الحرفان معا فى وقت واحد .

الثالث : المشهور فى قوله تعالى : ﴿ فَأَنْجَرَتْ مِنْهُ ﴾^(٣) ، أنه معطوف على جملة محذوفة ، التقدير : « فضرِبَ فَأَنْجَرَتْ » ، وذلّ « أَنْجَرَتْ » على المحذوف ، لأنه يُلم من الانفجار أنه قد ضربَ .

وكذا : ﴿ أَنْ اضْرِبْ بِصَاحِكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ ﴾^(٤) ، إذ لا جائز أن يحصل الانفجار والافتلاق دون ضرب .

وابن عصفور يقول فى مثل هذا : إن حرف المطف للذكور مع المطفوف هو الذى كان مع المطفوف عليه ، وإن المحذوف هو المطفوف عليه ، وحذف حرف المطف من المطفوف ،

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جنى ؛ وكتابه

(١) سورة البقرة ٤٨

الحنط فى إعراب التواذ ؛ نصح بالجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بمصر . (٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الشعراء ٦٣

قائماً في « ائلق » هو فاء الفعل المحذوف وهو « ضرب » فذكرت فاؤه وحذف ضلها
وذكر فعل « ائلق » وحذفت فاؤه ليدلّ للذكور على المحذوف ؛ وهو تحمّل غريب .
[أقسام الحذف]

الخاص في أقسامه :

الأول : الاقتصاع ، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي ، كقوله :

* دَرَسَ الْمَنَّا بِنْتًا لِمِ قَبَّانٍ *

أى للنازل ، وأنكر صاحب « اللؤلؤ السائر »^(١) ورود هذا النوع في القرآن العظيم ؛
وليس كما قال .

وقد جعل منه بعضهم فوائح السور ؛ لأن كل حرف منها يدلّ على اسم من أسماء الله
تعالى ، كما روى ابن عباس « آلم » مثناه : « أنا الله أعلم وأرى » ، و « لَّس » أنا الله
أعلم وأفضل ؛ وكذا الباقي .

وقيل في قوله : « وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ »^(٢) : إن الباء هنا أول كلمة « بعض » ثم
حذف الباقي ، كقوله^(٣) :

* قُلْتُ لَهَا فَنِي لَنَا قَالَتْ قَافٌ *

أى وقت ، وفي الحديث : « كفى بالسيف شا » أى شاهدا .

(١) اللؤلؤ السائر لابن الأثير ٢: ١١٣ ؛ قال : « واعلم أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيئا لا يجوز
القباس عليه ، كقول بعضهم [علقمة بن عبة] :

كَأَنَّ لِـ بِرْمَقَهُمْ عَلِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِبَا الْكَتَّانِ مَلُثُومٌ

قوله : « بيا الكتان » ، يريد : « سائب الكتان » ، وكذلك قول الآخر :

يُذَرِّينَ جَنْدَلَ حَائِرٍ لِحَنُوبِهَا فَكَا تَمَّا تُذَكِّي سَنَا بِكُمَا الْحَبَا

فهذا وأمثاله مما يقع ولا يحسن ؛ وإن كانت العرب استعملته فإنه لا يجوز لنا أن نعمله .

(٢) سورة المائدة ٦ (٣) هو الوليد بن عتبة ، وبه :

* لَا تَحْسِبُنَا قَدْ نَسِينَا الْإِيحَافَ *

وانظر شواهد الناقية ٢٧١ ، والخاص ٣٠٥١

وقال الزخشرى فى قوله : « من الله » فى القسم : إنها « أين » التى تستعمل فى القسم ، حذفَتْ نونها^(١) .

ومن هذا الترخيم ، ومنه : قراءة بعضهم : ﴿ يَا مَالٍ ﴾^(٢) على لغة مَنْ يَنْتَظِرُ ، ولما سمعها بعضُ السلف قال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم ! وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه مجزوا عن إتمام الكلمة .

الثانى : الاكتفاء وهو أن يقتضى للقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ؛ فيكتفى بأحدهما عن الآخر ، ويخص بالارتباط العطفى غالباً ؛ فإن الارتباط خمسة أنواع : وجودى ، وزوى ، وخبرى ، وجوابى ، وعطفى .

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق ؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاختصار عليه .

والشهور فى مثال هذا النوع قوله تعالى : ﴿ سَرَّائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾^(٣) أى والبرد ، هكذا قدروه . وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحرّ بالذكور . وأجابوا بأن الخطاب للعرب ، وبلادهم حارة ، والوقاية عندهم من الحرّ أهم ؛ لأنه أشد من البرد عندهم .

والحق أن الآية ليست من هذا القسم ، فإن البرد ذكر الامتنان بوقايته قبل ذلك صريحاً فى قوله : ﴿ وَمِنْ أَسْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا ﴾^(٤) وقوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ

(١) انظر للفصل ٣٤٤ ، وابن ينيش ٩ : ٩٢ (٢) هى قراءة ابن مسعود الآية ٧٧ الزخرف :

﴿ وَتَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ﴾ ؛ وانظر الكشاف ٤ : ٢٠٨

(٤) سورة النحل ٨٠

(٣) سورة النحل ٨١

أَجِبَالٍ أَكْنَانًا^(١)، وقوله في صدر السورة: ﴿وَالْأَنْهَارُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾^(٢).
فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوفايتين بعد قوله: ﴿وَأَفْجَى لَكُمْ تِمَاحِلَ﴾^(٣)؟
فإن هذه وقاية الحر، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(٤)،
فهذه وقاية البرد على عادة العرب؟

قيل: لأن ما تقدم بالنسبة إلى الساكن، وهذه إلى اللابس، وقوله: ﴿وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(٥) لم يذكره^(٦) السهلي، وفيه الجوابان السابقان.
وأمثله هذا التسم كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَاسَكِنٌ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٧)
فإنه قيل: للراد: «وما تحرك»، وإنما أثر ذكر السكون لأنه أغلب الحاليين على الخلق
من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثر عدداً من المتحرك. أو لأن كل متحرك يصير
إلى السكون، ولأن السكون هو الأصل، والحركة طارئة.

وقوله: ﴿يَبْدِكَ الْخَيْرِ﴾^(٨) تحذيره «والشر»، إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله؛
وإنما أثر ذكر الخير؛ لأنه مطلوب المباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجوداً في العالم
من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم:
«والشر ليس إليك».

وقيل: إن الكلام إنما ورد ردّاً على اللشركين فيما أنكروا عما وعده الله به على لسان
جبريل، من فتح بلاد الروم وفارس؛ ووعد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك؛
فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال.

(٢) سورة النحل ٥

(٤) سورة الأنعام ١٣

(١) سورة النحل ٨١

(٣) م: «و لم ينقله» .

(٥) سورة آل عمران ٢٦

وقوله : ﴿الَّذِينَ يَبُوءُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ^(١) أى والشهادة ؛ لأن الإيمان بكل منهيها واجب ، وآثر الغيب لأنه أبعد ^(٢) ، ولأنه يستلزم ^(٣) الإيمان بالشهادة من غير عكس . ومثله : ﴿أَمْ يَحْمِلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا . عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ^(٤) ، أى وَالشَّهَادَةِ ، بدليل التصريح به في موضع ^(٥) آخر .

وقوله : ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ ^(٦) ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات والرعْد والبرق ، وطوى الباقي .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ ^(٧) أى والبر ، وإنما أثر ذكر البحر لأن ضرره أشد .

وقوله : ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ^(٨) ، أى وللغارب .

وقوله : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ ^(٩) ، أى ولا غير إلحاق .

وقوله : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ^(١٠) ، أى وأخرى غير قائمة .

وقوله : ﴿وَلَنَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(١١) ، أى والمؤمنين .

وقوله : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(١٢) ، أى والكافرين . قاله ابن الأنباري ، ويؤيده

قوله : ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ ^(١٣) .

(١) سورة البقرة ٣

(٢) كنفاتي ، وفي م : « أمدح » .

(٣) ت : « مستلزم » .

(٤) سورة الجن ٢٥ ، ٢٦

(٥) ذكر الغيب مع الشهادة في القرآن في أكثر من موضع ؛ منها قوله تعالى في الأنعام ٧٣ :

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ، وفي التوبة ٩٤ : ﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ؛ و ١٠٥ : ﴿وَسَرُّدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وغير هذا كثير .

(٦) سورة البقرة ٢٠

(٧) سورة الصافات ٥

(٨) سورة الإسراء ٦٧

(٩) آل عمران ١١٣

(١٠) سورة البقرة ٢٧٣

(١١) سورة البقرة ٢

(١٢) سورة الأنعام ٥٥

(١٣) سورة البقرة ١٨٥

وقوله : ﴿وَلَا تَسْكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ﴾ ^(١) ، قيل : للنفى وآخر كافر به ، حذف
المعطوف لدلالة قوة الكلام ، من جهة أن أول الكفر وآخره سواء ، وخصت الأولوية
بالذكر لقبها بالابتداء .

وقوله : ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ إِلَىٰ الطَّيْرِ قُوَّتَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ ^(٢) ، أى
ويسطن ، قاله الفارسي .

وحكى في « التذكرة » ^(٣) عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أَخْيَهَا
لِجُجَزَى﴾ ^(٤) أن للنفي : « أكاد أظهرها أخفيها لججزي » ، فحذف « أظهرها » لدلالة
« أخفيها » عليه .

قال : وعندى أن للنفي : « أزيل خفامها » ، فلا حذف .

وقوله : ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ^(٥) ، أى بين أحد وأحد ^(٦) .

وقوله : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ﴾ ^(٧) ، أى ومن أنفق
بعده وقاتل ، لأن الاستواء يطلب اثنين ؛ وحذف للمعطوف لدلالة الكلام عليه ؛ ألا
تراه قال بعده : ﴿أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَدُوٍّ وَقَاتِلُوا﴾ ^(٨) .

وقوله : ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ^(٩) ،
أى ومن لا يستنكف ولا يستكبر ؛ بدليل التقسيم بعده بقوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(١٠)
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا﴾ ^(١١) .

(١) سورة البقرة ٤١

(٢) سورة الملك ١٩

(٣) كتاب التذكرة المروفي بتذكرة أبي علي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو كبير في

مجلدات لحصه أبو الفتح عثمان بن جني النحوي » .

(٤) سورة طه ١٥

(٥) سورة البقرة ٢٨٥

(٦) ت : « واحد وواحد » .

(٧) سورة الحديد ١٠

(٨) سورة النساء ١٧٢

(٩) سورة النساء ١٧٣

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَدِينَهُم مِّن بَيْن أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾^(١)، فاكثفى هنا بذكر الجهات الأربع عن الجنتين .
وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾^(٢)، الاكتفاء بجنتين عن سائرهما .

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٣)، أى ولم تنبذنى .
وقوله: ﴿إِنْ أَمَرُوا هَٰكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾^(٤)، أى ولا والد ؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف ؛ وإنما يكون ذلك مع صد الأب ؛ فإن الأب يُسقطها .

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾^(٥)
ولم يذكر القسم الآخر الذى تقتضيه «أما» ؛ إذ وضعا لتفصيل كلام مجمل ؛ وأقل أقسامها قسمان ، ولا ينفك عنهما فى جميع القرآن إلا فى موضعين هذا أحدهما ؛ والتقدير: وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحا فلا يكون من المفلحين . والثانى فى آل عمران: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾^(٦) إلى قوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾^(٧) هذا أحدا القسمين ، والقسم الثانى ما بعده ، وتهديره ؛ وأما الراضعون فى العلم فيقولون .

وقوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(٨)، أى وفيلأغيرالذى أمروا به ؛ لأنهم أمروا بشيئين : بأن يدخلوا الباب سحبا ، وبأن يقولوا حطة ، فبدلوا القول فى «حطة» «حطة» وبدلوا القول بأن دخلوا يزحفون على أستاههم ؛ ولم يدخلوا ساجدين ؛ وللعنى : إرادتنا حطة ، أى حط عنا ذنوبنا .

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظُّلُمُ

(٢) سورة فصلت ١٤

(٤) سورة النساء ١٧٦

(٦) سورة آل عمران ٧

(١) سورة الأعراف ١٧

(٣) سورة الشعراء ٢٢

(٥) سورة القصص ٦٧

(٧) سورة البقرة ٥٩

وَلَا تُخْرُورُ»^(١)، قال ابن عطية : دخول «لا» على نية التكرار كأنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات ، واستغنى بذكر الأوائل عن التواني ؛ ودلّ بمذكور الكلام على متروكه .

وقوله : (حَتَّى يَنْبَيِّنَ لَكُمْ الْخَلِيطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَلِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)^(٢) .

فإن قيل : ليس للفجر خيط أسود ، إنما الأسود من الليل .

فأجيب : إن (مِنَ الْفَجْرِ) متصل بقوله : (الْخَلِيطُ الْأَبْيَضُ) وللعنى : حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ؛ لكن حذف « من الليل » لدلالة الكلام ثم عليه ولوقوع الفجر في موضعه ؛ لأنه لا يصح أن يكون (مِنَ الْفَجْرِ) متعلقاً بالخيط الأسود ؛ ولو وقع (مِنَ الْفَجْرِ) في موضعه متعللاً بالخيط الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف ؛ وهو « من الليل » فحذف « من الليل » للاختصار ، وآخر « من الفجر » للدلالة عليه .



الثالث : من هذا قسم يسمى الضمير والتمثيل ؛ وأعني بالضمير أن يضم من القول المجاور لبيان أحد جزأيه ؛ كقول الفقهاء : النبيذ مسكر فهو حرام ، فإنه أشمر « وكل مسكر حرام » .

ويكون في القياس الاستثنائي ، كقوله : (لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(٣) .

وقوله : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)^(٤) ، وقد شهد

الحسن والميان أنهم ما انفَضُّوا من حوله ؛ وهى الضمرة ؛ واتقنى عنه صلى الله عليه وسلم أنه فظ غليظ القلب .

(٢) سورة البقرة ١٨٧

(٤) سورة آل عمران ١٥٩

(١) سورة طاهر ١٩ - ٢١

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَكَّلُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١)؛
لأنى لو أسمعهم لما أبدى فيهم التفهم ؛ فكيف وقد سلبوا القوة القاهرة ! فعلم بذلك
أنهم مع اعتناء الفهم أحق بقصد القبول والمداية .

الرابع : أن يستدلّ بالفصل لثبوتين وهو فى الحقيقة لأحدهما ؛ فيضمر للآخر فعل
يناسبه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٢) أى واعتقدوا الإيمان .
وقوله تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا تَفِيْظًا وَزَفِيرًا﴾^(٣) ، أى وشموا لها زفيراً .
وقوله تعالى : ﴿لَهْذَمْتَ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتُ﴾^(٤) ، والصلوات لا تهتد ؛
فالتقدير : ولتركت صلوات .

وقوله : ﴿يَطْلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾^(٥) فالفاكهة ولحم الطير والحدود المين
لا تطلوف ، وإنما يطاف بها .

وأما قوله تعالى : ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٦) ، فنقل ابن فارس عن
البصريين أن الواو بمعنى «مع» أى شركائكم ، كما يقال : لو تركت الناقة وفضيلها لرضعها ؛
أى مع فضيلها .

وقال الآخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم ، اعتباراً بقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا
مَنِ اسْتَغْنَيْتُمْ﴾^(٧) .

واعلم أن تقدير فعل محذوف لثانى ليصح المطف هو قول الفارسى والقراء وجماعة
من البصريين والكوفيين لتمذّر المطف . وذهب أبو عبيدة والأصمى واليزيدى وغيرهم
إلى أن ذلك من عطف للتردات ، وتضمن العامل معنى ينقظم للمطوف وللمطوف عليه جميعاً ؛

(٢) سورة المفسر ٩
(٤) سورة الحج ٤٠
(٦) سورة يونس ٦١

(١) سورة الأناجى ٢٣
(٣) سورة الفرقان ١٢
(٥) سورة الواقعة ١٧
(٧) سورة هود ١٣

فيقدّر آثروا الدار والإيمان^(١)، ويبقى النظر في أنه: أيهما أولى؟ ترجيح الإخبار أو التضمين؟ واختار الشيخ أبو حيان^(٢) تفصيلاً حسناً وهو: إن كان العامل الأول تصحّ نسبته إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإخبار؛ لأنه أكثر من التضمين؛ نحو «يجدع الله أغمه وعينيه»، أي وفقاً بعينه، فنسبة الجدع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصحّ فيه ذلك كان العامل مضمناً معنى ما يصحّ نسبته إليه؛ لأنه لا يمكن الإخبار؛ كقولهم: * علقنها تبنًا وماء بارداً^(٣) *

وجعل ابن مالك من هذا القليل قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٤) قال: لأنّ فعل أمر المخاطب لا يصل في الظاهر؛ فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك»، لأن شرط للمطوف أن يكون صالحاً لأن يصل فيه ما عمل في المطوف عليه، وهذا متعذر هنا؛ لأنه لا يقال: «اسكن زوجك».

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ﴾^(٥) ولا يصحّ أن يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل تاء الضارعة، أو للأمر؛ قالوا يجب في ذلك أن تُقدّر مرفوعاً بمقدر من جنس للذكور؛ أي ولا يضارّ مولود له.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ﴾^(٦)، قال القراء: التقدير: «وسخرنا له الطير» عطفاً على قوله: ﴿فَضَلًا﴾ وقيل: هو مفعول معه، ومن رخصه قليل: على للضمير في «آتي»،

(١) أي في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾.

(٢) في التفسير الكبير للسي: «البحر المحيط» ٨: ٢٤٧ مع تصرف في العبارة.

(٣) قتي الرمة وقيل:

* لَّا حَطَلْتُ الرَّحْلَ عَنْهَا وَارِدَا *

وانظر الخزانة ١: ٤٩٩

(٤) سورة البقرة ٣٥

(٥) سورة البقرة ٢٣٣

(٦) من قوله تعالى في سورة سبا ١٠: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّينَ مَعَهُ

وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

وجاز ذلك لطول الكلام بقوله : ﴿ممه﴾ ، وقيل : يا ضار فل أى ولتؤوب ممه الطير .

الخامس : أن يقتضى الكلامُ شيئين فيقتصر على أحدهما ؛ لأنه للقصود ؛ كقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ^(١) ، ولم يقل : « وهارون » لأن موسى : القصودُ للتحميل أعباء الرسالة ، كذا قال ابن عطية .

وغاص الزخشرى فقال : أراد أن يتم الكلام فيقول : « وهرون » ، ولكنه نكل عن خطاب هرون توقيا لفصاحته وحدة جوابه ووقع خطابه ؛ إذ الفصاحة تنكّل الخصم عن الخصم للجلل ، وتنبّكه عن معارضة .

السادس : أن يذكر شيئان ، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر ، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ ^(٢) ، قال الزخشرى : تنديره : إذا رأوا تجارة انفضوا إليها ، أو لهواً انفضوا إليه ؛ فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه .

ويبقى عليه سؤال ؛ وهو أنه : لم أوتر ذكر التجارة ؟ وهلا أوتر اللهو ؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة : إن التجارة لما كانت سبب انفضاض الذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها . ولأنه قد تشغل التجارة عن العبادة ما لا يشغله اللهو .

واختلف في مواضع : منها قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ^(٣) ، فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة ، وأعاد الضمير

على الفضة وحدها ؛ لأنها أقرب للذكورين ؛ ولأن الفضة أكثر وجودا في أيدي الناس ؛ والحاجة إليها أمس ، فيكون كنزها أكثر ، وقيل أعاد الضمير على للمنى ؛ لأن للكنوز دناير ودرام وأموال .

ونظيره : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ^(١) ؛ لأن الطاقة جماعية . وقيل : من عادة العرب إذا ذكرت شيئين مشتركين في المنى تكفى بإعادة الضمير على أحدهما استثناء بذكره عن الآخر انكالا على فهم السامع ، كتول حسان .
 إن شَرَحَ الشَّابَابَ وَالشَّعَرَ الْأَمْسَ وَدَمَالَمَ يَلُصَّ كَانَ جُنُونًا ^(٢)
 ولم يقل « ياصا » .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ ^(٣) وقد جعل ابن الأثير في كتاب « الهاءات » ^(٤) ضمير ﴿ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ راجعا إلى الجنود .
 وهزل عن قتادة قال : هم لللائكة . والأشبه أن يأتي هنا بما سبق .
 ومنها قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥)
 قيل : « أحق » خبر عنهما ، وسهل أفراد الضمير بلم أفراد « أحق » وأن إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله .

وقيل : « أحق » خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحذف من الأول دلالة الثاني عليه .
 وقيل : المكس ، وإنما أفرد الضمير لثلا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد ،
 كجاء في الحديث : « قل ومن يرض الله ورسوله » قال الزمخشري : قد يقصدون ذكر الشئ .

(٢) ديوانه ٤١٣

(١) سورة المجرات ٩

(٣) سورة الأحزات ٩

(٤) كتاب الهاءات لأبي بكر محمد بن تميم الأنباري النحوي ، ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١

(٥) ... لفظة ٦٢

فيذكرون قبله ما هو سبب منه ، ثم يطفون عليه مضطاً إلى ضميره ، وليس لهم قصد إلى الأول كقوله : سرّني زيد وحسن جاله ؛ وللراد حسن حاله . وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر للمنى ، ورسول الله أحق أن يرضوه . ويدل عليه ما تقدمه من قوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ^(١) ؛ ولهذا وحد الضمير ، ولم يثن .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾ ^(٢) ومنها قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ ^(٣) ؛ قيل : الضمير للصلاة لأنها أقرب للذكورين . وقيل : أعاده على المنى ؛ وهو الاستعانة للفهمومة من استعينوا . وقيل : للمنى على التثنية ؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا ﴾ ^(٤) ؛ وهو نظير آية الجمعة كما سبق .

وفي هاتين الآيتين لطيفتان : وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في آية الجمعة على التجارة ، وإن كانت أبعد ، ومؤنثة أيضاً ؛ لأنها أجنب للقلوب عن طاعة الله من اللهو ؛ لأن للتشغيل بالتجارة أكثر من للتشغيل باللهو ؛ أو لأنها أكثر شغلاً من اللهو ، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً ، لأنه ضرب بالطبل قدومه ، كالجاء في صحيح البخاري : « أقبلت غير يوم الجمعة » ، وأعاده في قوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾ ^(٥) على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير ؛ فتدبر ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ^(٦) ، أى بذلك القول .

(٢) سورة الأحقال ٢٠

(٤) سورة النساء ١١٢

(٦) سورة يونس ٥٨

(١) سورة التوبة ٦١

(٣) سورة البقرة ٤٥

(٥) سورة النساء ١١٢

السابع الحذف للقابل: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، فيُحذف من واحد منهما مقابله ؛ لدلالة الآخر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِّي افْتَرَيْتُهُ فَقُلْ اجْرأى وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرُمُونَ ﴾^(١) ، الأصل : فإن افتريته فقلْ لاجرأى وأنتم برآء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برىء مما تجرمون ، فنسبة قوله تعالى : « إجرأى » ، وهو الأول إلى قوله : « وعليكم إجرامكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - إلى قوله : « وعليكم إجرامكم » - وهو الثالث - كنسبة قوله : « وأنتم برآء منه » - وهو الثاني - إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرُمُونَ ﴾^(٢) ، وهو الرابع ، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾^(٣) ، تقديره : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) ، تقديره كقَالَ للفسرون : « ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم » ، عند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا الزَّيْفَ وَفِي الزَّيْفِ الْفَحِشُ وَلَا تَقْرَبُوا هُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾^(٥) ؛ فتقديره : لا تقربوهن حتى يَطْهَرْنَ وَيَطْهَرْنَ ، فإذا طَهَّرْنَ وَتَطَهَّرْنَ فأتوهن ؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء ؛ نسبة الأول إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع ؛ ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه .

واعلم أن دلالة السياق فاطمة بهذه الحذوفات ؛ وبهذا التقدير يتمتع القول بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتطهر جميعا ؛ وهو مذهب الشافعي .

(١) سورة هود ٣٥

(٢) سورة الأنياء ٥

(٣) سورة البقرة ٢٢٢

(٤) سورة الأحزاب ٢٤

(٥) يقال : طهرت المرأة ، إذا اتصل بها الدم ؛ فإذا اغتسلت قبل : اظهرت بتشديد الطاء .

(٩ - برهان - ثالث)

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾^(١) ،
تقديره : « أدخل يدك تدخل ، وأخرجها تخرج » ؛ إلا أنه قد عرّض في هذه للمادة تناسبه
بالطباق ؛ فذلك بقى القانون فيه ، القى هو نسبة الأول إلى الثالث ، ونسبة الثاني إلى الرابع
على حالة الأكثرية ؛ فلم يفتّر عن موضعه ؛ ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني ،
وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير ، كقوله :

وَإِنِّي لَتَمُرُّونَ لِذِكْرِكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْمَصْفُورُ بِلَلِّ الْقَطْرِ^(٢)

أى هزة بعد انتفاضة ، كما انتفض المصفور بلله القطر ، ثم اهتز . كذا قاله جماعة .
وأنكره ابن الصائغ ، وقال : هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خُلُفاً ؛
ولمّا أخرجهم إليه أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها ؛ و« يخرج » مجزوم على الجواب ،
فاحتاج أن تقدّر جواباً لازماً ، وشرطاً ملازماً ؛ حذفاً لأنها نظير ما ثبت ؛ لكن وقع
في تقدير ما لا يفيد ؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل ، لكنه قد يقدّره تقديرأ بعيداً ؛
وهو : أدخلها تدخل كما هي ، وأخرجها تخرج بيضاء ؛ وهو بعد ذلك ضعيف ، فيقال له :
لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضرورياً بالفعل ؛ فإذا قيل : إن جاءني
زيد أكرمه ؛ فهذا اللازم بالوضع ؛ وليس بالضرورة ، والإكرام لازم للمجيء ، بل لوضع
للتكلم فالوضع هنا أن الإدخال سبب في خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى ؛ ألا ترى أنه
لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزوماً ضرورياً إلا بضرورة صدق الوعد . فإن قال :
لم أرد هذا ؛ ولمّا أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج . قيل : هذا من المعلوم الذي لا معنى
للتنصيص عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْ قَرْيَتِهِمْ خَلْقًا سَلَامًا لِحَا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(٣) ،

(٢) البيت لأبي صخر المذلي ؛ أمالى القائل : ١٤٩

(١) سورة البقره ١٢

(٣) سورة التوبة ١٠٢

أصل الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بسيئاً ، وآخر سيئاً بصالحاً ؛ لأن الخلط يستدعى مخلوطاً ومخلوطاً به ؛ أى تارة أطلعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا وتداركوا النصية بالتوبة . وقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ . . . ﴾ ^(١) الآية ، فإن مقتضى التقسيم القفلى : من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه ، وهو صاحب الجنة ، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ؛ فحذف من كل ما أثبت نظيره في الأخرى .

قيل : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ ^(٢) ، قال سيبويه ^(٣) فى « باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى » : لم يشبهوا بالناق ؛ وإنما شبهوا بالمنعوق به ؛ وإنما المعنى : ومثلهم ^(٤) ومثل الذين كفروا كمثل الناق والمنعوق به الذى لا يسمع إلا دعاء ؛ ولكنه جاء على سمة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى . انتهى .

والذى أحوجه إلى هذا التقدير ، أنه لما شبه الذين كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا بناء على أن الناق بمعنى الناقى ؛ وليس بمنعوق ؛ لجواز ألا يراد به الناقى ؛ بل الناقى من الحيوان - شبههم فى تألفهم وتأنيهم بما ينطق من الفهم بصاحبه ؛ من أنهم يدعون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريد ، فيكون تم حذف .

وقيل : ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول بالثالث ؛ لنسبة بينهما ؛ وذلك أنه اكتفى بالذى ينطق - وهو الثالث للشبه به - عن المشبه ، وهو الكناية للضاف إليها فى قوله : ومثلك ، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة ؛ وهو الذى غلط من وضعه فى هذا النوع ؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء للارتباط العطفى ؛ على ما سلف .

(٢) سورة البقرة ١٧١

(١) سورة طه ١٢٣

(٣) الكتاب ١ : ١٠٨

(٤) م « ومثلك » ؛ وما أتجه عن ت والكتاب .

وقد قال الصنار : هذا الذى صار إليه سبويه - من أنه حذف من الأول المظروف عليه ، ومن الثانى المظوف - ضيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة ، لأن فيه حذفاً كثيراً مع إبقاء حرف المظوف ؛ وهو الواو . ألا ترى أن ما قبلها مستأنف ، والأصل مثلك ومثلهم ؛ إلا أن يدعى أن الأصل ومثلك ومثلهم ، ثم حذف « مثلك » والواو التى عطف ما بعدها ، وبقيت الواو الأولى ؛ ويزعم أن الكلام ربط مع ما قبله بالواو ؛ وليس بينهما ارتباط . وفيه ما ترى .

وقال ابن الحجاج : عندى أنه لا حذف فى الآية ، والقصد تشبيه الكفار فى عبادتهم الأصنام بالذى ينطق بما لا يسمع ؛ فهو تمثيل داعٍ بداعٍ محقق لا حذف فيه ؛ والكفار على هذا داعون ؛ وعلى التأويل الأول مدعوون .

ونظير ما قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(١) فإن فيه جملتين ؛ حذف نصف كل واحدة منهما اكتفاء بنصف الأخرى . وأصل الكلام : أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ممن يمشى سويًّا على صراط مستقيم ، أمَّن يمشى سويًّا على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكباً ^(٢) .

وإنما قلنا : إن أصله هكذا ؛ لأن أفضل التفضيل لا بدّ فى معناه من المفضل عليه . وهما هنا وقع السؤال عنّ فى نفس الأمر : هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا ؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور ، وليس فى الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى ، والذى حذف من هذه مذكور فى تلك ، والذى حذف من تلك مذكور فى هذه ، فحصل للتصوّد مع الإيجاز والفصاحة . ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له ؛ وهو الجواب الصحيح لذين الاستفهامين ، وأيهما هو الأهدى ؟ لم يذكره فى الآية أصلاً ، اعتماداً على أن القتل يقول : الذى يمشى على صراط مستقيم أهدى ممن يمشى مكباً على وجهه .

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَسَوْفَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(١). وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾^(٢).

فائدة

قد يحذف من الأول دلالة الثاني عليه ، وقد يكس ، وقد يحتمل اللفظ الأمرين .
فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٣) في قراءة من رفع
« ملائكته » ، أى إن الله يصلى ، لحذف من الأول دلالة الثاني عليه ، وليس عطفًا عليه .
والثاني كقوله: ﴿يَخْجُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(٤) ، أى ما يشاء .

وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ مِنَ الشَّرِّ كَيْنَ وَرَسُولُهُ﴾^(٥) ، أى برى أيضًا .

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾^(٦) .

وقوله: ﴿يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَلِدُّهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾^(٧) ، أى كذلك .

وجعل منه أبو الفتح قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾^(٨) التقدير: وأبصر بهم؛
نكتته حذف لدلالة ما قبله عليه ؛ حيث كان بلفظ الفضلة ؛ وإن كان ممتنعًا في الفاعل .
وهذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا : إن الجار والجرور ؛ في «أسمع بهم وأبصر» في محل الرض:
فلن قلنا في محل النصب فلا .

(١) سورة التحل ١٧

(٢) سورة الزمر ٩

(٣) سورة الأحزاب ٥٦ ؛ وهي قراءة . . .

(٤) سورة الزمر ٢٩

(٥) سورة التوبة ٣

(٦) سورة إبراهيم ٤٨

(٧) سورة الطلاق ٤

(٨) سورة مريم ٣٨

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ سَأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ أَفَعَدَّ اللَّهُ ﴾^(١) ،

والتقدير خلقهم الله ، حذف « خلقهم » لقربة تخلصت في السؤال .

وقوله : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) ، ولم يقل :

« إنا كذلك » اختياراً واستثناء عنه بقوله فيما سبق : ﴿ إنا كذلك » .

والثالث كقوله : ﴿ وَأَنَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾^(٣) ، قد قيل : إن « أحق »

خبر عن اسم الله تعالى ، وقيل بالعكس .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ

بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾^(٤) ، فالمائدة في إعادة الجار والمجرور ؛ أعني « بها » . لأنه لو حذف من

الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً ، أو كالمفعول الثاني لـ « سمعتم » ،

ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يطلق بالإثبات ؛ لجواز أن يكون متعلق

الأول غير متعلق الثاني ..

الثامن الاختزال ؛ وهو الافتعال ؛ من خزه ، قطع وسطه ، ثم قل في الاصطلاح إلى

حذف كلمة أو أكثر . وهي إما اسم ، أو فعل ، أو حرف .

(٢) سورة الصافات ١٠٩ ، ١١٠

(٤) سورة النساء ١٤٠

(١) سورة الزمر ٣٨

(٣) سورة التوبة ٦٢

الأول الاسم

[حذف للبدا]

فنه حذف للبدا ، كقوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ و ﴿ خَمْسَةٌ ﴾ ؛ و ﴿ سَبْعَةٌ ﴾ ^(١) ، أى هم ثلاثة ، وهم خمسة ، وهم سبعة .
 وقوله : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَفَا فِتْنَةً ﴾ ^(٢) ، أى إحداها ، بدليل قوله بعده : ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ ^(٣) .
 وقوله : ﴿ بَلَاغٌ فَهَلْ يُبْلَغُ ﴾ ^(٤) ، أى هذا بلاغ .
 وقوله : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ ^(٥) ، أى هم عباد .
 وعلى هذا قال أبو علي : قوله تعالى : ﴿ يَشْرِي مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ ﴾ ^(٦) ، أى هي النار .

وقوله : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ . النَّارُ ﴾ ^(٧) ، أى هو النار .
 ويمكن أن يكون « النار » في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها ، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلاً من « سوء العذاب » .

(١) من قوله تعالى في سورة الكهف ٢٢ :
 ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْسُهُمْ كَذِبُكُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُكُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ
 وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْمِينُهُمْ كَذِبُكُمْ ﴾ .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(٣) سورة آل عمران ١٣ ، وستأتي

(٤) سورة الأنبياء ٢٦

(٥) سورة الحج ٧٢ ؛ وتحتها : ﴿ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَى الْمُصِيرُ ﴾ .

(٦) سورة المؤمن ٤٥ ، ٤٦ ، وتحتها : ﴿ يُرْضَوْنَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

قَوْمُ السَّاعَةِ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ .

وقوله : ﴿ قَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾^(١) ، أى ساحر .
 وقوله : ﴿ إِنْ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾^(٢) . ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٣) .
 ﴿ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، أى هذا الحق من ربكم ؛ وليس هذا كما يظنه
 بعض الجهال ، أى قل القول الحق ؛ فإنه لو أريد هذا لنصب « الحق » ؛ وللراد
 إثبات أن القرآن حق ، ولهذا قال : ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق ؛
 بل هذا للتميز مذكور فى قوله : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ أَوْ يُوْخِذُ عَنْهُمْ
 مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾^(٦) .
 وقوله : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾^(٧) ؛ أى هذه سورة .
 ﴿ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلَنْفَسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾^(٨) ، أى فعله لنفسه وإساءته عليها .
 وقوله : ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوْمَسَّ فَنُوبًا ﴾^(٩) أى فهو يتومس .
 ﴿ لَا يَفْرُغُ قَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾^(١٠) ، أى متاعهم متاع ،
 أو ذاك متاع .

﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴾^(١١) ، أى والخطمة نار الله .
 ﴿ إِنَّمَا تَرَىٰ بُشَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾^(١٢) ، أى كل واحدة منها كالقصر ؛ فيكون من باب
 قوله : ﴿ فَاجْلِدْهُمْ نِجْمَانِينَ جَلْدَةً ﴾^(١٣) ، أى كل واحد^(١٤) منهم ، والخروج إلى ذلك
 أنه لا يجوز أن يكون الشر كله كقصر واحد ؛ والقصر هو البيت من آدم^(١٥) ، كان يضرب

- | | |
|----------------------|------------------------------|
| (١) سورة المؤمن ٢٤ | (٢) سورة القاريات ٥٢ |
| (١) سورة الفرقان ٥ | (٤) سورة الكهف ٢٩ |
| (٥) سورة الأنعام ١٥٢ | (٦) سورة الأعراف ١٩٦ |
| (٧) سورة التور ١ | (٨) سورة فصلت ٤٦ |
| (٩) سورة فصلت ٤٩ | (١٠) سورة آل عمران ١٩٦ ، ١٩٧ |
| (١١) سورة المزة ٦٠٥ | (١٢) سورة الرسلات ٣٢ |
| (١٣) سورة التور ٤ | (١٤-١٥) ساطع من ث . |

على لال ، ويؤيده ^(١) قوله : ﴿ جَاءَ صُفْرٌ ﴾ ^(٢) ، أفلا تراه كيف شبهه بالجماعة أى كل واحدة من الشرر كالجلل لجماعته ، فجاءته إذن مثل الجالات الصفر ، وكذلك الأول ، شررة منه كالفصر . قاله أبو الفتح بن جنى .

وأما قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ ^(٣) ، قيل : إن « ثلاثة » خير مبتدأ محذوف تقديره : « آلمتنا ثلاثة » .

واعترض باستزامه ^(٤) إثبات الإلهية لانصراف النفي الداخلة على المبتدأ أو الخبر إلى النفي للاستفاد من الخبر لا إلى معنى للمبتدأ ، وحينئذ يقتضى نفي عدة الآلهة لا نفي وجودهم .

قيل : وهو مردود ؛ لأن نفي كون آلهتهم ثلاثة يصدق بآلا يكون للآلهة الثلاثة وجود بالكلية ؛ لأنه من السالبة المحصلة ^(٥) ، فعناه : ليس آلهتكم ثلاثة ، وذلك يصدق بآلا يكون لهم آلهة وإنما حذف إيماناً بالهوى عن مطلق العدد للفهم للمساواة بوجه ما ؛ فها غلتك بين صريح بالشركة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٦) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٧) ، فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ لإفهامه مساواة ما ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ^(٨) ، ولزم من نفي الثلاثة لامتناع المساواة للعلومة عقلا ، وللدلول عليها بقوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٩) ، نفي الشركة مطلقاً ؛ فإن تخصيص النفي وقع في مقابلة الفعل ، ودليلا عليه ؛ فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه : ثلاثة .

(٢) سورة الرسالات ٣٣

(٤) ت : « استزامه » ٢٢

(٦) سورة المائدة ٧٣

(٨) سورة النساء ١٧١

(١) ت : « ويؤكد » .

(٣) سورة النساء ١٧١

(٥) ت : « التحصلة » .

(٧) سورة الأنعام ١

ونحوه في الخروج على السبب : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَضْمَاقًا مُضَاعَفَةً ﴾ ^(١) .
وقال صاحب « إسفار الصباح » ^(٢) : الوجه تقدير كون ثلاثة ، أو « في الوجود » ، ثم
حذف الخبر الذي هو « لنا » ، أو « في الوجود » الحذف للطرْد ، وما دل عليه توحيد
لا إله إلا الله .

ثم حذف الابتداء حذف الموصوف كالمدد ؛ إذا كان معلوما . كقولك : عندي ثلاثة .
أى دراهم ؛ وقد علم بقرينة قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ^(٣) .
وقد عورض هذا بأن نقي وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلهين . وأجيب بأن تقديره
« آلهتنا ثلاثة » يُوجب ثبوت الآلهة ؛ وتقدير « لنا آلهة » لا يوجب ثبوت إلهين .
فعورض بأنه كما لا يُوجب فلا ينفيه .

فأجيب بأنه إذا لم ينفي قد نفاه ما بعده من قوله : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ .
فعورض بأن ما بعده إن نفي ثبوت إلهين فكيف ثبوت آلهة ؟
فأجاب بأنه لا ينفيه ، ولكن يناقضه ، لأن تقدير آلهتنا ثلاثة يثبت وجود إلهين ؛
لانصراف النفي في الخبر عنه ، بخلاف تقدير : « لنا آلهة ثلاثة » ، فإنه لا يثبت وجود
إلهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة .
وفي أجوبة هذه اللقدمات نظر .

قلت : وذكر ابن جني أن الآية من حذف للضاف ؛ أى ثالث ثلاثة لقوله في موضع
آخر : ﴿ اتَّذَكَّرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

حذف الخبر

نحو : ﴿ اْكُلْهَا دَائِمًا وَظِلَّهَا ﴾ ^(١) ، أى دائم .

وقوله فى سورة ص بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء ، قال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ ^(٢)
ثم لما ذكر مصيرهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعم قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ
لَشَرًّا مَّا بِيَدِهِمْ يَصْلَوْنها فَيَنْسَى الْيَهاذُ : هَذَا ﴾ ^(٣) قد أشارت الآية إلى مآل أمر
الطَّاغِيْنَ ، ومنه فهم الخبر .

وقوله : ﴿ أَقْنِ شَرَحَ اللهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٤) أى أهدنا
خير أمن جل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه ، غذف بدليل قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلنَّاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ ﴾ ^(٦) .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ قَالَ قُوْتِ ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا ﴾ ^(٨) قال سيبويه : الخبر ^(٩) محذوف ، أى فيما
أكلوه السارق والسارقة ، وجاء ﴿ فاقْطَعُوا ﴾ جملة أخرى . وكذا قوله : ﴿ الْزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ ^(١٠)
فما نقص لكم .

وقال غيره : السارق مبتدأ ، فاقطعوا خبره ؛ وجاز ذلك لأن الاسم عام ، فإنه لا يريد

(١) سورة الزعد ٣٥

(٢) سورة ص ٤٩

(٣) سورة ص ٥٥ - ٥٦

(٤) سورة الزمر ٢٢

(٥) سورة الشعراء ٥٠ والآية بتامها : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ .

قال الزخمرى فى منته : « لاخير علينا فى ذلك » .

(٦) سورة سبأ ٥١

(٧) سورة المائدة ٣٨

(٨) الكتاب ١ : ٧١

(٩) سورة النور ٢

به سارقاً مخصوصاً ، فصار كالماء الشرط ؛ تدخل الفاء في خبرها لمومها ؛ وإنما قدر سبويه ذلك لجعل الخبر أمراً ؛ وإذا ثبت الإضمار فالقاء داخله في موضعها ، تربط بين الجملتين . وما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع ؛ مع أن الأمر الاختيار فيه النصب . قال : وقد قرأ ناس بالنصب ^(١) ارتسكاناً للوجه القوي في المربة ؛ ولكن أبت السامة إلا الرفع . وكذا قال في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٢) : مثل ، هنا خبر مبتدأ محذوف ؛ أي فيما قصص عليكم مثل الجنة . وكذا قال أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا ﴾ : إنه على الإضمار ^(٣) .

وقد رُدَّ بأنه أي ضرورة تدعو إليه هنا ؟ فإنه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقديره دخول الفاء في الخبر ، فاحتجج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط ؛ وأما هذا فقد وُصِّلَ بفعل هو بمنزلة : الذي يأتيك فله درهم .

وأجاب الصغار بأن الذي حمله على هذا أن الأمر دائر مع الضرورة كيف كان ؛ لأنه إذا أضمر قد تكلف ، وإن لم يضمر كان الاسم مرفوعاً وببده الأمر ، فهو قليل بالنظر إلى « الذين يأتيناها » فكيفما عمل لم يخل من قبح .

وإن قدر منصوباً ، وجاء القرآن بالألف على لنة من يقول « الزيدان » في جميع الأحوال وقع أيضاً في محذور آخر ؛ فلهذا قدره هذا التقدير ، لأن الإضمار مع الرفع يتسكفان .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ^(٤) ، الخبر محذوف ، أي يصدّون . ويجوز أن يكون الخبر : ﴿ أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَسْكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ^(٥) .

(١) عبارة الكتاب : « وقد قرأ أناس ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ ، و ﴿ الزَّانِيَةَ وَالزَّانِي ﴾ وهو في المربة على ما ذكرت لك من القوة » .

(٢) سورة النساء ١٦

(٣) سورة الرعد ٣٥

(٤) سورة فصلت ٤٤

(٥) سورة فصلت ٤١

وقوله : ﴿لَوْ لَا أَتَمُّوْا لَكُنَّا مُؤْمِنِيْنَ﴾^(١) ؛ فأنتم مبتدأ والخبر محذوف ؛ أى حاضرون ؛ وهو لازم الحذف هنا .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّذِيْنَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلًّا لَكُمْ وَأَمْثَلُكُمْ حِلًّا لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢) ؛ أى حل لكم كذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ أَهْلِ﴾^(٣) ، أما على قراءة التنوين فلا حذف لأنه يجعله مبتدأ ؛ و «ابن الله» خبر ؛ حكاية عن مقالة اليهود ؛ وأما على قراءة من لم ينون ؛ فقيل : إنه صفة والخبر محذوف ؛ أى عزير ابن الله إلها ، وقيل : بل للبندأ محذوف ، أى إلها عزير ، وابن صفة .

ورُدَّ بوجهين :

أحدهما : أنه لا يطابق : ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ أَهْلِ﴾^(٤) .

والثاني : أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائدا إلى النبوة ، فكذب لأن صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة . فلو قيل : زيد القائم فيه ، فكذب انصرف التكذيب لإستلزامه ؛ لا لوصفه بالقائم .

وفيه نظر ؛ لأن الصفة ليست إنشاء فهي خبر ؛ إلا أنها غير تامة الإفادة ، فيصح تكذيبها . والأولى تقويته ، وأن يقال الصفة والإضافة ونحوهما في السند إليه لواحق بصورة الأفراد ؛ أى يريد أن يصوره بهيئة خاصة ؛ ويحكم عليه كذلك ؛ لكن لا سبيل إلى كذبها ، مع أنها تصوّرت ، فالوجه أن يقال : إن كذب الصفة بإسناد مستلها إلى

معلوم الثبوت . وتظير هذه للسأفة في الفقه ما لو قال : والله لا أشرب ماء هذا الكوز ؛ ولا ماء فيه .

وقال بعضهم : ﴿عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ﴾ خبر الجملة ، أى حَكَمَ فيه لتَقْلَهُمْ ، أى قالوا هذه العبارة القبيحة ؛ وحينئذ فلا يقدَّر خبر ولا مبتدأ .

وقيل : « ابن الله » خبر وحذف التنوين من « عزيز » للجمعة والعلمية .

وقيل : حذف تنوينه لا لقضاء الساكنين ؛ لأن الصفة مع اللوصف كشيء واحد ، كقراءة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾^(١) ، على إيراد التنوين ؛ بل هنا أوضح ؛ لأنه في جملة واحدة .

وقيل : « ابن الله » نعت ولا محذوف ؛ وكأنَّ الله تعالى حَكَمَ أنهم ذكروا هذا اللفظ إنكاراً عليهم ؛ إلا أن فيه نفاً ، لأن سببويه قال : إن قلت وضعت العرب لصحكي به ما كان كلاماً لا قولاً . وأيضاً إنه لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢) ، والظاهر أنه خبر . والتولان متقولان .

والصحيح في هذه القراءة أنه ليس الفرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد في هذا الشيء إلى أن يذكرون هذا النكر ، كما قول في قومٍ تغالوا في تعظيم صاحبهم : أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيمًا ثابتاً ، يقولون : زيد الأمير !

ما يحتمل الأسمرين

قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٣) يحتمل حذف الخبر ، أى أَجَلَ^(٤) ، أو حذف للبتداء ، أى فأمرى صبر جميل . وهذا أولى لوجود قرينة حالية . هي قيام الصبر به . دالة على

(٢) سورة التوبة ٣٠

(١) سورة الإخلاص ٢٤١

(٤) قدره صاحب الكشف : « أَثَل » .

(٣) سورة يوسف ١٨

المخوف ، وعلم قرينة حالية أو مقالية تدلّ على خصوص الخبر ، وأن الكلام مسوق للإخبار بمحصول الصبر له واتصافه به ، وحذف للابتداء يحصل ذلك دون حذف الخبر ؛ لأن معناه أن الصبر الجليل ؛ أجل من ^(١) لأن للتكلم متلبس به .

وكذلك بقوله مَنْ لم يكن وصفا له ؛ ولأن الصبر مصدر ، وللصادر معناها الإخبار ؛ فإذا حمل على حذف للابتداء قد أجرى على أصل معناه ؛ من استعماله خبراً ، وإذا حمل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه ^(٢) .

ومثاله قوله : ﴿ طَاعَةٌ مَمْرُوقَةٌ ﴾ ^(٣) أى أمثل ، أو أولى لكم من هذا ، أو أمركم الذى يطلب منكم .

ومثله قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ ^(٤) ؛ إما أن يفكر : فإنا أوحينا إليك سورة ، أو هذه سورة .

وقد يحذفان جملة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَنْشُرْنَ مِنَ الْحَيِضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٥) الآية .

حذف الفاعل

للمشهور امتناعه إلا فى ثلاثة مواضع :

أحدها : إذا بنى الفعل للمفعول .

ثانيها : فى المصدر ، إذا لم يذكر معه الفاعل ؛ مظهره أن يكون محذوفاً ، ولا يكون مضمرّاً ، نحو ﴿ أَوْ إِنْطَامَ ﴾ ^(٦) .

(١) كذا فى الأصول وموضع النقط ياض فى ت . (٢) كذا وردت العبارة فى الأصلين ؛ وفيها غموض .

(٣) سورة النور ١

(٤) سورة النور ٥٣

(٥) سورة الطلاق ٤ وفيه الآية : ﴿ فَيَذَرُوهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ . . . ﴾

والقدير فمضين ثلاثة أشهر ؛ قال صاحب الكشف : « حذف لالة المذكور عليه » .

(٦) سورة البقرة الباء ١٤

نالتها : إذا لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى ، كقولك للجماعة : اضربُ القوم ، وللخطابة : اضربِ القوم .

وجوز السكائي حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدل عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ
الْعَرَاةُ ﴾ ^(١) أى بلغت الروح .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ^(٢) أى الشمس .

﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ ^(٣) معنى العذاب ، لقوله قبله : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ^(٤) .

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ ^(٥) تقديره : فلما جاء الرسول سليمان .

والحق أنه في المذكورات مضمّر لا مخدوف ، وقد سبق الفرق بينهما .

أما حذفه وإقامة للمفعول مقامه ، مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب :

منها العلم به ، كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(١) . ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا ﴾ ^(٢) ، ونحن نعلم أن الله خالقه .

ثانياً ، إن جنى : وضابطه أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول ؛
في إبانة الفاعل من هو .

ومنها تعظيمه ، كقوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ^(٣) ، إذ كان الذي
قضاء عظيم القدر .

وقوله : ﴿ وَغِيضَ أَلْسَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(٤) .

(٢) سورة ص ٣٢

(٤) سورة الصافات ١٧٦

(٦) سورة الأنبياء ٣٧

(٨) سورة يوسف ٤١

(١) سورة القيامة ٢٦

(٣) سورة الصافات ١٧٧

(٥) سورة النمل ٣٦

(٧) سورة النساء ٢٨

(٩) سورة هود ٤٤

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ^(١) قال الزمخشري في كشفه القديم : هذا أدلّ على كبرياء اللّٰزل وجلالة شأنه من القراءة الثالثة « أُنزِلَ » ^(٢) مبنياً للفاعل ، كما تقول : اللّٰك أمر بكذا ، ورسم بكذا ؛ وخاصة إذا كان الفعل ضملاً لا جدير عليه إلا الله ، كقوله : ﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ^(٣) قال : كأن طيّ ذكر الفاعل كالواجب ؛ لأمرين : أحدهما : أنه إن تعيّن الفاعل وعُلم أن الفعل مما لا يقولاه إلا هو وحده ، كان ذكره فضلاً ولنوا .

والثاني : الإيذان بأنه منه ؛ غير مشارك ولا مدافع عن الاستتار به والفرّد بإجماده . وأيضاً فافى ذلك من معير أن اسمه جدير بأن يمان ويرفع به عن الاجتال والامتهان . وعن الحسن : لولا أنى مأذون لي في ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب . ومنها مناسبة الفواصل ، نحو : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ ^(٤) ، ولم يقل يُجزئها .

ومنها مناسبة ما تقدمه ، كقوله في سورة براءة : ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ آخِلِ الْوَلَفِ وَطُيِّعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٥) ؛ لأن قبلها : ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ ^(٦) على بناء الفعل للمفعول ؛ فجاء قوله : ﴿وُطِئَ﴾ ليناسب بانختم الطلع ، بخلاف قوله فيما بعدها : ﴿وَطُيِّعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٧) ، فإنه لم يفتح قبلها ما يقتضى البناء ، فعبأت على الأصل .

(٢) على لفظ ماسمي فاعله ؛ وهي قراءة يزيد بن

كليب ، واظهر الكشاف .

(٥) سورة التوبة ٨٧

(٧) سورة التوبة ٩٣

(١) سورة البقرة ٤

(٢) سورة هود ٤٤

(٤) سورة الليل ١٩

(٦) سورة التوبة ٨٦

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير ، قال ابن جني : وفي القرآن منه زهاء ألف موضع . وأما أبو الحسن ، فلا يقيس عليه ؛ ثم رده بكنزة الجواز في اللغة ، وحذف للمضاف مجاز . انتهى .

وشرط للبرّد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لجوازه وجود دليل على المحذوف من عقل أو قرينة ، نحو : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(١) ، أي أهلها ، قال ^(٢) : ولا يجوزُ على هذا أن تقول : جاء زيد ، وأنت تريد غلامَ زيد ؛ لأنّ الجيء يكون له ، ولا دليل [في مثل هذا] ^(٣) على المحذوف .

وقال الزمخشري في الكشاف القديم : لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع ؛ ولا يُقدّم عليه إلا بدليل واضح ، غير مثليّ ؛ كقوله : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ^(٤) . وضُفّ بذلك قولُ من قَدَّر في قوله : ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ ^(٥) ، أنّه على حذف مضاف . فإن قلت : كما لا يجوز مجيئه ^(٦) لا يجوز خداعه ؛ فحين جرّك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه ، فهلا جرّك إلى مثله امتناع خداعه !

قلت : يجوز في اعتقاد اللّاهقين تصوّر خداعه ؛ فكان للوضع ملبسا فلا بدّ . انتهى .
فنه قوله تعالى : ﴿ لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ^(٧) ، أي رحته ويخاف عذابه .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٢

(٤) سورة النساء ١٤٢

(٦) سورة الأحزاب ٢١

(١) سورة يوسف ٨٢

(٣) نكتة مما اتفق لفظه واختلف معناه

(٥) من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ ﴾^(١) أى حد يَأْجُوج وَمَاجُوج .
 ﴿وَأَشْتَلَ أَلْسُنُ شَيْبَا﴾^(٢) ، أى شر الرأس .
 ﴿وَلَا يَجْمُرُ بَصَلَتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾^(٣) ، أى براءة صلاتك ، ولا تخافت
 بقراءتها .

﴿وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ آمَنَ بِاللَّهِ﴾^(٤) ، أى بر من آمن بالله .
 ﴿فَلَمَّا أَنَا مَا نُوَدِّي﴾^(٥) أى ناحيتها ، والجهة التى هو فيها .
 ﴿وَهُلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾^(٦) أى هل يسمعون دعاءكم ، بدليل الآيات الأخرى
 ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾^(٧) .
 ﴿فَلْيَخَوْفِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾^(٨) ، أى من آل فرعون .
 ﴿إِذَا لَادَقْنَاكَ ضَيْفَ الْخِيَاةِ وَضَيْفَ الْمَمَاتِ﴾^(٩) ، أى ضعف عذابها .
 ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾^(١٠) ، أى وَمَثَلُ واعظ الذين كفروا
 كغناقى الأنعام .

﴿وَأَرْوَاهُ أَمْهَاتُهُمْ﴾^(١١) ، أى مثل أمهاتهم .
 ﴿وَيَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١٢) ، أى شكر رزقكم . وقيل يجمعون
 الكذب شكر رزقكم .

وقوله : ﴿وَأَنَّا مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(١٣) ، أى على السنة رسلك .
 وقوله : ﴿وَنَحْنُ نُوَا أَمَانَتِكُمْ﴾^(١٤) أى ذوى أماناتكم ، كالودع وللمير وللوكيل

(١) سورة الأنبياء ٩٦	(٢) سورة مريم ٤
(٣) سورة الإسراء ١١٠	(٤) سورة البقرة ١٧٧
(٥) سورة طه ١١	(٦) سورة الشعراء ٧٢
(٧) سورة فاطر ١٤	(٨) سورة يونس ٨٣
(٩) سورة الإسراء ٧٥	(١٠) سورة البقرة ١٧١
(١١) سورة الأَنْزَابِ ٦	(١٢) سورة الواقعة ٨٢
(١٣) سورة آل عمران ١٩٤	(١٤) سورة الأَحْقَالِ ٢٧

والشريك ، ومن يدك في ماله أمانة لا يد ضمان ، ويجوز أن لا حذف فيه ؛ لأن « خنت » من باب « أعطيت » ؛ فيتمدّى إلى مفعولين ، ويقتصر على أحدهما .
وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ ﴾^(١) ، أى أهل مدين ؛ بدليل قوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ نَارِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ۚ ﴾^(٢) .

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ۚ ﴾^(٣) ، أى أهل القرية ؛ وأهل المير .
وقيل : فيه وجهان : أحدهما أن القرية يُراد بها نفس الجماعة ، والثاني أن المراد الأبنية فيها ؛ لأن المخاطب نبيّ صاحب معجزة .

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ ﴾^(٤) ، ويجوز أن يقدر : الحج حج أشهر معلومات .
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ۚ ﴾^(٥) أى أمر ربك .
﴿ وَأُثِّرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ ﴾^(٦) ، أى حب العجل ؛ قال الراغب^(٧) :
إنه على بابه ؛ فإن في ذكر العجل تنبيهاً على أنه لقرط محبتهم صار صورة العجل في قلوبهم لا تنجلي .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِ إِمْرَءَ ۚ ﴾^(٨) ؛ فإمر اسم لوضع وهو في موضع جـ ؛ إلا أنه منع الصرف للعلمية والتأنيث ؛ أما الملقبة فواضح ، وأما التأنيث فلقوله :
﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ۚ ﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ سَأَلْنَا قَوْمَ مِن قَبْلِكُم مِّمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ۚ ﴾^(٩) أى بسؤالها ؛
خفف للضاف ؛ ولم يكفروا بالسؤال ؛ إنما كفروا بربهم للشئول عنه ، فذا كان السؤال سبباً للكفر فيما سألوها عنه نُسب الكفر إليه على الاتساع .

(٢) سورة القصص ٤٥

(٤) سورة البقرة ١٩٧

(٦) سورة البقرة ٩٣

(٨) سورة التجر ٦ ، ٧

(١) سورة هود ٨٤

(٣) سورة يوسف ٨٢

(٥) سورة التجر ٢٢

(٧) للتدوات ٢٥٨ ؛ وهو أحد أقواله .

(٩) سورة الثلاثة ١٠٢

وقيل : الماء عائدة على غير ما تقدم قوة هذا الكلام ؛ بدليل أن الفعل تدعى بنفسه والأول بغيره ؛ وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى ، وقوم عيسى من الآيات ، ثم كفروا ، فمضى السؤال الأول والثاني ^(١) الاستفهام ، ومعنى الثالث طلب الشيء .

وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ ^(٢) ، أى تناولها ، لأن الأحكام لا تتعلق بالأجرام إلا بتأويل الأفعال .

وقيل : إن الميتة يمتزج بها من تناولها فلا حذف ؛ ولو كان ثم حذف لم يؤث القفل ؛ ولأن المركب إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية ؛ وللقهوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير ؛ فيكون اللفظ موضوعاً له ، وللشهور في الأصول أنه من محال الحذف .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) ، فيها إضمار ؛ لأن قائلها قال : « من عمل صالحاً جعلته في جملة الصالحين » لم يكن فيه قاعدة ؛ وإنما المعنى لندخلهم في زمرة الصالحين .

وقوله : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ ﴾ ^(٤) ، أى ذا قراطيس ، أو مكتوباً في قراطيس . ﴿ تُبَدِّلُونَهَا ﴾ ^(٥) ، أى تبدلون مكتوبها .

وقوله : ﴿ وَتُخَفَّنُونَ كَثِيرًا ﴾ ^(٦) ؛ ليس المعنى تخفونها إخفاء كثير ؛ ولكن التقدير : تخفون كثيراً من إنكار ذي القراطيس ؛ أى يكتمونه فلا يظهروه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

(١) من قوله تعالى أول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ

لَكُمْ نَسْأَلَكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ۖ ۝ ۱۰ ۝ ۱۱ ۝ ۱۲ ۝ ۱۳ ۝ ۱۴ ۝ ۱۵ ۝ ۱۶ ۝ ۱۷ ۝ ۱۸ ۝ ۱۹ ۝ ۲۰ ۝ ۲۱ ۝ ۲۲ ۝ ۲۳ ۝ ۲۴ ۝ ۲۵ ۝ ۲۶ ۝ ۲۷ ۝ ۲۸ ۝ ۲۹ ۝ ۳۰ ۝ ۳۱ ۝ ۳۲ ۝ ۳۳ ۝ ۳۴ ۝ ۳۵ ۝ ۳۶ ۝ ۳۷ ۝ ۳۸ ۝ ۳۹ ۝ ۴۰ ۝ ۴۱ ۝ ۴۲ ۝ ۴۳ ۝ ۴۴ ۝ ۴۵ ۝ ۴۶ ۝ ۴۷ ۝ ۴۸ ۝ ۴۹ ۝ ۵۰ ۝ ۵۱ ۝ ۵۲ ۝ ۵۳ ۝ ۵۴ ۝ ۵۵ ۝ ۵۶ ۝ ۵۷ ۝ ۵۸ ۝ ۵۹ ۝ ۶۰ ۝ ۶۱ ۝ ۶۲ ۝ ۶۳ ۝ ۶۴ ۝ ۶۵ ۝ ۶۶ ۝ ۶۷ ۝ ۶۸ ۝ ۶۹ ۝ ۷۰ ۝ ۷۱ ۝ ۷۲ ۝ ۷۳ ۝ ۷۴ ۝ ۷۵ ۝ ۷۶ ۝ ۷۷ ۝ ۷۸ ۝ ۷۹ ۝ ۸۰ ۝ ۸۱ ۝ ۸۲ ۝ ۸۳ ۝ ۸۴ ۝ ۸۵ ۝ ۸۶ ۝ ۸۷ ۝ ۸۸ ۝ ۸۹ ۝ ۹۰ ۝ ۹۱ ۝ ۹۲ ۝ ۹۳ ۝ ۹۴ ۝ ۹۵ ۝ ۹۶ ۝ ۹۷ ۝ ۹۸ ۝ ۹۹ ۝ ۱۰۰ ۝ ۱۰۱ ۝ ۱۰۲ ۝ ۱۰۳ ۝ ۱۰۴ ۝ ۱۰۵ ۝ ۱۰۶ ۝ ۱۰۷ ۝ ۱۰۸ ۝ ۱۰۹ ۝ ۱۱۰ ۝ ۱۱۱ ۝ ۱۱۲ ۝ ۱۱۳ ۝ ۱۱۴ ۝ ۱۱۵ ۝ ۱۱۶ ۝ ۱۱۷ ۝ ۱۱۸ ۝ ۱۱۹ ۝ ۱۲۰ ۝ ۱۲۱ ۝ ۱۲۲ ۝ ۱۲۳ ۝ ۱۲۴ ۝ ۱۲۵ ۝ ۱۲۶ ۝ ۱۲۷ ۝ ۱۲۸ ۝ ۱۲۹ ۝ ۱۳۰ ۝ ۱۳۱ ۝ ۱۳۲ ۝ ۱۳۳ ۝ ۱۳۴ ۝ ۱۳۵ ۝ ۱۳۶ ۝ ۱۳۷ ۝ ۱۳۸ ۝ ۱۳۹ ۝ ۱۴۰ ۝ ۱۴۱ ۝ ۱۴۲ ۝ ۱۴۳ ۝ ۱۴۴ ۝ ۱۴۵ ۝ ۱۴۶ ۝ ۱۴۷ ۝ ۱۴۸ ۝ ۱۴۹ ۝ ۱۵۰ ۝ ۱۵۱ ۝ ۱۵۲ ۝ ۱۵۳ ۝ ۱۵۴ ۝ ۱۵۵ ۝ ۱۵۶ ۝ ۱۵۷ ۝ ۱۵۸ ۝ ۱۵۹ ۝ ۱۶۰ ۝ ۱۶۱ ۝ ۱۶۲ ۝ ۱۶۳ ۝ ۱۶۴ ۝ ۱۶۵ ۝ ۱۶۶ ۝ ۱۶۷ ۝ ۱۶۸ ۝ ۱۶۹ ۝ ۱۷۰ ۝ ۱۷۱ ۝ ۱۷۲ ۝ ۱۷۳ ۝ ۱۷۴ ۝ ۱۷۵ ۝ ۱۷۶ ۝ ۱۷۷ ۝ ۱۷۸ ۝ ۱۷۹ ۝ ۱۸۰ ۝ ۱۸۱ ۝ ۱۸۲ ۝ ۱۸۳ ۝ ۱۸۴ ۝ ۱۸۵ ۝ ۱۸۶ ۝ ۱۸۷ ۝ ۱۸۸ ۝ ۱۸۹ ۝ ۱۹۰ ۝ ۱۹۱ ۝ ۱۹۲ ۝ ۱۹۳ ۝ ۱۹۴ ۝ ۱۹۵ ۝ ۱۹۶ ۝ ۱۹۷ ۝ ۱۹۸ ۝ ۱۹۹ ۝ ۲۰۰ ۝ ۲۰۱ ۝ ۲۰۲ ۝ ۲۰۳ ۝ ۲۰۴ ۝ ۲۰۵ ۝ ۲۰۶ ۝ ۲۰۷ ۝ ۲۰۸ ۝ ۲۰۹ ۝ ۲۱۰ ۝ ۲۱۱ ۝ ۲۱۲ ۝ ۲۱۳ ۝ ۲۱۴ ۝ ۲۱۵ ۝ ۲۱۶ ۝ ۲۱۷ ۝ ۲۱۸ ۝ ۲۱۹ ۝ ۲۲۰ ۝ ۲۲۱ ۝ ۲۲۲ ۝ ۲۲۳ ۝ ۲۲۴ ۝ ۲۲۵ ۝ ۲۲۶ ۝ ۲۲۷ ۝ ۲۲۸ ۝ ۲۲۹ ۝ ۲۳۰ ۝ ۲۳۱ ۝ ۲۳۲ ۝ ۲۳۳ ۝ ۲۳۴ ۝ ۲۳۵ ۝ ۲۳۶ ۝ ۲۳۷ ۝ ۲۳۸ ۝ ۲۳۹ ۝ ۲۴۰ ۝ ۲۴۱ ۝ ۲۴۲ ۝ ۲۴۳ ۝ ۲۴۴ ۝ ۲۴۵ ۝ ۲۴۶ ۝ ۲۴۷ ۝ ۲۴۸ ۝ ۲۴۹ ۝ ۲۵۰ ۝ ۲۵۱ ۝ ۲۵۲ ۝ ۲۵۳ ۝ ۲۵۴ ۝ ۲۵۵ ۝ ۲۵۶ ۝ ۲۵۷ ۝ ۲۵۸ ۝ ۲۵۹ ۝ ۲۶۰ ۝ ۲۶۱ ۝ ۲۶۲ ۝ ۲۶۳ ۝ ۲۶۴ ۝ ۲۶۵ ۝ ۲۶۶ ۝ ۲۶۷ ۝ ۲۶۸ ۝ ۲۶۹ ۝ ۲۷۰ ۝ ۲۷۱ ۝ ۲۷۲ ۝ ۲۷۳ ۝ ۲۷۴ ۝ ۲۷۵ ۝ ۲۷۶ ۝ ۲۷۷ ۝ ۲۷۸ ۝ ۲۷۹ ۝ ۲۸۰ ۝ ۲۸۱ ۝ ۲۸۲ ۝ ۲۸۳ ۝ ۲۸۴ ۝ ۲۸۵ ۝ ۲۸۶ ۝ ۲۸۷ ۝ ۲۸۸ ۝ ۲۸۹ ۝ ۲۹۰ ۝ ۲۹۱ ۝ ۲۹۲ ۝ ۲۹۳ ۝ ۲۹۴ ۝ ۲۹۵ ۝ ۲۹۶ ۝ ۲۹۷ ۝ ۲۹۸ ۝ ۲۹۹ ۝ ۳۰۰ ۝ ۳۰۱ ۝ ۳۰۲ ۝ ۳۰۳ ۝ ۳۰۴ ۝ ۳۰۵ ۝ ۳۰۶ ۝ ۳۰۷ ۝ ۳۰۸ ۝ ۳۰۹ ۝ ۳۱۰ ۝ ۳۱۱ ۝ ۳۱۲ ۝ ۳۱۳ ۝ ۳۱۴ ۝ ۳۱۵ ۝ ۳۱۶ ۝ ۳۱۷ ۝ ۳۱۸ ۝ ۳۱۹ ۝ ۳۲۰ ۝ ۳۲۱ ۝ ۳۲۲ ۝ ۳۲۳ ۝ ۳۲۴ ۝ ۳۲۵ ۝ ۳۲۶ ۝ ۳۲۷ ۝ ۳۲۸ ۝ ۳۲۹ ۝ ۳۳۰ ۝ ۳۳۱ ۝ ۳۳۲ ۝ ۳۳۳ ۝ ۳۳۴ ۝ ۳۳۵ ۝ ۳۳۶ ۝ ۳۳۷ ۝ ۳۳۸ ۝ ۳۳۹ ۝ ۳۴۰ ۝ ۳۴۱ ۝ ۳۴۲ ۝ ۳۴۳ ۝ ۳۴۴ ۝ ۳۴۵ ۝ ۳۴۶ ۝ ۳۴۷ ۝ ۳۴۸ ۝ ۳۴۹ ۝ ۳۵۰ ۝ ۳۵۱ ۝ ۳۵۲ ۝ ۳۵۳ ۝ ۳۵۴ ۝ ۳۵۵ ۝ ۳۵۶ ۝ ۳۵۷ ۝ ۳۵۸ ۝ ۳۵۹ ۝ ۳۶۰ ۝ ۳۶۱ ۝ ۳۶۲ ۝ ۳۶۳ ۝ ۳۶۴ ۝ ۳۶۵ ۝ ۳۶۶ ۝ ۳۶۷ ۝ ۳۶۸ ۝ ۳۶۹ ۝ ۳۷۰ ۝ ۳۷۱ ۝ ۳۷۲ ۝ ۳۷۳ ۝ ۳۷۴ ۝ ۳۷۵ ۝ ۳۷۶ ۝ ۳۷۷ ۝ ۳۷۸ ۝ ۳۷۹ ۝ ۳۸۰ ۝ ۳۸۱ ۝ ۳۸۲ ۝ ۳۸۳ ۝ ۳۸۴ ۝ ۳۸۵ ۝ ۳۸۶ ۝ ۳۸۷ ۝ ۳۸۸ ۝ ۳۸۹ ۝ ۳۹۰ ۝ ۳۹۱ ۝ ۳۹۲ ۝ ۳۹۳ ۝ ۳۹۴ ۝ ۳۹۵ ۝ ۳۹۶ ۝ ۳۹۷ ۝ ۳۹۸ ۝ ۳۹۹ ۝ ۴۰۰ ۝ ۴۰۱ ۝ ۴۰۲ ۝ ۴۰۳ ۝ ۴۰۴ ۝ ۴۰۵ ۝ ۴۰۶ ۝ ۴۰۷ ۝ ۴۰۸ ۝ ۴۰۹ ۝ ۴۱۰ ۝ ۴۱۱ ۝ ۴۱۲ ۝ ۴۱۳ ۝ ۴۱۴ ۝ ۴۱۵ ۝ ۴۱۶ ۝ ۴۱۷ ۝ ۴۱۸ ۝ ۴۱۹ ۝ ۴۲۰ ۝ ۴۲۱ ۝ ۴۲۲ ۝ ۴۲۳ ۝ ۴۲۴ ۝ ۴۲۵ ۝ ۴۲۶ ۝ ۴۲۷ ۝ ۴۲۸ ۝ ۴۲۹ ۝ ۴۳۰ ۝ ۴۳۱ ۝ ۴۳۲ ۝ ۴۳۳ ۝ ۴۳۴ ۝ ۴۳۵ ۝ ۴۳۶ ۝ ۴۳۷ ۝ ۴۳۸ ۝ ۴۳۹ ۝ ۴۴۰ ۝ ۴۴۱ ۝ ۴۴۲ ۝ ۴۴۳ ۝ ۴۴۴ ۝ ۴۴۵ ۝ ۴۴۶ ۝ ۴۴۷ ۝ ۴۴۸ ۝ ۴۴۹ ۝ ۴۵۰ ۝ ۴۵۱ ۝ ۴۵۲ ۝ ۴۵۳ ۝ ۴۵۴ ۝ ۴۵۵ ۝ ۴۵۶ ۝ ۴۵۷ ۝ ۴۵۸ ۝ ۴۵۹ ۝ ۴۶۰ ۝ ۴۶۱ ۝ ۴۶۲ ۝ ۴۶۳ ۝ ۴۶۴ ۝ ۴۶۵ ۝ ۴۶۶ ۝ ۴۶۷ ۝ ۴۶۸ ۝ ۴۶۹ ۝ ۴۷۰ ۝ ۴۷۱ ۝ ۴۷۲ ۝ ۴۷۳ ۝ ۴۷۴ ۝ ۴۷۵ ۝ ۴۷۶ ۝ ۴۷۷ ۝ ۴۷۸ ۝ ۴۷۹ ۝ ۴۸۰ ۝ ۴۸۱ ۝ ۴۸۲ ۝ ۴۸۳ ۝ ۴۸۴ ۝ ۴۸۵ ۝ ۴۸۶ ۝ ۴۸۷ ۝ ۴۸۸ ۝ ۴۸۹ ۝ ۴۹۰ ۝ ۴۹۱ ۝ ۴۹۲ ۝ ۴۹۳ ۝ ۴۹۴ ۝ ۴۹۵ ۝ ۴۹۶ ۝ ۴۹۷ ۝ ۴۹۸ ۝ ۴۹۹ ۝ ۵۰۰ ۝ ۵۰۱ ۝ ۵۰۲ ۝ ۵۰۳ ۝ ۵۰۴ ۝ ۵۰۵ ۝ ۵۰۶ ۝ ۵۰۷ ۝ ۵۰۸ ۝ ۵۰۹ ۝ ۵۱۰ ۝ ۵۱۱ ۝ ۵۱۲ ۝ ۵۱۳ ۝ ۵۱۴ ۝ ۵۱۵ ۝ ۵۱۶ ۝ ۵۱۷ ۝ ۵۱۸ ۝ ۵۱۹ ۝ ۵۲۰ ۝ ۵۲۱ ۝ ۵۲۲ ۝ ۵۲۳ ۝ ۵۲۴ ۝ ۵۲۵ ۝ ۵۲۶ ۝ ۵۲۷ ۝ ۵۲۸ ۝ ۵۲۹ ۝ ۵۳۰ ۝ ۵۳۱ ۝ ۵۳۲ ۝ ۵۳۳ ۝ ۵۳۴ ۝ ۵۳۵ ۝ ۵۳۶ ۝ ۵۳۷ ۝ ۵۳۸ ۝ ۵۳۹ ۝ ۵۴۰ ۝ ۵۴۱ ۝ ۵۴۲ ۝ ۵۴۳ ۝ ۵۴۴ ۝ ۵۴۵ ۝ ۵۴۶ ۝ ۵۴۷ ۝ ۵۴۸ ۝ ۵۴۹ ۝ ۵۵۰ ۝ ۵۵۱ ۝ ۵۵۲ ۝ ۵۵۳ ۝ ۵۵۴ ۝ ۵۵۵ ۝ ۵۵۶ ۝ ۵۵۷ ۝ ۵۵۸ ۝ ۵۵۹ ۝ ۵۶۰ ۝ ۵۶۱ ۝ ۵۶۲ ۝ ۵۶۳ ۝ ۵۶۴ ۝ ۵۶۵ ۝ ۵۶۶ ۝ ۵۶۷ ۝ ۵۶۸ ۝ ۵۶۹ ۝ ۵۷۰ ۝ ۵۷۱ ۝ ۵۷۲ ۝ ۵۷۳ ۝ ۵۷۴ ۝ ۵۷۵ ۝ ۵۷۶ ۝ ۵۷۷ ۝ ۵۷۸ ۝ ۵۷۹ ۝ ۵۸۰ ۝ ۵۸۱ ۝ ۵۸۲ ۝ ۵۸۳ ۝ ۵۸۴ ۝ ۵۸۵ ۝ ۵۸۶ ۝ ۵۸۷ ۝ ۵۸۸ ۝ ۵۸۹ ۝ ۵۹۰ ۝ ۵۹۱ ۝ ۵۹۲ ۝ ۵۹۳ ۝ ۵۹۴ ۝ ۵۹۵ ۝ ۵۹۶ ۝ ۵۹۷ ۝ ۵۹۸ ۝ ۵۹۹ ۝ ۶۰۰ ۝ ۶۰۱ ۝ ۶۰۲ ۝ ۶۰۳ ۝ ۶۰۴ ۝ ۶۰۵ ۝ ۶۰۶ ۝ ۶۰۷ ۝ ۶۰۸ ۝ ۶۰۹ ۝ ۶۱۰ ۝ ۶۱۱ ۝ ۶۱۲ ۝ ۶۱۳ ۝ ۶۱۴ ۝ ۶۱۵ ۝ ۶۱۶ ۝ ۶۱۷ ۝ ۶۱۸ ۝ ۶۱۹ ۝ ۶۲۰ ۝ ۶۲۱ ۝ ۶۲۲ ۝ ۶۲۳ ۝ ۶۲۴ ۝ ۶۲۵ ۝ ۶۲۶ ۝ ۶۲۷ ۝ ۶۲۸ ۝ ۶۲۹ ۝ ۶۳۰ ۝ ۶۳۱ ۝ ۶۳۲ ۝ ۶۳۳ ۝ ۶۳۴ ۝ ۶۳۵ ۝ ۶۳۶ ۝ ۶۳۷ ۝ ۶۳۸ ۝ ۶۳۹ ۝ ۶۴۰ ۝ ۶۴۱ ۝ ۶۴۲ ۝ ۶۴۳ ۝ ۶۴۴ ۝ ۶۴۵ ۝ ۶۴۶ ۝ ۶۴۷ ۝ ۶۴۸ ۝ ۶۴۹ ۝ ۶۵۰ ۝ ۶۵۱ ۝ ۶۵۲ ۝ ۶۵۳ ۝ ۶۵۴ ۝ ۶۵۵ ۝ ۶۵۶ ۝ ۶۵۷ ۝ ۶۵۸ ۝ ۶۵۹ ۝ ۶۶۰ ۝ ۶۶۱ ۝ ۶۶۲ ۝ ۶۶۳ ۝ ۶۶۴ ۝ ۶۶۵ ۝ ۶۶۶ ۝ ۶۶۷ ۝ ۶۶۸ ۝ ۶۶۹ ۝ ۶۷۰ ۝ ۶۷۱ ۝ ۶۷۲ ۝ ۶۷۳ ۝ ۶۷۴ ۝ ۶۷۵ ۝ ۶۷۶ ۝ ۶۷۷ ۝ ۶۷۸ ۝ ۶۷۹ ۝ ۶۸۰ ۝ ۶۸۱ ۝ ۶۸۲ ۝ ۶۸۳ ۝ ۶۸۴ ۝ ۶۸۵ ۝ ۶۸۶ ۝ ۶۸۷ ۝ ۶۸۸ ۝ ۶۸۹ ۝ ۶۹۰ ۝ ۶۹۱ ۝ ۶۹۲ ۝ ۶۹۳ ۝ ۶۹۴ ۝ ۶۹۵ ۝ ۶۹۶ ۝ ۶۹۷ ۝ ۶۹۸ ۝ ۶۹۹ ۝ ۷۰۰ ۝ ۷۰۱ ۝ ۷۰۲ ۝ ۷۰۳ ۝ ۷۰۴ ۝ ۷۰۵ ۝ ۷۰۶ ۝ ۷۰۷ ۝ ۷۰۸ ۝ ۷۰۹ ۝ ۷۱۰ ۝ ۷۱۱ ۝ ۷۱۲ ۝ ۷۱۳ ۝ ۷۱۴ ۝ ۷۱۵ ۝ ۷۱۶ ۝ ۷۱۷ ۝ ۷۱۸ ۝ ۷۱۹ ۝ ۷۲۰ ۝ ۷۲۱ ۝ ۷۲۲ ۝ ۷۲۳ ۝ ۷۲۴ ۝ ۷۲۵ ۝ ۷۲۶ ۝ ۷۲۷ ۝ ۷۲۸ ۝ ۷۲۹ ۝ ۷۳۰ ۝ ۷۳۱ ۝ ۷۳۲ ۝ ۷۳۳ ۝ ۷۳۴ ۝ ۷۳۵ ۝ ۷۳۶ ۝ ۷۳۷ ۝ ۷۳۸ ۝ ۷۳۹ ۝ ۷۴۰ ۝ ۷۴۱ ۝ ۷۴۲ ۝ ۷۴۳ ۝ ۷۴۴ ۝ ۷۴۵ ۝ ۷۴۶ ۝ ۷۴۷ ۝ ۷۴۸ ۝ ۷۴۹ ۝ ۷۵۰ ۝ ۷۵۱ ۝ ۷۵۲ ۝ ۷۵۳ ۝ ۷۵۴ ۝ ۷۵۵ ۝ ۷۵۶ ۝ ۷۵۷ ۝ ۷۵۸ ۝ ۷۵۹ ۝ ۷۶۰ ۝ ۷۶۱ ۝ ۷۶۲ ۝ ۷۶۳ ۝ ۷۶۴ ۝ ۷۶۵ ۝ ۷۶۶ ۝ ۷۶۷ ۝ ۷۶۸ ۝ ۷۶۹ ۝ ۷۷۰ ۝ ۷۷۱ ۝ ۷۷۲ ۝ ۷۷۳ ۝ ۷۷۴ ۝ ۷۷۵ ۝ ۷۷۶ ۝ ۷۷۷ ۝ ۷۷۸ ۝ ۷۷۹ ۝ ۷۸۰ ۝ ۷۸۱ ۝ ۷۸۲ ۝ ۷۸۳ ۝ ۷۸۴ ۝ ۷۸۵ ۝ ۷۸۶ ۝ ۷۸۷ ۝ ۷۸۸ ۝ ۷۸۹ ۝ ۷۹۰ ۝ ۷۹۱ ۝ ۷۹۲ ۝ ۷۹۳ ۝ ۷۹۴ ۝ ۷۹۵ ۝ ۷۹۶ ۝ ۷۹۷ ۝ ۷۹۸ ۝ ۷۹۹ ۝ ۸۰۰ ۝ ۸۰۱ ۝ ۸۰۲ ۝ ۸۰۳ ۝ ۸۰۴ ۝ ۸۰۵ ۝ ۸۰۶ ۝ ۸۰۷ ۝ ۸۰۸ ۝ ۸۰۹ ۝ ۸۱۰ ۝ ۸۱۱ ۝ ۸۱۲ ۝ ۸۱۳ ۝ ۸۱۴ ۝ ۸۱۵ ۝ ۸۱۶ ۝ ۸۱۷ ۝ ۸۱۸ ۝ ۸۱۹ ۝ ۸۲۰ ۝ ۸۲۱ ۝ ۸۲۲ ۝ ۸۲۳ ۝ ۸۲۴ ۝ ۸۲۵ ۝ ۸۲۶ ۝ ۸۲۷ ۝ ۸۲۸ ۝ ۸۲۹ ۝ ۸۳۰ ۝ ۸۳۱ ۝ ۸۳۲ ۝ ۸۳۳ ۝ ۸۳۴ ۝ ۸۳۵ ۝ ۸۳۶ ۝ ۸۳۷ ۝ ۸۳۸ ۝ ۸۳۹ ۝ ۸۴۰ ۝ ۸۴۱ ۝ ۸۴۲ ۝ ۸۴۳ ۝ ۸۴۴ ۝ ۸۴۵ ۝ ۸۴۶ ۝ ۸۴۷ ۝ ۸۴۸ ۝ ۸۴۹ ۝ ۸۵۰ ۝ ۸۵۱ ۝ ۸۵۲ ۝ ۸۵۳ ۝ ۸۵۴ ۝ ۸۵۵ ۝ ۸۵۶ ۝ ۸۵۷ ۝ ۸۵۸ ۝ ۸۵۹ ۝ ۸۶۰ ۝ ۸۶۱ ۝ ۸۶۲ ۝ ۸۶۳ ۝ ۸۶۴ ۝ ۸۶۵ ۝ ۸۶۶ ۝ ۸۶۷ ۝ ۸۶۸ ۝ ۸۶۹ ۝ ۸۷۰ ۝ ۸۷۱ ۝ ۸۷۲ ۝ ۸۷۳ ۝ ۸۷۴ ۝ ۸۷۵ ۝ ۸۷۶ ۝ ۸۷۷ ۝ ۸۷۸ ۝ ۸۷۹ ۝ ۸۸۰ ۝ ۸۸۱ ۝ ۸۸۲ ۝ ۸۸۳ ۝ ۸۸۴ ۝ ۸۸۵ ۝ ۸۸۶ ۝ ۸۸۷ ۝ ۸۸۸ ۝ ۸۸۹ ۝ ۸۹۰ ۝ ۸۹۱ ۝ ۸۹۲ ۝ ۸۹۳ ۝ ۸۹۴ ۝ ۸۹۵ ۝ ۸۹۶ ۝ ۸۹۷ ۝ ۸۹۸ ۝ ۸۹۹ ۝ ۹۰۰ ۝ ۹۰۱ ۝ ۹۰۲ ۝ ۹۰۳ ۝ ۹۰۴ ۝ ۹۰۵ ۝ ۹۰۶ ۝ ۹۰۷ ۝ ۹۰۸ ۝ ۹۰۹ ۝ ۹۱۰ ۝ ۹۱۱ ۝ ۹۱۲ ۝ ۹۱۳ ۝ ۹۱۴ ۝ ۹۱۵ ۝ ۹۱۶ ۝ ۹۱۷ ۝ ۹۱۸ ۝ ۹۱۹ ۝ ۹۲۰ ۝ ۹۲۱ ۝ ۹۲۲ ۝ ۹۲۳ ۝ ۹۲۴ ۝ ۹۲۵ ۝ ۹۲۶ ۝ ۹۲۷ ۝ ۹۲۸ ۝ ۹۲۹ ۝ ۹۳۰ ۝ ۹۳۱ ۝ ۹۳۲ ۝ ۹۳۳ ۝ ۹۳۴ ۝ ۹۳۵ ۝ ۹۳۶ ۝ ۹۳۷ ۝ ۹۳۸ ۝ ۹۳۹ ۝ ۹۴۰ ۝ ۹۴۱ ۝ ۹۴۲ ۝ ۹۴۳ ۝ ۹۴۴ ۝ ۹۴۵ ۝ ۹۴۶ ۝ ۹۴۷ ۝ ۹۴۸ ۝ ۹۴۹ ۝ ۹۵۰ ۝ ۹۵۱ ۝ ۹۵۲ ۝ ۹۵۳ ۝ ۹۵۴ ۝ ۹۵۵ ۝ ۹۵۶ ۝ ۹۵۷ ۝ ۹۵۸ ۝ ۹۵۹ ۝ ۹۶۰ ۝ ۹۶۱ ۝ ۹۶۲ ۝ ۹۶۳ ۝ ۹۶۴ ۝ ۹۶۵ ۝ ۹۶۶ ۝ ۹۶۷ ۝ ۹۶۸ ۝ ۹۶۹ ۝ ۹۷۰ ۝ ۹۷۱ ۝ ۹۷۲ ۝ ۹۷۳ ۝ ۹۷۴ ۝ ۹۷۵ ۝ ۹۷۶ ۝ ۹۷۷ ۝ ۹۷۸ ۝ ۹۷۹ ۝ ۹۸۰ ۝ ۹۸۱ ۝ ۹۸۲ ۝ ۹۸۳ ۝ ۹۸۴ ۝ ۹۸۵ ۝ ۹۸۶ ۝ ۹۸۷ ۝ ۹۸۸ ۝ ۹۸۹ ۝ ۹۹۰ ۝ ۹۹۱ ۝ ۹۹۲ ۝ ۹۹۳ ۝ ۹۹۴ ۝ ۹۹۵ ۝ ۹۹۶ ۝ ۹۹۷ ۝ ۹۹۸ ۝ ۹۹۹ ۝ ۱۰۰۰ ۝ ۱۰۰۱ ۝ ۱۰۰۲ ۝ ۱۰۰۳ ۝ ۱۰۰۴ ۝ ۱۰۰۵ ۝ ۱۰۰۶ ۝ ۱۰۰۷ ۝ ۱۰۰۸ ۝ ۱۰۰۹ ۝ ۱۰۱۰ ۝ ۱۰۱۱ ۝ ۱۰۱۲ ۝ ۱۰۱۳ ۝ ۱۰۱۴ ۝ ۱۰۱۵ ۝ ۱۰۱۶ ۝ ۱۰۱۷ ۝ ۱۰۱۸ ۝ ۱۰۱۹ ۝ ۱۰۲۰ ۝ ۱۰۲۱ ۝ ۱۰۲۲ ۝ ۱۰۲۳ ۝ ۱۰۲۴ ۝ ۱۰۲۵ ۝ ۱۰۲۶ ۝ ۱۰۲۷ ۝ ۱۰۲۸ ۝ ۱۰۲۹ ۝ ۱۰۳۰ ۝ ۱۰۳۱ ۝ ۱۰۳۲ ۝ ۱۰۳۳ ۝ ۱۰۳۴ ۝ ۱۰۳۵ ۝ ۱۰۳۶ ۝ ۱۰۳۷ ۝ ۱۰۳۸ ۝ ۱۰۳۹ ۝ ۱۰۴۰ ۝ ۱۰۴۱ ۝ ۱۰۴۲ ۝ ۱۰۴۳ ۝ ۱۰۴۴ ۝ ۱۰۴۵ ۝ ۱۰۴۶ ۝ ۱۰۴۷ ۝ ۱۰۴۸ ۝ ۱۰۴۹ ۝ ۱۰۵۰ ۝ ۱۰۵۱ ۝ ۱۰۵۲ ۝ ۱۰۵۳ ۝ ۱۰۵۴ ۝ ۱۰۵۵ ۝ ۱۰۵۶ ۝ ۱۰۵۷ ۝ ۱۰۵۸ ۝ ۱۰۵۹ ۝ ۱۰۶۰ ۝ ۱۰۶۱ ۝ ۱۰۶۲ ۝ ۱۰۶۳ ۝ ۱۰۶۴ ۝ ۱۰۶۵ ۝ ۱۰۶۶ ۝ ۱۰۶۷ ۝ ۱۰۶۸ ۝ ۱۰۶۹ ۝ ۱۰۷۰ ۝ ۱۰۷۱ ۝ ۱۰۷۲ ۝ ۱۰۷۳ ۝ ۱۰۷۴ ۝ ۱۰۷۵ ۝ ۱۰۷۶ ۝ ۱۰۷۷ ۝ ۱۰۷۸ ۝ ۱۰۷۹ ۝ ۱۰۸۰ ۝ ۱۰۸۱ ۝ ۱۰۸۲ ۝ ۱۰۸۳ ۝ ۱۰۸۴ ۝ ۱۰۸۵ ۝ ۱۰۸۶ ۝ ۱۰۸۷ ۝ ۱۰۸۸ ۝ ۱۰۸۹ ۝ ۱۰۹۰ ۝ ۱۰۹۱ ۝ ۱۰۹۲ ۝ ۱۰۹۳ ۝ ۱۰۹۴ ۝ ۱۰۹۵ ۝ ۱۰۹۶ ۝ ۱۰۹۷ ۝ ۱۰۹۸ ۝ ۱۰۹۹ ۝ ۱۱۰۰ ۝ ۱۱۰۱ ۝ ۱۱۰۲ ۝ ۱۱۰۳ ۝ ۱۱۰۴ ۝ ۱۱۰۵ ۝ ۱۱۰۶ ۝ ۱۱۰۷ ۝ ۱۱۰۸ ۝ ۱۱۰۹ ۝ ۱۱۱۰ ۝ ۱۱۱۱ ۝ ۱۱۱۲ ۝ ۱۱۱۳ ۝ ۱۱۱۴ ۝ ۱۱۱۵ ۝ ۱۱۱۶ ۝ ۱۱۱۷ ۝ ۱۱۱۸ ۝ ۱۱۱۹ ۝ ۱۱۲۰ ۝ ۱۱۲۱ ۝ ۱۱۲۲ ۝ ۱۱۲۳ ۝ ۱۱۲۴ ۝ ۱۱۲۵ ۝ ۱۱۲۶ ۝ ۱۱۲۷ ۝ ۱۱۲۸ ۝ ۱۱۲۹ ۝ ۱۱۳۰ ۝ ۱۱۳۱ ۝ ۱۱۳۲ ۝ ۱۱۳۳ ۝ ۱۱۳۴ ۝ ۱۱۳۵ ۝ ۱۱۳۶ ۝ ۱۱۳۷ ۝ ۱۱۳۸ ۝ ۱۱۳۹ ۝ ۱۱۴۰ ۝ ۱۱۴۱ ۝ ۱۱۴۲ ۝ ۱۱۴۳ ۝ ۱۱۴۴ ۝ ۱۱۴۵ ۝ ۱۱۴۶ ۝ ۱۱۴۷ ۝ ۱

الْكِتَابِ^(١) . ویدلّه قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ فَسَأَلْتُ أَوْدِيَةَ بِقَدَرِهَا ﴾^(٣) ؛ أى بقدر مياها .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾^(٤) ؛ أى همّ بدفنها ، أى عن نفسه فى هذا التأويل بتزيه يوسف صلى الله عليه وسلم عما لا يليق به ؛ لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصفات والكبائر ، وعليه فينبى الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ .

تَشْيِيهِ

[فى جواز حذف للضاف مع الالتفات إليه]

اعلم أن للضاف إذا علم جاز حذفه مع الالتفات إليه ؛ فيعامل معاملة المفعول به ؛ من عَوْد الضمير عليه . ومع أطراحه يصير الحكم فى عَوْد الضمير للتمام مقامه .

فمثال استهلاك حكمه وتناسى أمره قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ ﴾^(٥) : فإن الضمير فى ﴿ يَفْشَاهُ ﴾ مائد على للضاف المحذوف بتقدير أو كذا ظلمات .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾^(٦) أى كمثل ذوى صيب ؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجوعاً فى قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَسَاسَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾^(٧) ؛ ولو لم يراع لأفرده أيضاً .

(٢) سورة البقرة ١٥٩

(٤) سورة يوسف ٢٤

(٦) سورة البقرة ١٩

(١) سورة البقرة ١٥٩

(٣) سورة الرعد ١٧

(٥) سورة النور ٤٠

وقوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ ^(١) ، ولولا ذلك لحذفت التاء ؛ لأن القوم مذكور ،
ومنه قول حسان :

يَسْتَقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَقُّ بِالرَّحِيقِ السَّكَلِ ^(٢)
بالياء ، أى ماء بردى ، ولوراعى للذكور لأنى بالتاء .

قالوا : وقد جاء فى آية واحدة مراعاة التانيث والحذوف ، وهى قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ
ثَمَرَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ^(٣) أنث الضمير فى ﴿ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ،
و﴿ فَجَاءَهَا ﴾ ، لإعادتهما على القرية للتوثقة ، وهى الناجزة ، ثم قال : ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾
ثانى بضمير مَنْ يقل حلا على « أهلها » الحذوف .

وفى تأويل إعادة الضمير على التانيث وجهان : أحدهما أنه لما قام مقام الحذوف ما زمت
للعامة معه . والثانى أن يقدّر فى الثانى حذف للضاف ؛ كما قدّر فى الأول . فإذا قلت :
سألت القرية وضربتها ، فعمناه : وضربت أهلها ، لحذف للضاف كما حذف من الأول
إذ وجه الجواز قائم .

وقيل : هنا مضاف محذوف ، ولغنى أهلكنّا أهلها . وبيانا ، حال منهم ، أى مبيتين
و ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ^(٤) جملة مطبوعة عليها ، ومحلها النصب .

وأنكر الشاذلين مراعاة الحذوف ، وأوّل ما سبق على أنه من باب الحل على المعنى
ونقله عن الحقيقين ؛ لأن القوم جماعة ولهذا يؤنث تانيث الجمع ، نحو هى الرجال ؛ وجمع
التكسير عندهم مؤنث وأسماء الجوع تجرى مجراها ، وعلى هذا جاء التانيث ، لاهل الحذف ؛
وكذا القول فى البيت .

(١) سورة الشعراء ١٠٥

(٢) ديوانه ٣٠٩ . البريس وبردى : نهران بدمشق . ويصق : يمزج ، ولم يقل « مصق » والرحيق :

(٣) سورة الأعراف ٤

الحمر البيضاء . والسلك : البيئة الصالحة .

وفي قراءة بعضهم : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(١) ، قدروه « عرض الآخرة » .
والأحسن أن يقدّر: « ثواب الآخرة » ؛ لأن العَرْضَ لا يبقى ، بخلاف الثواب .

حذف المضاف إليه

وهو أقل استعمالاً ، كقوله : ﴿كُلٌّ فِي فَלْكَ يَسْبَحُونَ﴾^(٢) .
وقوله : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) .
وكذا كل ما قُطِعَ عن الإضافة ، وما وجبت إضافته معنى لا لفظاً ، كقوله تعالى :
﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٤) ، أى من قبل ذلك ومن بعده .

حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف للمضاف إلى مضاف ؛ فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث ، كقوله تعالى :
﴿وَنَجْمُونَ رِزْقَكُمْ﴾^(٥) أى بدل شكر رزقكم .
وقوله : ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٦) ، أى كدوران
عين الذى يفسى عليه من الموت .

وقيل : الرزق فى الآية الأولى الخط والنصيب ؛ فلا حاجة إلى تقدير . وكذلك ،
إذا قدرنا فى الثانية « كالذى » حالاً من الماء وللم فى « أعينهم » ، لأن المضاف بعض
فلا تقدير .

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٤) سورة الروم ٤

(٦) سورة الأحزاب ١٩

(١) سورة الأهل ٦٢

(٣) سورة البقرة ٢٥٣

(٥) سورة الواقعة ٨٢

وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١)، وقدره أبو الفتح في «المختب» على أفعال أهل النار.

وأما قوله: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٢) فالتقدير من مداناة الموت أو مقاربه؛ ولا يتكرر عسره على الإنسان ولكن إذا دُفِع إلى أمر هابه.

ومثله الآية الأخرى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٣).

وقوله: ﴿تَبَيَّنَتْ قَبْضَةٌ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ﴾^(٤)، أى من أثر حافر فرس الرسول.

وقوله: ﴿مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(٥)، أى من أموال كفار أهل القرى.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٦)، أى من أفعال ذوى قوى القلوب.

وقوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ...﴾^(٧) الآية، فإن التقدير كمثل ذوى صيب، لحذف المضاف والمضاف إليه، أما حذف المضاف فقرينة عطفه على: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٨) وأما المضاف إليه فلدلالة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾^(٩) عليه فأعاد الضمير عليه مجوعاً، وإنما صير إلى هذا التقدير؛ لأن التشبيه بين صفة للناقين وصفة ذوى الصيب، لا بين صفة للناقين وذوى الصيب.

حذف الجار والمجرور

كقوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾^(١٠)، أى بسىء «وَأَخَّرَ سَيِّئًا»^(١١) أى بصلح.

(٢) سورة الأحزاب ١٩

(٤) سورة طه ٩٦

(٦) سورة الحج ٣٢

(٨) سورة البقرة ١٧

(١٠) سورة البقرة ١٠٢

(١) سورة البقرة ١٧٥

(٣) سورة القتال ٢٠

(٥) سورة المفسر ٧

(٧) سورة البقرة ١٩

(٩) سورة البقرة ١٩

وكذا بعد أفضل التفضيل، كقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(١) ، أى من كل شئ .

﴿ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾^(٢) أى من السرّ ، وكلام الزخشرى فى الفصل يقتضى أنه مما قطع^(٣) فيه عن متعلّقه قصداً لنفى الزيادة ، نحو فلان يعطى ، ليكون كالفضل المتمدّى . إذا جعل تامرا للبالة ؛ فلى هذا لا يكون من الحذف ، فإنه قال : أفضل التفضيل له معنيان : أحدهما أن يراد أنه زائد على اللّضاف إليه فى الجملة التى هو وهم فيها شركاء . والثانى أن يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً ، ثم يضاف للتفضيل على اللّضاف إليه ؛ لكن بمجرد التخصيص كما يضاف مالا تفضيل فيه ؛ نحو قوفاك : الناقص والأشبح أعدلا بى مروان كأنك قلت : عادلا . انتهى .

حذف الموصوف

يشترط فيه أمران :

- ١ . ها : كون الصفة خاصة بالموصوف ؛ حتى يحصل العلم بالموصوف ؛ ففى كانت امتنع حذف للموصوف . نص عليه سيبويه فى آخر باب ترجمة « هذا باب مجارى أو آخر الكلم العربية » . وكذلك نص عليه أرسطاطاليس فى كتابه الخطابة .
- الثانى : أن يستمد على مجرد الصفة من حيث هى ، لتعلق غرض السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٥) ؛ فإن الاعتماد فى سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من اللّوح أو القلم بها .

(٢) سورة طه ٧

(٤) سورة آل عمران ١١٥

(١) سورة النكوب ٤٥

(٣) للفصل ص ٢٢٤ -

(٥) سورة البقرة ٩٥

- كقوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُقِ﴾ ^(١) ، أى حور قاصرات .
 وقوله : ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ ^(٢) ، أى وجنة دانية .
 وقوله : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ ^(٣) ، أى العبد الشكور .
 وقوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٤) ، أى القوم المتقين .
 وقوله : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ ^(٥) ، أى سفينة ذات ألواح .
 وقوله : ﴿ذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ^(٦) ، أى الأمة القیمة .
 وقوله : ﴿أَنِ اتَّخَذَ سَابِقَاتٍ﴾ ^(٧) ، أى دروعاً سابقات .
 وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ ^(٨) ، أى يا أيها الرجل الساحر .
 وقوله : ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ^(٩) ، أى القوم للمؤمنون .
 وقوله : ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ^(١٠) ، أى عملاً صالحاً .

حذف الصفة

- وأكثر ما يرد للتضخيم والتعظيم في النكرات، وكان التنكير حينئذ علم عليه، كقوله تعالى :
 ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ ^(١١) ، أى وزناً نافعاً .
 وقوله : ﴿الَّذِي أَطْمَسَهُمْ مِنْ جُورِ وَأَمْرِهِمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ^(١٢) ، أى من جوع شديد
 وخوف عظيم .

- وقوله : ﴿يَأْمُرُ الْكِتَابَ لَسْمُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ^(١٣) ، أى شئ نافع .

(١) سورة الصافات ٤٨	(٢) سورة الإنسان ١٤
(٣) سورة سبأ ١٣	(٤) سورة البقرة ٢
(٥) سورة القمر ١٣	(٦) سورة البينة ٥
(٧) سورة سبأ ١١	(٨) سورة الزخرف ٤٩
(٩) سورة النور ٣١	(١٠) سورة النقص ٦٧
(١١) سورة الكهف ١٠٥	(١٢) سورة قريش ٤
(١٣) سورة المائدة ٦٨	

وقوله : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، أى سلطت عليه .
 وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، أى جامعاً لأكل كل صفات الرسل .
 وقوله : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ^(٣) ، أى صالحة . وقيل : إنها قراءة ابن عباس . وفيه بحث وهو أن لا نسلم الإجماع ، بل هو عام مخصوص .
 وقوله : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ كَثِيرَةً وَشِرَابٍ ﴾ ^(٤) ، أى كثير ، بدليل ما قبله .
 ويحى في العرف ، كقوله تعالى : ﴿ الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٥) ، أى للبين .
 وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا الْكُفْرَ ﴾ ^(٦) ، أى الناس الذين ينادونكم
 وقوله : ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ^(٧) ؛ أى الناجين .
 وقوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ ^(٨) ؛ أى قومك للماندون .
 ومنه : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ ^(٩) ،
 أى من أولى الضرر ، ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ﴾ ؛ أى من غير أولى الضرر .
 قاله ابن مالك وغيره ، وبهذا التقدير يزول إشكال التكرار من الآية .
 وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ لَبِثُ فِيكُمْ كُفْرًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ ^(١٠) أى لم أتل عليكم فيه شيئاً ،
 غفقت الصفة أو الحال ، قيل والمر هنا أربعون سنة .

حذف المطفوف

قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَا يَنْظُرُوا ﴾ ^(١١) ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ ^(١٢) ، ﴿ أُنْظِرُوا إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ ^(١٣)
 التقدير : أعموا ! أمكنوا ! كفرتم !

(٢) سورة النساء ٧٩	(١) سورة القاريات ٤٢
(٤) سورة ص ٥١	(٣) سورة الكهف ٧٩
(٦) سورة آل عمران ١٧٣	(٥) سورة البقرة ٧١
	(٧) سورة هود ٤٦
(٩) سورة النساء ٩٥	(٨) سورة الأنعام ٦٦
(١١) سورة الأعراف ١٨٥	(١٠) سورة يونس ١٦
(١٣) سورة يونس ٥١	(١٢) سورة يوسف ١٠٩

وقوله : ﴿ مَا شَهِدْنَا مَوْلَاكُمْ أَهْلَهُ ﴾ ^(١) ، أى ما شهدنا مولاكم أهلهم ومهلككم ، بدليل قوله : ﴿ لَنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ ﴾ ^(٢) ؛ وما روى أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله ؛ وعلى هذا قولهم : ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ^(٣) كذب فى الإخبار ، وأوهوا قومهم أنهم قتله وأهله سرّاً ولم يشمر بهم أحد ؛ وقالوا تلك المقالة يوهمون أنهم صادقون ، وهم كاذبون .
ويمحتمل أن يكون من حذف للمطوف عليه ؛ أى ما شهدنا مهلككم ومهلك أهله .
وقال بعض المتأخرين : أصله ما شهدنا مهلك أهلك بالخطاب ؛ ثم عدل عنه إلى الغيبة ، فلا حذف .

وقد يحذف للمطوف مع حرف المطف ، مثل : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ ^(٥) ؛ أى أمرنا مترفيها ، ففعلوا الأمر ، ففسقوا . وبهذا التفسير يزول الإشكال من الآية ؛ وأنه ليس الفسق مأموراً به . ويمحتمل أن يكون : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ صفة للقريه لا جواباً لقوله : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، التفسير : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ؛ ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استغناء بالسياق ، كافي قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ^(٦) .

حذف المطوف عليه

﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَبْحًا وَلَوْ أَتَىٰ بِهِ ﴾ ^(٧) ، أى لو ملكه ولو أتى به .

(٢) سورة الحديد ١٠

(٤) سورة الزمر ٧٣

(١) سورة النمل ٤٩

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٥) سورة آل عمران ٩١

ويجوز حذفه مع حرف المطف، كقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١)، أى فأفطر فعدة .

وقوله: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِمَصَّاكَ الْبَحْرَ فَأَتَلَقَ﴾^(٢) التقدير: فضرب فأطلق، فحذف للمطوف عليه، وهو «ضرب»، وحرف المطف وهو الفاء للتصلة: «أتلق»^(٣) فصار: «فأتلق» فالفاء الساخنة، على «أفلق»^(٤) هى الفاء التى كانت متصلة: «ضرب» وأما للتصلة: «أفلق» فمحذوفة .

كذا زعم ابن عصفور والأبدي^(٥) قالوا: والذى دل على ذلك أن حرف المطف إنما نوى به مشاركة الأول للثاني؛ فإذا حذف أحد التفتين—أعنى لفظاً للمطوف أو للمطوف عليه—ينبنى ألا يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله .

وقال ابن الضائع: ليس هذا من الحذف بل من إقامة للمطوف مقام للمطوف عليه؛ لأنه سببه، ويقام السبب كثيراً مقام سببه؛ وليس ما بعدها معطوفاً على الجواب؛ بل صار هو الجواب؛ بدليل «فانجست» هو جواب الأمر .

حذف المبدل منه

اختلفوا فيه، وخرج عليه قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ . هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾^(٦)

حذف الموصول

قوله: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾^(٧)، أى والذى أنزل إليكم؛ لأن «الذى أنزل إلينا» ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا؛ ولذلك أضيفت «ما» بد «ما»

(١) سورة الشعراء ٦٣

(٢) سورة البقرة ١٨٤

(٣) سورة النحل ١١٧ وقوله: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ يدل من الكسب .

(٤) سورة النكيت ٤٦

في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ﴾^(١). وهو نظير قوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٣). وقوله: ﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾^(٤) أى من له. وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواب الحذف كونه مبطوطاً على موصول آخر؛ ويؤيده هذه الآية. قال: ولا يحذف موصول حرفي إلا «أن»، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرَقَ﴾^(٥).

حذف المخصوص في باب نم

إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿نِمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٦) التقدير: نم العبد أيوب، أو نم العبد هو، لأن التصة في ذكر أيوب؛ فإن قدرت: نم العبد هو؛ لم يكن «هو» عائداً على العبد بل على أيوب:

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ وَسَلْيَانَ نِمْ الْعَبْدُ﴾^(٧)، فسليان هو المخصوص للملوح، وإنما لم يكرر لأنه تقدم منصوباً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا فَنِمَّ الْقَادِرُونَ﴾^(٨)، أى نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنِمَّ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^(٩)، أى الجنة، أو دارم.

﴿فَنِمَّ عَقْبَى الدَّارِ﴾^(١٠)، أى عقبام.

(٢) سورة النساء ١٣٦

(٤) سورة الصافات ٦٤

(٦) سورة ص ٣٠

(٨) سورة الرسلات ٢٣

(١٠) سورة الرعد ٢٤

(١) سورة البقرة ١٣٦

(٣) سورة الرعد ١٠

(٥) سورة الروم ٢٤

(٧) سورة ص ٣٠

(٩) سورة النحل ٣٠

﴿وَنِمَّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(١)، أى أجرهم.

وقال: ﴿لَيْسَ آتَوَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(٢) أى من ضربه أقرب من نفسه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَنْتَهِمَا بِأَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾^(٣)، أى إيمانكم بما أنزل عليكم، وكفركم بما وراه.

وقد محذف الفاعل والمخصوص، كقوله تعالى: ﴿يَنْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٤)، أى ينس البدل لإبليس وذريته، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «فَهَا وَنَمَتَ»، أى نمت الرخصة.

حذف الضمير المنصوب المتصل

يقع في أربعة أبواب:

أحدها: الصلة، كقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٥).

الثاني: الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٦)، أى فيه، بدليل قوله: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٧) ولعلك يقدّر في الجمل للعلوف على الأولى؛ لأن حكمهن حكمها، فالتقدير: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٨) فيه.

ثم اختفوا، قال الأخفش: حذفت على التدرج؛ أى حذف المطف فاقصل الضمير، محذف. وقال سيبويه: حذفاً مماً لأول وهلة.

(١) سورة آل عمران ١٣٦

(٢) سورة الحج ١٣، وقبلها: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْسِهِ لَيْسَ...﴾.

(٣) سورة البقرة ٩٣

(٤) سورة الكهف ٥٠

(٥) سورة الفرقان ٤٦، والتقدير: «بته». (٦) سورة البقرة ٤٨

وقيل : عُدِّيَ القمل إلى الضمير أولاً انشاعاً ، وهو قول الفارسي .
وجعل الواحدى من هذا قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً ﴾ ^(١) ،
أى منه . وقوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ^(٢) ، أى ما للظالمين منه .
وفيه نظر ؛ أما الأولى فلأن ﴿ يُغْنِي ﴾ جملة قد أُضيف إليها اسم الزمان ، وليست صفة .
وقد نصوا على أن عود ضمير إلى اللصاف من الجملة التى أُضيف إليها الظرف غير
جائز ؛ حتى قال ابن السراج : فإن قلت : أعجبنى يوم قت فيه امتنعت الإضافة ؛ لأن الجملة
حينئذ صفة ، ولا يضاف موصوف إلى صفته . قال ابن مالك : وهذا مما خفى على أكثر
النحويين . وأما الثانية ؛ فكأنه يريد أن ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبٍ ﴾ صفة ليوم ، للضاف
إليها الأزمنة ؛ وذلك متعذر ؛ لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، والظاهر أن الجملة حال منه ،
ثم حذف المائد الجبور : « في » ، كما يحذف من الصفة .
الثالث : الخبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ وَعْدَ اللَّهِ أَحْسَنُ ﴾ ^(٣) فى قراءة ابن عسار .
الرابع : الحال .

تَشْبِيه

[عن ابن الشجرى فى تفاوت أنواع الحذف]

قال ابن الشجرى : أقوى هذه الأمور فى الحذف الصلة ، لطول الكلام فيها ؛
لأنه أربع كلمات ؛ نحو : جاء الذى ضربت ؛ وهو : للوصول ، والقمل ، والفاعل ، وللنقول .
ثم الصفة ؛ لأنّ للوصوف قائم بنفسه ، وإنما أتى بالصفة للتوضيح . ثم الخبر ؛ لافصاله عن
المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه .

(٢) سورة اللّؤم ١٨

(١) سورة النّخان ٣١

(٣) سورة النّساء ٩٥

وجه التفاوت أن الصفة رتبة متوسطة بين الصلة والخبر ؛ لأن الموصول وصلته كالكلمة الواحدة ، ولهذا لا يفصل بينهما ؛ والصفة دونها في ذلك ؛ ولهذا يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، والخبر دون ذلك ، فكان الحذف أكد في الصلة من الصفة ، لأن هناك شيئين يدلان على الحذف ؛ الصفة تستدعي موصوفاً ، والمامل يستدعيه أيضاً .

ويستحسن ابن مالك هذا الكلام ، ولم يتكلم على الحال لرجوعه إلى الصفة .

حذف المفعول

وهو ضربان :

أحدهما : أن يكون مقصوداً مع الحذف فيتنوى لدليل ؛ ويقدر في كل موضع ما يليق به ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَمَالٌ لَّا يُرِيدُ ﴾ ^(١) أي يريده .

﴿ فَفَشَاهَا مَا غَشَى ﴾ ^(٢) أي غشاها إياه .

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ^(٣) .

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ ^(٥) .

﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ^(٦) .

وكل هذا على حذف ضمير المفعول ، وهو مراد ، حذف تحقيقاً لطول الكلام بالصفة ؛ ولولا إرادة للمفعول - وهو الضمير - لخلت الصلة من ضمير يعود على الموصول ؛ وذلك لا يجوز ؛

(٢) سورة النجم ٥٤

(٤) سورة هود ٤٣

(٦) سورة النمل ٦٢

(١) سورة البروج ١٦

(٣) سورة الرعد ٢٦

(٥) سورة النمل ٥٩

وكان في حكم اللطوق به ؛ فالدلالة عليه من وجهين : اقتضاء التعلل له ، واقتضاء الصلة إذا كان المائد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(١) في قراءة حمزة والكسائي بنير ماء ، أى ماعلته ، بدليل قراءة الباقيين ، ذ « ما » في موضع خفض للمطف على ﴿ تَمَرِهِ ﴾ .

ويموز أن تكون « ما » نافية ، وللمنى : لياكلوا من ثمره ولم يعمل أيديهم ؛ فيكون أبلغ في الامتنان . ويقوى ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ . أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَرِزُقُونَ ﴾ ^(٢) ؛ وعلى هذا فلا تكون الماء مريدة ، لأنها غير موصولة .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿ وَيَشْرَبُ بِمَا تُشْرَبُونَ ﴾ ^(٣) ، وهو فاسد ، لأن « شرب » يتعدى بنفسه .

والفرض حينئذٍ بالخلف أمور :

منها : قصد الاختصار عند قيام القرائن ؛ والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ^(٤) ، لظهور أن المراد : أرني ذاك . ويحتمل أن يكون هابك الوجهة بذلك ، ثم براه الشوق . ويموز أن يكون آخر لياتى به مع الأصرح ؛ لتلا بتركز هذا للطلوب العظيم على الوجهة لإجلال .

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾ ^(٥) ؛ الظاهر أنه متعدي حذف مفعوله ؛ أى تأجرنى نفسك .

وجعل منه السكاكى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ

(١) سورة يس ٣٥ ؛ وقيل : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ﴾ .

(٢) سورة المؤمن ٣٣

(٣) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤

(٤) سورة القصص ٢٧

(٥) سورة الأعراف ١٤٣

الرَّعَاءُ ﴿١٩﴾ فَنُفِرَ أَيْ بَكَسَرِ الْفَالِ مِنْ ﴿يُصْدِرُ﴾ فَإِنَّهُ خَلَفَ الْفَعُولَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ مِنَ الضَّرْبِ الثَّانِي كَمَا سَنَبَيْنَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وقوله : ﴿فَإِذَا أَقْسَمْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ ^(١٩) ، أَيْ أَهْضَمَ .

وقوله : ﴿فَذَوْقُوا بِمَا تَكَيْمْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ ^(٢٠) ، أَيْ فَذَوْقُوا الْعَذَابَ .

وقوله : ﴿إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ^(٢١) ، أَيْ نَاسًا أَوْ فَرِيقًا .

وقوله : ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ ^(٢٢) ، أَيْ شَيْئًا .

وقوله : ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ ^(٢٣) ، أَيْ غَيْرَ السَّمَوَاتِ .

وقوله : ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ^(٢٤) ؛ عَلَى أَنَّ الدَّعَاءَ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ ؛

الَّتِي تَهْدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ ؛ أَيْ سَمَوْهُ اللَّهُ ، أَوْ سَمَوْهُ الرَّحْمَنُ ؛ أَيْ مَا تَسَمَّاهُ ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلرَّادِّ بِمَعْنَى الدَّعَاءِ لِلتَّهْدِي لِوَاحِدٍ لَمْ يَكُنِ الشَّرْكَ إِنْ كَانَ مَسْتَى اللَّهِ غَيْرَ

مَسْتَى الرَّحْمَنِ ؛ وَعُطِفَ الشَّيْءُ عَلَى غَسِّهِ إِنْ كَانَ عَيْنُهُ .

ومنها قصد الاحتضار كقولهِ : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِلْأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ^(٢٥) ؛ أَيْ الْكَفَّارَ .

ومنها قصد التعميم ؛ وَلَا سِيَّامَا إِذَا كَانَ فِي حَيْزِ النَّفْيِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا تُفْنِي

الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢٦) . وَكَذَا ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢٧) وَكَثِيرًا

مَا يَسْتَرَى الْخَلْفَ فِي رِوَايَةِ الْآيَةِ نَحْوُ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢٨) .

و ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ^(٢٩) .

- (٢) سورة البقرة ١٩٨
(٤) سورة إبراهيم ٢٧
(٦) سورة إبراهيم ٤٨
(٨) سورة المجادلة ٢١
(١٠) سورة الأعراف ٧٢
(١٢) سورة الأعراف ٥٨

- (١) سورة القصص ١٢٢
(٣) سورة السجدة ١٤
(٥) سورة البقرة ٦١
(٧) سورة الإسراء ١١٠
(٩) سورة يونس ١٠١
(١١) سورة البقرة ١٠٢

﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾^(١) .

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٢) .

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(٣)

﴿ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٤) .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

وكذا كل موضع كان الفرض إثبات للمعنى الذى دلّ عليه الفعل لفاعل غير متعلق بغيره .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾^(٦) ، أى كل أحد ، لأن الدعوة عامة

والهداية خاصة .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ ذُرِّيَّتُهُمْ يَحْشُرُونَ ﴾^(٧) ، فكال ووزن

يتمدان إلى مفعولين : أحدهما باللام ، والتقدير : كالوا لهم ووزنوا لهم ، وحذف للفعل الثانى قصد التسميم .

وما ذكرناه من كون « هم » منصوباً فى الموضع بدل اللام هو الظاهر ، وقوره

ابن السجرى فى أماليه ، قال : وأخطأ بعض المتأولين حيث زعم أن « هم » ضمير

مرفوع أكتت به الواو كالضمير فى قولك : « خرجوا هم » ، فـ « هم » على هذا التأويل

ماد على اللطفين .

ويدل على بطلان هذا القول أمران :

(٢) سورة القصص ٧٢

(٤) سورة البقرة ١٤

(٦) سورة يونس ٢٤

(١) سورة القصص ٧١

(٣) سورة البقرة ٧٧

(٥) سورة البقرة ٢٢

(٧) سورة اللطيفين ٣

أحدهما : علم ثبوت الألف في « كالوم » و « وزنوم » ؛ ولو كان كقَالَ لا يَجْتُمِعُ
في خط للمصنف ؛ كما أجمِعُها في قوله تعالى : ﴿ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ ^(١) ﴿ قَالُوا
لَنَجِيَّ لَهُمْ ﴾ ^(٢) ونحوه .

والثاني أن تقدم ذكر « الناس » بدل على أن الضمير راجع إليهم ؛ فالمعنى : ﴿ إذا
اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ ^(٣) وإذا كالوا الناس أو وزنوا الناس يخسرون .

وجعل الزخشرى من حذف للقول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيُمِئْتَهُ ﴾ ^(٤) ؛ أى في الصر . وعند أبي علي أن الشهر ظرف ، والتقدير فمن شهد منكم
للصر في الشهر .

ومنها تقدم مثله في اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَمْخُوْا لَهُ مَا يَشَاءُ وَيُؤْتِي ﴾ ^(٥) ، أى
ويؤتي ما يشاء .

فما كان للقول الثاني بلفظ الأول في عمومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه ، لعل
ما ذكر عليه ، كقوله : ﴿ اذْقَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ^(٧) أى غير السموات .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَتَى مِنَ الْقِبْلَةِ الْقِبْلَةِ وَقَاتَلَ ﴾ ^(٨) ، أى ومن
أتى من بيته وقَاتَلَ ؛ بدليل ما بعده .

وقوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَتَسَوِّفَ يَبْصُرُونَ ﴾ ^(٩) أى أبصرهم ، بدليل قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ ^(١٠) .

وسبق عن ابن ظفر السر في ذكر للقول في الأول وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة

(٢) سورة البقرة ٢٤٦

(٤) سورة البقرة ١٨٥

(٦) سورة المؤمنون ٩٦

(٨) سورة الحديد ١٠

(١٠) سورة الصافات ١٧٥

(١) سورة البقرة ٢٤٣

(٣) سورة المطففين ٢

(٥) سورة الرعد ٣٩

(٧) سورة إبراهيم ٤٨

(٩) سورة الصافات ١٧٩

أن الأولى اختضت نزول العذاب بهم يوم بدر ، فلما تضمنت التشقى قيل : ﴿ أبصرهم ﴾ .
وأما الثانى فالمراد بها يوم الفتح ؛ واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والاعاء إلى إيمانهم ؛
فلم يكن وقتا للتشقى بل للبروز ؛ قيل له : ﴿ أبصر ﴾ ، وللعنى : فيبصرون منك عليهم .
وقوله : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ ^(١) ، أى وعدكم ربكم ؛ غذف لدلالة قوله
قبله : ﴿ مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ ^(٢) ، قاله الزمخشري .

وقد يقال : أطلق ذلك ليقنول كل ما وعد الله من الحساب والبعث والثواب
والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا يكذبون بذلك أجمع ، ولأن الموعد كله
مما ساءهم ؛ وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم ، فأطلق لتلك ليكون من الضرب الآتى .
وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٣) .

ومنها رعاية الفاصلة ، نحو : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَبْلَ ﴾ ^(٤) أى ما فلاك ، غذف للنقول ، لأن فواصل الآى على الألف .
ويحتمل أنه للاختصار لظهور المحذوف قبله ؛ أى أفن شرح الله صدره للإسلام
كمن أقسى قلبه ؛ فعذف لدلالة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ ﴾ ^(٥) .

ومنها البيان بعد الإبهام كافى مفعول للشيئة والإرادة ، فإنهم لا يكادون يذكرونه ،
كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(٦) .
﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ﴾ ^(٧) .

(٢) سورة الزمر ٢٢

(٤) سورة البقرة ٢٠

(١) سورة الأعراف ٤٤

(٣) سورة النحى ١ - ٣

(٥) سورة الأنعام ٣٥

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٢).

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾^(٣).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾^(٤).

التقدير : لو شاء الله أن يجعل ذلك فعل .

وشرط ابن النحوية^(٥) في حذفة دخول أداة الشرط عليه كما سبق من قوله : ﴿فَإِنْ

يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٦).

و ﴿لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٧).

﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).

والحكمة في كثرة حذف مفعول للشيئة للالتزام لضمون الجواب لا يمكن أن تكون

إلا مثلية الجواب ؛ ولعل كانت الإرادة كالشيئة في جواز أطراد حذف مفعولها ؛ صرح به

الزمخشري في تفسير سورة البقرة ، وابن الزمكاني في البرهان^(٩) ، والتنوخى في الأقصى^(١٠) ؛

كقوله : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١١) ، وإنما حذفه لأن في الآية قبلها

ما يدل على أنهم أمروا بالكذب ؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله ، فلو ذكر أيضاً لكان

(٢) سورة الثورى ٢٤

(١) سورة النحل ٩

(٤) سورة الجيلة ١٣

(٣) سورة الأنعام ٣٩

(٥) هو ابن يعقوب بن إلياس الدمشقي الإمام بدر الدين للعروف بابن النحوية ؛ انحصر للمصباح لبدر

الدين بن مالك في اللغات ، وسماه ضوء المصباح وشرحه ؛ توفي سنة ٧١٨ . بنية الرواة ١١٧

(٧) سورة الأتقال ٣١

(٦) سورة الثورى ٢٤

(٨) سورة الأنعام ٣٩

(٩) هو كمال الدين محمد بن علي بن الزمكاني ، توفي سنة ٧٢٧ ؛ ذكره صاحب كشف القانون .

(١٠) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخى ؛ صاحب كتاب أقصى القرب في صناعة الأدب ؛ ذكره

صاحب كشف القانون .

(١١) سورة الصف ٨

كالسكر؛ غذف وفسر بقوله: ﴿لِيُظْهِرُوا نُوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاعِهِمْ﴾^(١)؛ وكان في الحذف تنبيه على هذا اللفظ القريب :-

وينبغي أن يسهل في تقدير مفعول المشيئة؛ فإنه يختلف اللفظ بحسب التقدير؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٢)؛ فلفظ التقدير كما قاله عبد القاهر الجرجاني: ولو شئنا أن تؤتي كل نفس هداها لآتيناهها، لا يصح إلا على ذلك؛ لأنه إن لم يقدر هذا للمفعول أذى والىاذ بالله إلى أمر عظيم، وهو نقي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق؛ لأن من شأن «لو» أن يكون الإثبات بلها نفيًا، ألا ترى أنك إذا قلت: لو جئتني أعطيتك، كان اللفظ على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾^(٣)؛ فقد رده النحويون: فلم نشأ فلم نرعه.

وقال ابن الخطيب: الصواب أن يكون التقدير «لم نرعه فلم نشأ»، لأن نقي اللازم يوجب نقي للزوم، فوجود للزوم يوجب وجود اللازم؛ فيلزم من وجود للشيئة وجود الرفع، ومن نقي الرفع نقي للشيئة؛ وأما نقي للزوم فلا يوجب نقي اللازم، ولا وجود اللازم وجود للزوم. انتهى

ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤)، فإن المتصور انقضاء وجود الآلهة لا انتفاء لازمها وهو الفساد.

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأول شرطًا للثاني، لأنهم عدوا «لو» من حروف الشرط، وانقضاء الشرط يوجب انتفاء للشروط. وقد يكون الشرط مساويًا للشروط؛ بحيث يلزم من وجوده وحود الشروط، ومن علمه علمه. والمتصور في الآية تحليل علم الرفع بعلم المشيئة لا العكس.

(١) سورة السجدة ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٢٢

(١) سورة الصف ٨

(٢) سورة الأعراف ١٧٦

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، جعل انقضاء الملزوم سبباً لانقضاء اللازم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى؛ فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم. والقاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُم﴾ للسببية، وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكرم؛ ولعل ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد، مع أن القول ما قاله ابن الخباز. وأما ما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يتدح في القضية الكلية؛ ألا ترى أنا قول: الموجبة الكلية لا تنمكس كلية مع أنها تنمكس كلية في بعض الواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق، ولا يمد ذلك مبطلاً للقاعدة.

تَشْبِيهَات

التشبيه الأول

[متى يذكر مفعول للشئنة والإرادة]

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور: أحدها ما إذا كان مفعول للشئنة عظيماً أو غريباً؛ فإنه لا يحذف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ...﴾^(٢) الآية، أراد رد قول الكفار: «اتخذ الله ولداً» بما يلاحظ في اللفظ؛ ليكون أبلغ في الرد؛ لأنه لو حذفه قال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر للمعنى للراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبيي، ولو قال: «لو أراد الله لاتخذ ولداً» لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قتله.

ومثله صاحب كتاب «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب

العزيز « بقوله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ قُلُنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ^(١) . وقوله : ﴿لَنْ يَشَاءَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ^(٢) . و ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(٣) . وفيما ذكره نظر .

قلت : يعنى المذكور فى مفعول الإرادة أيضا ، إذ كان كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَخَذْ لَهُمْ نَاهُ﴾ ^(٤) .

الثانى : إذا احتيج لعود الضمير عليه ، فإنه يذكر ، كقوله : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَخَذْ لَهُمْ نَاهُ﴾ ^(٥) ، فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه .

وقد يقال : الضمير لم يرجع عليه وإنما عاد على معمول معموله .

الثالث : أن يكون السامع منكرا للذك ، أو كالنكر ، فيقصد إلى إثباته عنده ، فإن لم يكن منكرا ، فالخلف .

والحاصل أن حذف مفعول « أراد » و « شاء » لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة .

التنبيه الثانى

[فى إنكار أبى حيان للقاعدة السابقة]

أنكر الشيخ أبو حيان فى باب عوامل الجزم من شرح « التسهيل » هذه القاعدة وقال : غلط البيانون فى دعواهم لزوم حذف مفعول للشيئة ؛ إلا فيما إذا كان مستغنيا ؛ وفى القرآن : ﴿لَنْ يَشَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ^(١) . ﴿لَنْ يَشَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ^(٢) . ولم أن يقولوا : إن للمفعول هاهنا عظيم ؛ فلهذا صرح به فلا غلط

(١) سورة الشورى ٢٤

(٢) سورة الأنبياء ١٧

(٣) سورة الدثر ٣٧

(١) سورة الأفعال ٣١

(٢) سورة الأنعام ٣٩

(٣) سورة التكوين ٢٨

على القوم ؛ وأما قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ ^(١) ؛ فإذا جعلت « ما ذا » بمعنى « الذى » ؛ فمفعول « أَرَادَ » متقدّم عليه ، وإن جعلت « ذا » وحدها بمعنى « الذى » فيكون مفعول « أَرَادَ » محذوفاً ؛ وهو ضمير « ذا » ولا يجوز أن يكون « مثلاً » مفعول « أَرَادَ » لأنه أحد معموليه ولكنه حال .

فصل

وقد كثرت حذف مفعول أشياء غير ما سبق ؛ منها الصبر ، نحو : ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ ^(٢) ، ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ ^(٣) .

وقد يذكر ، نحو : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ^(٤) قال الزمخشري ^(٥) في تفسير سورة المجرات : قولهم : صبر عن كذا ^(٦) ، محذوف منه للمفعول ؛ وهو النفس . ومنها مفعول « رأى » ، كقوله : ﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَ يَرَى ﴾ ^(٧) .

قال الفارسي : الوجه أن « يرى » هنا للتمدية لمفعولين ؛ لأن رؤية الغائب لا تكون إلا علماً ، وللعق عليه قوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ ^(٨) وذكره المزمخشري ، قال : وللمفعولان محذوفان ؛ فكأنه قال : فهو يرى الغائب حاضراً ، أو حذف ؛ كما حذف في قوله : ﴿ أَيْنَ شَرَّكَاءُ كُفْرُكُمْ الَّذِينَ كُفَرْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ^(٩) ، أى تزعومونهم إياهم .

- | | |
|--|-------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٦ | (٢) سورة الطور ١٦ |
| (٣) سورة آل عمران ٢٠٠ | (٤) سورة الكهف ٢٨ |
| (٥) الكشاف ٤ : ٢٨٥ | |
| (٦) في الأصلين : « هنا » والأجود ما أتجه عن الكشاف ٤ : ٢٨٥ | |
| (٧) سورة النجم ٣٥ | (٨) سورة الجن ٢٦ |
| (٩) سورة الأنعام ٢٢ | |

وقال ابن خروف : هو من باب الحذف لدليل ، لأن المعنى دال على المفعولين ؛ أى فهو يعلم ما يفعله ويستقله حقاً وصواباً ، ولا فائدة فى الآية مع الاختصار ، لأنه لا يعلم منه المراد . وقد ذهب إليه بعض المحققين وعُدل عن الصواب .

ومنها وعدّ يتعدى إلى مفعولين ؛ ويجوز الاختصار على أحدهما كأعطيت ، قال تعالى : ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ ^(١) ، فـ « جانب » مفعول ثان ، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه . والتقدير : واعدناكم إتيانه أو مكتناً فيه .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ^(٢) .

﴿وَإِذْ يَبْدَأُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ ^(٣) فأحدى الطائفتين فى موضع نصب ؛ بأنه المفعول الثانى ؛ وأنها لكم ، بدل منه ، والتقدير : وإذ يبدؤكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها .

وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٤) ، فلم يبدأ الفعل فيها إلا إلى واحد ، (وليس تخلفهم) تفسير للوعد ومبين له ، كقوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ ^(٥) ، فالجمله الثانية تبين الوصية ، لا مفعول ثان .

وأما قوله : ﴿الَّذِينَ يَبْدَأُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا﴾ ^(٦) ، (إن الله وعدكم وعد الحق) ^(٧) فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين : انتصاب الوعد بالمصدر ، وبأنه المفعول الثانى على تسمية الموعود به وعداً .

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ^(٨) فما تعدى فيه « وعد »

(٢) سورة المائدة ٦

(٤) سورة النور ٥٥

(٦) سورة طه ٨٦

(٨) سورة البقرة ٥١

(١) سورة طه ٨٠

(٣) سورة الأفعال ٧

(٥) سورة النساء ١١

(٧) سورة المبراهيم ٢٢

إلى اثنين ، لأن « الأربعين » لو كان ظرفاً لكان الوعد في جميعه ؛ يعنى من حيث إته
معدود ، فيلزم وقوع الظروف في كل فرد من أفرادها ، وليس الوعد واقعاً في « الأربعين »
بل ولا في بعضها .

ثم قدر الواحدى وغيره محذوقاً مضافاً إلى « الأربعين » ، وجملوه للقول الثانى ،
فقالوا : التقدير : وإذا واعدنا موسى اعضاء أربعين ، أو تمام أربعين ، ثم حذف وأقيم
للمضاف إليه مقامه .

قال بعضهم : ولم يظهر لى وجه عدولهم عن كون « أربعين » هو نفس للقول إلى
تقدير هذا المحذوف ؛ إلا أن يقال : نفس الأربعين ليلة لا توعده ؛ لأنها واجبة الوقوع ،
وإنما المنى على تعليق الوعد بابتدائها وتامها ، ليرتب على الانتهاء شىء .

قلت : وقال أبو البقاء^(١) : ليس أربعين ظرفاً ؛ إذ ليس المنى وعده في أربعين .
وقال غيره : لا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه ،
ولا في بعضها .

ومنها « اتخذ » تصدى لواحد أو لاثنتين ، فن الأول قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ
نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّآتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾^(٢) ﴿ وَآتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾^(٣) ﴿ أَمْ آتَّخِذُوا
يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾^(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخِذُوا الرُّسُولَ سَبِيلًا ﴾^(٥) . ومن الثانى : ﴿ اتَّخِذُوا
أَيَّمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾^(٦) ، ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٧) ، ﴿ فَاتَّخِذْتُمْهُمْ سِخْرِيًّا ﴾^(٨)
والثانى من القولين هو الأول في المنى .

(٢) سورة الأنبياء ١٧

(٤) سورة الزخرف ١٦

(٦) سورة التافقون ٢

(٨) سورة المؤمنون ١١٠

(١) إملاء مامن به الرحمن ٢١

(٣) سورة الفرقان ٣

(٥) سورة الفرقان ٢٧

(٧) سورة المنتنة ١

قال الواحدى فأما قوله تعالى : ﴿ تَمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾^(١) وقوله :
﴿ يَا مَعْزِرُ كُمُ الْعِجْلَ ﴾^(٢) اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ^(٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ ﴾^(٤) ، فالتقدير فى هذا كله : اتَّخَذُوهُ إِلَهًا ، خذف للمفعول الثانى .

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره ؛ لكان مَنْ صاغ عجلاً أو عموه ، أو حله
بضرب من الأفعال ، استحقَّ الغضب من الله ، لقوله : ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٥) .
وفى ما قاله نظر ؛ لأن الواقع أن أولئك عبده ؛ فالتقدير على هذا فى التحدى لواحد أن
الذين اتَّخَذُوا العجل وعبده ؛ ولهذا جوز الشيخ أثر الدين فى هذه الآيات كلها أن تكون
« اتَّخَذَ » فيها متعدية إلى واحد ، قال : ويكون تَمَّ جملة محذوفة ؛ تدل على اللحن ؛ وتقديره :
« وعبدهموا إلها » ورجحه على القول الآخر بأنها لو كانت متعدية فى هذه القصة لاثبتين
لصريح بالتانى ولو فى موضع واحد .

الضرب الثانى :

ألا يكون للمفعول مقصوداً أصلاً ؛ وينزل الفعل للتعدى منزلة التماسر ؛ وذلك عند
إرادة وقوع نفس الفعل قطع ؛ وجعل المحذوف نسياً منسياً ، كما نفسى الفاعل عند بناء
الفعل ، فلا يُذكر للمفعول ، ولا يُقدر ؛ غير أنه لازم الثبوت عملاً لموضوع كل فعل
متعد ؛ لأن الفعل لا يبرى تسينه .

وبهذا يعلم أنه ليس كل ما هو لازم من موضوع الكلام مقدر فىه ، كقوله تعالى :
﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾^(٦)

(٢) سورة البقرة ٥٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٢

(٦) سورة البقرة ٢٤

(١) سورة البقرة ٥١

(٣) سورة الأعراف ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ١٥٢

وقوله : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾^(١) ، لأنه لم يرد الأكل من متين ، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين .

وقوله : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْشُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْشُونَ﴾^(٢) ، ويسمى للفعل حينئذٍ مجازاً .

ولما كان التحقيق أنه لا يمد هذا من المحذوف ، فإنه لا حذف فيه بالكليّة ؛ ولكن تبين في العبارة ؛ نحو فلان يعطى ؛ قاصداً أنه فعل الإعطاء . وتوجد هذه الحقيقة إيهاماً للبالغة بخلاف ما قصد فيه تميم الفعل ؛ نحو : هو يعطى ويمنع ؛ فإنه أعمّ تناولا ؛ من قولك : يعطى الدرهم ويمنعه ؛ والتألب أن هذا يستعمل في النفي ، كقوله : ﴿وَرَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(٣) ، والآخر في الإثبات ، كقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٤) .

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى : ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾^(٧) الخ الآية ؛ حذف منها

للفصول خمس مرات ؛ لأنه غير مراد ؛ وهو قوله ﴿يستون﴾ ، وقوله ﴿تزدودان﴾ ،

وقوله : ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾^(٨) مواشيهم ، ﴿فَنَقَى لَهَا﴾ غنمها .

وقوله : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾^(٩) قيل : لو ذكر للفعل فيها نقص للمعنى ؛ وللمراد

(٢) سورة الزمر ٩

(٤) سورة الروم ٢٤

(٦) سورة مريم ٤٢

(٨) سورة الأعراف ٨٨

(١) سورة البقرة ٦٠

(٣) سورة البقرة ١٧

(٥) سورة البقرة ٢٥٨

(٧) سورة القصص ٢٣

أن الله تعالى له الإحياء والإماتة ؛ وأن إلههم ليس له سمع ولا بصر ، وأن موسى عليه السلام وجد قوماً يمانون السقي ، وامرأتين فامانيان الذود ، وأخبرته أنا لاستطيعُ السقي ؛ فوجدنا من موسى عليه السلام لها السقي ، ووجدنا من أبيهما مكافأة على السقي . وهذا مما حُذِفَ لظهور المراد ؛ وأن القصد^(١) الإعلام بأنه كان من الناس في تلك الحلة سقي ، ومن المرأتين ذود ، وأنها قالتا : لا يكون منا سقي حتى يُصَدَّرَ الرعاء ، وأن موسى سقى بعد ذلك ؛ فأما أن للسقي غنمٌ أو إبل أو غيره فخرج عن المقصود ؛ لأنه لو قيل : يدودان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يوجه من موسى على الذود من حيث هو ذود ؛ بل من حيث هو ذود غنم ؛ حتى لو كان ذود إبل لم ينكره .

واعلم أننا جعلنا هذا من الضرب الثاني موافقة للزخشرى ؛ فإنه قال : تُرِكَ للقول لأن الفرض هو الفعل لا القول ، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنها كانتا على القياد ومم على السقي ، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسيتهما إبل ، وكذلك قولها : (لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَّرَ الرِّعَاءُ) ، للمقصود منه^(٢) السقي لا للسقي .

وجعله السكاكي من الضرب الأول ؛ أعنى مما حُذِفَ فيه للاختصار مع الإرادة . والأقرب قول الزخشرى ، ورجح الجزري قول السكاكي أنه للاختصار ، فإن الفهم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأصالة ؛ فإن فيها ضمناً عن الزاحمة ، والمرأتان فيها ضمف ، فإذا انضم إلى ضمف المسقى ضمف الساق ، كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة .
وكتوبه تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى)^(٣) .
وقوله : (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى)^(٤) .

(١) الكشاف : « فيه » .

(٢) سورة النجم ٤٨

(١) ث : « المقصود » .

(٣) سورة الليل .

حذف المنادى

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَأْسُجُدُوا ﴾ ^(١) على قراءة الكسائي بضم السين « ألا » على أنها تنبيه و « يا » نداء ، والتقدير ألا يهاؤلا اسجدوا لله . ويجوز أن يكون « يا » تنبيهاً ولا منادى هناك ، ويُجمع بينهما تأكيداً ؛ لأن الأمر قد يحتاج إلى استعطاف للأمور واستدعاء إقباله على الأمر .

وأما على قراءة الأكثر بالتشديد ؛ فعلى أن أن الناصبة لقمل دخلت عليها لا النافية ، والقمل المضارع بعدها منصوب ؛ وحذفت النون علامة النصب ، فاقمل هنا مبر ، وفي تلك القراءة منبى ، فاعرفه .

فائدة

[في حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم]

كثُر في القرآن حذف الياء من المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ؛ نحو ياربُّ ، يا قوم ؛ وعلى ذلك بأن النداء باب حذف ؛ ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم ؛ وجاء فيه إثباتها ساكنة ، كقراءة مَنْ قَرَأَ : ﴿ يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ ﴾ ^(٢) ، ومحركة بالفتح ؛ كقراءة مَنْ قَرَأَ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ^(٣) ، ومنتهى من الياء في قوله تعالى : ﴿ أَنْ قَوْلَ نَفْسٍ يَاحَسْرَتَى ﴾ ^(٤) .

حذف الشرط

﴿ قُلْ لِّإِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٥) ؛ أى إن قلت لم : أقموا قيعموا .

(٢) سورة الزمر ١٦

(٤) سورة الزمر ٥٦

(١) سورة البقر ٢٥

(٣) سورة الزمر ٥٣

(٥) سورة إبراهيم ٣١

وجعل منه الزمخشري: ﴿ قُلْ أَتُخَذُّمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾^(١) .
 وجعل أبو حيان منه قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) ، أى إن كنتم آمنتم بما أُرِزِل إليكم فلم تقتلوه ؟ وجواب ﴿ إن كنتم ﴾ محذوف دلّ عليه ما تقدم ، أى فلم قتلتم ؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد ، إلا أنه حُذِف الشرط من الأول وبقي جوابه ، وحُذِف الجواب من الثانى وبقي شرطه انتهى .
 وهو حسن ، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري ؛ وأنكر قوله بحذف الشرطى : ﴿ كِتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) وفى : ﴿ فَأَخْبِرْتُمْ ﴾^(٤) ، وقال : إن الشرط لا يحذف في غير الأجوبة ،
 والآن ندرج إلى مواضعه .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَلْتُمُوا الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَيْتِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، تحذيره : إن كنتم منكروين هذا يوم البعث ؛ أى قد تبين بطلان إنكاركم .
 وقوله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾^(٦) ، بمعنى إن اقتصرتم بقتلهم فلم تقتلوه ، فبطل عن الاختصار بقتلهم ، لحذف دلالة الفاعلية .
 وقوله : ﴿ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾^(٧) ؛ تحذيره : إن أرادوا أولياء الله هو الولي بالحق ،
 لاولى سواه .

حذف جواب الشرط

قوله : ﴿ لَيْسَ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) سورة البقرة ٩١

(٣) سورة البقرة ٦٠

(٤) سورة الأعراف ١٧

(١) سورة البقرة ٨٠

(٢) سورة البقرة ٥٤

(٣) سورة الروم ٦٥

(٤) سورة التورى ٩

وحكاه أبو عمرو الزاهد في « الياقوتة » عن ثعلب والبرّد، وهو محدود، لأن الآية ما سقت لتفضيل القرآن، بل سقت في معرض ذم الكفار، بدليل قوله قبلها : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ ^(١)، وبهذا : ﴿ أَقْلَمَ يَبْتَئِسُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ^(٢) فلو قدر الخير « لما آمنوا به » لكان أشدّ .

وقال الشيخ محي الدين النووي في كتاب « رموس للسائل » كون الجواب « كان هذا القرآن »، عن الأكثرين . وفيه ما ذكرت .

وقيل تقديره : لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت ورأوا ذلك ، لما آمنوا :

وقيل : جواب « لو » مقدّم ، معناه : يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، وهذا قول القراء .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ يَمِينِي سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ^(٣)، محذوف ، والتقدير : لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله . ويحتمل أن يكون « ما نفدت » هو الجواب مبالغة في نفي التفاد ؛ لأنه إذا كان نفي التفاد لازما على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاما والبحر مداً لكان لزوما على تقدير علمها أولى .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾ ^(٤) .

فإنه قد قيل : ظاهره نفي وجود ألم منهم بإضلاله ، وهو خلاف الواقع ؛ فإنهم هموا وردوا القول .

وقيل : قوله : ﴿ لَهَيْتُ ﴾ ليس جواب « لو » بل هو كلام قديم على « لو » ، وجوابها مقول على طريق القسم ، وجواب « لو » مخوف قديره ﴿ لَهَيْتُ طَائِفَةً مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ﴾^(١) ، ولا فضل الله عليك لأضلوك .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهْ ﴾^(٢) ، أى همت بمخالطته ، وجواب « لولا » مخوف ؛ أى لولا أن رأى برهان ربه لمخالطها .

وقيل : لولا أن رأى برهان ربه لم يها ؛ والوقف على هذا ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهْ ﴾ ، وللفى أنه لم يههم بها^(٣) .

ذكره أبو البقاء . والأول للزحشرى .

ولا يجوز تقديم جواب « لو » عليها لأنه في حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام . وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾^(٤) جواب الشرط مخوف ؛ يدل عليه قوله : ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ أى إن شاء الله اعتدينا . وقد توسط الشرط هنا بين جزأى الجملة بالجزاء ؛ لأن التقديم على الشرط ، فيكون دليل الجواب متصلا على الشرط ؛ والذي حسن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتطبيق الهداية بمشيئة الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ ﴾^(٥) قديره : لا استعجلوا قالوا متى هذا الوعد .

(٢) سورة يوسف ٢٤

(١) سورة النساء ١١٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣٥٥

(٤) إملاء مامن به الرحمن لأبى البقاء السكبرى ٢٨

(٦) سورة الأنبياء ٣٩

(٥) سورة البقرة ٧٠

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾^(١)، تقديره: لو تملكون، [تملكون]^(٢)، فأضمر «تملك» الأولى على شريطة التفسير وأبدل من الضمير للتصل، الذي هو «الواو» ضمير منفصل، وهو «أنتم» لسقوط ما يتصل به من الكلام، فـ «أنتم» فاعل الفعل للضمير، «وتملكون» تسيير.

قال الزمخشري^(٣): هذا ما يقتضيه الإعراب؛ فأما ما يقتضيه علم البيان، فهو أن [أنتم]^(٤) تملكون فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المحتصون بالشفع المتابع^(٥)؛ وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل التفسير برز الكلام في صورة للبتدأ والخبر.

ومن حذف الجواب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٦)، أى أعرضوا؟ بدليل قوله بعده: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^(٧).

وقوله في قصة إبراهيم في الخبز: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ﴾^(٨)، وفي غيرها من السور: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾^(٩) ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾^(١٠)، قال الكرماني: لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى، فاكتمت بما في هذه؛ ولو ثبت تمدد الوقائع لزلت على واقعيتين

(١) تسكعة من الكشاف ٢: ٤٣.

(٢) سورة الإسراء ١٠٠

(٣) الكشاف ٢: ٤٣.

(٤) عبارة الزمخشري في الكشاف: «وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب».

(٥) في الكشاف بيده: نحو قول حاتم:

(٦) من الكشاف.

• لَوْ ذَاتُ سِوَاكِ لَطَمَتْنِي •

وقول النلس:

• وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا هَيْصَتِي •

(٨) سورة المير ٢.

(٩) سورة يس ٤٥، ٤٦.

(١٠) سورة القاريات ٢٥.

(١١) سورة الفرقان ٦٣.

وكقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(١) ، قال الزمخشري ^(٢) : حذف الجواب ،
وتقديره مصرح به في سورتي التكوير والافتطار ، وهو قوله : ﴿ عَلَيَّتْ نَفْسٌ ﴾ ^(٣) .

وقال في : ﴿ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ^(٤) : الجواب محذوف ، أى أنهم ملمونون ،
يدل عليه قوله : ﴿ قَتِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ ^(٥) .

وكقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ^(٦) ، أى « حتى إذا جاءوها
وقد فُتحت أبوابها » ، والواو واو حال ، وفي هذا ما حكي أنه اجتمع أبو علي القاسمي
مع أبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف المودة ، فسل ابن خالويه عن قوله تعالى :
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ ^(٧) ، في النار بنير واو ، وفي الجنة بالواو : قال
ابن خالويه : هذه الواو تسمى واو الثمانية لأن العرب لا تطفئ الثمانية إلا بالواو ، قال :
فتنظر سيف المودة إلى أبي علي وقال : أحق هذا ؟ قال أبو علي : لا أقول كما قال ؛ إنما
تركت الواو في النار ، لأنها مفتحة ، وكان عجيبهم شرطاً في فتحها ، قوله : ﴿ فَفُتِحَتْ ﴾ فيه
معنى الشرط ، وأما قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الجنة ، فهذه واو الحال ، كأنه قال : جاءوها
وهي مفتحة الأبواب ؛ أو هذه حالها .

وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب ، ويشهد له أمران :

أحدهما : أن العادة مطردة شاهدة في إهانة للمذنبين بالسجون ، من إغلاقها حتى يردوا
عليها ، وإكرام للنعيمين بإعداد فتح الأبواب لهم بمبادرة وإهتماماً .

(١) سورة الانشقاق ١

(٢) الكشف ٤ : ٥٧٩ ، والبيان هناك : « حذف جواب إذا لينصب للقدّر كل مذنب ، أو
اكفاء بما علم في مثله من سورتي التكوير والافتطار » .

(٣) سورة التكوير ١٤ : ﴿ عَلَيَّتْ نَفْسٌ مَّا أَخْضَرَتْ ﴾ والافتطار ٥ : ﴿ عَلَيَّتْ نَفْسٌ

(٤) سورة البروج ١ : ٤

مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ .

(٥) سورة الزمر ٧٣

(٦) سورة الزمر ٧٣

والثاني: أن «أما» قد ألزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه، فلو حذف جوابها لكان ذلك 'جفافاً، وإن لم يكن كذلك. انتهى.

والظاهر أنه لا حذف في الآية الكريمة، وإنما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول، والمحذوف إنما هو أحد القادين.

وقال الفارسي في قوله تعالى: ﴿قُلِ أَقْمَمُوا إِلَهُكُمْ مَا إِلَهُكُمْ إِلَّا أَنَا﴾^(١) الآية: إنه محذوف منه: أَمَرْنَا وَلَا تَذَلُّنَا.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٢)، تقديره: «فكيف يتجدد لهم سرورين» أو «محزونين»، فـ «كيف» في موضع نصب بهذا الفعل للضرر، وهذا الفعل للضرر قد سُدَّ مسدَّ جواب إذا.

حذف جواب القسم

للم سامع للراد منه، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا. وَالسَّاعِيَاتِ سَيْحًا. فَالْمُتَبَعَاتِ سَيْحًا. فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾^(٣) تقديره: كَيْفَ تَنْتَحِشْنَ وَلْتَحْسَبِينَ، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم: ﴿أَنَّا لَمُرْدُودُونَ فِي الْمَلَافَةِ﴾^(٤).

وقيل: القسم وقع على قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾^(٥).

وكقوله تعالى: ﴿لَن نُّوْزِعَكَ﴾^(٦) وحذف دلالة الكلام السابق عليه.

(٢) سورة النساء ٦٢

(٤) سورة النازعات ١٠

(٦) سورة طه ٧٢

(١) سورة آل عمران ٢٦

(٣) سورة النازعات ١ - ٦

(٥) سورة النازعات ٢٦

واختلف في جواب القسم في : ﴿مَنْ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(١) قال الزجاج :
﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ﴾^(٢) ، واستقبله الكسائي .
وقال القراء : قد تأخر كثيراً ، وجرت بينهما قصص غطفة ، فلا يستقيم ذلك
في العربية .

وقيل : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾^(٣) ، ومعناه : لكم أهلكتنا ، وما بينهما اعتراض ، وحذفت
اللام لطول الكلام .

وقال الأخفش : ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ﴾^(٤) ، والمرضى بينهما قصة واحدة .
وعن قتادة : ﴿بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٥) ، مثل : ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ السَّجِيدِ -
بَلِّ عَصِيْبُوا﴾^(٦) .

وقال صاحب النظم في هذا القول : معنى « بل » توكيد الأمر بعده ؛ فصار مثل أن
الشديدة تُثبت ما بعدها ، وإن كان لها معنى آخر في نحو خبر مقدم ؛ كأنه قال : إن الذين
كفروا في عزة وشقاق .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إن النحويين قالوا : إن « بل » تقع في جواب القسم
كما تقع « إن » لأن للراد بها توكيد الخبر ؛ وذلك في ﴿مَنْ وَالْقُرْآنِ ...﴾ الآية . وفي
﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ ...﴾ الآية ؛ وهذا من طريق الاعتبار ، ويصح أن يكون بمعنى « إن »
لأنه سائغ في كلامهم ؛ أو يكون « بل » جواباً للقسم ؛ لكن لما كانت متضمنة رفع خبر
وإتيان خبر بعده كانت أو كده من سائر التوكيدات ، فحسن وضعها موضع « إن » .

(٧) سورة م ٦٤

(٤) سورة م ١٤

(٦) سورة ق ١ ، ٢

(١) سورة م ١

(٣) سورة م ٣

(٥) سورة م ٢

وقيل : الجواب محذوف ، أى والقرآن الجيد ، ما الأمرُ كما يقول هؤلاء . أو الحق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال القراء فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(١) جوابه محذوف ؛ أى فيومئذ يلاقى حسابه .

وعن قتادة أن جوابه : ﴿ وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴾ ^(٢) يعنى أن الواو فيها بمعنى السقوط ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ ﴾ ^(٣) ، أى ناديناه .

حذف الجملة

هى أقسام : قسم هى مسببة عن اللذكور ، وقسم هى سبب له ، وقسم خارج عنها ؛ فالأول : كقوله تعالى : ﴿ لِيُحْيِيَ الْحَيَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٤) فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلق . يكون سبباً عن مدخول اللام ، فلما لم يوجد لها متعلق فى الظاهر وجب تقديره ضرورة ، فيقدر : **فَلَمَّا فَعَلَ لِيُحْيِيَ الْحَيَّ** .

والثانى : كقوله تعالى : ﴿ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ ^(٥) ؛ فإن الفاء ، إنما تدخل على شئ مسبب عن شئ ، ولا مسبب إلا له سبب ، فإذا وُجد للسبب ولا سبب له ، ظهر أن واجب أن يقدر ضرورة ، فيقدر : **فَضَرِبَهُ فَأَنْفَجَرَ** .

والثالث : كقوله تعالى : ﴿ فَنِمُّمُ الْكَاهِنُونَ ﴾ ^(٦) ، أى نحن هم ، أو هم نحن . وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلُونِ . يُوسُفُ ... ﴾ ^(٧) الآية ، فإن التقدير : « فَأَرْسِلُونِ إِلَى يَوْسُفَ لَأَسْتَعِيزَهُ الرُّؤْيَا ، فَأَرْسِلُوهُ إِلَيْهِ لَفَلَّاحٌ ، فَجَاءَ فَقَالَ لَهُ :

(٢) سورة الصافات ١٠٣ ، ١٠٤

(٤) سورة البقرة ٦٠

(٦) سورة يوسف ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الانشقاق ١ ، ٢

(٣) سورة الأنفال ٨

(٥) سورة القاريث ٤٨

يا يوسف ، « وإنا قلنا : إن هذا الكل محذوف ؛ لأن قوله : ﴿ أَرْسِلُونِ ﴾ يدل لاجتماعه على الرسل إليه ، ثبت أن « إلى يوسف » محذوف . ثم إنه لا طَلِبَ الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبرين عن تسيير رؤيا للكل دل ذلك على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استمباره الرؤيا التي عجزوا عن تسييرها ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ . . . ﴾ ^(١) الآية ، فأعقب بقوله حكاية عنها : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ، تقديره : فأخذ الكتاب فألقاه إليهم ، فرأته بقلبي ، وقرأته ، و﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ يَا مَعْشَرَ خِزِّ الْكِتَابِ بَقُوءٌ وَإِنِّي أَخْلَصْتُكُمْ صِدْقًا ﴾ ^(٣) ، حذف يطول ، تقديره : فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا : ﴿ يَا مَعْشَرَ خِزِّ الْكِتَابِ بَقُوءٌ ﴾ ^(٤) .

ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم موسى : ﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ يَا هَؤُلَاءِ مَنْ مَعَكُمْ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَالَاتَّبَعِينَ أَفَصَبْتَ أَمْ رَى ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ ^(٦) إلى قوله ﴿ نَسَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ^(٨) أى كن قسا قلبه ترك على ظله وكفره ؛ ودل على المحذوف قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٩) .

ومن حذف الجملة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ^(١٠) قيل : للمنى جاعل في الأرض خليفة بفعل كذا وكذا ؛ وإلا فن أين علم للملائكة أنهم يفسدون وإباق الكلام يدل على المحذوف . وقوله : ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ ^(١١) ، قال

(٢) سورة مريم ١٢

(٤) سورة النمل ٤٠ ، ٤١

(٦) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة النمل ٢٨ ، ٢٩

(٣) سورة طه ٩١ - ٩٣

(٥) سورة الزمر ٢٢

(٧) سورة المجرات ١٧

الفارسي : المعنى فكما كرهتموه فاكروها النية : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، عطف على قوله : « فاكروها » وإن لم يذكر دلالة الكلام عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿فَاتَجَبَرْتَ﴾^(١) ، أى فضرب فانجبرت . فقوله : ﴿كرهتموه﴾ كلام مستأنف ، وإنما دخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الجواب ؛ لأن قوله : ﴿أعجب أحدكم﴾ كأنهم قالوا فى جوابه : لا ، فقال : فكرهتموه ؛ أى فكما كرهتموه فاكروها النية .

قال ابن الشجرى : وهذا التقدير بعيد ؛ لأنه قدر المحذوف موصولا ، وهو « ما » للصدرية ، وحذف للوصول ، وإبقاء صلته ضميف ؛ وإنما التقدير : فهذا كرهتموه ؛ والجملة للقدرة المحذوفة ابتدائية لأمرية ، وللمعنى : فهذا كرهتموه ، والنية مثله ؛ وإنما قدرها أمرية ليعطف عليها الجملة الأمرية فى قوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

حذف القول

قد كثر فى القرآن العظيم حتى إنه فى الإختصار بمنزلة الإظهار ، كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٢) ، أى يقولون : ما نعيدهم إلا للقربة .

ومنه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا﴾^(٣) ، أى وقلنا كلوا ، أو قائلين . وقوله : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾^(٤) ، أى قلنا . ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾^(٥) ، أى وقلنا : خذوا .

(٢) سورة الزمر ٣

(٤) سورة البقرة ٦٠

(١) سورة البقرة ٦٠

(٢) سورة طه ٨٠ ، ٨١

(٣) سورة البقرة ٦٣

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْآيَةَ مِثَاقًا لِلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُعَلًّى﴾ ^(٣) ،
أى وقلنا : اتخذوا .

وقوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْكَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ ^(٤) ، أى
يقولان : ربنا . وعليه قراءة عبد الله .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوْدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ ^(٥) ؛ أى فيقال لهم ، لَأَنْ هَئَانَا
لأبدلنا فى الظهير من فاء ، قلنا أضمر القول أضمر الفاء .

وقوله : ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ^(٦) ،
يقال لهم هذا .

وقوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ^(٧) ، أى
يقولون سلام .

وقوله : ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ^(٨) ، أى يقولون لم ذلك .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ^(٩) ، أى يقولون مانعبدكم .

وقوله : ﴿فَقُلْتُمْ تَسْكِبُونَهُ . إِنَّا لَكَاثِرُونَ﴾ ^(١٠) ؛ أى يقولون إِنَّا لَنَكْثِرُونَ ،
أى مذبذبون ، وتكسبون : تذبذبون .

وقوله : ﴿وَلَوْ رَأَىٰ إِذِ الْمُبْرَمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا﴾ ^(١١) أى يقولون ربنا .

(٢) سورة البقرة ١٢٧

(٤) سورة ص ٥٢ ، ٥٣

(٦) سورة الأنبياء ١٠٣

(٨) سورة الواقعة ٦٥ ، ٦٦

(١) سورة البقرة ١٢٥

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٥) سورة الرعد ٢٣ ، ٢٤

(٧) سورة الزمر ٢

(٩) سورة الحج ١٧

وقوله : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اَلْحَقُّ ﴾ ^(١) ، أى قالوا : قال الحق .

حذف الفعل

وينقسم إلى عام وخاص :

[الخاص]

فالخاص نحو « أعنى » مضراً ، وينتصب للقول به فى اللوح ؛ نحو ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(٣) ، أى أمدح .

واعلم أنه إذا كان للموت معيّنًا لم يبرز تقدير ناصب فتمته بأعنى ؛ نحو الحمد لله الحميد ؛ بل للتقدير فيه ، وفى نحوه أذكر أو أمدح ، فاعرف ذلك . والتم نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ^(٤) ، فى قراءة النصب ، والأخفش ينصب فى اللوح بأمدح ، وفى الهم بأذم .

واعلم أن مراد للادح إثابة للمدوح من غيره ، فلا بد من إثابة إمرأه عن غيره ، ليدلّ اللفظ على اللقى المقصود ، ويموز فيه النصب بتقدير أمدح ، والرفع على معنى « هو » ؛ ولا يظهر أن ثلاثاً يصيرا بمنزلة الخبر .

والذى لا مدح فيه فاخترال العامل فيه واجبٌ ، كاختزاله فى « والله لأفضلن » ؛ إذ لو قيل : « ألفت بالله » لكان عِدَّةً لا قمًا .

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٤) سورة الذهب ٤

(١) سورة سبأ ٢٣

(٣) سورة النساء ١٦٢ .

[العام]

والعام كل منصوب دل عليه الفعل تفضلاً، أو معنى، أو تقديرًا. ويحذف لأسباب:

أحدها: أن يكون مفسراً، كقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(١)، ﴿وَأَيُّ قَارِهُونَ﴾^(٢).

ومنه: ﴿أَبَشْرًا مِنَّا وَاحِدًا نَقِيَّةً﴾^(٣). ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾^(٤). ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٥). ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الشَّرِيعِينَ اسْتَجَارَكَ﴾^(٦). ﴿إِنْ طَائِفَتَانِ﴾^(٧) فإنه ارتفع به «اقتل» مقدراً.

قالوا: ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة، سوى «إِنْ» لأنها الأصل.

وجل ابن الزمكاني هنا مما هو دائر بين الحذف والذكر؛ فإن الفعل للنفس كالتمسك على المذكور؛ ولكن لا يمين إلا بعد تقدم إبهام وقد يزيد الإخمار إبهاماً، إذا لم يكن للضمير من جنس للفظ به؛ نحو: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً﴾^(٨).

الثاني: أن يكون هناك حرف جر؛ نحو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٩) فإنه يفيد

(٢) سورة البقرة ٤٠

(٤) سورة الرحمن ٧

(٦) سورة التوبة ٦

(٨) سورة الفجر ٣١

(١) سورة الانشقاق ١

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة التكاوير ١

(٧) سورة المجرات ٩

(٩) سورة الفاتحة ١

أن للراد : بسم الله أقرأ أو أقوم ، أو أقعد عند القراءة ، وعند الشروع في القيام أو القعود ، أى فعل كان .

واعلم أن النحاة اتفقوا على أن « بسم الله » بعض جملة ، واختلفوا .
قال البصريون : الجملة اسمية ؛ أى ابتدأت بسم الله .

وقال الكوفيون : الجملة فعلية ، وتابهم الزمخشري في تقدير الجملة فعلية ؛ ولكن خالفهم في موضعين : أحدهما أنهم يقدرون الفعل مقدما ، وهو يقدره مؤخرا . والثاني : أنهم يقدرونه فعل البداية ، وهو يقدره في كل موضع بحسبه ، فإذا قال الذابح : بسم الله ، كان التصدير : بسم الله أذبح ، وإذا قال القارىء : بسم الله ، فالتصدير : بسم الله أقرأ .

وما قال أجود مما قالوا^(١) ؛ لأن مراعاة للنسبة أولى من إياها ، ولأن اسم الله أهم من الفعل ، فكان أولى بالتقديم ؛ وبما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « باسمك ربى وضعت جنى » ، قدم اسم الله على الفعل للترتيب ثم الجار ، وهو « وضعت » .



الثالث : أن يكون جوابا لسؤال وقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِثْلَ آبِرَاهِيمَ ﴾^(٤) أى بل تبع .

(٢) سورة لقمان ٢٥

(١) كذا في م ، وفى ت : « مما قالوه » .

(٤) سورة البقرة ١٣٥

(٣) سورة النكيت ٦٣

أو جواباً لسؤال مقدر؛ كقراءة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾^(١)
 ببناء القتل للمفعول؛ فإنَّ التقدير: يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ.

وفيه فوائد: منها الإخبار بالقتل مرتين. ومنها جعل الفضة عمدة.

ومنها: أنَّ الفاعل فُتِرَ بعد اليأس منه كضامة وجدها بعد اليأس، ويصح أن
 يكون «يُسَبِّحُ» بدل من «يُذَكِّرُ»^(٢) على طريقة: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٣)
 و«له فيها» خير مبتدأ هو «رجال».

مثله قراءة من قرأ: ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءَهُمْ﴾^(٤)، قال أبو العباس: للمنفى زَيْنُهُ شركاؤهم؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمر
 دلَّ عليه «زَيْن».

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ﴾^(٥) إنَّ جعلنا قوله «لَهُ شُرَكَاءَ» مفعولى
 «جعلوا»، لأنَّ «لَهُ» فى موضع الخبر للنسوخ، وشركاء نصب فى موضع المبتدأ.
 وعلى هذا فيحصل وجهين: أحدهما أن يكون مفعولاً بفعل محذوف دلَّ عليه سؤال مقدر،
 كأنه قيل: أ جعلوا لَهُ شركاء؟ قيل: جعلوا الجن، فيفيد الكلام إنكار الشريك مطلقاً،
 فدخل اعتقاد الشريك من غير الجن فى إنكار دخول اتخاذها من الجن.

والثانى: ذكره الزمخشري أنَّ الجن بدل من «شركاء»، فيفيد إنكار الشريك
 مطلقاً، كما سبق، وإنَّ جعل «لَهُ» صلة كان «شركاء الجن» مفعولين، قدم ثانيهما
 على أولهما؛ وعلى هذا فلا حذف.

فأما على الوجه الأول فتقول: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾^(٦)، ولم يقل: «وجعلوا

(١) سورة التور ٣٦، ٣٧

(٢) من قوله تعالى قبلها فى الآية: ﴿وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ...﴾.

(٣) سورة الأعلى ١ (٤) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٠٠

الجن شركاء لله ، نظيماً لاسم الله تعالى ؛ لأن شأن الله أعظم في النفوس ؛ فإذا قدم « الله » والكلام فيه يستدعى طلب الجمل له ما هو ؟ قيل : شركاء وقع في غاية التشنيع ؛ لأن النفس منتظرة لهذا اللهم الملقق بهذا للمعلم نهاية التعظيم ؛ فإذا علم أنه علق به هذا للتبشع في النهاية ، كان أعظم موقفاً من العكس ؛ لأنه إذا قيل : وجعلوا شركاء لم يسطه نفوس النفوس ؛ لجواز أن يكون : جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك .
الثالث : أن الجمل غالباً لا يعلق بالله ويُنْصَرِّفُ به إلا وهو جعل مستبجح كاذب ؛ إذ لا يستعمل جمل الله رحمة ومشقة وعلم ؛ ونحوه ، لاسيما بالاستقراء القرآني ؛ كـ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ ^(١) ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ ^(٢) إلى غير ذلك .

الرابع : أن أصل الجمل وإن جاز وإسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لاهما ، فإن بابه مهول ؛ لأن الله تعالى قد علمنا عظيم خطره ، وآلا قول فيه إلا بالعلم ، كقوله : ﴿ وَأَنْ هَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ ^(٤) ، إلى غير ذلك ، مع مادل عليه الأدب عقلاً ، وكان نفس الجمل مستنكراً إن لم يقيح بمجبول لائق ، فإذا أتبع بمجبول غير لائق منهم ثم فسر بخلص مستنكر ، صار قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات : الأول جوارتهم في أصل الجمل ، الثاني في كون المجبول شركاء ، الثالث في أنهم شركاء جن .

الخامس : أن في تقديم « الله » إفادة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث ، دون جميع ما يبدون ، لأنه الإله الحق .

السادس : أنه جيء بكلمة « جعلوا » لا « اعتقدوا » ولا « قالوا » لأنه أدل على إثبات للمعتقد ، لأنه يستعمل في الخلق والإبداع .

(٢) سورة النحل ٦٢

(٤) سورة التجم ٢٨

(١) سورة النحل ٥٧

(٣) سورة البقرة ١٦٩

السابع : كلمة « شركاء » ولم يقل « شريكاً » وفقاً لمزيد ما فصحوا من اعتقادهم .
الثامن : لم يقل « جنّاً » ، وإنما قال « الجن » ، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها
وجعلوه من حيث هو صالح لذلك ؛ وهو أقيح من التنكير الذى وضعه للفردات للمدولة .

الرابع : أن يدلّ عليه معنى القمل انظر ؛ كقوله تعالى : ﴿ اَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾^(١) ،
أى واتّوا أمراً خيراً لكم ؛ فمضى سيئويه أن « خيراً »^(٢) انصب بإضمار « انت » لآلة
لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير ؛ فكأنه قال : « واتّوا خيراً » ؛ لأنّ النهى عن الشئ ،
أمرٌ بضدّه ؛ ولأنّ النهى تكليف ، وتكليف العلم محال ؛ لأنه ليس مقصوراً ، ثبت أن
معلق التكليف أمرٌ وجودى ، ينافى للنهى عنه وهو الضدّ .

وحله الكسائى على إضمار « كان » أى يكن الانتهاء خيراً لكم . ويمنه إضمار
كان ، ولا تضمر فى كل موضع ، ومن جهة للمنى إذ من ترك ما نهى عنه قد سقط عنه
القوم وعلم أن ترك النهى عنه خير من فعله ، فلا فائدة فى قوله « خيراً » .

وحله القراء على أنه صفة لمصدر محذوف ، أى انتهوا انتهاء خيراً لكم . وقال : إن
هذا المحذوف لم يأت إلا فيما كان أفضل ، نحو خير لك ، وأفضل .

ورد مذهبه ومذهب الكسائى بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اَنْتَهُوا خَيْرًا
لَكُمْ ﴾^(٣) ، لو حُلّ على ما قال لا يكون خيراً ، لأن من انتهى عن التثليث وكان مطلقاً
لا يكون خيراً له . وقول سيئويه : وائت خيراً يكون أمراً بالتوحيد الذى هو خير .
قله در الخليل وسيئويه ، ما أطلعهما على اللامى !

وقوله : ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(١) ، إن لم يحمل مفعولا معه ، أى وادعوا شركاءكم ، وإظهار « ادعوا » قرأ أ ل ، وكذلك هو مثبت فى مصحف ابن مسعود .
 وقوله تعالى : ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾^(٢) ، قال ابن الشجرى : معناه مال عليهم يضربهم ضرباً . ويجوز نصبه على الحال ؛ نحو أنته مشياً ، أى ماشياً .
 ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا بَنِيكَ سَعِيًّا﴾^(٣) أى ساعيت . وقوله : « باليمين » إما اليد أو القوة .
 وجوز ابن الشجرى لإرادة القسم والياء للتليل ؛ أى لليمين التى حلقها ، وهى قوله تعالى :
 ﴿لَا يَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(٤) .

وزعم النووى فى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾^(٥) ، أن التقدير
 ليكن منكم طاعة معروفة .

الخامس : أن يدل على العقل كقوله تعالى : ﴿قُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾^(٦) ، أى ففرب فانفجرت .

وقوله : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ . . فَفَتَحْنَا﴾^(٧) ، قال النحاس : التقدير
 فنصرناه ففتحننا أبواب السماء ؛ لأن ما ظهر من الكلام يدل على ما حذف .
 وقوله : ﴿يَعْلَمُهُ مِنْ بَيْنِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾^(٨) أى يكتب بذلك كلمات الله ما ضدت ،
 قاله أبو الفتح .

وقوله : ﴿قَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٩) .
 قوله : « ثم أحياهم » معطوف على فعل محذوف تقديره فانوا ثم أحياهم ، ولا يصح

(٢) سورة الصافات ٩٣

(٤) سورة الأنبياء ٥٧

(٦) سورة البقرة ٦٠

(٨) سورة لقمان ٢٧

(١) سورة يونس ٧١

(٣) سورة البقرة ٢٦٠

(٥) سورة النور ٥٣

(٧) سورة القمر ١٠ ، ١١

(٩) سورة البقرة ٢٤٣

عطف قوله : « ثم أحيام » على قوله : « موتوا » لأنه أمر ، وفعل الأمر لا يعطف على الماضي .

وقوله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾^(١) ، أى فاختلّفوا فبعث ، وحذف لدلالة قوله : ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾^(٢) ، وهى فى قراءة عبد الله كذلك^(٣) .

وقيل : تقديره كان الناس أمة واحدة كفاراً ، فبعث الله النبيين ، فاختلّفوا . والأول أوجه .

وقوله : ﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ، فالحكمة للإنكار ، والواو للمعطف ، وللمعطوف عليه محذوف تقديره : أكتذبتم وعجبتم أن جاءكم .

وقوله : ﴿ قَالَ نَسَمَ وَإِنْكُمُ لَيِّنُ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٥) ، هو معطوف على محذوف سدة مسددة حرف الإيجاب ؛ كأنه قال إيجاباً تقولهم : ﴿ إِنْ لَنَا لأَجْرًا ﴾^(٦) ، نعم إن لكم أجراً وإنكم إن للقرين .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾^(٧) ، أى فأطفر فعدة ، خلافاً للظاهرة حيث أوجبوا العطر على المسافر أخذاً من الظاهر .

وقوله : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدِيَةٌ ﴾^(٨) ، أى فطلق فدية .

وقوله : ﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِمَعْصِيَةٍ ﴾^(٩) ، قال الزحشرى : التقدير فضرّبوه فحى ،

(١) سورة البقرة ٢١٣

(٢) أى « كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله » وانظر الكشاف ٢ : ١٩٤

(٣) سورة الأعراف ٦٣

(٤) سورة الأعراف ١١٤

(٥) سورة البقرة ١٨٤

(٦) سورة البقرة ٧٣

(٧) سورة الأعراف ١١٣

(٨) سورة البقرة ١٩٦

خلف ذلك دلالة قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّسُ اللَّهُ النَّوَى ﴾ ^(٣) .
 وزعم ابن جني أن التقدير في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ ^(٤)
 أن التقدير فكيف يكون إذا جئنا .

السادس : أن يدل عليه ذكره في موضع آخر ، كقوله : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ ^(٥) ،
 قال الواحدي : هو بإضمار « اذكر » ، ولهذا لم يأت لإذ بجواب . ومثله قوله تعالى :
 ﴿ وَإِلَىٰ نَعْمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ^(٦) ، وليس شيء قبله تراه ناصبا لـ « صالحا » ، بل علم
 بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار « أرسلنا » .

وقوله : ﴿ وَاسْلَيْمَانَ الرِّيحِ ﴾ ^(٧) أى وسخرنا .

ومثله : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٨) ﴿ وَذَا النُّونِ ﴾ ^(٩) .

وكذا : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ ^(١٠) ، أى واذا كرا .

قال : ويدل على « اذكر » في هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
 قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١١) ، ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ ﴾ ^(١٢) .

وما قاله ظاهر ، إلا أن مقول « اذكر » يكون محذوفا أيضا تقديره : ﴿ وادكروا
 أخالك » ونحوه إذا كان كذا ، وذلك ليكون « إذ » في موضع نصب على الظرف ،
 ولو لم يند ذلك المحذوف لزم وقوع « إذ » مفعولا به ، والأصح أنها لا تفارق الظرفية .

- (٢) سورة النساء ٤١
 (٤) سورة هود ٦١
 (٦) سورة الأنبياء ٧٦
 (٨) سورة الأنبياء ٧٨
 (١٠) سورة الأعراف ٨٦

- (١) سورة البقرة ٧٣
 (٣) سورة البقرة ٧٢
 (٥) سورة الأنبياء ٨١
 (٧) سورة الأنبياء ٨٧
 (٩) سورة الأهل ٧٦

السابع : للشاكلة ، كحذف الفاعل في « بسم الله » لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله ؛ فلو ذكر الفعل وهو لا يستغنى عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود ، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ؛ ليكون للبديهة باسم الله كما تقول في الصلاة : الله أكبر ، ومعناه « من كل شيء » ، ولكن لا تقول هذا للتدبر ليكون اللفظ في اللسان مطاباً لمقصود الجنان ؛ وهو أن يكون في القلب ذكر الله وحده . وأيضاً فلا نن الحذف أعم من الذكر ؛ فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه ؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل .

الثامن : أن يكون بدلا من مصدره ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَضْرَبَ الرَّحَابِ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ فِيمَا مَنَّا بَمَدٍّ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾^(٢) ؛ أي فيما أن نمنا ، وإما أن نخادوا . وقد اختلف في نصب « السلام » في قوله تعالى في سورة هود : ﴿ وَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٣) وفي القاريات : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا سَلَامًا ﴾^(٤) ؛ وفي نصبها وجهان : أحدهما : أن يكون منصوباً بالقول ، أي يذكرون قولاً « سلاما » فيكون من قلت حقا وصداقا .

الثاني : أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره : قَالُوا سَلَامًا سلاما ، أي سلمنا تسليما ؛ فيكون قد حكي الجملة بعد القول ، ثم حذفها واكتفى ببعضها . والحاصل أنه هل هو منصوب بالقول ، أو بكونه مصدرا لفعل محذوف ؟ . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾^(٥) ،

(٢) سورة القتال ٤

(٤) سورة القاريات ٢٤ ، ٢٥

(١) سورة القتال ٤

(٣) سورة هود ٦٩

(٥) سورة النحل ٣٠

منصوب ، « بقالوا » كقولك قلت حقا ، أو منصوب بفعل مضمر أى قالوا : أنزل خيرا ، من باب حذف الجلة المحكية وتبقي بعضها .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(١) فمرفوع ؛ لأنه لا يمكن نصبه على تقدير « قالوا أساطير الأولين » ، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك ، ولا هو أيضاً من باب : قلت حقا وصدقا ، فلم يبق إلا رفعه .

تَشْبِيْهٌ

قد يشبه الحال في أمر المحذوف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَلْتِمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢) ، فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء ؛ فلا يقدر في الكلام حذف ، وليس كذلك ، وإلا لزم الاشتراك إن كانا متفاوتين ، أو عطف الشيء على نفسه ؛ وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتمدى للمولعين ، أى سمّوه الله أو الرحمن .

وقد يشبه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ ﴾^(٣) قدره سيويوه بـ « بلى نجعلها قادرين » ، وقادرين حال وحذف الفعل للدلالة : ﴿ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ ﴾^(٤) عليه^(٥) .

وقدره الفراء « نحسب » للدلالة ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ ﴾^(٦) أى بلى نجعلنا قادرين .

(٢) سورة الإسراء ١١٠

(٤) سورة القيامة ٣

(١) سورة النحل ٢٤

(٣) سورة القيامة ٤

(٥) الكتاب ١ : ١٧٣

وتقدير سيويه أولى؛ لأن «لى» ليس جواباً لـ «بحسب» إنما هو جواب لـ «أن لن يجمع»
وقدره بعضهم: لى قلدر قلدرين .
وقيل: منصوب، لوقوعه موقع الفعل، وهو باطل؛ لأنه ليس من نواصب الاسم وقوعه
موقع الفعل .

تنبيه آخر

إن الحذف على ضربين: أحدهما ألا يقام شئ مقام الحذف كما سبق. والثاني: أن
يقام مقامه ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ﴾^(١)؛ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على قولهم؛ فالتقدير: فإن تَوَلَّوْا
فلا ملامَ على، لأننى قد أبلغتكم .
وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) فلا تحزن واصبر .
وقوله: ﴿وَإِنْ يَمُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣)، أى يصيبهم ما أصاب الأولين .

حذف الحرف

قال أبو الفتح فى «الحنطب»: أخبرنا أبو على قال: قال أبو بكر بن السراج:
حذف الحرف ليس بئس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفعله، ألا تراك إذا قلت:
ما قام زيد، قد نائب «ما» عن «أننى» كما نائب «إلا» عن «أستقنى»، وكما نائب الممزة
وهل عن «أستهم»، وكما نائب حروف العطف عن «أعطف»، ونحو ذلك. فلو ذهبت

(٢) سورة طه ٤

(١) سورة هود ٥٧

(٣) سورة الأفعال ٣٨

تحذف الحرف ؛ لكان ذلك اختصاراً ، واختصارُ المختصرِ إجحاف به ؛ إلا إذا صح التوجه إليه ، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه قوة الدلالة عليه . انتهى .

فنه الواو ، تحذف لقصد البلاغة ؛ فإن في إثباتها ما يقتضي تاثير التماطين فإذا حذفت أشعر بأن الكل كالواحد : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَيِّنَاتٍ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْيَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾^(١) ؛ تقديره : ولا يألونكم خبالاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾^(٢) ، أى وجوه :

وخرج عليه الفارسي قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ... ﴾^(٣) الآية . وقال : تقديره : « قلت لا أجد » فهو معطوف على قوله : « أتوك » لأن جواب « إذا » قوله : « تولوا » .

ومنه ابن السجري في أماليه ؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب ، لأنه معطوف على الصلة ؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب ، فكذلك ما عطف عليها .

وقال الزخشي : هي حال من الكاف في « أتوك » ، « وقد » قبله مضمرة كافي قوله : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾^(٤) ، أى إذا ما أتوك فأتاك : لا أجد تولوا^(٥) . وعلى هذا فله موضع من الإعراب لأنه حال .

قال السهيلي في أماليه : ليس معنى الآية كما قالوا ؛ لأن رفع الحرج عن التيم ليس مشروطاً بالبكاء عند التولي ؛ وإنما شرطه علم الجدة ، ونزلت في السبعة الذين سمي أبو إسحاق ؛ ولو كان جواب « إذا أتوك » في قوله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ ﴾^(٦) لكان من لم تفيض عيناه من الدمع هو الذي حرج وأيم ؛ وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول

(٢) سورة النازية ٨

(٤) سورة النساء ٩٠

(٦) سورة التوبة ٩٢

(١) سورة آل عمران ١١٨

(٣) سورة التوبة ٩٢

(٥) الكشاف ٢ : ٢٣٦

لم يجد ما يحملهم عليه . وإذا عطفت « قلت لا أجد » على « أنوك » كان الحرج غير مرفوع عنهم حتى يقال : ﴿ وَأَعْيِمُهُمْ قَفِيزٌ ﴾^(١) ، فجواب « إذا » في قوله « لا أجد » ، وما بعد ذلك خبر ونبأ على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية ، قضية البكاء مخصوصة بهم ، ورفع الحرج بشرط علم الجدة علم فيهم وفي غيرهم .

وقال الواحدى في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾^(٢) : آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو - بفتح قراءة ابن عامر - لأن هذه الآية ملاية لما قبلها من قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾^(٣) لأن القائلين : « اتخذ الله ولداً » من جملة التلذذ ذكركم ، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها ، كما استغنى عنها في نحو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) ، ولو كان « وهم » كان حسناً ؛ إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو .

ومثله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ ﴾^(٥) ولم يقل : « ورأيناهم » كما قال : ﴿ وَتَأْمِينُهُمْ ﴾^(٦) ولو حذف الواو منها كما حذف من التي قبلها واستغنى عن الواو بالملاية التي بينهما كان حسناً . ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف الجملة ، ولا يهمل على ما تقدم . انتهى .

وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يلاحظ معنى المطف ، ويكتفى للربط بينهما وبين ما قبلها بالملاية كما ذكر . ويجوز ألا يلاحظ ذلك ؛ فهكون الجملة مستأنفة .

قال ابن عمرو : وحذف الواو في الجمل أسهل منه في الفرد ، وقد كثرت حذفها في الجمل

(٢) سورة البقرة ١١٦

(٤) سورة البقرة ٢٩

(١) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة البقرة ١١٤

(٥) سورة الكهف ٢٢

في الكلام المحمول بضه على بعض، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَالَ لِنَحْوَلِهُ أَلَّا نَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ١﴾ كـله محمول بضه على بعض، والواو مزيدة، حذف لاستقلال الجمل بأنفسها بخلاف للفرد؛ ولأنه في للفرد ربما أوقع لبساً في نحو « رأيت زيداً ورجلاً عاقلاً »؛ ولو ٢ جاز حذف الواو احتمال أن يكون « رجلاً » بدلاً بخلاف الجملة .

وقريب منه قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ ٣﴾ ، أى : وقال .

ومنه الفاء في جواب الشرط ما رأى، وخرج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ٤﴾ أى فالوصية .

والفاء في السطف كتوبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَعْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُ نَاهِرُؤُمَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٥﴾ ، تقديره « قال أعوذ بالله » ، ذكره ابن السجري في أماليه .

وقوله تعالى: ﴿وإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ٦﴾ حذف ... من المطف من قوله: ﴿قال﴾ ولم يقل: « قال » كافي قصة ٧ نوح؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لم هود؟ قيل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه .

(١) سورة الشعراء ٢٣ - ٢٨

(٢) سورة القصص ٧٩

(٣) سورة البقرة ٦٧

(٤) ت : « فلو » .

(٥) سورة البقرة ١٨٠

(٦) سورة الأعراف ٦٥

(٧) من قوله تعالى في الأعراف ٥٩: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ...﴾ .

ومنه حذف همزة الاستفهام ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا
قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ^(١) ، أى أمنا ربى ؟

وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكَ مِن شَيْءٍ فَمَن ذَكَرَكَ ﴾ ^(٢) أى أفن نفسك ^(٣) ؟

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَسُّهَا عَلَىٰ ﴾ ^(٤) أى أو تلك نعمة ؟

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ ^(٥) على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة ، على خلاف
في ذلك جميعه .

ومنه حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والظهورية كقوله
تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَتَلُوا أَنبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ ^(٦) ، ﴿ فَمَن أَنْتَ مِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ ^(٧) ، ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ^(٨) ،
و ﴿ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ^(٩) .

ومنه حذف الياء في ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِرُّ ﴾ ^(١٠) للتخفيف ورعاية الفاصلة .

ومنه حذف حرف النداء ، كقوله : ﴿ مَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ^(١١) ، أى يا هؤلاء .

وقوله : ﴿ يُوسُفُ ﴾ ^(١٢) ، أى يا يوسف .

وقوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ ﴾ ^(١٣) ، أى يا رب .

ويكثر في اللضاف نحو : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ ﴾ ^(١٤) . ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾ ^(١٥) .

وكثر ذلك في نداء الرب سبحانه ؛ وحكمة ذلك دلالة على التعظيم والتعزير ؛ لأن
النداء بشرتب معنى الأمر ؛ لأنك إذا قلت : يا زيد ، فمناه أَدْعُوكَ يا زيد ، فحذفت « يا »
من نداء الرب ؛ ليزول معنى الأمر ، ويتمحض التعظيم والإجلال .

- | | |
|---|-----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٧٦ | (٢) سورة النساء ٧٩ |
| (٣) ذكره أبو حيان في البحر ٣ : ٣٠٦ ، والقرطبي ٥ : ٢٨٥ | |
| (٤) سورة الشعراء ٢٢ | (٥) سورة يوسف ٩٠ |
| (٦) سورة البقرة ٩١ | (٧) سورة التازعات ٤٣ |
| (٨) سورة النبا ١ | (٩) سورة الطارق ٥ |
| (١٠) سورة التجر ٤ | (١١) سورة آل عمران ٦٦ |
| (١٢) سورة يوسف ٢٩ | (١٣) سورة مريم ٤ |
| (١٤) سورة يوسف ١٠١ | (١٥) سورة المائدة ١١٤ |

وقال الصفار: يجوز حذف حرف النداء من النداء، إلا إذا كان النداء نكرة مقبلا عليها؛ إذ لا دليل عليه؛ وإلا إذا كان اسم إشارة.

ومنه حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَوْلَا فِيهِمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، تهديده: لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قِيلَهُ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْنٌ لِرِثَابِ الْمُبِطِلُونَ﴾^(٢)، معناه لو كان كذلك لا رتاب للباطلون.

ومنه حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾^(٣)، أي وقد اتبعك؛ لأن الماضي لا يقع موقع الحال إلا و «قد» معه ظاهرة أو مقدره.

ومثلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾^(٤) أي وقد كنتم.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(٥) قيل معناه «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب: «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ». وقال الأخفش: الحال محذوفة، و «حصرت صدورهم» صفتها؛ أي جاءوكم يوما حصرت؛ دعاء عليهم بأن تُحصَرَ صدورهم عن قتالهم لقومهم طريقتهم قاتلهم الله. وردّه أبو عليّ بقوله أي قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدي عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم؛ لكن بقول: اللهم ألق بأسهم بينهم.

ومنه حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْآفَاقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٦)، المعنى أن يريكم.

(٢) سورة الشكوت ٤٨

(٤) سورة البقرة ٢٨

(٦) سورة الروم ٢٤

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة النمل ١١١

(٥) سورة النساء ٩٠

وحذف « لا » في قوله: (تَاللَّهِ فَنَقُتْهُ نَذْرٌ) ^(١)، أي لا نقُتُ، لأنها لازمة للنفي ومعناها لا تبرح -

قوله : ﴿وَأَتْلُو فِي الْأَرْضِ رَسُولِي أَنْ نَمِيزَ بَيْنَكُمْ﴾ ^(٣) ، أى لا تميد .
 وقوله : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَآمَانِكَ﴾ ^(٤) ، أى لا تبوء .
 وبهذا يزول الإشكال من الآية : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ^(٥) أى لا يطيقونه ، على قول .

فائدة

[في حذف الجار ثم إيصال الفعل إلى المجرور]

كثُر في القرآن حذفُ الجار ، ثم إصـالُ الفـعل إلى الجـرور به ، كقوله تعالى : ﴿وَآخَرَهُ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ ^(٥) ، أي من قومه .

(وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ) ^(۷).

(لَا تَعْرَظُوا عُنْدَ الْكَأْسِ) ^(٣)، أى على عقدة .

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ ^(أ)، اى يخوفكم بأوليائه، ولذلك قال:
﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ ^(أ).

﴿وَيَبْقُونَهَا عُجًا﴾^(٩)، أى يبقون لها.

(١) سورة يوسف ٨٥

(٢) سورة النحل ١٥

(٣) سورة الواقعة ٢٩

(٤) سورة البقرة ١٨٤

(هـ) مسودة الأعراف ١٥٥

(٦) سورة البقرة ٢٥٣

(٧) سورة البقرة ٢٢٥

(۸) سورة آل عمران ۱۷۵

(٦) سورة الأعراف ٤٥

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾^(١) أى قدرناه .

﴿سَمِعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾^(٢) أى على سيرتها .

فصل

[فيما حذف في آية وأثبت في أخرى]

من الأنواع ما حذف في آية ، وأثبت في أخرى ؛ وهو قسمان :

أحدهما : أن يكون ما حذف منه محمولا على المذكور ؛ كالملطوق في الرقبة^(٣) في كفارة الظهار ، مقيدا بالؤمنة في كفارة القتل^(٤) .

وكتوبه : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥) ، قيدت بالتشبيه في موضع آخر^(٦) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ آفَافٌ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(٧) وقوله في سورة النحل : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٨) ، فإن هذه تقتضى أن الأولى على حذف مضاف .

(٣) سورة طه ٢١

(١) سورة يس ٢٩

(٢) وذلك قوله تعالى في سورة المجادلة ٣ : ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لَهَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ .

(٤) وذلك قوله تعالى في سورة النساء ١٢ : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ .

(٥) سورة آل عمران ١٣٣

(٦) وذلك قوله تعالى في سورة الحديد ٢١ : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ .

(٨) النحل ٣٢

(٧) سورة البقرة ٢١٠

والنفس الثاني : لا يكون مراداً . فنه قوله تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ لَكُمْ فِيهَا قَوَاعِدُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٢) .

وقوله في البقرة : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٣) وفي سورة الأعراف : ﴿ أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا إِمَامًا بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾^(٤) .

وحكته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة ؛ فذلك دخل الماطف ؛ بخلاف الخبرين في الأعراف ؛ فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالنفلة وتشبيههم بالبهائم واحد ؛ فكانت الجملة الثالثة مقررّة ما في الأولى فهي من المطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥) وقال في يس : ﴿ وَسَوَاءَ عَلَيْهِمْ أَأُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾^(٦) مع الماطف ، وحكته أن ما في يس وما قبله جملة مطبوعة على جملة أخرى ، فاحتاجت إلى الماطف . والجملة هنا ليست مطبوعة ، فهي من المطف بمعزل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾^(٧) فأثبت الواو في الأعراف ، وحذفها في الكهف ، قال : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴾^(٨) والفرق بينهما أن القى في الأعراف خطاب لجمع ، وأصله « تدعونهم » ، حذف للجزم ، والتي في الكهف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو واحد ، وعلامة الجزم فيه سقوط الواو . ومنه في آل عمران : ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾^(٩) وفي طاهر :

(٢) سورة الزخرف ٧٣

(٤) سورة الأعراف ١٧٩

(٦) سورة يس ١٠

(٨) سورة الكهف ٥٧

(١) سورة المؤمنين ١٩

(٣) سورة البقرة ٥

(٥) سورة البقرة ٦

(٧) سورة الأعراف ١٩٣

(٩) سورة آل عمران ١٨٤

﴿جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُيْرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(١) والفرق أن الأولى حذفت الباء ففيها للاختصار استغناء بالتي قبلها ، وخرجت عن الأصل للتوكيد ، وتقدير المعنى كما تقول : مررت بك وبأخيك وبأبيك ؛ إذا اختصرت .

ومنه قوله في قصة نوح : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٢) ، وفي قصة شعيب : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾^(٣) بالواو ، والفرق أن الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النحويين ، واستئناف ﴿مَا أَنْتَ﴾ ، فاستغنى عن الواو لما قرّر من الاجتهاد ، وفي الثانية جرى في المطف ، وأن يكون قوله : ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ مطبوعاً على ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾^(٤) .

ومنه قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٥) ، وفي سورة النمل ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾^(٦) ، بإنبات النون ، وحكته أن القصة لما طالت في سورة النحل ناسب التخفيف بحذف النون ، بخلافه في سورة النمل ؛ فإن الواو استئنافية ، ولا تعلق لها بما قبلها .

وقوله في البقرة : ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَعْرِينَ﴾^(٧) ، وفي آل عمران : ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَعْرِينَ﴾^(٨) ؛ وحكته أن الخطاب في البقرة لليهود وهم أشدّ جدالاً .

ومنه قوله في الأعراف : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^(٩) وفي الأنعام : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾^(١٠) .

(١) سورة الشعراء ١٥٤

(٢) سورة طه ٢٥

(٣) سورة الشعراء ١٨٦

(٤) في الآية التي قبل من سورة الشعراء ١٨٥ ، وهي : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ .

(٥) سورة النمل ٧٠

(٦) سورة النحل ١٢٧

(٧) سورة آل عمران ٦٠

(٨) سورة البقرة ١٤٧

(٩) سورة الأنعام ١٣٠

(١٠) سورة الأعراف ١٧٢

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(١) ، وفي سورة آل عمران : ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾^(٢) . والحكمة فيه أن الجملة في آل عمران خرجت مخرج الشرط ، وهو عام ، فناسب أن يكون النفي بصيغة التذكير ؛ حتى يكون عاما ، وفي سورة البقرة جاء عن أناس مبهودين ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ، فناسب أن يؤتى بالتحريف ، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأئس عندم كان معروفا ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(٣) ، فالحق هنا الذي قُتِلَ به الأئس مبهود معروف ، بخلاف ما في سورة آل عمران .

ومنه قوله تعالى في هود حاكيا عن شعيب : ﴿ يَا قَوْمِ ارْمُوا أَمْوَالَكُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) ، وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقول لقريش : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

ويمكن أن يقال : لما كررت مراجعته لقومه ، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف . الذي هو أبلغ في الإنذار والوعيد ؛ وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة ، فغلب حملهم على مكافأتهم بوعيدهم بالقاء ؛ إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم بخلاف شعيب ، فإنه طالت مدته في قومه ، فاستأنف لهم ذكر الوعيد .

ولعل قوم شعيب سألوه السؤال للتقدم ، فأجابهم بهذا الجواب ، والقاء لا تحسن فيه ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك جوابا للسؤال ، ولا يحسن معه الحذف .

ومنه أنه تعالى قال في خطاب المؤمنين : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ

(٢) سورة آل عمران ٢١

(٤) سورة هود ٩٣

(١) سورة البقرة ٦١

(٣) سورة المائدة ٤٥

(٥) سورة النحل ٥٥

عَذَابٍ أَلِيمٍ^(١)، إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿يَنْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٢)، وَقَالَ فِي خُطَابِ
الْكَافِرِينَ : ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَنْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٣)، ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ
وَأَمِنُوا بِهِ يَنْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾^(٤).

قَالَ الزَّعْزَعِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ^(٥) : مَا عَلَّمْتُهُ جَاءَ الْخُطَابُ هَكَذَا فِي الْقُرْآنِ
إِلَّا فِي خُطَابِ الْكَافِرِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِلتَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الْخَطَايَا ، وَلِثَلَاثِ سُبُوحٍ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
فِي الْإِيمَانِ .

واعترض الإمام غفر الدين بأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا
الجواب ، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً .

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسيره^(٦) : وقال : ما فائدة الفرق في الخطاب
وللعنى مشترك ؟ إذ الكافر إذا آمن وللؤمن إذا تاب مشتركان في التفران ، وما تخيلت
فيه مغفرة بعض الذنوب من^(٧) الكافر إذا هو آمن^(٨) ، موجود في للؤمن إذا تاب .
وسياتي بسط الكلام على ذلك في آخر الكتاب .

الإيجاز

وهو قسم من الحذف ، ويسمى إيجاز القصر ؛ فإن الإيجاز عندهم قمان : وجيز
يلتقط ، ووجيز يحذف .

- | | |
|-------------------------------|---------------------|
| (١) سورة الصف ١٢ | (١) سورة الصف ١٠ |
| (٥) سورة الأحقاف ٣١ | (٣) سورة إبراهيم ١٠ |
| (٦) البحر المحيط ٦ : ٤٠٩ | (٥) الكشاف ٢ : ٤٢٣ |
| (٨) البحر : « اتقى هو آمن » . | (٧) البحر : « ق » . |

فالوجيز باللفظ أن يكون اللفظ بالنسبة إلى اللفظ أقل من القدر^(١) للمهود عادة ؛
وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في التصاحه ، ولما قال صلى الله عليه وسلم : « أوتيت
جوامع الكلم » .

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساويا لمناه وهو القدر ؛ أو أقل منه وهو القصور .
أما القدر فكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾^(٢) الآية .
وقوله : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾^(٣) ، وهو كثير .
وأما القصور ؛ فإما أن يكون قصار لفظه عن معناه لا حبال لفظه لمعان كثيرة ، أولا .

الأول كاللفظ للشرک الذي له مجازان ، أو حقيقة ومجاز إذا أريد معانيه ؛ كما في قوله
تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٤) ؛ فإن الصلاة من الله مفارقة للصلاة
من للملائكة ، والحق أنه من القدر للشرک وهو الاعتناء والتعظيم .
وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ... ﴾^(٥) الآية ؛
فإن السجود في الكل يحمله معنى واحد ؛ وهو الاقنياد .

والثاني كقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٦) .
وقوله : ﴿ أَوَلَيْكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾^(٧) .

(٢) سورة عبس ١٧

(٣) سورة الحج ٥٦

(٤) سورة الحج ٥٦

(٥) سورة الأعراف ١٩٩

(٦) سورة الأعراف ١٩٩

(٧) سورة الأعراف ١٩٩

(١) سورة عبس ١٧

(٢) سورة الحج ٥٦

(٣) سورة الحج ٥٦

(٤) سورة الأعراف ١٩٩

(٥) سورة الأعراف ١٩٩

(٦) سورة الأعراف ١٩٩

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١) ، إذ معناه كبير ولقطة يسير .

وقد نُظِرَ لقول العرب: «القتل أنقى للقتل» ؛ وهو بنون ثم فاء ، ويروى بناء ثم كاف ويروى «أوقى» . وللعنى أنه إذا أقيم وتمحق حكمه خاف من يريد قتل أحد أن يقتص منه ، وقد حكاه الخوفاً في تفسيره عن علي بن أبي طالب ، وقال : قولٌ عليّ في غاية البلاغة ؛ وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحتها ؛ وأبلغ منه قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٢) وقد تكلموا في وجه الأبلغية ، انتهى .

وقد أشار صاحب «الثلث السائر» إلى إنكار ذلك ، وقال : لانسبة بين كلام الخالق عز وجل وكلام المخلوق ؛ وإنما العلماء يقتدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك . وهو كما قال ، وكيف يقابل المعجز بنيره مفاضلة ، وهو منه في مرتبة المعجز عن إدراكه :

وَمَاذَا يَقُولُ الْفَائِزُونَ إِذَا بَدَأَ بَجَالٍ خُطَابٍ فَاتَ فَهُمْ انْخِلَاتِي

وجملة ما ذكروا في ذلك وجوه :

أحدهما أن قوله : ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أوجز ؛ فإن حروفه عشرة ، وحروف «القتل أنقى للقتل» أربعة عشر حرفاً ، والثاء وألف الوصل ساقطان لفظاً ، وكذا التنوين تمام الكلام للتفتي للوقف .

الثاني : أن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل ، ولا تكرير في الآية .

الثالث : أن لفظ «القصاص» فيه حروف متلازمة ؛ لما فيه من الخروج من القاف إلى الصاد ، إذ القاف من حروف الاستعلاء ، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق ؛

(١) سورة البقرة ١٧٩

(٢) انظر الجزء الثاني ص ١٢٥ من كتاب الثلث السائر .

بمخلاف الخروج من القاف إلى التاء ، التي هي حرف منخفض ، فهو غير ملائم ، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الميمزة ، لبعد مادون طرف اللسان وأقصى الحلق .

الرابع : في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ، ولا كذلك تكرير القاف والقاء .

الخامس : تكرير ذلك في ^(١) كلمتين مماثلتين بدفصل طويل ، وهو قتل في الحروف أو الكلمات .

السادس : الإثبات أول والنفي ثان عنه ؛ والإثبات أشرف .

السابع : أن التصاص للبنى على المساواة أوزن في للمادة من مطلق القتل ، ولذلك يلزم التخصيص ، بمخلاف الآية .

الثامن : الطباع أقبل للفظ « الحياة » من كلمة « القتل » ، لما فيه من الاختصار ، وعدم تكرار الكلمة ، وعدم تنافر الحروف ، وعدم تكرار الحرفين ؛ وقبول الطبع للفظ « الحياة » وصحة الإحلاق .

التاسع : أن نفي القتل لا يستلزم الحياة ، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي النرض المطلوب منه .

العاشر : أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بد فهم أن التصاص هو الحياة ، وقوله : (في التصاص حياة) مفهوم لأوّل وهلة .

الحادى عشر : أن قولهم خطأ ؛ فإن القتل كلمة ليس نافياً للقتل ؛ فإن القتل المدوائى لا يبنى القتل ، وكذا القتل في الردّة والزنا لا ينفيه ؛ وإنما ينفيه قتل خاص

(١) ت : « من » ، وما أتيه من م .

وهو قتل القصاص ؛ فاقى في الآية تنصيب على القصد ، والذى في اللث لا يمكن حله على ظاهره .

الثاني عشر : فيه دلالة على ربط القادير بالأسباب ، وإن كانت الأسباب أيضاً بالقادير ، وكلام العرب يتضمنه ؛ إلا أن فيه زيادة وهي الدلالة على ربط الأجل في الحياة ؛ بالسبب ، لا من مجرد نفي القتل .

الثالث عشر : في تنكير « حياة » نوع تعظيم ؛ يدل على أن في القصاص حياة متطاولة ، كقوله : « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَجِينَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ »^(١) ولا كذلك للث ؛ فإن اللام فيه للجنس ؛ ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

الرابع عشر : فيه بناء أفضل التفضيل من متجد ، والآية سالمة منه .

الخامس عشر : أن « أفضل » في الثالب تقتضى الاشتراك ؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل ؛ ولكن القصاص أكثر نفاً ، وليس الأمر كذلك ، والآية سالمة من هذا .

السادس عشر : أن اللفظ للتطوق به إذا توالى حركاته تمكن اللسان من النطق ، وظهرت فصاحته ، بخلافه إذا تقب كل حركة سكون، والحركات تنقطع بالسكتات نظيره : إذا تحركت الهاء أدنى حركة ، غفست ، ثم تحركت غفست ، لا يتبين انطلاقتها ، ولا تمكن من حركتها على ما يختاره ؛ وهي كالمقيدة ، وقولهم : « القتل أنقى للقتل » ، حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية .

السابع عشر : الآية اشتملت على فنّ بديع ؛ وهو جعل أحد الضدين الذى هو الغناء والموت محلاً ومكاناً لضده الذى هو الحياة ، واستقرار الحياة في اللوت مبالغة عظيمة ذكره في الكشف .

الثامن عشر : أن في الآية طباقة ؛ لأن القصاص مُشعر بضد الحياة ، بخلاف للتل .
 التاسع عشر : القصاص في الأعضاء والنفوس ، وقد جُل في الكل حياة ؛ فيكون
 جمعا بين حياة النفس والأطراف ، وإن فُرض قصاص بملاحياة فيه كالسن ؛ فإن مصلحة
 الحياة تنقص بنهايه ، ويصير كنوع آخر ؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها للتل .
 المشرون : أنها أكثر ^(١) فائدة لتضمنه القصاص في الأعضاء ، وأنه نبه على حياة
 النفس من وجهين : من وجه به القصاص مبرحا ، ومن وجه القصاص في الطرف ؛ لأن
 أحد أحوالها أن يسرى إلى النفس فيزيلها ، ولا كذلك للتل .
 وقد قيل غير ذلك .

وأما زيادة (لَكُمْ) ففيها لطيفة ؛ وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص ،
 وأنهم المراد بحياتهم لا غيرهم ، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم .
 والحاصل أن هذا من البيان للوجز الذي لا يقرن به شيء .

ومن يدعي الإيجاز قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . . . ﴾ ^(٢) الآية ،
 فإنها نهاية التنزيه .

وقوله : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ^(٣) ، وهذا
 بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإهمال .
 وقوله : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٤) .
 وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ ^(٥) ، وهذا من أحسن الوعد والوعيد .

(٢) سورة الإخلاص ١ ، ٢

(٤) سورة الدخان ٤٠

(١) ت : د أكبر .

(٣) سورة الدخان ٢٦

(٥) سورة الدخان ٥١

وقوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(١) ، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة .

وقوله: ﴿ خُذِ الْقَوْلَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) ، فهذه جمعت مكارم الأخلاق كلها ؛ لأن في ﴿ خُذِ الْقَوْلَ ﴾ صلة القاطمين ، والصنع عن الظالمين ، وفي الأمر بالمعروف تنوى الله صلة الأرحام ، وصرف اللسان عن الكذب ، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن ممارسة السفيه .

قوله: ﴿ مُذَاهِمَاتَانِ ﴾^(٣) ، معناه مسودتان من شدة الخفزة .

وقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾^(٤) .

وقوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾^(٥) ، فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومطاعاً للأنام ، من المشب ، والشجر ، والحب ، والتمر ، والعصف ، والحطب ، والياس ، والنار ، وللح ؛ لأن النار من الميدان ، وللح من اللاء .

وقوله: ﴿ يُسْقَى بِسَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضَلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي آتٍ كَلِيلٍ ﴾^(٦) ، فدلّ على غسه ولطفه ووحدايته وقدرته ، وهدي للصحة على من ضلّ عنه ؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والترية ، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم والروائح ، ولا يقع التضائل في الجنس الواحد إذا ثبت في مفرد واحد ؛ ولكنه صنع اللطيف الخبير .

وقوله: ﴿ لَا يَصْدَعُونَ عَلَيْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾^(٧) ، كيف نفى بهذين جميع عيوب

الحجر ، وجمع بقوله: ﴿ لَا يُنْزِفُونَ ﴾^(٨) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب .

(٢) سورة الأعراف ١٩٩

(٤) سورة البقرة ٢٨٦

(٦) سورة الرعد ٤

(١) سورة الحجر ٩٤

(٣) سورة الرحمن ٦٤

(٥) سورة التازعات ٨١

(٧) سورة الواقعة ١٩

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْعُمْمَ وُلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ .
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ﴾ ^(١) فدل على
فضل السمع والبصر ، حيث جبل مع الصم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان
البصر وحده .

وقوله : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْي مَاءَكِ وَإِسْمَاءِ أَفْلَيْي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ
وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُدْأُ الْقُرْآنِ لِقَوْمٍ أَفْهَامِينَ ﴾ ^(٢) كيف أمر ونهى ، وأخبر
ونادى ، ونفث ومضى ، وأهلك وأجى ، وأسعد وأشتى ، فمن الأنباء ما لم يشرح
ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجلت الأقلام
والمحسرت الأيدي .

وقوله تعالى عن النملة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ^(٣) فجمع في هذه
اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام ، نادت ، وكنت ، ونهت وسمعت ، وأمرت ، وقضت
وحذرت ، وخصت ، وعمت ، وأشارت ، وغدرت ؛ فالنداء « يا » ، والكناية « أي » ،
والتنبيه « ها » ، والتسمية النمل ، والأمر ، « ادخلوا » ، والتخصيص « مساكنكم » ،
والتحذير « لا يحطنكم » ، والتخصيص سليمان ، والتعميم جنوده ، والإشارة « وهم » ،
والندرا لا يشعرون . فأدت خمس حقوق : حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيته
وحق جنود سليمان . فحق الله أنها استرعت على النمل فقامت بمجتهم ، وحق سليمان أنها
نهيته على النمل ، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصيحهم ^(٤) ، وحق الجنود
بنصيحها لهم ليدخلوا مساكنهم ، وحق الجنود بإغلاها بإيامهم وجميع إطلاق أب . من

(٢) سورة مود ٤٤
(٤) ت : « لنصيحهم » .

(١) سورة يونس ٤٢ ، ٤٣ ؛
(٣) سورة النمل ١٨ .

استرعاه رعية فوجب^(١) عليه حفظها والقبّ عنها ؛ وهو داخل في الخبر للشهور : « كُتِّمَ راعٍ وكلِّكم مستول عن رعيته »

ويقال : إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة ، وأخرى حين أشرف على وادي النمل فرآها على كبر الثالب ، لها خراطيم وأنياب ، فقال رئيسهم : ادخلوا مساكنكم ، فخرج كبير^(٢) النمل في عظم الجواميس ، فلما نظر إليه سليمان حاله ، فأراه اعظامه ، فغض له ، ثم قال : أهذه كلها نمل ؟ قال : إن النمل لكبير ، إنها ثلاثة أصناف : صِئف في الجبال ، وصِئف في القرى ، وصِئف في المدن . قال سليمان عليه السلام : اعرضها علي ، فقال له : قف . فبقى سليمان عليه السلام تسعين يوما واقفا ، يمرّ عليه النمل ؛ قال : هل انقطعت عساكركم ، قال ملك النمل : لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت . فذكر الجنيد أن سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل : لم قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ؟ أخفت عليهم من ظلنا ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن يغتفونا بما رأوا من ملكك ، فيشتغلهم ذلك عن طاعة الله .

وقوله : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾^(٣) ، وهذا أشد ما يكون من الحجاج .
وقوله : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الذُّلَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٤) ، وهذا أعظم ما يكون من التحسير .

وقوله : ﴿ الْأَخْيَارَ يَوْمَئِذٍ يَنْفَعُهُمْ لِبَعْضِ عَدُوِّهِمْ إِلَّا الْعَمَلِينَ ﴾^(٥) ، وهذا أشد ما يكون من التنفير عن الغلّة إلا على التقوى .

(٢) م : د كبير .

(٤) سورة الزخرف ٣٩

(١) ت : « فوجب » .

(٣) سورة يس ٧٨ ، ٧٩

(٥) سورة الزخرف ٦٧

وقوله: ﴿أَنْ قَوْلُ نَفْسٍ يَاحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(١)، وهذا أشد ما يكون من التعذير من التبريع .

وقوله: ﴿أَفَنْ يَبْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢)، وهذا أشد ما يكون من التبعيد .

وقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٣)؛ فهذا أعظم ما يكون من التخدير^(٤) .

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٥)، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ أَتَوْا صَوَابًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٦)، وهذا أشد ما يكون في التبريع على التماسي في الباطل .

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا النَّجْرِيُّونَ . يَلُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَإِيمِ آدَمَ﴾^(٧)، وهذا أشد ما يكون من التبريع .

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٨)، وهذا غاية الترهب .

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾^(٩)، وهذه غاية الترغيب .

- | | |
|-------------------------|---|
| (١) سورة الزمر ٥٦ | (٢) سورة فصلت ٤٠ |
| (٣) سورة فصلت ٤٠ | (٤) في حاشية إحدى النسخ: «المروق عند الأصولين أن الأمر فيه التهديد لا للإباحة والتخير — كذا من الأصل » . وفي ت: « الحبر » . |
| (٥) سورة ق ٢١ ، ٢٢ | (٦) سورة القاريات ٥٢ : ٥٣ |
| (٧) سورة الرحمن ٤٣ ، ٤٤ | (٨) سورة آل عمران ١٨٥ |
| (٩) سورة فصلت ٣١ | |

وقوله: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذْ نَزَلَ لَذَهِبَ كُلِّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(١) .

وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ^(٢) ، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج وهو الأصل الذي عليه أثبتت دلالة التامع في علم الكلام .

وقوله: ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَبِهَ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات ، وتلذذ الأعين من المراتب ، ليعلم أن هذا اللفظ القليل جداً ، حوى ما في كثيرة لا تنحصر علدا .

وقوله: ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوكُمْ ﴾ ^(٤) ، وهذا أشد ما يكون من الخوف .

وقوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ ^(٥) .

وقوله: ﴿ إِنَّا بَنَيْنَاكُمْ ﴾ ^(٦) .

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ^(٧) .

وقوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٨) .

وقوله: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَكِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطْلَعُ ﴾ ^(٩) .

وقوله: ﴿ قَانِذٌ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ ^(١٠) ، معناه قانذهم بما يغلوهمك ، وعاندهم مثل

معاملتهم لك سواء ، مع ما يدل عليه « سواء » من الأمر بالعدل .

وقوله: ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ^(١١) ، فإنه أشار به إلى إعطاء مدتللاء النازل

(٢) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة النازعات ٤

(٦) سورة يونس ٢٣

(٨) سورة البقرة ٢

(١٠) سورة الأتال ٥٨

(١) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الزخرف ٧١

(٥) سورة طه ٤٣

(٧) سورة ص ٥١

(٩) سورة غافر ١٨

(١١) سورة هود ٤٤

من السماء والتابع من الأرض . وقوله : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك من قضى هلاكه ، ونجا من قدرت نجاته ، وإنما عدل عن لفظه إلى لفظ التمثيل ؛ لأمرين : اختصار اللفظ ، وكون الملوك والنجاة كانا بأمر مطاع ، إذ الأمر يستدعى أمرا ومطاعا ، وقضاؤه يدل على قدرته .

ومن أقسام الإيجاز الاختصار على السبب الظاهر للشيء ؛ اكتفاء بذلك عن جميع الأسباب ، كما يقال : فلان لا يخاف الشيطان ، وللراد لا يخاف أحدا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾^(١) ، ولا شك أن من فسخ النكاح أيضا تربعص ، لأن السبب التالي للقراق الطلاق .

وقوله : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾^(٢) ، ولم يذكر النوم وغيره ؛ لأن السبب الضروري الناقض خروج الخارج : فإن النوم الناقض ليس بضروري ، فذكر السبب الظاهر ، وعلم منه الحكم في الباقي .

ومنه قوله : ﴿ يَلْمِ السَّرَّ وَأُخِي ﴾^(٣) ، أى وهو ما لم يقع في يوم الضمير من المواجه ، ولم يحظر على القلوب من مخيلات الوسوس .

ومنه : ﴿ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٤) ، ونظائره .

وكذلك زيد وعمر وقائم ، على القول بأن « قائم » خبر عن أحدهما ، واستغنى به عن خبر الآخر .

ومنها الاختصار على الابتداء وإقامة الشيء مقام الخبر نحو : أقائم الزيدان ، فإن « قائم » مبتدأ لا خبر له .

(٢) حورة النساء ٤٣

(٤) سورة الأحزاب ٥٦

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٣) سورة طه ٧

ومنها باب « علمت أنك قائم » ، إذا جئنا الجملة سادة مسددة للقولين ؛ فإن الجملة تحذف لاسم واحد مسددة اسمين مفعولين من غير حذف .

ومنه باب النائب عن الفاعل ، في « ضُرب زيد » ، فـ « زيد » دل على الفاعل بإعطائه حكمه ، وعلى القول بوضعه .

ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط ؛ فإن « كم مالك » ؟ ينفي عن عشرين أو ثلاثين ، و « من أكرمته ^(١) » ينفي عن زيد وعمرو ، قاله ابن الأثير في « الجامع » .

ومنه الألفاظ اللازمة للسوم ، مثل أحد ودينار ، قاله ابن الأثير أيضاً .

ومنه لفظ الجمع ؛ فإن « الزيدون » ينفي عن زيد وزيد وزيد ، وكذا التثنية أصلها رجل ورجل ، فخذفوا المطف والمطوف ، وأقلموا حرف الجمع والتثنية مقامها اختصاراً وصح ذلك لاتفاق القاتنين في التسمية بلفظ واحد ، فإن اختاف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرار بالمطف ؛ نحو مررت بزيد وبكر .

ومنه باب الضمائر على ما سيأتي بيانه ؛ في قاعدة الضمير .

ومنه لفظ « فعل » فإنه يحكى كثيراً كناية عن أفعال متعددة ؛ قال تعالى : (لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ^(٢) (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) ^(٣) .

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا) ^(٤) ، أى فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله .

(٧) سورة لاثمة ٧٩

(٤) سورة البقرة ٢٤

(١) ساقطة من ت

(٢) سورة النساء ٦٦

القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكهم في الكلام واقتياده لم. وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق. وقد اختلف في عده من المجاز؛ فهم من عده منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير، كالفعول، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، **قُلْ كُلُّ** واحد منهما عن رتبته وحقه. والصحيح أنه ليس منه؛ فإن المجاز **قُلْ** ما وضع له إلى ما لم يوضع. ويقع الكلام فيه في فصول:

الفصل الأول

[في أسباب التقديم والتأخير]

الأول: في أسبابه، وهي كثيرة:

أحدها: أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للبدول عنه، كتقديم الفاعل على الفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها؛ نحو جاء زيد راكباً.

والثاني: أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(١)، فإنه لو أخر قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، فلا يفهم أنه منهم.

وجعل السكاكي^(٢) من الأسباب كون التأخير مانعاً، مثل الإخلال بالقصود،

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيعَادِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١) ، بتقديم الحلال أعني (من قومه) على الوصف أعني (الذين كفروا) ولو تأخر^(٢) لتوهم أنه من صفة الدنيا ؛ لأنها هاهنا اسم تفضيل ؛ من الدنو ، وليست اسما ، والدنو يصدى بـ « من » ، وحينئذ يشقبه الأمر في القائلين أنهم أئمة : من قومه أم لا ؟ قدّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى للقصود ؛ وهو كون القائلين من قومه . وحين أمين هذا الإخلال بالتأخير قال تعالى في موضع آخر من هذه السورة : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾^(٣) ، بتأخير المجرور عن صفة للرفوع .

الثالث : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدّم^(٤) لمشكلة الكلام ولرعاية القاصلة ، كقوله : ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) ، بتقديم « إياه » على « تعبدون » لمشكلة رموس الآي ، وكقوله : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾^(٦) ، فإنه لو أخر (في نفسه) عن (موسى) ؛ فأت تناسب الفواصل ؛ لأن قبله : ﴿يُخِيلُ إِلَهُهُ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى﴾^(٧) ، وبعده : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٨) .

وكقوله : ﴿وَنَسْنَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^(٩) ؛ فإن تأخير الفاعل عن للفعول لمناسبة لما بعده .

وكقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٠) ، وهو أشكل بما قبله ، لأن قبله : ﴿مُفَرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(١١) .

(٢) ت : « إذ » .

(٤) م : « قدّم » .

(٦) سورة طه ٦٦ ، ٦٨ .

(٨) سورة إبراهيم ٤٩ .

(١) سورة المؤمنون ٢٣ .

(٢) سورة المؤمنون ٢٤ .

(٥) سورة فصلت ٣٧ .

(٧) سورة إبراهيم ٥٠ ، ٥١ .

وجعل منه السكاكى^(١) : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^(٢) ، بتقديم ﴿ هَارُونَ ﴾ مع أن ﴿ موسى ﴾ أحقّ بالتقديم .

الرابع : لفظه والاهتمام به ؛ وذلك أن من عادة العرب التصحاء ، إذا أخبرت عن غير ما - وأناطت به حكما - وقد يشركه غيره في ذلك الحكم ، أو فيما أخبر به عنه ؛ وقد عطف أحدهما على الآخر بالواو للتفضية علم الترتيب - فإنهم مع ذلك إنما يبدئون بالأهم والأولى . قال سيويه : كأنهم يقدمون الذى شأنه أهم لهم ، ومم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهتمانهم ويمتنيانهم . انتهى .

قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾^(٣) ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم . وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ ﴾^(٥) ؛ قدّم العبادة للاهتمام بها . ومنه تقدير الخنوف في بسم الله مؤخرًا .

وأوردوا : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(٦) ؛ وأجيب بوجهين :

أحدهما : أن تقديم الفعل هناك أهم ، لأنها أول سورة نزلت .

والثاني أن : ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ مطلق بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾^(٧) الثانى ، ومعنى الأول : أوجد القراءة ، والتصد التعميم .

الخامس : أن يكون الخاطر ملتحقا إليه والهمة معقودة به ؛ وذلك كقولہ تعالى :

(٢) سورة طه - ٧٠

(٤) سورة النباين ١٢

(٦) سورة الطلق ١ ، ٣

(١) انظر مفتاح العلوم ١٢٩

(٣) سورة البقرة ٤٣

(٥) سورة فاتحة الكتاب ٥

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾^(١) ، بتقديم الجرور على المفعول الأول ؛ لأن الإنكار متوجه إلى الجبل لله ، لا إلى مطلق الجبل .

السادس : أن يكون التقديم لإرادة التبعيت والتعجيب من حال المذكور ؛ كتقديم للمفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾^(٢) ، والأصل «الجن شركاء» ؛ وقدم ، لأن المقصود التوبيخ ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله .
ومنه قوله تعالى في سورة يس : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(٣) ، وسنذكره .

السابع : الاختصاص ، وذلك بتقديم المفعول ، والتعجب ، والظرف ، والجار والجرور ، ونحوها على الفعل ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنْهُمْ إِنَاءً تَعْبُدُونَ﴾^(٤) ، أى غصصك بالعبادة فلان عبد غيرك .
وقوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآيَةَ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) ، أى إن كنتم تحسونه بالعبادة .
والتعجب كقوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾^(٦) ، وقوله : ﴿وَعَلَّوْا أَنَّهُمْ مَا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٧) .

وأما تقديم الظرف ؛ فقيه تفصيل ، فإن كان في الإثبات دلالة على الاختصاص ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآيَةَ تَعْبُدُونَ﴾^(٨) ، وكذلك : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾^(٩) ، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى ؛ وقوله : ﴿إِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾^(١٠)

(٢) سورة يس ٢٠

(٤) سورة النحل ١١٤

(٦) سورة المفسر ٢

(٨) سورة التائين ١

(١) سورة الأعمام ١٠٠

(٣) سورة فاطمة الكتاب ٥

(٥) سورة مريم ٤٦

(٧) سورة التائنية ٢٥ ، ٢٦

(٩) سورة آل عمران ١٥٨

أى لا إلى غيره ، وقوله : ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(١) ، أخرت صلة الشهادة في الأول وقلمت في الثاني ؛ لأنَّ الفرض في الأول إثباتُ شهادتهم على الأمم ، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ ^(٢) ، أى لجميع الناس من العجم والعرب ، على أن التعريف للاستغراق .

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل للنفي عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ ^(٣) ، أى ليس في خر الجنة ما في خرمة غيرها من الغَوْل . وأما تأخيرها فإنها تفيد النفي قط ، كما في قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٤) فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار ؛ كان معناه : نفي العيب في الدار ، وإذا قلنا لا في الدار عيب ، كان معناه : أنها تفضل على غيرها بعدم العيب .

تَسْبِيحٌ

ما ذكرناه من أن تقديم الممول يفيد الاختصاص ، فيه الشيخ أبو حيان في كلام المخشري وغيره ، والذى عليه محققو البيانين أن ذلك غالب لا لازم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ شَكَّ ﴾ ^(٦) ، إن جملنا ما بعد الظرف مبتدأ .

وقد ردَّ صاحب « التلک » ^(٧) الدائر « القاعدة بالآية الأولى ، وكذلك ابن الحاجب والشيخ أبو حيان ، وخالفوا البيانين في ذلك ، وأنت إذا علمت أنهم

(٢) سورة النساء ٧٩

(٤) سورة البقرة ٢

(٦) سورة إبراهيم ١٠

(١) سورة البقرة ١٤٣

(٣) سورة الصافات ٤٧

(٥) سورة الأنعام ٨٤

(٧) أبو حمزة الدين بن أبي الحديد ، صاحب كتاب التلک الدائر على التلک السابق ، قد فيه كتاب ابن الأثير

ذكروا في ذلك قيد التلبية سهّل الأمر . نعم له شرطان :
 أحدهما ألا يكون الممول مقبلاً بالوضع ؛ فإن ذلك لا يسيّ قديماً حقيقة ، كأسماء
 الاستفهام ، وكالابتداء عند من يحمله معمولاً غيره .
 والثاني : ألا يكون التقديم لمصلحة التركيب ، مثل : ﴿ وَأَمَّا تَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾^(١)
 على قراءة النصب .
 وقد اجتمع الاختصاص وعلمه في آية واحدة ؛ وهي قوله : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ﴾^(٢) ، التقديم في الأول قطعا ليس
 للاختصاص ، بخلاف الثاني .

الفصل الثاني

في أنواعه

وهي إما أن يُقدّم والمعنى عليه ، أو يُقدّم وهو في المعنى مؤخر ، أو بالعكس .

النوع الأول

ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة ، قد يستر الله منها خسا وعشرين ، والله درّ ابن عبدون في قوله :
 سَقَاكَ الْحَيَا مِنْ مَّاءٍ سِفَاحٍ فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَّاءٍ فِصَاحٍ

أحدها

السبق

وهو أقسام : منها السبق بالزمان والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ ^(١) قال ابن عطية : للراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة .

وقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ؛ فإن منعب أهل السنة تفضيل البشر ، وإنما قدّم لك لسبقه في الوجود .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ ^(٣) ؛ فإن الأزواج أسبق بالزمان ؛ لأن البنات أفضل منهن ، لكونهن بضعة منه صلى الله عليه وسلم .
وقوله : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ ^(٤) .

. واعلم أنه ينضم إليه مع ذلك التشريف ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ^(٦) .

﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(٧) .

وأما قوله : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ^(٨) فإنما قدّم ذكر موسى لوجهين : أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالتترك وكانت صحف موسى منتشرة أكثر اقتشاراً من صحف إبراهيم ، وثانيهما مراعاة دعوى موسى الآي .

(٢) سورة الحج ٧٥

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٦) سورة الأحزاب ٧

(٨) سورة التجم ٣٦ ، ٣٧

(١) سورة آل عمران ٦٨

(٣) سورة الأحزاب ٥٩

(٥) سورة آل عمران ٣٣

(٧) سورة الأمل ١٩

وقد ينضم إليه التصغير ، كما في قوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١) ؛
تقدم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصرارى ، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة .
وقد لا يلتصق هذا بكوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَنُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مِيسَاكِينِهِمْ ﴾^(٢)
وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى . وَنُودًا ثَمَارًا ﴾^(٣) .

ومن التقديم بالإيجاد تقديم السنّة على النوم في قوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٤)
لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنّة - ل النوم ، فجاءت العبارة على حسب
هذه العادة .

ذكره السهيلي وذكر معه وجها آخر ؛ وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء
واقتراد السنّة أبلغ في التزنيه فبدى بالأفضل ؛ لأنه إذا استعالت عليه السنّة فأحرى أن
يصحبل عليه النوم .

ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(٥) فإن
الظلمات سابقة على النور في الإحساس ، وكذلك الظلمة للمنوية سابقة على النور المعنوي ؛
قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾^(٦) فاختصا العلم ظلمة ، وهو متقدم بالزمان على
نور الإدراكات .

ومنه تقديم الليل على النهار : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾^(٧) ﴿ سِيرُوا فِيهَا
فَيَكِلَىٰ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾^(٨) . ﴿ بَلْ مَكْرٌ أَقِيلٌ وَالنَّهَارِ ﴾^(٩) . ﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

(٢) سورة النكبات ٣٨

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة الحل ٧٨

(٧) سورة سبأ ١٨

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة النجم ٥٠ ، ٥١

(٥) سورة الأنعام ١

(٧) سورة الإسراء ١٢

(٩) سورة سبأ ٣٣

تُصْبِحُونَ^(١) وقللك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام ؛ وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة ، وقاعدتهم تغليب الذكر إلا في التاريخ .
فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾^(٢) .

قلت : استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في قواعده^(٣) بالإجماع على سبق الليلة على اليوم . وأجاب بأن اللفظ : تدرك القمر في سلطانه ، وهو الليل ، أى لانجى الشمس في [أثناء]^(٤) الليل ، بقوله بعده : ﴿ وَلَا لَآلِئُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٥) ، أى لا يأتى في بعض سلطان الشمس وهو النهار . وبين الجلتين مقابلة .

فإن قيل : قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٦) مُشْكِلٌ عَلَى هَذَا ؛ لَأَنَ الْإِيْلَاجَ إِدْخَالَ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ ، وَهَذَا الْبَحْثُ يَنْفَاهُ .

قلت : للشهوز في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقداراً من النهار، ومن النهار في الصيف مقداراً من الليل ؛ وتدير الكلام : يولج بعض مقدار الليل في النهار ، وبعض مقدار النهار في الليل . وعلى غير المشهور ، يحمل الليل في المكان الذى كان فيه النهار ويحمل النهار في المكان الذى كان فيه الليل ، والتقدير : يولج الليل في مكان النهار ويولج النهار في مكان الليل .

ومنه تقديم المكان على الزمان في قوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

(٢) سورة يس ٥٠

(١) سورة الروم ١٧

(٣) القواعد الكبرى ، في فروع العافية للشيخ عز الدين عبد السلام ، ذكره صاحب كشف الظنون ، وقال : ليس لأحد منه . وكثير منه مأخوذ من شعب الإيمان للطيبي ، وله القواعد الصغرى أيضا .

(٥) سورة الحديد ٦

(٤) تكة من م .

(٦) م : د : ق .

وَالنُّورُ^(١) ، أى الليل والنهار ، وقوله : (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوفًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)^(٢) .
وهذه مسألة مهمة قلَّ مَنْ نَمَرَّضَ لها ، أعنى سبق للسكان على الزمان ، وقد صرح بها الإمام أبو جعفر الطبرى فى أول تاريخه ، واحص^(٣) على ذلك بحديث ابن عباس : إن الله خلق التربة يوم السبت ، وخلق الشمس والقمر ؛ وكان ذلك كله ولايل ولا نهار ؛ إذ كانت إجماعها أسماء لساعات معلومة من قَطْعِ الشمس والقمر [دَرَجَةُ الْفَلَكَ]^(٤) وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر ، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار . قال : وحديث أبي هريرة - يعنى فى صحيح مسلم - صريح فيه ؛ فإن فيه : « وخلق [الله]^(٥) النور يوم الأربعاء » ، قال : ويعنى به^(٦) الشمس إن شاء الله .

والحاصل أن تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء للذكورة فى الخير لازم .
فإن قلت : الحديث كالصرح بخلافه ؛ فإنه قال : خلق الله التربة يوم السبت ، حين خلق البرية وهى أول المخلوقات للذكورة ، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلها متأخراً عن ذلك .

قلت : قد نبه الطبرى على جواب ذلك بما حاصله : أن الله تعالى سَمَّى أسماء الأيام قبل خلق التربة ، وخلق الأيام كلها ، ثم قَدَّرَ كل يوم مقداراً ، فخلق التربة فى مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت ، وكذا الباقي .

وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن أوجب ما قاله الطبرى ؛ من أنه يصح تأخير الأيام لما ذكرناه من الدليل للاستفاد من الخبرين .

والحاصل أن الزمان قسمان : تمحيق وتخييد ؛ ولذا كور فى الحديث التخييد .

(٢) سورة الأنبياء ٣٢ ، ٣٣

(٤) من تاريخ الطبرى

(١) سورة الأنام ١

(٣) تاريخ الطبرى ١ : ١٣

(٥) الطبرى : يعنى بالنور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ^(١) . ﴿ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَشَارِقَهَا ﴾ ^(٢) ؛ وذلك لما استغنى عن أحدهما ذكر للشرق قط ، قال : ﴿ رَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ ^(٣) . ﴿ إِنَّا زَيْنًا لِّلنَّاسِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ^(٥) ، وأقوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ ^(٦) . ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ^(٧) . ويمكن فيه وجوه أخر :

منها أن فيه قهراً للخلق ، وللقام يقتضيه .

ومنها أن حياة الإنسان كالحياة ، ومآله إلى اللوت ، ولا حياة إلا بعد اللوت .

ومنها أن اللوت تدم في الوجود ، إذ الإنسان قبل فسخ الروح فيه كان ميتاً لعدم الروح . وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود ؛ بدليل : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وإن أريد به بعد الوجود ، فالناس متنازعون في اللوت : هل هو أمر وجودي كالحياة أولاً ؟

وقيل بالوقف ، فقالت الفلاسفة : اللوت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً .

والجمهور على أنه أمر وجودي يضاد الحياة ، محتجين بقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ، والحديث في الإتيان بالموت في صورة كبش وذبحه .

وأجيب عن الآية بأن الخلق بمعنى التقدير ، ولا يجب في التقدير أن يكون وجودياً ،

وعن الثاني بأن ذلك على طريق التمثيل ؛ لبيان اختطاع اللوت وثبوت الخلود .

فإن قلنا : عدوى ، فالتمثيل بينه وبين الحياة تماثل المدم والملسكة ، وعلى الصحيح

تماثل التضاد . وعلى القول بأنه وجودي يجب أن يقال : تقديم اللوت إلى هو علم الوجود ؛

(١) سورة الرحمن ١٧

(٢) سورة النمل ١٧

(٣) سورة الملك ٢

(٤) سورة النمل ١٧

(٥) سورة البقرة ٢٨

(٦) سورة النجم ٤٤

لكونه سابقاً أو معدوم الحياة ، الذى هو مفارقة الروح البدنى يجوز أن يكون لكونه
الناية التى يساق إليها فى دار الدنيا ؛ فعلى العلة الثانية بعدم تحقيقها ، لنقصها ^(١) ، فنقص العلة
السامية كما وقع تأكيده فى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ^(٢) ، أو تزهيداً فى
الدار القانية ، وترغيباً فيما بعد اللوت .

فإن قيل : فما وجه تقدم « الحياة » فى قوله : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ ^(٣)
وقوله : ﴿ وَتَحْيَايَ وَتَمَاتِي فِى رَبِّ السَّالِكِينَ ﴾ ^(٤) ؟

قلنا : إن كان الخطاب لآدم وحواء ، فلأن حياتهما فى الدنيا سبقت اللوت ، وإن
كان للخلق بالخطاب لمن هو حى يقبىه اللوت ، فما التقديم بالترتيب ، وكذا الآية بعده .
فإن قيل : فما وجه تقدم اللوت على الحياة فى الحكاية عن مُسَكِّرِ البعث : ﴿ إِنْ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ ^(٥) ؟
قلت : لأجل مناسبة ردوس الآى .

فإن قلت : فما وجه تقدم التوقى على الرض فى قوله : ﴿ إِنِّى مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِئُكَ إِلَى ﴾ ^(٦)
مع أن الرض سابق ؟
قيل : فيه جوابان :

أحدهما : للراد بالتوقى النوم ، كقوله تعالى : ﴿ يَتَوَقَّأُكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ ^(٧)
وثانيهما : أن التاء فى « مُتَوَقِّئُكَ » زائدة ، أى موفيك عمك .
ومنها سبق إنزال ، كقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا لِلنَّاسِ أَنْزِلَا
الْفُرْقَانِ ﴾ ^(٨) . وقوله : ﴿ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ^(٩)

(١) الكلام غير واضح فى الأصلين .

(٢) سورة الأعراف ٢٥

(٣) سورة المؤمنون ١٥

(٤) سورة المؤمنون ٣٧

(٥) سورة الأنعام ١٦٢

(٦) سورة الأنعام ٦٠

(٧) سورة آل عمران ٥٥

(٨) سورة الأعراف ١٥٧

(٩) سورة آل عمران ٤٠ ، ٣

وأما قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، فإنما قدم القرآن متبهاً له على فضيلة للنزل إليهم.

ومنها سبق وجوب، كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(٢)، وقوله: ﴿تَرَامُ رُكْعًا سَجْدًا﴾^(٣).

فإن قيل: قد قال: ﴿وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

قيل: يحتمل أنه كان في شريعهم السجود قبل الركوع، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية.

وقيل: للرادب «اركي» اشكري.

وقيل: أراد بـ «اسجدي» صلى وحده، وبـ «اركي» صلى في جماعة، وذلك

قال: ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

ومنها سبق تنزيه، كقوله تعالى: ﴿أَمَّا الرَّسُولُ فَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾، فبدأ بالإيمان بالله؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع، ثم قال: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ مراعاة لإيمان الرسول، فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولاً، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول. وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فترتب الذكر للنزل عليه بحسب ذلك، فظهرت الحكمة والإيجاز، قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ لأن للكتاب هو النازل بالكتاب، وإن كان الكتاب أقدم من الملك، ولكن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للملك كانت قبل سماعه الكتاب. وأما إيماننا نحن بالعقل، آمنا بالله، أي

وجوده ، ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرفنا اسمهم وجوب النظر للؤدى إلى معرفته ،
قَامَنَا بِالرَّسُولِ ثُمَّ بِالْكِتَابِ لِلنَّزْلِ عَلَيْهِ ، وبِاللَّكِ النَّازِلِ بِهِ ، فلو ترتب اللفظ على حسب
إيماننا لبداً بالرسول قبل الكتاب ؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم ، الذى هو إمام المؤمنين . ذكره السهلى فى أماليه .

وقال غيره : فى هذا الترتيب سرٌ لطيف ، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والغير كنه
مضاف إلى الله تعالى ، والوسائط فى ذلك لللائكة ، والمقابل لتلك الرحمة الأنبياء والرسل ،
فلا بدّ أولاً من أصل ، وثانياً من وسائط ، وثالثاً من حصول تلك الرحمة ، ورابعاً من
وصولها إلى المقابل لها ؛ والأصل للتفضى للغير والرحمة هو الله ، ومن أعظم رحمة رَحِمَ بها
عباده أنزال كتبه إليهم ، وللوصل لها هم لللائكة ، والمقابل لها للنزلة عليهم هم الأنبياء ؛
فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

الثانى

بِالذَّاتِ

كقوله تعالى : ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾ ^(١) . ونحوه ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْمٍ ثَلَاثَةً ۚ
إِلَّا هُوَ رَاسِبُهُمْ وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ۚ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّاسِبُهُمْ
كَلْبُهُمْ ۚ ﴾ ^(٣) . وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُعْطِىَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ هُوَ مَوْءَا اللَّهُ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ
تَفَسَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ ۚ ﴾ ^(٤) فوجه تقديم المثنى أن للمثنى حُثْمٌ على القيام بالصيغة لله ،
وترك الهوى ، مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين . ولا شك أن الأمم حالة
الاجتماع قديماً بها .

(٢) سورة المجادلة ٧

(٤) سورة سبأ ٤٦

(١) سورة الفاء ٣

(٣) سورة الكهف ٢٢

الثالث

بالعلم والسببية

كقوله « العزيز » على « الحكيم » ، لأنه عزّ حكيم ، وتقديم « العليم » على « الحكيم » ، لأن الإحسان ناشئ عن العلم ، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾^(١) .

ويجوز أن يكون قدم وصف العلم هنا ليتصل بما يناسبه ، وهو ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ ، وفي غيره من نظائره ، لأنه صفات ذات فيكون من القسم قبله .

ومنه قوله : ﴿ إِنَّا كَفَبْنَا لِرَبِّنَا إِلَهُاتٍ وَأَنَّا كَانَتِ تَفْهُتًا بِهِمْ سَبْعَ مِائَةٍ وَتَبَدَّلَ بِهِنَّ فِي يَوْمٍ ذُو الْعِشَاءِ مَكَانًا ﴾^(٢) ، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَوَّاتِ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾^(٣) ؛ فإن التوبة سبب الطهارة .

وكذا : ﴿ وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾^(٤) لأن الإفك سبب الإثم .

وكذا : ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلٌّ مُتَمَدِّدٍ أَثِيمٍ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُصْفِيَهُ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾^(٦) قدم إحياء الأرض ؛ لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام ؛ لأنه مما يحيا به الناس ، يأكل لحومها وشرب آبائها .

(٢) سورة الفاتحة ٥

(٤) سورة المجادلة ٧

(٦) سورة الفرقان ٤٨ ، ٤٩

(١) سورة البقرة ٢٢٢

(٢) سورة البقرة ٢٢٢

(٥) سورة الطه ١٢

وكذا كل علقم معلوما، كقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١)، قيل: قدم الأموال من باب تقسيم السبب؛ فإنه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤوته، فهو سبب الزوج، والزوج سبب للتناسل؛ ولأن المال سبب للتنعم بالولد، وهذه سبب لشقائه.

وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّوَاهِدِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾^(٢)، وآخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنها أقوى في الشهوة الجبليّة من المال، فإن الطبع يحث على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقدم من الأولاد في الشهوة الجبليّة، والبنون أقدم من الأموال، والذهب أقدم من الفضة، والفضة أقدم من الأنعام؛ إذ هي وسيلة إلى تحصيل النعم، فلما صُدِّرت الآية بذكر الحب، وكان المحبوب يختلف للراتب، اقتضت حكمة الترتيب أن يقدم ما هو الأتم فالأتم، في رتبة المحبوبات.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾^(٣)، قدم^(٤) الشكر على الإيمان؛ لأن العاقل ينظر [إلى] ^(٥) ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتمريضة للنافع، فيشكر شكرا مبهما؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة النعم آمن به، ثم شكر شكرا متصلا^(٦) فكان الشكر متقدما على الإيمان؛ وكأنه أصل التكليف ومداومه. انتهى.

وجعله غيره من عطف الغلص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر، وخَصَّ بالذكر لشرفه.

(٢) سورة آل عمران ١٤

(٤) الكشاف ١: ٤٥٦

(٦) الكشاف: «متصلا».

(١) سورة الأقال ٢٨

(٣) سورة النساء ١٤٧

(٥) من الكشاف.

الرابع بالرتبة

كقديم « سميع » على « عليم » فإنه يقتضى التخويف والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات ، وإنَّ مَنْ مَتَّعَ حَسَكَ هَدَّ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَيْكَ فِي الْمَادَّةِ مِنْ يَلْمُ ، وإنَّ كَانَ عِلْمُ اللَّهِ تَمَلَّقَ بِمَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ .

وكقوله : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) ، فإنَّ للفقرة سلامة ، والرحمة غثيمة ، والسلامة مطلوبة قبل النعمة ؛ وإنما تأخرت في آية صبا في قوله : ﴿ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾^(٢) ؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من للكافرين وغيرهم ، وهو قوله : ﴿ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾^(٣) ، فالرحمة شملهم جميعا ، والفقرة تخصَّ بعضا ، والسوم قبل الخصوص بالرتبة .

وقوله تعالى : ﴿ هَازِغٌ مَشَاهِدٌ بَنِيمٌ ﴾^(٤) فإنَّ الهَازِغُ هو الغائب ؛ وذلك لا يقتضيه إلى شيء بخلاف النعمة .

وقوله : ﴿ بَأْتُونَكَ رِجَالًا وَكَلَى كُلُّ ضَامِرٍ ﴾^(٥) فإنَّ الغالب أنَّ الذين يأتون رجالا من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد . ويحتمل أن يكون من التقديم بالشرف ؛ لأنَّ الأجر في الشيء مضاعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾^(٦) مع أنَّ الركاب متسكن من الصلاة أكثر من المشاة ، فجبراه في باب الرخصة .

(١) سورة البقرة ١٧٣ وآيات كثيرة .

(٢) سورة الفلم ١١

(٣) سورة صبا ٢

(٤) سورة البقرة ٢٣٩

(٥) سورة الحج ٢٧

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ طَهَّرْنَا لَيْتِي لِعِطَاتَيْنِ وَالْمَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴾^(١) ،
 هَذَمَ الطَّائِفِينَ قَرِيبَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ؛ ثُمَّ ثَقِيَ بِالْقَائِمِينَ وَهُمْ الْمَاكِفُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ مَوْضِعًا
 بِالْمَكُوفِ وَالطَّوَافِ بِخِلَافِهِ فَكَانَ أَمُّ مِنْهُ ، وَالْأَمُّ قَبْلَ الْأَخَصِّ ، ثُمَّ ثَلَاثُ بِالرُّكُوعِ ،
 لِأَنَّ الرُّكُوعَ لَا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي الْبَيْتِ^(٢) وَلَا عِنْدَهُ .

ثُمَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ :

الأول : كَيْفَ جَمَعَ الطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ جَمْعَ سَلَامَةٍ ، وَالرُّكَّعَ جَمْعَ تَكْسِيرٍ ؟ وَالْجَوَابُ
 أَنْ جَمَعَ السَّلَامَةَ أَقْرَبُ إِلَى لَفْظِ التَّمَلُّعِ ، فَطَائِفُونَ بِحَزَقَةِ يَطُوفُونَ ، فِي لَفْظِهِ إِشْعَارٌ بِصَلَةِ التَّطَهُّيرِ ،
 وَهُوَ حُدُوثُ الطَّوَافِ وَتَجَدُّدُهُ ، وَلَوْ قَالَ : بِالطَّوَافِ لَمْ يَدْفَعْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ لَفْظَ لِلصَّدْرِ يَخْفَى
 ذَلِكَ ؛ وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْقَائِمِينَ ، وَأَمَّا الرَّائِي كَوْنُ قَلْبِهِ سَبْقًا أَنَّهُ لَا يُلْزَمُ كَوْنُهُ فِي الْبَيْتِ
 وَلَا عِنْدَهُ ؛ فَلِهَذَا لَمْ يَجْعَلْ جَمْعَ سَلَامَةٍ ؛ إِذْ لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى بَيَانِ التَّمَلُّعِ الْبَاعِثِ عَلَى التَّطَهُّيرِ ،
 كَمَا احْتِجَّ فِيهَا قَبْلَهُ .

الثاني : كَيْفَ وَصَفَ الرُّكَّعَ بِالسُّجُودِ ، وَلَمْ يَصِفْ بِالْوَاوِ ؟

وَالْجَوَابُ ، لِأَنَّ الرُّكَّعَ هُمُ السُّجُودُ ، وَالشَّيْءُ لَا يَصِفُ عَلَى نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ السُّجُودَ
 يَكُونُ عِبَارَةً عَنِ الصَّدْرِ ، وَهُوَ هُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْجَمْعِ ، فَلَوْ عَظِفَ بِالْوَاوِ لَأَوْحَى إِرَادَةً
 لِلصَّدْرِ دُونَ اسْمِ التَّمَلُّعِ ؛ لِأَنَّ الرَّاكِعَ إِنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَيْسَ بِرَّاكِعٍ شَرْعًا ، وَلَوْ عَظِفَ
 بِالْوَاوِ لَأَوْحَى أَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ ، كَأَنَّهُ قَبْلَهُ .

الثالث : هَلَّا قِيلَ : السَّجْدُ كَمَا قِيلَ الرُّكَّعُ ، وَكَأَنَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى : ﴿ تَرَامُمٌ رُكُوعًا
 سُجُودًا ﴾^(٣) ، وَالرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ ۝ وَالْجَوَابُ أَنَّ السُّجُودَ يُطْلَقُ عَلَى وَضْعِ الْجَبِيَّةِ
 بِالْأَرْضِ وَعَلَى الْخُشُوعِ ، فَلَوْ قَالَ : السَّجْدُ ، لَمْ يَقْتَضِ إِلَّا لِلنَّفْسِ الظَّاهِرَةِ ، وَمِنْهُ : ﴿ تَرَامُمٌ

رُكْعًا سَجْدًا) ، وهو من رؤية العين ، ورؤية العين لا تمتلئ إلا بالظاهر ، قصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصوري ؛ بخلاف الركوع ، فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام للتقدم ، دون أعمال القلب ، فجعل السجود وصفاً للركوع وتتميماً له ؛ لأن الخشوع روح الصلاة وسرها الذي شرعت له .

الخامس

بالجماعية

كتقدم الأمر بفتح الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْقُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ^(١) ، لأن البصر داعية إلى الفرج ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .

السادس

التعظيم

كقوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ^(٣) .
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ ^(٤) .
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة النساء ٦٩
(٤) سورة آل عمران ١٨

(١) سورة النور ٣٠
(٣) سورة الأحزاب ٥٦
(٥) سورة المائدة ٥٤

السابع الشرف وهو أنواع

منها شرف الرسالة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَنْهَى ﴾ ^(١) ، فإن الرسول أفضل من النبي ؛ خلافاً لابن عبد السلام .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ^(٣) ومنها شرف الذكورة :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(٦) .

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاقًا ﴾ ^(٧) ، فليجبرهن ، إذ هن موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالتعريف ، للإشارة إلى ما قسمهم من فضيلة التقديم . ويَحْتَمَلُ أَنْ تَقْدِمَ الْإِنَاثُ ، لِأَنَّ الْقَعُودَ بَيَانُ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُ بِمِثْقَالِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا عَلَى وَفْقِ غَرَضِ الْمَبَادِ .

ومنها شرف الحرية ، كقوله تعالى : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْمَبْعُودُ بِالْمَبْعُودِ ﴾ ^(٨) ، ومن الغريب حكاية بعضهم قولين في أن الحرّ أشرف من المبد أم لا ، حكاه القرطبي ، في تفسير سورة النساء فليُنظر فيه .

(٢) سورة الأعراف ١٥٧

(٤) سورة الأحزاب ٣

(٦) سورة النساء ١

(٨) سورة البقرة ١٧٨

(١) سورة الحج ٥٢

(٣) سورة مريم ٥٤

(٥) سورة النجم ٢١

(٧) سورة الثوري ٤٩

ومنها شرف العقل ، كقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْعَلِيُّ صَافً قَلْبًا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ ^(٢) .

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله : ﴿ تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ ^(٣) ، فن باب تقديم السبب ، وقد سبق .

ومنها شرف الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ طَافَّةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَافَّةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ ^(٤) ، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع ، والطائع على العاصي ، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال .

ومنها شرف العلم ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) .

ومنها شرف الحياة ، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ ^(٧) . وأما تقديم لوط في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْبَشَرَ وَالْحَيَاةَ ﴾ ^(٨) ، فن تقدم سبق بالوجود ، وقد سبق .
ومنها شرف المعلوم ؛ نحو : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ ^(٩) ، فإن علم النبيات أشرف من للشاهدات .

ومنه : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ^(١٠) . ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ^(١١)

(٢) سورة التازعات ٣٣

(٤) سورة الأعراف ٨٧

(٦) سورة الروم ١٩

(٨) سورة الملك ٢

(١٠) سورة الأنعام ٦

(١) سورة التور ٤٩

(٣) سورة البقرة ٢٧

(٥) سورة الزمر ٩

(٧) سورة طه ٢٢

(٩) سورة المؤمنون ٩٢

(١١) سورة التين ٤

وأما قوله : ﴿ قُلْهُ يَسْلَمُ السِّرُّ وَأَخْفَى ﴾^(١) ، أى من السرّ ، فمن ابن عباس وغيره : السرّ : ما أسررت في نفسك ، وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك ، مما يكون في عدل الله فيها سواء ، ولا شك أن الآتى أبلغ ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه أفضل تعميل يستلزم مفضلا عليه ، علم حتى يصحق في نفسه ، فيكون حينئذ تقديم السرّ من النوع الأول .
وثانيهما : مراعاة ودوس الآتى .

ومنها شرف الإدراك ، كتقديم السمع على البصر ، والسمع على البصر ؛ لأن السمع أشرف على أريج القولين عند جماعة ، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى : ﴿ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ بَنَانِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(٢) ، لأن الحواس خدّمة القلب ، وموصلة إليه ؛ وهو التصود ؛ وأما قوله : ﴿ وَخَمَّ عَلَىٰ تَمِيمِهِ وَقَلْبِهِ ﴾^(٣) ، فأخر القلب فيها ؛ لأن العناية هناك بذمّ للصامتين عن السماع ؛ ومنهم الذين كانوا يحذرون القطر في آذانهم حتى لا يسموا ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله : ﴿ وَيَلَّيْكَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾^(٤) .
ومنها شرف المجازاة ، كقوله : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾^(٥) .

ومنها شرف العموم ؛ فإن العامّ أشرف من الخاص ، كتقديم الغفوة على النفور ؛ أى غفوة عمّا لم يؤخذنا به مما نستحقّه بذنوبنا ، غفور لما واخذنا به في الدنيا ، قَبِلْنَا وَرَجَعْنَا إِلَيْهِ ؛ فقدم الغفوة على النفور ، لأنه أعمّ ، وأخرت للنفرة لأنها أخصّ .

(٢) سورة البقرة ٧
(٤) سورة المائدة ٧ ، ٨

(١) سورة طه ٧
(٣) سورة المائدة ٢٢
(٥) سورة الأنعام ٦٠

ومنها شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾^(١) ، وإنما تقديم الحرام في قوله : ﴿فَبَعَلْتُمْ مِنْهُ
حَرَامًا وَحَلَالًا﴾^(٢) فلزيادة في التنفيع عليهم ، أو لأجل السياق ؛ لأن قوله : ﴿فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٣) . ثم ﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾^(٤) .

ومنها الشرف بالفضيلة ، كقوله تعالى : ﴿سَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ...﴾^(٧) الآية .

وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾^(٨) .

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مِنْ تَقْدِيمِ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(١٠) في الأعراف والشعراء ، فإن موسى استأثر

باصطفائه تعالى له بتكليمه ، وكونه من أولى العزم .

فإن قلت : قد جاء هارون وموسى في سورة طه بتقديم هارون ؟

قلنا : لتناسب ردوس الآي .

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١١) لأن جبريل صاحب الوحي والعلم ، وميكائيل

- | | |
|--------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة التل ١١٦ | (٢) سورة يونس ٥٩ |
| (٣) سورة البقر ١١٤ | (٤) سورة البقر ١٧٣ |
| (٥) سورة النساء ٢٣ | (٦) سورة الأعراف ٧ |
| (٧) سورة الفتح ٦٩ | (٨) سورة الأنبياء ٤٨ |
| (٩) سورة يونس ٧٥ | (١٠) سورة الأعراف ١٢٢ ، والشعراء ٤٨ |
| (١١) سورة البقر ٩٨ | |

صاحب الأرزاق ، والخيرات التضائية أفضل من الخيرات الجماعية .
ومنه تقديم المهاجرين في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ﴾^(١) .

وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾^(٢) ، ويدل على فضيلة
المهجرة قوله صلى الله عليه وسلم : « لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » ، وبالإضافة احتج
الصدّيق على تفضيلهم وتبيين الإمامة فيهم .

ومنه قوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(٣) ، فإن الصلاة أفضل من السلام .
وقوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾^(٤) ، قدم
القريب لأن الصلقة عليه أفضل من الأجنبي .

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى : ﴿ فَأَعْيِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَبْذِكُمْ ﴾^(٥) .
وقدّم الميم على الشمال في نحو : ﴿ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾^(٦) ، ﴿ عَنِ الْيَمِينِ
وَعَنِ الشِّمَالِ ﴾^(٧) .

ومنه تقديم الأفس على الأموال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾^(٨) . وأما تقديم الأموال في سورة الأقال في قوله : ﴿ وَجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٩) ، فوجه التقديم أن الجهاد يستدعى تقديم إغاثة
الأموال ، فهو من باب السبق بالسببية .

ومنه : ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾^(١٠) ، فإن الحلق أفضل من القصير .

(١) سورة التوبة ١٠٠

(٢) سورة البقرة ١٧٧

(٣) سورة سبأ ١٥

(٤) سورة التوبة ١١١

(٥) سورة الفتح ٢٧

(١) سورة التوبة ١١٧

(٢) سورة الأحزاب ٥٦

(٣) سورة المائدة ٦

(٤) سورة المخرج ٣٧

(٥) سورة الأقال ٧٢

ومنه تقديم السموات على الأرض ، كقوله : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾^(١) وهو كثير ، وكذلك كثيرا ما يقع « السموات » بلفظ الجمع ، و « الأرض » لم تقع إلا مفردة .

وأما تأخيرها عنها في قوله : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) ؛ فلا نه لما ذكر الخطابين ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُقِيضُونَ فِيهِ ﴾^(٣) ، وهو خطاب لأهل الأرض ، وعلمهم يكون في الأرض ؛ وهذا بخلاف الآية التي في سبأ ؛ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب .

وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٤) .
وأما تأخيرها عنها في قوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٥) ؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد ؛ وإنما هو لأهل الأرض .
وكذا قوله : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾^(٦) .

ومنه تقديم الإنسان على الجن في قوله : ﴿ قُلْ لَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ... ﴾^(٧) الآية .

وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴾^(٨) :

وقوله : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾^(٩) .

وقوله : ﴿ وَأَنَا خَلَقْنَا أَنْ لَنْ هُوَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ﴾^(١٠) .

(١) سورة النكبات ٤٤

(٢) سورة آل عمران ٥

(٣) سورة إبراهيم ٤٨

(٤) سورة الرحمن ٣٩

(٥) سورة الجنب ٥

(٦) سورة يونس ٦١

(٧) سورة الزمر ٦٧

(٨) سورة الإسراء ٨٨

(٩) سورة الرحمن ٥٦

وقوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾^(١) .

وأما تقديم الجن في مواضع أخر، كقوله : ﴿ يَأْمُرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴾^(٢) ؛ فلا تهم أقدم في الخلق ، فيكون من النوع^(٣) الأول - أعني التقديم بالزمان - ولهذا لما أخر في آية الحجر صرح بالقبليّة بذكر الإنسان ، ثم قال : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) .

ويجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعجب ؛ لأن خلقها أغرب ، كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾^(٥) .

أو لأنهم أقوى أجساماً ، وأعظم أقداماً ولهذا قدموا في : ﴿ يَأْمُرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَعْطِمْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٦) ، وفي : ﴿ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾^(٧) .

ومنه تقديم السجدة على الراكعين في قوله : ﴿ وَأَسْجُدِي وَآزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^(٨) ، وسبق فيه شيء آخر .

ومنه تقديم الخليل على البغال ، والبغال على الحمير في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَلِيلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِقَافٍ ﴾^(٩) .

ومنه تقديم الذهب على النضة في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾^(١٠) .

(٢) سورة الأنعام ١٣٠

(١) سورة الرحمن ١٤ ، ١٥

(٣) سبق الكلام عليه في ص ٢٣٩ من هذا الجزء . (٤) سورة الحجر ٢٧

(٦) سورة الرحمن ٣٣

(٥) سورة التور ٤٥

(٨) سورة آل عمران ٤٣

(٧) سورة البقر ١٧

(١٠) سورة التوبة ٣٤

(٩) سورة النحل ٨

فإن قلت : فهل يجوز أن يكون من تقديم للذكر على المؤنث ؟

قلت : هيئات ، القهب أيضاً مؤنث ، ولهذا يصغر على ذهنية كـ « قدم » .

ومنه تقديم الصوف في قوله : ﴿ وَتَمِيزُ أَصْوَابَهَا وَأُزْبَارَهَا وَأَشْعَارَهَا ﴾^(١) ، ولهذا احتج به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من اللباس ؛ وأما شعار الملائكة في قوله : ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾^(٢) قيل : سيام يومئذ الصوف . وعن علي : الصوف الأبيض ؛ رواه أبو نعيم في مدح الصوف ، وقال : « أشعار الأنبياء . وقال ابن مسعود : كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصوف ؛ وفي الصحيح في موسى عليه السلام : « عليه عباءة » .

ومنه تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(٤) ، ولهذا قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا ﴾^(٥) ؛ والحكما يقولون : إن نور القمر مستمد من نور الشمس ، قال الشاعر :

يَا مُقَرَّدَا بِالْحُسْنِ وَالشَّكْلِ مَنْ دَلَّ عَيْنَيْكَ عَلَى قَتْلِي

الْبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورُهُ وَالشَّمْسُ مِنْ نُورِكَ تَسْتَمْلِي

وأما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا خَلَقْنَا لَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلْنَا الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلْنَا الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾^(٦) فيحمل وجهين : مناسبة وسألي أو أن انتفاع أهل السموات به أكثر . قال ابن الأنباري : يقال : إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس ،

(١) سورة النحل ٨٠

(٢) سورة آل عمران ١٢٥ من قوله تعالى . ﴿ يُعَذِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ .

(٣) سورة الحج ١٨ من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ... ﴾ . (٤) سورة الفرقان ٦١

(٦) سورة نوح ١٥ ، ١٦

(٥) سورة يونس ٥

وظهره إلى الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَبَيْنَ ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

الثامن

الغلبة والكثرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، قدم الظالم لكثرتهم ، ثم المقتصد ، ثم السابق .

وقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ ^(٢) .

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٣) .

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ ^(٤) .

وجعل منه الزمخشري : ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(٥) بمعنى بدليل قوله :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) وحديث بث النار .

وأما قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ ^(٧) ، قدم ذكر العذاب

لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعبسى وراموا قتله .

وجعل من هذا النوع قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ ^(٨) ؛ لأن السرقة

في المذكور أكثر .

وقدم في الزنى للرأفة بقوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ ^(٩) لأن الزنى فبين أكثر . وأما قوله :

(٢) سورة هود ١٠٥

(١) سورة طه ٣٢

(٤) سورة النور ٢٦

(٣) سورة آل عمران ١٥٢

(٥) سورة التباين ٢

(٦) سورة يوسف ١٠٣ ؛ وانظر الكشاف : ٤٣٧

(٨) سورة اللاتيم ٣٨

(٧) سورة آل عمران ٥٦

(٩) سورة النور ٢

﴿إِنِّي لَا يَنْفِكُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْفِكُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾^(١).
قال الزحشرى: سيقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جئنا؛ والرأى للذة التي نشأت منها
الجنابة^(٢)؛ لأنها لو لم يقطع الرجل، [ولم تومض له]^(٣) وتمكنه لم يقطع ولم يهتك،
فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح، والرجل
أصل، [فيه]^(٤) لأنه هو الراغب والمخاطب يبدأ الطلب^(٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْضُؤْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾^(٦)، قال
الزحشرى: قدم غض البصر؛ لأن النظر يريد الزنى، ورائد القبحور، والبلوى به أشد
وأكثر، ولا يكاد يُقدَّر على الاحتراس منه^(٧).

ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «إن رحمتي
غلبت غضبي».

وأما تقديم التعذيب على اللفرة في آية اللائدة^(٨) فليساق.
ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾^(٩)، قال
ابن الحبيب في أماليه: إنما قدم الأزواج لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقع
ذلك في الأزواج أقدم منه في الأولاد؛ فكان أقدم في المعنى للراد قدَّم، ولذلك قدمت
الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(١٠)، لأن الأموال لا تسكد
تأرقها الفتنة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(١١)، «أمرنا مؤرقها فسقوا
فيها»^(١٢)، وليست الأولاد في استنزاع الفتنة مثلها، وكان قدَّمها أولى.

(١) الكشاف: «الجنابة».

(٢) الكشاف ٣: ١٦٨.

(٣) الكشاف ٣: ١٨١.

(٨) سورة النازع ١٤.

(٩) سورة النازع ٦، ٧.

(١) سورة النور ٣.

(٢) من الكشاف.

(٣) سورة النور ٣٠.

(٧) وهو قوله تعالى في الآية ١١٨: ﴿إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ عَلَيْهِمْ عِبَادٌ وَإِنْ تَنْفَرِ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْغَزِيُّ الْحَكِيمُ﴾.

(٩) سورة النازع ١٥.

(١١) سورة الإسراء ١٦.

التاسع

سبق ما يقتضى تقديمه

وهو دلالة السياق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُزَيُّوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾^(١) ؛ لما كان إسراعها وهى خالص ، وإدراجها وهى بيطان ، قدم الإراحة لأن الجلال بها حيثئذ أغفر .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِّمَا لَيْنَ ﴾^(٢) ، لأن السياق فى ذكر مريم فى قوله : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَزَجَّهَا ﴾^(٣) ، ولذلك قدم الابن فى غير هذا المكان ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا آيِنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾^(٤) .

وقوله : ﴿ فَتَهَمَّتُمَا عَلَىٰ نَاقٍ وَكَلَّآ آتَيْنَاهُمَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٥) ؛ فإنه قدّم الحكم مع أن العلم لا بدّ من سبقه للحكم ؛ ولكن لما كان السياق فى الحكم قدّمه ، قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَلِفَانِ فِي الْخُرُوجِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوِيمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾^(٦) ، ويحتمل أن للراد بالحكم الحكمة ، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٧) ؛ وأما تقديم الحكيم على العلم فى سورة الأنعام^(٨) ، فلا أنه مقام تشريع الأحكام ، وأما فى أول سورة يوسف قدّم العلم على الحكيم^(٩) ، لقوله فى آخرها : ﴿ وَعَلَّمْنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ .

(٢) سورة الأنبياء ٩١

(٤) سورة الأنبياء ٧٩

(٦) سورة يوسف ٢٢

(١) سورة النحل ٦

(٣) سورة المؤمنون - ٥٠

(٥) سورة الأنبياء ٧٨

(٧) وهو قوله تعالى فى آية ٨٣ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ .

(٨) وهو قوله تعالى فى آية ٦ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومنه تقديم الحو على الإثبات في قوله: ﴿يَسْأَلُ اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾^(١)، فإن قبله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٢). ويمكن أن يقال: ما يقع عليه الحو أقل مما يقع عليه غيره، ولا سببا على قراءة تشديد «يُثَبِّتُ»؛ فإنها ناصئة على الكثرة، والراد به الاستمرار لا الاستثناف.

وقوله: ﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٤)، قدم «رسلا» هنا على «مِنْ قَبْلِكَ» وفي غير هذه^(٥) بالعكس؛ لأن السياق هنا في الرسل. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي وَبَسُّطُ﴾^(٦)، قدم القبض لأن قبله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٧)، وكان هذا بسطا، فلا يناسب تلاوة البسط، فقدم القبض لهذا، ولترغيب في الإنفاق؛ لأن للمتبع منه سببه خوف القلة، فبين أن هذا لا ينجمه، فإن القبض مقدر ولا بد.

الماشر

مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله: ﴿لَنْ يَشَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾^(٨).
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾^(٩).
﴿يَلْبَسُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(١٠).

(٢) سورة الرعد ٢٨

(١) سورة الرعد ٢٩

(٣) سورة الشورى ٢٤

(٤) وهو قوله تعالى في سورة الروم ٤٧: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾.

(٦) سورة البقرة ٢٤٥

(٧) سورة البقرة ٢٤٥

(٨) سورة النبا ١٣

(٩) سورة الاغطار ٧

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^(١).
﴿ثُمَّ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَثُمَّ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(٢).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾^(٣).

وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤)، قدّم
قبي التّأخير؛ لأنّه الأصل في الكلام، وإنّا ذكر التّقدّم مع عدم إمكان التّقدم، هيّا
لأطراف الكلام كله.

وكقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾^(٥).

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٦).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ جَاءَ قَوْلُ رَبِّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَدْءِ﴾^(٧).

﴿لَا تَحْمَدُونِي فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾^(٨).

وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٩).

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١٠).

فإن قلت قد جاء: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾^(١١). (أمّ للإنسان
ما تمّ). فَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ^(١٢).

قلت: لمناسبة رموس الآي.

(٢) سورة الواقعة ٤٩، ٤٠

(٤) سورة النحل ٦١

(٦) سورة الأعراف ٢٩

(٨) سورة القصص ٧٠

(١٠) سورة البقرة ٢٢٠

(١٢) سورة النجم ٢٤، ٢٥

(١) سورة الواقعة ٤٩، ٥٠

(٣) سورة الحجر ٢٤

(٥) سورة البروج ١٣

(٧) سورة الروم ٢

(٩) سورة الحديد ٣

(١١) سورة التازعات ٣٥

ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ ^(١) ، ولأن الخطاب لم يقدّموا .

الحادى عشر

لبحث عليه خيفة من الهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين ، فى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْمِىَ رِبْهًا أَوْ دَيْنٍ ﴾ ^(٢) ، فإن وفاء الدين سابق على الوصية ، لكن قدم الوصية ، لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها ، بخلاف الدين .

ونظيره : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً ﴾ ^(٣) ، قدم الإناء حلاً على الإحسان إليهم .
وقال السبيلى فى « التناجى » ^(٤) : إنما قدمت الوصية لوجهين :
أحدهما : أنها قرينة إلى الله تعالى ، بخلاف الدين الذى تؤد الرسل منه ،
فبدى بها للفضل .

والثانى : أن الوصية للبيت ، والدين لنبيه ، ونسك قبل نس غيرك ، قول : هذا لى وهذا لنيرى ، ولا قول فى فصيح الكلام : هذا لنيرى وهذا لى

الثانى عشر

لتحقق ما بعده واستثنائه هو عنه فى نصوره

كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٥) .

(١) سورة النساء ١١

(٢) سورة المرسلات ٣٨

(٣) نتائج الفكر فى علل التحوذ ذكر فيه أن الإعراب

(٤) سورة البورى ٤٩

مرقاة للعلوم الكتاب ، ورتبه على ترتيب أبواب الجمل . قاله صاحب كشف الظنون .

(٥) سورة مريم ٩٦

وقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(١) .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾^(٢) .

الثالث عشر

الاهتمام عند الخطاب

كقوله : ﴿فَحْيُوا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا أُورُدُوهَا﴾^(٣) .

ونظيره قوله عليه السلام : « وأن قرأ السلام على من عرفته ومن لم تعرفه » .

وقوله : ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾^(٤) لفضل الصدقة على القريب .

وكقوله : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿وَدِيَّةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾^(٦) ، قدم الكفارة على الدية ، وعكس في قتل

للماهد حيث قال : ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾^(٧) .

قال للوردي في « الحاوي »^(٨) : ووجهه أن للسلم يرى قديم حق الله على نفسه

والكافر يرى قديم نفسه على حق الله ، قال : وقال ابن أبي هريرة^(٩) : إنما خالف بينهما

ولم يحلها على نسق واحد ؛ لثلا يلحق بهما ما بينهما من قتل للؤمن في دار الحرب ، في

قوله : ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾^(١٠) ، فضم إليه

الدية إلحاقاً بأحد الطرفين ، فأزال هذا الاحتمال باختلاف المقتلين .

(٢) سورة الأعراف ١٥٣

(٤) سورة الأفعال ٤١

(١) سورة فصلت ٣٣

(٣) سورة النساء ٨٦

(٥) سورة النساء ٩٢

(٦) الحاوي الكبير في الفروع لقاضي أبي الحسن علي بن محمد اللوردي البصري الشافعي للثوري سنة

٤٥٠ ، ذكره صاحب كشف الظنون . وقال : « وهو كتاب عظيم في عمرة مجلدات . ويقال : إنه ثلاثون مجلداً لم يؤلف في القصب مثله » .

(٧) هو أبو علي الحسن بن الحسين الشافعي ، عرف بابن أبي هريرة ، شرح مختصر المزني ؛ ومات

سنة ٣٤٥ . طبقات الشافعية ٢ : ٢٠٦

وقال الفقيه نجم الدين بن الرُّفْعة^(١) : يحتمل أن يقال : إنه لما كان الكفر يَهْدِرُ الدماء وهو موجود ، كان الناية يبذل الدم عند العصمة لأجل الليثاق أتم ، لأنه يُفَضُّ حُكْمَهُ ، فلذلك قُضِيَ الدِّيةُ فيه ، وأُخِّرَتِ الكفارة ، لأن حكمها قد سبق . ولما كانت عصمة السليم ناجية ، وقياس الأصول أنه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ ، لأنه لا إثم فيه ، خصوصاً على السليين لرفع القلم عن الخطأ ، كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتم ؛ لأنها التي تَمُضُ ، قدَّمت .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾^(٢) قيل : لماذا بدأ بالمغرب قبل الشرق ، وكان مسكن ذى القرنين من ناحية للشرق ؟ قيل : قصد الاهتمام ، إما لتمرّد أهل وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت ، أو غير ذلك مما لم يتطالع به . ومن هذا أن تأخر للقعود بالدمح والقلم أولى من قدّمه ؛ كقوله : نعم الرجل زيد ، أحسن من قوله : زيد نعم الرجل ، لأنهم يقدّمون الأتم ، وهم في هذا يذكر للدح والقلم أتم . فأما قدّمه في قوله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(٣) ، فإن المدح هنا بد نعم العبد ، هو سليمان عليه السلام ، وقد قدّم ذكره . وكذلك أيوب في الآية الأخرى والخصوص بالدمح في الآيةين ضمير سليمان وأيوب ، وقدّمه : نعم العبد هو إنه أواب .

الرابع عشر

لتنبه على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾^(٤) ، على القول بأن « الله » في موضع الفصول الثاني لـ « جعل » ، و « شركاء » مفعول أول ، ويكون « الجن » في كلام ثان مقدر ،

(١) هو أحمد بن علي ، المعروف بابن الرُّفْعة إمام الشافعية في عصره . وانظر ترجمته في طبقات

(٢) سورة الكهف ٨٥ ، ٨٦

الشافعية ١٧٧ - ١٧٨

(٣) - سورة الأنعام ١٠٠

(٤) سورة ص ٣٠ ، ٤٤

كانه قيل : فمن جعلوا شركاء ؟ قيل : الجن ؛ وهذا يقتضى وقوع الإنكار على جعلهم « الله شركاء » على الإطلاق ، فيدخل مشرّكة غير الجن ولو آخر قتيل : وجعلوا الجن شركاء لله ، كان الجن ممنوعاً أولاً ، وشركاء ثانياً ، فكون الشراكة مقيدة غير مطلقة ؛ لأنه جرى على الجن ، فيكون الإنكار توجه لجل المشاركة للجن خاصة ، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت .

الخامس عشر

للتنبية على أن السبب مرتب

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْمِي عَنْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾^(١) قدم الجباه ثم الجنوب ؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل ، ثم ينوء بجانبه ، ثم يولى بظهره .

السادس عشر

التنقل

وهو أنواع : إما من الأقرب إلى الأبد ، كقوله : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبِدُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾^(٢) قدم ذكر المخاضين على من قبلهم ، وقدم الأرض على السماء . وكذلك قوله : ﴿ إِنْ أَفْهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٣) ، لتصد الترقى .

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١).
 وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٢).
 وإما من الأعلى، كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣).
 وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَمْلِكُ أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾^(٤).
 وإما من الأدنى، كقوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ فِقْقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾^(٥).
 وقوله: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾^(٦).
 وقوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٧).
 فإن قلت: لم لا اكتفى بنفى الأدنى، ليعلم منه نفى الأعلى بطريق الأولى؟ قلت:
 جوابه مما سبق من التقديم بالزمان.
 وكقوله: ﴿وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾^(٨) الآية،
 وبهذا يتبين فساد استدلال المعتزلة على تفضيل الله على البشر بقوله: ﴿لَنْ يَسْتَفْكِفَ
 الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾^(٩) فإنهم زعموا أن سياقها يقتضى الترقى من الأدنى إلى
 الأعلى، إذ لا يحسن أن يقال: لا يستفكف فلان عن خلعك، ولا من دونه بل ولا
 من فوقه.

وجوابه أن هؤلاء لما عبدوا المسيح، واعتقدوا فيه الولدية لما فيه من القدرة على الخوارق

(٢) سورة الجاثية ٣ ، ٤

(٤) سورة هود ٤٩

(٦) سورة الكهف ٤٩

(٨) سورة المدثر ٣١

(١) سورة المؤمنون ٨٦

(٣) سورة آل عمران ١٨

(٥) سورة التوبة ١٢١

(٧) سورة البقرة ٢٥٥

(٩) سورة النساء ١٧٢

والمعجزات ، من إحياء اللوتى ، وإبراء الأكمه والأبرص وغيره ؛ ولكونه خُلق من غير تراب . والتزهيدُ في الدنيا وغالب هذه الأمور هي للسلافة أتم ، وهم فيها أقوى ، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته ، فهو مع هذه الصفات لا يستغنى عن عبادة الله ، بل ولا مَنْ هو أكبر منه في هذه الصفات ، للترقى من الأدنى إلى الأعلى في المقصود ، ولم يلزم منه الشرف للطلق والفضيلة على المسيح .

السابع عشر

الترقى

كقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ مِنْ بَشَرٍ أَمْ لَهُمْ أُيُنُورٌ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ ﴾^(١) الآية ؛ فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لنرض الترقى ؛ لأن منفعة الرابع أعم من منفعة الثالث ، فهو أشرف منه ، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثانى ، ومنفعة الثانى أعم من منفعة الأول ، فهو أشرف منه .

وقد قُرِنَ السمع بالعقل ولم يقرَن به البصر في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ۖ ﴾^(٢) ، وما قُرِنَ بالأشرف كان أشرف ؛ وحكى ذلك عن على بن عيسى الرضى .

قال الشيخ أبو الفتح القشيري :

فإن قيل : قد كان الأولى أن يقدم الوصف الأهل ، ثم مادونه ، حتى ينتهى إلى أضعفها ؛ لأنه إذا بدأ بسلب الوصف الأهل ، ثم بسلب مادونه ، كان ذلك أبلغ في القم ؛

لأنه لا يلزم من سلب الأعلى سلب ما دونه ، كما تقول : ليس زيد بسلطان ، ولا وزير ، ولا أمير ، ولا والٍ - ولا فرض من الآلة للبالغة في الذم .

قلت : ما ذكرته طريقة حسنة في علم اللغوي ، وللقصود من الآلة طريقة أخرى ، وهي أنه تعالى أثبت أن الأصنام التي تسبعا الكفار أمثال الكفار ، في أنها مقهورة مريوبة ، ثم حطها عن درجة المثلية بنفى هذه الصفات الثابتة للكفار عنها . وقد علمت أن للمائة بين القوتين اللتان إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينهما ؛ إذ هي أسباب في ثبوت المائة بينهما ، وتقرى للمائة بقوة أسبابها ، وتضعف بضعفها ، فإذا سلب وصف ثابت لإحدى القاتين عن الأخرى انتفى وجه من المائة بينهما ، ثم إذا سلب وصف من الأول انتفى وجه من المائة أقوى من الأول ، ثم لا يزال يسلب أسباب المائة ، أقواها فأقواها ؛ حتى تنتفى المائة كلها بهذا التدرج . وهذه الطريقة ألفت من سلب أسباب المائة ؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها .

الثامن عشر

مراعاة الأفراد

فإن للفرد سابق على الجمع ، كقوله تعالى : ﴿ الْكَاذِبُونَ ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَينَ ﴾ ^(٢) ؛ ولهذا لا عبر من المال بالجمع آخر عن البين في قوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْغَنَى ﴾ ^(٣) .

(٢) سورة المؤمنون ٥٥

(١) سورة الكهف ٤٦

(٢) سورة آل عمران ١٤

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة ، في قوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(٢) .

التاسع عشر

التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى : ﴿ الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾^(٣) ، قرن الزنى بالشرك وقدمه .

وقوله : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾^(٤) ، قدمهن في الذِّكْر لأنَّ الحنة بين أعظم من الحنة بالأولاد ، وفي صحيح مسلم^(٥) : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي [في الناس]^(٦) فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » . ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا ، وختم « الْحَرْثِ » و « هَامِطَرًا » فأن متشابهاً ، وفيها الشهوة ولعاش الدنياوى ، ولما ذكر بعد ذلك ما أعدّه للمتقين آخر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخرى ، وختم بالرضوان . وكَم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الدهن ، وفرغ له الفهم ! ومنه تقديم نقي الولد على نقي الوالد ، في قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾^(٧) ؛ فإنه لما وقع في الأول منازعة الكفرة وتقولم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمه في الذِّكْر ، اعتناء به ، قبل التنزيه عن الوالد الذي لم يَنَازِع فيه أحد من الأمم .

المشرون

التخويف منه

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾^(٨) ، ونظائره السابقة في الثامن .

- | | |
|-----------------------|-----------------------|
| (١) سورة غافر ٢٨ | (٢) سورة الأتباء ٥٠ |
| (٣) سورة النور ٣ | (٤) سورة آل عمران ١٤ |
| (٥) صحيح مسلم ٢٩٨ : ٤ | (٦) حكمة من صحيح مسلم |
| (٧) سورة الإخلاص ٢ | (٨) سورة هود ١٠٥ |

الحادى والعشرون

التحجيب من شأه

كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾^(١) .
قال الزمخشري : قدم^(٢) الجبال على الطير ؛ لأن تسخيرها له وتسييحها أعجب وأدلّ
على القدرة ، وأدخل في الإيجاز ؛ لأنها جاد ، والطير حيوان ناطق .
قال ابن النحاس^(٣) : وليس مراد الزمخشري ؛ « ناطق » ما يراد به في حدّ الإنسان .

الثانى والعشرون

كونه أدلّ على القدرة

كقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَىٰ عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَىٰ عَلَىٰ رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَىٰ عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾^(٤) .

والثالث والعشرون

قصد الترتيب

كما في آية الوضوء ، فإن إدخال السح بين التسلين ، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة
ذلك في لسانهم ، دليل على قصد الترتيب .

(١) الكشاف ٣ : ١٠١

(٢) سورة الأنبياء - ٧٩

(٣) له محمد بن إبراهيم بها ، الذين بن النحاس الملبي شيخ الديار المصرية ، للتوفى سنة ٦٩٨ .

(٤) سورة التور ٤

والنظر بنية الرواة ٦

وكذلك البداءة في الصفا بالسبى . ومثله الكفارة للرتبة في الظهار والقتل .
وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا ، وهى أن الكفارة للرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ ، والحقيرة
بدأ فيها بالأخف ، كما فى كفارة اليمين ، ولهذا حملوا آية المحاربة فى قوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ۖ ﴾^(١) ، الآية
على الترتيب لا التخيير ؛ لأنه بدأ فيها بالأغلظ طرداً للقاعدة ، خلافاً لما لك حيث جعلها
على التخيير .

الرابع والعشرون

خفة اللفظ

كما فى قولهم : ربيعة ومضر ؛ مع أن مضر أشرف لكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم ،
لأنهم لو قدموا مضر لتوالى - كانت كثيرة - ، وذلك بثقل ، فإذا قدموا ربيعة ووقعوا
على مضر ، يسكون الراء ، تنقص الثقل لقلة الحركات للتوالي .
وقد يكون تقديم الإنسان على الجن من ذلك ؛ فالإنس أخف لمكان النون
والسين للهوسة .

الخامس والعشرون

رعاية التواصل

كتأخير الغفور فى قوله : ﴿ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴾^(٢) ، وقوله ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٣) ،

(٢) سورة الحج ٦٠

(١) سورة المائدة ٢٣

(٣) سورة مريم ٥٤

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخير ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم نحرير، وشجاع باسل، وسبق له نظائر .

وكقوله: ﴿ خذُوهُ قَتْلُوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴾^(١)، ولو قال: صَلَّوهُ الْجَحِيمَ لَأَفَادَ للغي، ولكن يفوت الجمع .

وقيل: فائدته الاختصاص .

وقوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾^(٢)، فقدم « إياه » على « تعبدون » لمشاكلة رموس الآي .

تَنْجِيه

قد يكون في كل واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فإما أن يُعْتَدَ إعادة الكل، أو يرجع بعضها لكونه أهم في ذلك المحل . وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر . وإذا تعارضت الأسباب رُوعِيَ أَقْوَاهَا، فإن تساوت كان للتكلم بالخيار في تقديم أى الأمرين شاء .

النوع الثاني

مما قدم النية به التأخير

فنه ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم الفصول على الفاعل في محو قوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٣)، و ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا ﴾^(٤)، ﴿ وَإِذْ أَبْسَلْ

(٢) سورة النحل ١١٤

(٤) سورة الحج ٢٧

(١) سورة المائدة ٣٠ ، ٣١

(٣) سورة طه ٢٨

إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ^(١) .

ونحوه مما يجب في الصناعة النحوية كذلك ، ولكن ذلك لتصد الحصر .
كقديم للفصول . كقوله : ﴿ أَفَنَصِرَ اللَّهَ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ ﴾^(٢) . ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ ﴾^(٣) .
وكقديم الخبر على اللبتدأ في قوله : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا نَسْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٤)
ولو قال « وظنوا أن حصونهم مانسهم » لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنها إياهم .
وكذا : ﴿ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي ﴾^(٥) ، ولو قال : « أنت راغب عنها » أما أفادت
زيادة الإنكار على إبراهيم .

وكذلك : ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٦)
ولم يقل : « فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة » ، وكان يستغنى عن الضمير ، لأن هذا
لا يقيد اختصاص الذين كفروا بالشخص .

ومنه ما يدل على اللنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾^(٧) ،
قال البنوي : هذا أول القصة ، وإن كانت مؤخرة في التلاوة .

وقال الواحدى : كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة ، وإنما أخر في الكلام
لأنه سبحانه لما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ . . . ﴾^(٨) الآية علم المخاطبين أن البقرة لا تذبح
إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم ، فلما استقرت عليهم هذا في قوسهم أتبع قوله :
﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ على جهة التوكيد ، لا أنه عرفهم الاختلاف
في القاتل بعد أن دلهم على ذبح البقرة . وقيل : إنه من التوخر الذى يراد به التقديم ،

(٢) سورة الزمر ٦٤

(٤) سورة الحشر ٢

(٦) سورة الأنبياء ٦٧

(٨) سورة البقرة ٦٧

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة الزمر ١٤

(٥) سورة سمر ٤٦

(٧) سورة البقرة ٧٢

وتأويله : وإذ قطعتم غصاً فأذا رأتهم فيها فسلمت موسى قال لكم : ﴿ إِنَّا أَنفَعُ لَكُم مِّنْ ذَلِكُمْ أَن تَقُولُوا مَقُولَ هَؤُلَاءِ ﴾ .

وأما الزنجشري ففي كلامه ما يدل على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن ، لمنى حسن لطيف استخرجه وأبداه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ ^(١) ، وأصل الكلام : « هواه إلهه » ، كما تقول : اتخذ العنم مبعوداً ، لكن قدم القول الثاني على الأول للمناية ، كما تقول : علمت منطلقاً زيدا ، لفضل عنايتك بانطلاقه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا آلَهُ الَّذِينَ اتَّزَلُوا عَلَىٰ عِبَادِهِ الْكِتَابَ . . . ﴾ ^(٢) الآية ، أى أنزله قياً ولم يجعل له عوجاً . قاله جماعة منهم الواحدي .

ورده غفر الدين في تفسيره بأن قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ^(٣) ، معناه أنه كامل في ذاته ، وأن « قياً » معناه أنه مكمل لنيره ، وكونه كاملاً في ذاته ، سابق على كونه مكتملاً لنيره ؛ لأن معنى كونه « قياً » أنه قائم بمصالح النير . قال : ثبت بالبرهان العقل أن الترتيب الصحيح ما ذكر في الآية ، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من القهاب إليه . انتهى .

وهذا فهم عجيب من الإمام ، لأن القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كونه غير ذى عوج متأخر عن كونه « قياً » في للمنى ، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب . وقد يكون أحد اللغتين ثاجاً قبل الآخر ويذكر بعده .

وأيضاً فإن هذا البحث إنما هو على تفسير القيم بالمستقيم ، فاما إذا فُسر بالقيام على غيره فلا نسلم أن القائل يقول بالتقديم والتأخير .

وما هنا أمران :



أحدهما : أن الأظهر جعل هذه الجملة - أعنى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ - من جملة صلة « الذى » وتامها ، وعلى ^(١) هذا لا موضع لها من الإعراب لوجهين ^(٢) : أحدهما أنها فى حيز الصلة ؛ لأنها معطوفة عليها . والثانى أنها اعتراض بين الحال وعاملها . ويجوز فى الجملة للذكورة أن يكون موضعها النصب ؛ على أنها حال من « الكتاب » ، والعامل فيها « أنزل » .

قاله جماعة ، وفيه نظر .

وأما قوله : « قَيِّمًا » فيجوز فى نصبه وجوه :

أحدها - وهو قول الأكثر - أنه منصوب على الحال من « الكتاب » والعامل فيه « أنزل » ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قَيِّمًا ، ولم يجعل له عوجًا » ، فتكون الجملة على هذا اعتراضاً .

والثانى أن يكون منصوباً بفعل مقدر ، وتقديره : « ولكن جعله قَيِّمًا » ، فيكون مفعولاً للفعل المقدر .

والثالث أن يكون حالاً من الضمير فى قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ، وتكون حالاً مؤكدة .

واختار صاحب الكشف أن يكون ^(٣) « قَيِّمًا » مفعولاً لفعل مقدر كما ذكرناه ؛ لأن الجملة التى قبلها عنده معطوفة على الصلة ، و « قَيِّمًا » من تمام الصلة ، وإذا كان حالاً يكون فيه فصل بين بعض الصلة وتامها ، فكان الأحسن جعله مفعولاً مقدر .

وقال جماعة منهم ابن اللثير فى تفسير البحر بعد قوله كلام الزمخشري : « عجيب من كونه لم يجعل الفاصل للذكور حالاً أيضاً ، ولا فصل ، بل هما حالان متواليان من شئ واحد ، والتقدير : أنزل الكتاب غير معوج » .

(١) م : « وحده » .

(٢) ت : « بوجهين » .

(٣) انظر الكشف ٢ : ٤٨٨ .

وهذا القول - وهو جعل الجملة حالا - قد ذكره جماعة قبل ابن اللّيث . والظاهر أن الزنجشريّ لم يرضَ هذا القول ، لأنّ جعل الجملة حالا لا يفيد ما يفيد العطف ، من تقى الموجع عن الكتاب مطلقا ، غير مقيد بالإزالة وهو المقصود . فالتائدة التي هي أتمّ إنما تكون على تقدير استقلال الجملة ، كيف والقول بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ! فله الطبرى وغيره .

وقال الواحدى : هو قول جميع أهل اللغة والتصير . والزنجشريّ ربما لاحظ هذا للنى ، ولم يمنع جواز غير ما قال ، لكنّ ما قال هو الأحسن .

وقال غير ابن اللّيث في الاعتراض على الزنجشريّ : إن الجملة وإن كانت مستقلة فهي في حيز الصلة للعطف ، فلم يقع فصل ، ويؤيد ما ذكره صاحب الكشف أن بعض القراء يسكت عند قوله : « عَوْجًا » ويفصل بينه وبين « قِيَا » بسكتة لطيفة ، وهي رواية حصص عن عاصم ، وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله . قال ابن اللّيث : وتحتمل السكتة وجها آخر ، وهو أن يكون ذلك لرفع توهم أن يكون « قِيَا » نعتا للموجع ؛ لأن النكرة تستدعى النعت غالبا ، وقد كثُر في كلامهم إيلاء النكرة الجامدة نعتها ، كقوله : « صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » ، و « قُرْآنًا عَرَبِيًّا » ، فإذا وليّ النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف ، فربما خيف اللبس في جعل « قِيَا » نعتا ل « عَوْج » فوقع اللبس بهذه السكتة .

وهذا أيضا فيه نظر ، لأن ذلك إنما يتوهم قِيَا يصلح أن يكون وصفا ، ولا يصلح « قِيَا » أن يكون وصفا ل « عوج » فإنّ الشئ لا يوصف بضده ؛ لأن الموجع لا يكون قِيَا ، والأوّل ما ذكرناه أولا .

الثاني : قل الإمام عن بعضهم أن « قِيَّما » بدل من قوله : « عَوَجًا » ، وهو مُشْكِل ، لأنه لا يظهر له وجه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾^(١) ، قيل : التقدير : لقد همت به لولا أن رأى برهان ربه وهَمَّ بها . وهذا أحسن ؛ لكن في تأويله قَلَى ، ولا يحتاج إلى هذا التأويل إلا على قول من قال : إن الصنائر يجوز وقوعها منهم .

وقوله : ﴿ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾^(٢) قيل : أصله : فبشرتها بإسحاق فضحكت . وقيل : ضحكت أى حاضت بعد الكبر عند البُشْرَى ، فادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة .

وقوله : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾^(٣) ، قدم على ما بعده ، وهو مؤخر عنه في المعنى ؛ لأن ذلك يحصل للتوافق .

وقوله : ﴿ فَصَلَّهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴾^(٤) ، أى أحوى غناء ، أى أخضر ، يميل إلى السواد ، وللوجب لتأخير ﴿ أَحْوَى ﴾ رعاية القواصل .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ دِينَغَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾^(٥) ، قال ابن برهان النحوى : أصله : ومن يتبع دينا غير الإسلام .

وقوله : ﴿ وَغَرَّابِيبُ سُودَ ﴾^(٦) ، قال أبو عبيد : الغريب : الشديد السواد ، ففي الكلام تقديم وتأخير . وقال صاحب^(٧) « المجائب والغرائب » : قال ابن عيسى :

(٢) سورة هود ٧١

(١) سورة يوسف ٢٤

(٤) سورة الأعلى ٥

(٣) سورة الكهف ٧٩

(٦) سورة طه ٢٧

(٥) سورة آل عمران ٨٥

(٧) هو محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء ؛ قال صاحب كشف الظنون : « أورد بعض

الوجه في الآية ، وذكر كل عيب وغريب » .

الغريب: الذى لونه لون التراب ، فصار كأنه غراب . قال : والتراب يكون أسود وغير أسود ، وعلى هذا فلا تقدم ولا تأخير فيه .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ^(١) على قول من يقول : إِنَّ الذِّكْرَ هنا القرآن .

وقوله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُّوْهَا ﴾ ^(٤) أى مقروها ثم كذبوه فى عقربها وفى إجابتهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ قَفَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ^(٥) ، تحديده : ثم قفى أجلا وعنده

أجل مسمى ، أى وقت مؤقت .

وقوله : ﴿ فَاجْتَبِيُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ ^(٦) أى الأوثان من الرجس .

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ^(٧) ، أى يرهبون ربهم .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرَجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ^(٨) ، أى الذين هم حافظون لغرجهم .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ ^(٩) أى مخلف رسله وعده .

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ ^(١٠) ، أى بل الإنسان بصير على نفسه فى

شهود جوارحه عليه .

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(١١) ، خلق العجل من الإنسان .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ^(١٢) ، أى ولولا

(٢) سورة النور ٢٧

(٤) سورة الشمس ١٤

(٦) سورة الحج ٣٠

(٨) سورة المؤمنون ٥

(١٠) سورة القيامة ١٤

(١٢) سورة طه ١٢٩

(١) سورة الأنبياء ١٠٥

(٣) سورة القمر ١

(٥) سورة الأنعام ٢

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة إبراهيم ٤٧

(١١) سورة الأنبياء ٣٧

كلمة سبقت من ربك وأجل مسيئ لكان العذاب لازماً لهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ ^(١) ، أى كيف مده ربك .

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٢) أى لشديد حب الخير .

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ^(٣) أى زين

للمشركين شركائهم قتل أولادهم ؛ لأن الشياطين كانوا يحسنون لهم قتل بناتهم خشية العار .

وقوله : ﴿ أَعْلَمَهُ الَّذِينَ يَسْتَفْهِطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) ، أى فلا نعبك

أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾ ^(٦) ،

تقديره : مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْمَالِكِينَ ﴾ ^(٧) ، أى فأننا عدو آلهم وأصنامهم ،

وكل معبود يعبده من دون الله .

وقوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا ﴾ ^(٨) ، أى فرغوا وأخذوا ،

فلا قوت ، لأن القوت يكون بعد الأخذ .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ﴾ ، يعنى القيامة . ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ ^(٩) ؛

(٢) سورة المائدة ٨

(٤) سورة النساء ٨٣

(٦) سورة إبراهيم ١٨

(٨) سورة سبأ ١

(١) سورة الفرقان ٤٥

(٣) سورة الأنعام ١٣٧

(٥) سورة التوبة ٥٥

(٧) سورة الشعراء ٧٧

(٩) سورة العاشية ١ ، ٢

وذلك يوم القيامة . ثم قال : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ﴾ ^(١) ، والنصب والعمل يكونان في الدنيا ، فكانت على التقديم والتأخير ، معناه : وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة ، والدليل عليه قوله : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِيَةٌ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ^(٣) ، تقديره : لمقت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم إلا الإيمان فكفرتهم ، ومقته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم إذ دعيتم إلى النار .

وقوله : ﴿ حَتَّى يَذَبِّحَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ ^(٤) ، لأن الفجر ليس له سواد ، والتقدير : حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل ؛ أى حتى يبين لكم يياض الصباح من بقية سواد الليل .

وقوله : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فُلٌ مِنْ آفَةٍ لَقُولُوا كَافِرُونَ كَانُوا لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ كَانُوا لَمْ تَكُنْ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْتُمْ آفَةٌ عَلَيَّ ﴾ ^(٦) ، لأنه موضع الشكاة .

وقوله : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ^(٧) ، أى اثنين إلهين ، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز ، و « إلهين » لا يقع إلا على ما لا يجوز ، ف « إلهين » أخص ، فكان جملة صفة أولى .

(٢) سورة الناحية ٨

(٤) سورة البقرة ١٨٧

(١) سورة الناحية ٣

(٣) سورة غافر ١٠

(٥) سورة الناز ٧٣

(٦) من قوله تعالى في سورة النساء ٧٢ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِضَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْتُمْ آفَةٌ عَلَيَّ ﴾ .

(٧) سورة النحل ٥١

النوع الثالث

ما قدم في آية وآخر في أخرى

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ﴾ وفي خاتمة الجاثية ﴿ فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ ﴾^(١) ،
فقديم « الحمد » في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تحذير الجواب ، فكأنه قيل
عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك ، نظيره : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ
الْيَوْمَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾^(٢) .

وقوله في سورة يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾^(٣) ، قدم الجرور
على المرفوع ، لاشتغال ما قبله من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل ، وإصرارهم
على تكذيبهم ، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة ، تلك القرية ، وبيق تحيلاً في فكره :
أكانت كلها كذلك ، أم كان فيها ...^(٤) على خلاف ذلك ، بخلاف ما في سورة
القصص^(٥) .

ومنها قوله في سورة النمل : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٦) ،
وفي سورة المؤمنین : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٧) ، فإن ما قبل الأولى
﴿ أَئِنذًا كُنَّا تَرَابًا وَآبَاؤُنَا ﴾^(٨) ، وما قبل الثانية : ﴿ أَئِنذًا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾^(٩) ،
فالجملة للنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً ، والجملة للنظور فيها هنا كونهم
تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندم في تبييد البعث .

- | | |
|---|---|
| (١) سورة الجاثية ٣٦ | (٢) سورة غافر ١٦ |
| (٣) سورة يس ٢٠ | (٤) موضع التقطعات كلمات غامضة غير واضحة |
| (٥) سورة القصص ٢٠ ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ... ﴾ | (٦) سورة المؤمنون ٨٣ |
| (٦) سورة النمل ٦٨ | (٧) سورة المؤمنون ٨٣ |
| (٨) سورة النمل ٦٧ | (٩) سورة المؤمنون ٨٧ |

ومنها قوله في سورة المؤمنین : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(١) ، قدّم
 المجرور على الوصف ؛ لأنه لو أخبر عنه - وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل عليه
 للوصف ، وتعلمه : ﴿ وَأَتَرَفَنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٢) - لا يحتمل أن يكون من نعيم
 الدنيا. واشتبه الأمر في القائلين : أم من قومه ، أم لا ؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها :
 ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣) ؛ فإنه جاء على الأصل .
 ومنها قوله في سورة طه : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٤) .
 بخلاف قوله في سورة الشعراء : ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ^(٥) .

ومنها قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ^(٦) ،
 وقال في سورة الإسراء : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ ^(٧) ، قدم المخاطبين في الأولى
 دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى في الفقراء ، بدليل قوله : ﴿ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ ، فكان
 رزقهم عندهم أم من رزق أولادهم ، قدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب
 في الثانية للأغنياء ؛ بدليل ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ فَإِنَّ الْخَشْيَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِمَّا لَمْ يَجْع ، فكان
 رزق أولادهم هو المطلوب ، دون رزقهم ، لأنه حاصل ، فكان أم ، قدّم الوعد برزق
 أولادهم على الوعد برزقهم .

ومنها ذكر الله في أواخر سورة اللّٰه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٨) ، قدّم ذكر السموات ؛ لأن معلوماتها أكثر ، فكان تقديمها أدل على
 صفة العالمية ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
 مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ^(٩) فبدأ بذكر الأرض ، لأنه في

(٢) سورة المؤمنین ٢٤

(١) سورة المؤمنون ٢٣

(٤) سورة الشعراء ٤٨

(٣) سورة طه ٧٠

(٦) سورة الإسراء ٣١

(٥) سورة الأنعام ١٥١

(٨) سورة طه ١٠

(٧) سورة طه ٣٨

سياق تعجير الشركاء عن الخلق وللشاركة ، وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير ؛ فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم ؛ لأن من عجز عن أيسر الأمور كان عن أعظمها أعجز ، ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّا آفَهُ يُمِيسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا ﴾ ^(١) ، قدّم السموات تنبيهاً على عظم قدرته سبحانه ؛ لأن خلقها أكبر من خلق الأرض ، كما صرح به في سورة المؤمن ^(٢) ؛ ومن قدر على إمساك الأعظم كان على إمساك الأصغر أقدر .

فإن قلت : فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البين ، الذي لا يشك فيه أحد ؟

قلت : أراد ذكرها مطابقة ؛ لأنه على كل حال أظهر وأبين ؛ فانظر أيها الماقل حكمة القرآن ، وما أودعه من البيان والتبيان ، محمد عاقبة النظر ، وتنتظر خير مُنتظر !

ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها ؛ قصد أن يقع البداية وانتم به ، للاعتناء بشأنه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ... ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ﴾ ^(٥) .

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ^(٦) فإنه لولا ما أسلفناه ، لقليل : ما تكتُمون وتبدون ؛ لأن الوصف بـ «لـ

(١) وهو قوله تعالى في الآية ٥٧ ﴿ لَخَلَقُ

(١) سورة فاطر ٤١؛

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ .

(٢) سورة الجمعة ١١

(٣) سورة آل عمران ١٠٦

(٤) سورة البقرة ٢٣

أمدح ، كما قيل : ﴿ يَلْمِ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾^(١) ، و ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٢)
 ﴿ وَأَنَّهُ يَلْمِ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(٣) .
 فإن قلت : قد قال تعالى : ﴿ يَلْمِ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ﴾^(٤) .
 قلت لأجل تناسب رموس الآي .

ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر ، واللفظ واحد ، والقصة واحدة ؛
 للفتن في الفصاحة ، وإخراج الكلام على عدة أساليب ، كما في قوله تعالى :
 ﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ
 سُجَّدًا ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ خَسَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ وَخَسَمَ عَلَى سَمْعِهِ
 وَقَلْبِهِ ﴾^(٨) ، قال الزمخشري في كشفه القديم : علم بذلك أن كلا الطريقين داخل تحت
 الحسن ؛ وذلك لأن المطف في المختلفين ، كالتثنية في اللغتين ، فلا عليك أن تقدم
 أيهما شئت ، فإنه حسن مؤدّر إلى النقص . وقد قال سيمويه : ولم يجعل الرجل منزلة بتقديمك
 إياه ، بكونه أولى بها من الجائي ؛ كأنك قلت : مررت بهما ، يعني في قولك : مررت
 برجل وجاءني ، إلا أن الأحسن تقديم الأفضل ، فالقلب رئيس الأعضاء ، وللضمة لها
 الشأن ، ثم السمع طريق إدراك وحى الله ، وكلامه التي قلت به السماوات والأرض ،
 وسائر العلوم التي هي الحياة كلها .

قلت : وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة .

- | | |
|--------------------|----------------------|
| (١) سورة الأنعام ٣ | (٢) سورة الرعد ٩ |
| (٣) سورة النحل ١٩ | (٤) سورة طه ٧ |
| (٥) سورة البقرة ٥٨ | (٦) سورة الأعراف ١٦١ |
| (٧) سورة البقرة ٧ | (٨) سورة المائدة ٢٣ |

القلب

وفي كونه من أساليب البلاغة خلاف ، فأنكره جماعة ، منهم حازم في كتاب « منهاج البلاء » وقال : إنه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه ؛ لأن العرب إن صدر ذلك منهم فيقصد العبث أو التهمك أو المحاكاة أو حال اضطرار ، والله منزّه عن ذلك . وقبله جماعة مطلقا ، بشرط عدم اللبس كما قاله ^(١) للبرّد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » .

وفصل آخرون بين أن يتضمن اعتبارا لطيفا ، فبليغ وإلا فلا ؛ ولهذا قال ابن الضائع : يجوز القلب على التأويل ، ثم قد يقرب التأويل فيصح في فصيح الكلام ، وقد يبعد فيختص بالشعر . وهو أنواع :

أحدهما

قلب الإسناد

وهو أن يشمل الإسناد إلى شيء وللراد غيره ، كقوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَقَامِحُهُ لَتَنُوهُ بِالْعَصْبَةِ ﴾ ^(٢) ، إن لم تجعل الباء للتمدية ؛ لأن ظاهره أن للفتح تنوء بالعصبة ، ومعناه أن العصبة تنوء بالفتح لتقلها ، فأسند « لتنوء » إلى « للفتح » ، وللراد إسناده إلى العصبة

* هو الأسلوب الرابع من الأساليب ، التي أوردتها المؤلف ؛ والأول أسلوب التوكيد في الجزء الثاني من ٣٨٤ وما بعدها ، والثاني في هذا الجزء من ١٠٢ وما بعدها . والثالث أسلوب التقديم والتأخير في هذا الجزء من ٢٢٣ وما بعدها .

(١) من ٣٨ ، وعبارته : « يقولون : أدخلت التلنؤة في رأسي ، وأدخلت الحف في رجلي ؛ وإنما يكون هذا غيا لا يكون فيه لبس ولا إشكال » . (٢) سورة القصص ٧٦

لأن الباء للحال والمُصَبَّة مستصعبة للمفاتيح ، لا تستصحبها المفاتيح . وقائده للبالغة ، يجعل المفاتيح كأنها مستقيمة المُصَبَّة القوية بثقلها .

وقيل : لا قَلْبَ فيه ، والمراد - والله أعلم - أن المفاتيح تنوء بالمصبة ، أى تميلها من قتلها . وقد ذكر هذا القراء وغيره .

وقال ابن عصفور : والصحيح ما ذهب إليه الفارسي أنها بالنقل ولا قلب ، والفعل غير متمدّ ، فصار متمدّاً بالباء ، لأن « ناء » غير متمدّ ، يقال : ناء النجم ، أى نهض ، ويقال : ناء ، أى مال للسقوط . فإذا قلت الفعل بالباء قلت : توت به ، أى أنهضته وأملته للسقوط ، قوله : (لَتَنُوهُ بِالْمُصَبَّةِ) ، أى تميلها المفاتيح للسقوط لثقلها .

قال : وإنما كان مذهب الفارسي أصحّ ، لأن قل الفعل غير المتمدى بالباء مقيس ، والقلب غير مقيس ، فحمل الآية على ما هو مقيس أولى .

ومنه قوله تعالى : (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)^(١) ، أى خُلِقَ العجل من الإنسان . قاله نطب وابن السكيت .

قال الزجاج : ويدلّ على ذلك : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)^(٢) .

قال ابن جني : والأحسن أن يكون تقديره : خُلِقَ الإنسان من العجلة ، لكثرة فعله إياه ، واعتماده له ، وهو أقوى في المعنى من القلب ، لأنه أمر قد اطرّد واتسع ، فحمل على القلب يبعد في الصنعة ، ويضعف المعنى .

ولسا خفي هذا على بعضهم قال : إن العجل هاعنا الطين ، قال : وتكررى إنه في اللغة كما ذكر ، غير أنه ليس هنا إلا نفس العجل ، ألا ترى إلى قوله عقبه : (سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)^(٣) ، ونظيره قوله : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ سَجُولًا)^(٤) ، (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

(٢) سورة الإسراء ١١

(٤) سورة الإسراء ١١

(١) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٧

ضَعِيفًا^(١) لَأَنَّ الْجَعْلَةَ ضَرَبَ مِنَ الضَّعْفِ ، لِمَا تُؤْذَنُ بِهِ الْضَّرُورَةُ وَالْحَاجَةُ .
وقيل في قوله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾^(٢) ، أى إنه من المقلوب ، وأنه
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ، وهكذا في قراءة أبي بكر^(٣) .

ومثله : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٤) ، قال القراء : أى لكل أمر كتبه الله
أجل مؤجل .

وقيل في قوله : ﴿ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ ﴾^(٥) : هو من المقلوب ، أى يريد بك الخير ،
ويقال : أراد به بالخير وأراد به الخير .

وجعل ابن الضائع منه : ﴿ فَتَلْقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾^(٦) ، قال : فأدَمَ صلوات الله
على نبينا وعليه هو التلقى للكلمات حقيقة ، ويقرب أن ينسب التلقى للكلمات ؛ لأن
مَنْ تَلْقَى شَيْئًا ، أَوَّلُ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فَلَتَقِيهِ كَانَ الْآخِرُ أَيْضًا فَدُتِلَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَلَقَّاهُ ، قال :
ولقرب هذا المعنى قرئ بالقلب^(٧) .

وجعل الفارسي منه قوله تعالى : ﴿ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمُ ﴾^(٨) ، أى فعميت عليها .
وقوله : ﴿ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾^(٩) .
وقوله : ﴿ وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾^(١٠) ، ﴿ وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ ﴾^(١١) ،
أى بلغت الكبر .

وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(١٢) ، وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي ﴾

-
- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) سورة النساء ٢٨ | (٢) سورة ق ١٩ |
| (٣) وهى أيضا قراءة ابن مسعود ؛ على إضافة الكسرة إلى الحق . وانظر الكشاف ٤ : ٣٠٦ | |
| (٤) سورة الرعد ٣٨ | (٥) سورة يونس ١٠٧ |
| (٦) سورة البقرة ٣٧ | (٧) أى ينسب آدم ورفعه الكلمات ؛ وهى |
| قراءة ابن كثير . وانظر تفسير القرطبي ١ : ٣٢٦ | (٨) سورة هود ٢٨ . قال الزجاج : وهى |
| وسمى «عَمَّيْتُ» خفيت . وقرئ : ﴿ فَعَمَّيْتُ ﴾ ، بمعنى أخفيت ، وقى قراءة أبى ﴿ فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمُ ﴾ | |
| (٩) سورة يونس ٢٤ | (١٠) سورة مريم ٨ |
| (١١) سورة آل عمران ٤٠ | (١٢) سورة الجاثية ٢٣ |

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ؛ فَإِنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَعَادِي ، وَإِنَّمَا لِلنَّبِيِّ : فَإِنِّي عَدُوٌّ لِمَنْ ، مُشْتَقٌّ مِنْ عَدُوِّ الشَّيْءِ ، إِذَا جَاوَزَتْهُ وَخَلَقَتْهُ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَنْ لَهُ إِirَادَةٌ ، وَأَمَّا «عَادِيَّتُهُ» فِفَاعِلَةٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ .

وَجَلَّ مِنْهُ بَعْضُهُمْ : ﴿وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ^(٣١) ، أَيْ إِنَّ حُبَّهُ لِلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . وَقِيلَ : لَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ مِنْهُ أَنَّهُ لِحُبِّ اللَّامِلِ لِلْبَخِيلِ ، وَالشَّدَّةُ : الْبُخْلُ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِ لِلْمَالِ يَبْخُلُ .

وَجَلَّ الزُّخْرَى مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ ^(٣٢) ، كَقَوْلِهِ : عَرَضَتْ النَّاقَةُ عَلَى الْحَوْضِ ، لِأَنَّ لِلْمَرْوُضِ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِيَارُ لِلْمَرْوُضِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَفْعَلُ وَيُرِيدُ ؛ وَعَلَى هَذَا فَلَا قَلْبَ فِي الْآيَةِ ؛ لِأَنَّ الْكُفَّارَ مَقْهُورُونَ فَكَأَنَّهُمْ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ ، وَالنَّارُ مُتَصَرِّفَةٌ فِيهِمْ ، وَهُوَ كَالْتِمَاعِ الَّتِي يَقْرُبُ مِنْهَا مَنْ يَرْضَى عَلَيْهَا ، كَمَا قَالُوا : عَرَضَتْ الْجَارِيَةُ عَلَى الْبَيْعِ .

وقوله : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٣٣) ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَرَّمَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْكَلْفِ ، فَالْمَعْنَى : وَحَرَّمْنَا عَلَى الرَّاضِعِ أَنْ تَرْضِعَهُ . وَوَجْهٌ تَحْرِيمُ إِرْضَاعِهِ عَلَيْهَا إِلَّا يَقْبَلُ إِرْضَاعَهُنَّ حَتَّى يَرُدَّ إِلَى أُمِّهِ .

وقوله تَعَالَى : ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ^(٣٤) ، وَقِيلَ : الْأَصْلُ وَمَا تَخْدَعُهُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ، لِأَنَّ الْأَنْفُسَ هِيَ الْخَادِعَةُ ، وَالسُّوْءَةُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ ^(٣٥) .

وَرُدُّهُ أَنَّ الْفَاعِلَ فِي مِثْلِ هَذَا هُوَ لِلْفِعْلِ فِي الْمَعْنَى ، وَأَنَّ التَّنْفِيرَ فِي الْإِنْفِظَةِ ، فَهَذَا يَصِحُّ إِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا ؛ وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقَلْبِ .

(٢) سورة المائدة

(١) سورة الشعراء ٧٧

(٣) سورة الأحقاف ٢٠ ، وانظر الكشاف ٤ : ٢٤٢ (٤) سورة القصص ١٢

(٥) سورة البقرة ٩ ، وهي قراءة فافع وابن كثير وابن عمرو . (٦) سورة يوسف ١٨

الثاني

قلب المعطوف

إما بأن تجمل المعطوف عليه معطوفاً والمعطوف معطوفاً عليه ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ اِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾^(١) ، حقيقة : فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم ، لأن نظره ما يرجعون من القول غير متأثر مع توليه عنهم . وما يفسر به التولي من أنه يوارى في الكوة التي ألقى منها الكتاب مجاز والحقيقة راجعة عليه .

وقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(٢) ، أى تدلى فدنا ؛ لأنه بالتدلى ، نال الدنو والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى اللكاة ، لا إلى المكان .

وقيل : لا قلب ، وللمنى : ثم أراد الدنو ، وفي صحيح البخارى^(٣) : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾^(٤) ، للمنى فإذا استعذت فاقرأ .

وقوله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسًا ﴾^(٥) ، وقال صاحب الإيضاح : لا قلب فيه ؛ لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً .

ورد بتضمنه للبالغة في شدة سَوْرَةِ الْبَاسِ ؛ معنى هلكت بمجرد توجه الناس إليها ، ثم جامها .

الثالث

العكس

العكس ؛ وهو أمر لفظي ، كقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٦) .

(٢) سورة النجم ٨

(٤) سورة النحل ٩٨

(٦) سورة الأناصير ٥٢

(١) سورة النمل ٢٨

(٣) كتاب التفسير ، سورة النحل ٣ : ١٤٨

(٥) سورة الأعراف ٤

وقوله : ﴿مَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾^(١) .
 ﴿لَا مِنْ حِلٍّ لَهُمْ وَلَا مِنْهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(٢) .
 ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٣) .

الرابع

للسوى

وهو أن الكلمة أو الكلمات تقرأ من أولها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها ،
 لا يختلف لفظها ولا معناها ، كقوله : ﴿رَبِّكَ فَكْثِرُ﴾^(٤) .
 ﴿كُلٌّ فِي فَكٍّ﴾^(٥) .

الخامس

مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى ، مع بقاء بعض
 حروف الكلمة الأولى ، كقوله تعالى : ﴿فَرَقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦) ، ﴿بَنِي﴾
 مركب من حروف « بين » وهو مفروق ، إلا أن الباقي ببعضها في الكلمتين ،
 وهو أولها .

(٢) سورة اللحنة ١٠

(٤) سورة طه ٩٤

(٦) سورة طه ٩٤

(١) سورة البقرة ١٨٨

(٣) سورة الحج ٦١

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

الدرج

هذا النوع صميته بهذه التسمية ، بنظير الدرَج من الحديث ^(١) ، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تسمى الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها ، كقوله تعالى ذا كرا عن بليس : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٢) ، هو من قول الله لا من قول للرأى . ومنه قوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّ السَّادِقِينَ ﴾ ^(٣) . انتهى قول للرأى ^(٤) ، ثم قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالنَّبِيِّ ﴾ ^(٥) ، معناه ليعلم للآل أنى لم أخنه .

ومنه : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَنَّ بَنَيْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ ^(٦) ، ثم الكلام ، هناك لللائكة : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ^(٨) فهذه صفة لأهلياء المؤمنين ، ثم قال : ﴿ وَعَدُوْنَهُمْ فِي النَّفْسِ ﴾ ^(٩) ، فهذا يرجع إلى كفار مكة تعلمهم إخوانهم من الشياطين في النفس .

(١) للمرجع من الحديث كما في كتب المصطلح : أن تراد لفظة في متن الحديث من كلام الراوى ، فيجبها من يسحبها مرفوعة في الحديث فيروها كذلك . وانظر الباعث الحديث ٨٠

(٢) سورة النمل ٣٤ (٣) سورة يوسف ٥١

(٤) كذا في الأصول ؛ وللفقهاء أن قول للرأى ينتهي عند قوله تعالى حكاية عنها : ﴿ وَمَا أَمْرِي ﴾ نفسى إن النفس لأمرأة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم ﴾ آية ٥٣ .

(٥) سورة يوسف ٥٢ ؛ وهو من قول للرأى . (٦) سورة يس ٥٢

(٧) سورة الأعراف ٢٠١ (٨) سورة الأعراف ٢٠٢

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾^(١)، ثم أخبر عن فرعون متصلاً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضٍ مَعَكُمْ لَأَمْرٍ حَبِيبٍ إِلَيْكُمْ سَأَلُوا النَّارَ﴾^(٢)، فالظاهر أن الكلام كله من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾^(٣) من كلامه تعالى، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَىَّ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤).

(١) سورة الشعراء ٣٥٠

(٢) سورة الصافات ٨٢

(٣) سورة ص ٥٩

(٤) سورة الشعراء ٨٩

التَرْقِي

كقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(١) ، ﴿ لَا يُفَاكِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾^(٢)

فإن قيل : قد ورد : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْبًا ﴾^(٣) ، والنائب أن يقدم فيه التليل على الكثير ؛ مع أن الظلم منع للحق من أصله ، والمضغ منع له من وجهه كالصغير ؛ فكان يناسبه^(٤) تقديم المضغ .

قلت : لأجل فواصل الآي ؛ فإنه قدم قبله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾^(٥) ، فمدل عنه في الثاني ، كيلا يكون أبطأ ، وقد سقت أمثلة الترقى في أسباب التقديم .

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) م : « فإياه » .

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة طه ١١٢

(٥) سورة طه ١١١

الاقتصاص

ذكره أبو الحسين بن فارس ^(١)، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى، أو في السورة نفسها، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآخِرَتِهِ﴾ في الآية كَيْنَ الصَّالِحِينَ ^(٢)، والآخرة دار ثواب لا محل فيها، فهذا مقتص من قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ^(٣).
ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٤)، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ ^(٥).
وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَنَّتِهِمْ﴾ ^(٦).
فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ^(٧)، فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات؛
لأنَّ الأَشْهَادَ أربعة :

للأنبياء عليهم السلام في قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ^(٨).
والأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ^(٩).
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ^(١٠).

(٢) سورة النكبات ٢٧

(٤) سورة المائدة ٥٧

(٦) سورة مريم ٦٨

(٨) سورة ق ٢١

(١٠) سورة البقرة ١٤٣

(١) الصاحب ٢٠١

(٣) سورة طه ٨٥

(٥) سورة الروم ١٦

(٧) سورة غافر ٥١

(٩) سورة النساء ٤١

والأعضاء قوله : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾^(٢) ، وقرئت مخففة ومثقلة^(٣) ،
فن شدد فهو من « نَدَّ » إذا هز ؛ وهو مقتص من قوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ . . . ﴾^(٤) الآية^(٥) ، ومن خفف فهو تفاعل من التناء ، مقتص من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾^(٦) .

-
- | | |
|--|--------------------------------|
| (١) سورة النور ٢٤ | (٢) سورة غافر ٣٢ |
| (٣) الصاحبي : « مشددة » . | (٤) سورة عيس ٣٤ |
| (٥) الصاحبي : « إلى أكثر التهمة » . | (٦) سورة الأعراف ٤٤ ، وبمعناها |
| الصاحبي ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ ، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ ﴾ ، | |
| وما أشبه هذا من الآية التي فيها ذكر التناء . | |

الألفاز

والألفز الطريق للنعرف ، سُئِيَ به لانحرافه عن نَمَط ظاهر الكلام ؛ ويسى أيضا أحجية ؛ لأنَّ الحِجَى هو العقل ؛ وهذا النوع يقوى العقل عند التمرّن والارتماض بِحَمَلُهُ والفكر فيه .

وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم ، وجعل منه ما جاء في أوائل السور من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها ، وحارت العقول في معناها .

ومنه قوله تعالى في قصة إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام ، وقيل له : أنت فعلته ؛ فقال : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(١) ، فأبلغهم بهذه المعارضة ليقيم عليهم الحجة ، ويوضح لهم الحجة .

وكذلك قول عمروذ : ﴿ أَنَا أَخِي وَأُمِّيْتُ ﴾ ^(٢) ، أتى بابتين قتل أحدهما ، وأرسل الآخر ، فإن هذا مغالطة .

الاستطراد

وهو التمرّض بمبب إنسان يذكر عيب غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ ^(١) .
وكقوله : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا قُلْ أُنذِرْتُمْ كَمَا نُذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ أَلَا بُنَا لَئِذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ ^(٣) .

التدريب

وهو أن يُلْقَى للتكملة لفظة من الكلام ثم يردّها بسينها، ويملّئها بمعنى آخر، كقوله:
﴿ حَتَّى نُؤْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَفَلَا أَعْلَمُ ... ﴾^(١)، الآية ؛ فَإِنَّ الأول مضاف إليه ، والثاني مبتدأ .

وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٢).

وقوله : ﴿ لَسَجِدٌ أَشْأَىٰ عَلَى الْفُقَرَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾^(٣) .

وقد يحذف أحدها ويضمر ، أولا يلاحظ^(٤) على الخلاف في قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٥) .

(٢) سورة الروم ٦ ، ٧

(٤) ت د لا يلاحظ ه .

(١) سورة الأنعام ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٥) سورة البقرة ٢

التعليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره . وقيل ترجيح أحد اللغويين على الآخر ، أو إطلاق لفظة عليهما ؛ لإجراء للمختلفين مجرى للمتفقين .
وهو أنواع :

رُذُل

تعليب للذكر

كقوله تعالى : ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^(١) غلب للذكر ؛ لأن الواو جامعة ؛ لأن لفظة الفعل مقتض ^(٢) ، ولو أردت المطف امتنع .
وقوله : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴾^(٣) .
وقوله : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾^(٤) ، والأصل « من القاتنات والغابرات » فعدت الأتني من المذكر بحكم التعليب .

هكذا قالوا ؛ وهو عجيب ؛ فإن العرب تقول : نحن من بني فلان ؛ لا تريد إلاموالاتهم ، والتصويب لطريقتهم ؛ وفي الحديث الصحيح في الأشعرين : « هم مني وأنا منهم » قوله سبحانه : ﴿ مِنْ الْقَاتِنِينَ ﴾ ولم يقل : « من القاتنات » ؛ إذنا بأن وَضَعَهَا فِي الْمُبَادِ جِدًّا واجتهادا ، وعلما وتبصرا ورفعة من الله للرجاتها في أوصاف الرجال القاتنين وطريقهم . ونظيره ، ولكن بالعكس قول عُبَيْدِ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ لَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ لَمَّا أَجْمَعَ الْقُعُودُ

(٢) ت « يقتضى » .

(٤) سورة الأعراف ٨٣

(١) سورة القيامة ٩

(٣) سورة النجم ١٢

عن وقعة بدر؛ لأنه كان شيخا فجاء بمجمرة، قال: يا أبا علي استعجر، فإنما أنت من النساء؛ قال: قبحك الله وقبح ما جئت به! ثم تجهز.

ونازع بعضهم في ذلك من وجه آخر، قال: يحتمل ألا يكون «من» للعيبض بل لابتداء الغاية، أي كانت ناشئة من القوم القاتلين، لأنها من أعقاب، هارون أخى موسى عليه السلام.

الثاني

تغليب للتكلم على الخطاب والمخاطب على النائب

فيقال: أنا وزيد فلنا، وأنت وزيد فعلان. ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتْتُمْ قَوْمَ تَجَمَّهَلُونَ﴾^(١)، بناء الخطاب، غلب جانب «أنتم» على جانب «قوم»، والتباس أن يحمى بالياء؛ لأنه وصف القوم، وقوم اسم غيبة، ولكن حسن آخر الخطاب، وصفا «قوم» لوقوعه خبرا عن ضمير الخطابين. قال ابن السجري.

ولو قيل: إنه حال لـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾^(٢)، لأن في الضمير الخطاب معنى الإشارة للازمة لها، أو لمناها لكان متجها وإن لم تساعد الصنعة، لكن يبعد أن المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقل «جاهلون»، إيمانا بأنهم يصعدون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم.

وقال أبو البركات بن الأنباري: ولو قيل: إنما قال: ﴿تجهلون﴾ بالفاء. لأن «قوم» هو «أنتم» في اللفظ فذلك، قال: «تجهلون» حملا على اللفظ. لكان حسنا ونظيره قوله:

* أنا الذي ستمني أمي حيدرة^(٣) *

(٢) سورة النمل ٥٢

(١) سورة النمل ٥٥

(٣) من رجز لعل بن أبي طالب؛ أنفذه حين برز لقتال يوم خيبر وبنته.

كَيْشُ غَابِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةِ أَوْفِيهِمُ الصَّاعِرُ كَيْلَ السِّنْدَرَةِ

بالباء حلا على « أنا » لأن « الذى » هو « أنا » فى اللغى .
ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾^(١) . غلب فيه جانب
« أنت » على جانب « مَنْ » فاستند إليه الفعل ، وكان تقديره : فاستقيموا ، فغلب الخطاب
على النبية ، لأن حرف المطف فعل بين للسند إليهم الفعل ، فعبار كما ترى . قال صاحب
الكشاف : تقديره^(٢) : فاستقم كما أمرت وليستم كذلك من تاب معك .
وما قلنا أقل تقديرا من هذا فاختر أيهما شئت .

وقوله تعالى : ﴿ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ ﴾^(٣) ، فأعاد الضمير
بلفظ الخطاب ، وإن كان « من تبعك » يقتضى النبية ، تنظييا للمخاطب وجعل الغائب
تبعا له ، كما كان تبعا له فى المصيبة والقوبة ، فحسن أن يُجمل تبعا له فى اللفظ ، وهو من
عاجس ارتباط اللفظ بالمعنى .

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَكُمْ تَقْوَنَ ﴾^(٤) ، فإن الخطاب فى « لَكُمْ » متعلق بقوله : « خَلَقَكُمْ » لا بقوله :
﴿ اعْبُدُوا ﴾ حتى يختص بالناس المخاطبين ، إذ لا معنى لقوله : « اعبدوا لَكُمْ تَقْوَنَ » .
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِمَافَلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) ، فيمن قرأ بالتاء . ويجوز
أن يكون المراد بـ « ما تعملون » الخلق كله ، والمخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وكل
سامع أبدا ، فيكون تنظييا ، ولا يجوز أن يصير خطاب من سواء بدونه من غير اعتبار
التعليب ، لامتنان أن يخاطب فى كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو ثنية أو جمع .
ومنه قوله تعالى^(٦)

(٢) الكشاف ٢ : ٣٢٨ : مع تنبيه

(٣) سورة الإسراء ٦٣

(٥) سورة هود ١٢٣

(١) سورة هود ١١٢

فى العبارة .

(٤) سورة البقرة ٢١

(٦) كذا فى الأصول .

الثالث

تغليب الماقل على غيره

بأن يقدم لفظ **يَمَنْ** **يَقُلْ** **وَمَنْ** لا **يَقُلْ** ، فَيُطْلَقَ اللفظ المختص بالماقل على الجميع ، كما يقول : « خَلَقَ اللهُ النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ وَرَزَقَهُمْ » ، فإن لفظ « **مَنْ** » مختص بالماقل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْهٌ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ ^(١) ، لما تقدم لفظ العادة ، والمراد بها عموم مَنْ **يَقُلْ** **وَمَنْ** لا **يَقُلْ** غلب من **يَقُلْ** ، قال : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَشِي ﴾ ^(٢) .

فإن قيل : هذا صحيح في « **فَمِنْهُمْ** » لأنه إن **يَقُلْ** ؛ وهو راجع إلى الجميع ، فلم قال : « **مَنْ** » وهو لا يقع على العام ، بل خاص بالماقل ؟

قلت : « **مَنْ** » هنا بعض « **هُمْ** » ، وهو ضمير من **يَقُلْ** .

فإن قلت : فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا **يَقُلْ** ؟

قلت : مَنْ هنا قال أبو عثمان : إنه تغليب من غير عموم لفظ متقدم ، فهو بمنزلة من يقول : رأيت ثلاثة : زيدا وعمرا وحارثا .

وقال ابن الضائع : « **هُمْ** » لا تقع إلا على مَنْ **يَقُلْ** ، فلما أعاد الضمير على كل دابة غلب مَنْ **يَقُلْ** ، قال : « **مَنْ** » ، و« **مَنْ** » بعض هذا الضمير ؛ وهو الماقل ، فلم أن يقول « **مَنْ** » فلما قال : بوقوع التغليب في الضمير ، صار ما يقع عليه حكمه حكم الماقلين ؛ فتم ذلك بأن أوقع « **مَنْ** » .

وقوله تعالى : « كَيْفَا عَنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِفَيْنِ ﴾ » ^(٣) ، إنما جمعها جمع

(١) - سورة التور ٤٠

(٢) - سورة فصلت ١١

(٣) - ٢٠ - يرحمان - ثالث

السلامة ، ولم يقل « طائفتين » ولا « طائعات » ، لأنه أراد: اثنتي عشرة قبيلة من بني إسرائيل ، طائفتين ، فخرجت الحلال على لفظ الجمع ، وغلب مَنْ يعقل من الذكور .

وقال بعض النحويين : لما أخبر عنهما أنها يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الله كور من بني آدم . وإنما قال : « طائفتين » ولم يقل : « مطيعين » ، لأنه من طاعتنا أى اقتدنا ، وليس من أطعنا ؛ يقال : طاعت الناقة تطوع طوعا ، إذا اتفقت .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ ^(١) ، قيل : أوقع « ما » لأنها تقع على أنواع مَنْ يَعْتَل ؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فقلب ما لا يعقل ؛ كان الأمر بالعكس ؛ وينافضه : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال الزجاجى : جاء به « ما » تحقيرا لشأنهم وتضعيفا ، قال : « له قانتون » تعظيم .

ورده عليه ابن الضائع بصحة : رعاها على الله عز وجل ، قال : وهذا غاية الخطأ ؛ وقوله فى دعاء الأصنام : ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لِيُجْلِدْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ^(٤) .

وأما قوله : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٦) ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ ﴾ ^(٧) .

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ^(٨) . ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدَ وَهَاءُ ﴾ ^(٩) . ﴿ يَأْتِيهَا التَّنْمِلُ أَذْخُلُوا مَسَاجِدَكُمْ ﴾ ^(١٠)

(١) سورة البقرة ١١٦

(٢) سورة الشعراء ٢٢

(٣) سورة الشعراء ٤

(٤) سورة الأنبياء ٦٥

(٥) سورة الأنبياء ٩٩

(٦) سورة فصلت ٢١

(٧) سورة يس ٤٠

(٨) سورة يوسف ٤

(٩) سورة التين ١٨

لما أخبر عنها بأخبار الأدميين جرى ضميرها على حدّ مَنْ يَقل ، وكذا البواقي .
فإن قيل : قد غلبَ غير المائل على المائل في قوله : ﴿ وَفِي سَجْدٍ مِّنَ السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ^(١) فإنه لو غلبَ المائل على غير المائل لآتى بـ « مَنْ » .
فالجواب أن هذا للوضع غلب فيه من يقل ، وعبر عن ذلك بـ « ما » ، لأنها واقعة
على أجناس مَنْ يقل خاصة ، كهذه الآية .

قوله : ﴿ فِي مَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ^(٢) ، ولم يقل « وَمَنْ فِيهِنَّ »
قيل : لأن كلمة « ما » تتناول الأجناس كلها تناولاً عاماً بأصل الوضع ، و « مَنْ »
لا تتناول غير العقلاء بأصل الوضع ، فكان استعمال « ما » هنا أولى .

وقد يجتمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب ، والعقلاء على غيرهم ، كقوله :
﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُونَكُمْ فِيهِ ﴾ ^(٣) ، أى خلق
لكم أيها الناس من جنسكم ذكوراً وإناثاً ، وخلق الأنعام أيضاً من أنفسها ذكوراً وإناثاً ،
يذرونكم ، أى ينجبكم ويكثركم أيها الناس والأنعام ، في هذا التدبير والجعل ، فهو خطاب
للجميع ؛ للناس المخاطبين وللأنعام للذكورة بلفظ التثنية ، فيه تغليب المخاطب على
الغائب ، وإلا لما صحّ ذكر الجميع - أعنى الناس والأنعام - بطريق الخطاب ؛ لأن الأنعام
غيب ، و [فيه] تغليب العقلاء على غيرهم ؛ وإلا لما صحّ خطاب الجمع بلفظ « كم » المختص
بالعقلاء ، ففي لفظ « كم » تليين ، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال : يذرونكم وإياها .
هكذا قرره السكاكي والزعزعي .

ونوزعا فيه ؛ بأن جعل الخطاب شاملاً للأنعام تكلف لا حاجة إليه ؛ لأن النرض
إظهار القدرة وبيان الألفاظ في حق الناس ؛ فالخطاب مختص بهم ، والمعنى : يكثركم

أيها الناس في التدبير حيث مكنكم من التوالد والتناسل ، وهياً لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب الماش وتديز التوالد ، وجعلها أزواجاً تبقى بينائكم ، وعلى هذا يكون التقدير : وجعل لكم من الأنعام أزواجاً ؛ وهذا أنسب بنظم الكلام مما قرروه ، وهو جعل الأنعام أنفسها أزواجاً .

وقوله : ﴿ يَذَرُوكُمْ فِيهِ ﴾ ^(١) أى في هذا التدبير ؛ كأنه محلّ لثلك ، ولم يقل « به » كإل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٢) ؛ لأنه مسوق لإظهار الاقتدار مع الوجدانية ، فأسقط السببية ، وأثبت « في » الظرفية ، وهذا وجه من إيجاز قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ؛ لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره ، فاخترت « في » على « الباء » ؛ لأنه مسوق لبيان الترهيب واللعن مفهوم ، والقصاص مسوق للتجويز وحسن للشرعية ، ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(٣) .

الرابع

تغليب المتّصف بالشئ على ما لم يتصف به

كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ ^(١) ، قيل : غلب غير الرتابين على الرتابين ، واعترض بقوله تعالى : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ آفِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وهذا خطاب للكفار قطع قطعاً ، فهم المخاطبون أولاً بذلك ؛ ثم « إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » لا يتميز فيها التغليب ، ثم هي شاهدة بأن المتكلم معهم يخص

(٢) سورة البقرة ١٧٩

(٤) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة النورى ١١

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

الجاحدين بقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١) ، وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم ، فتغليب خال من لم يدخل في الخطاب ، لا عهد به في مخاطبات العرب .

الخامس

تغليب الأكثر على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصف يخص بالأكثر ، كقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾^(٢) ، أدخل شعيب عليه السلام في قوله : ﴿ لَنَعْمُدَنَّ ﴾ بحكم التغليب ؛ إذ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها . ومثله قوله : ﴿ إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾^(٣) ، واعترض بأن « عاد » بمعنى « صار » لنة معروفة ، وأنشدوا :

فإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى قد عادت لهنّ ذُنُوبُ

ولا حجة فيه ؛ لجواز أن يكون ضمير « الأيام » فاعل « عادت » ؛ وإعانة الشاهد في قول أمية :

تلك للكلام لا قَبْآنٍ مِنْ لَبَنِ شَيْباً بِمَاءٍ فَسَاداً بَعْدُ أَبْوَالاً

ويحتمل جواباً ثالثاً ؛ وهو أن يكون قولهم لشعيب ذلك ، من نعمتهم وبهتانهم وإدعائهم أن شعيباً كان على ملتهم ، لا كقائل فرعون لموسى . وقوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾^(٤) كناية عن أتباعه لجُرد فالتسهم ، وأنه صلى الله عليه وسلم إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه قد استثنى ، وللملئق بالشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديراً ، والاعتراف بالقدرة والرجوع لعله سبحانه ، وأن علم البعد عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكاً .

(٢) سورة الأعراف ٨٨

(٤) سورة الأعراف ٨٩

(١) سورة البقرة ٢٥

(٣) سورة الأعراف ٨٩

ويجوز أن يراد بالموء في ملتهم مجرد الساكنة والاختلاط، بدليل قوله : ﴿ إِذْ تَبَيَّنَا أَنَّ اللَّهَ مِنْهَا ﴾ ^(١) . ونظيره : ﴿ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) ، ويكون ذلك إشارة إلى الهجرة عنهم ، وترك الإجابة لهم ، لا جوابا لهم . وفيه بُد.

السادس

تقليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس

مغفور فيما بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع

كقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ^(٣) ، وأنه عد منهم ؛ مع أنه كان من الجن ، تقليباً لكونه جنياً واحداً فيما بينهم ، ولأن حمل الاستثناء على الاتصال هو الأصل . ويدل على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه : « خُلِقَتِ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورِ وَالْجِنِّ مِنَ النَّارِ » ^(٤) .

وقيل : إنه كان مكسباً فُلبِ للملكية ، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع من الملائكة .

قال الزمخشري : كان مختلطاً بهم ، فينفذ عنه الدعوة بالخلطة لا بالجنس ؛ فيكون من تقليب الأكثر .

هذا إن جملنا الاستثناء متصلاً ؛ ولم يحمل « إلا » بمعنى « لكن » .

وقال ابن جني في « اللد » : قال أبو الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ

(١) الأعراف ٨٩

(٢) سورة آل عمران ٥٥

(٣) سورة م ٧٣ ، ٧٤

(٤) لفظ الحديث في صحيح مسلم ٤ : ٢٢٩٤ : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ

نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ طِينٍ وَمِنْ مَاءٍ لَحْمٍ » ، ينعم من مائة .

أَبْنِ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟^(١)، وَإِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ

عيسى دون أمه ؛ فهو من باب :

* لَنَا قَرَامَا وَالتَّجُومِ الطُّوَالِ^(٢) *

السابع

تغليب للوجود على ما لم يوجد

كقوله : ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾^(٣) قال الزمخشري : فإن^(٤) للراد : للنزّل كله ، وإنما عبّر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه متوقفاً ، تغليبا للوجود على ما لم يوجد .

الثامن

تغليب الإسلام

كقوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾^(٥) قاله الزمخشري^(٦) : لأن الدرجات للمسلمين والدرجات للفل ، فاستعمل الدرجات في القسمين تغليبا .

التاسع

تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بنير هذا الوجه

كقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾^(٧) ، ذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال

(٢) منوه :

(١) سورة المائدة ١١٦

* أَخَذْنَا بِأَقَانِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ *

(٣) سورة البقرة ٤

وهو لفرزدق ، ديوانه ٢ : ١٩٠

(٤) سورة الأحقاف ١٩

(٤) الكشف ١ : ٣٣

(٦) الكشف ٤ : ٢٤١ ومبارته هناك :

﴿وَلِكُلِّ مِنَ الْجَنَّةِ لِلذَّكَوَيْنِ﴾ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ؛ أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا

من الخير والشر ؛ ومن أجل ما عملوا منها . فإن قلت : كيف قيل ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ، وقد جاء : الجنة درجات ، والنار درجات ؟ قلت : يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب ، لا شتبا كل على الفريقين .

(٧) سورة آل عمران ١٨٢

تزاوُل بها، فحصل الجمع بالواقع بالأيدى، تنظيماً أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران^(١).
ويشاكله ما أنتهه الترنويزي في «المامريات» لصفيّة بنت عبد المطلب :
فلا والمادياتِ غداً جَمْعُ بأيديها إذا سطع العُبار^(٢)

الماشر

تنظيِب الأشهر

كقوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾^(٣) أراد للشرق وللغرب ،
فقلب للشرق ، لأنه أشهر الجهتين ، قاله ابن الشجري وسيأتي فيه وجه آخر .

فَاِئْتَانِ

إحداها :

جميع باب التنظيِب من الجواز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألا ترى أن القاتنين
موضوع للذكور للوصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما
وضع له، وقس على هذا جميع الأمثلة السابقة .

الثانية :

الغالب من التنظيِب أن يراعى الأشرف كما سبق ، ولهذا قالوا في ثنية الأب والأم :
أبوان ، وفي ثنية للشرق وللغرب ، للشرقان ، لأن الشرق دالٌّ على الوجود ، والغرب
دالٌّ على العلم ، والوجود لا محالة أشرف ، وكذلك القمران ، قال :

* لنا قمرها والنجوم الطوالع *

أراد الشمس والقمر، فقلب القمر لشرف التذكير . وأما قولهم سنة الممرين ، يريدون

(٢) ضمير البحر لأبي حيان ٨ : ٥٠٣

(١) في الكشف ١ : ٣٤٤

(٣) سورة الزخرف ٣٨

أبا بكر وعمر ، قال ابن سيده في « المحكم » : إنما ضلوا ذلك إشاراً للخفة ، أى غلب الأخف على الأثقل ، لأن لفظ « عمر » مفرد ولفظ أبى بكر مركب .
وذكر أبو عبيد في « غريب الحديث » أن ذلك للشهرة وطول للذة .
وذكر غيرهما أن للراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وعلى هذا فلا تغليب .

ورُدَّ بأنهم نطقوا بالعمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز ، فقالوا يوم الجمل
لملئ بن أبى طالب : سنة العمرين .

الالتفات

وفيه مباحث :

المؤول : في حقيقة

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر نظريةً واستعداداً للسامع ، وتجديداً للشاطه ، وصيانةً لخاطره من الملل والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه ، كما قيل :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مُصَرِّقَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
قال حازم في « منهاج البلاء » : وهم يأمون الاستمرار على ضمير متكلم
أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى النية . وكذلك أيضاً جلاب المتكلم بضميره ،
خاتمةً يحمله تاء على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارةً يحمله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً
وتارةً يحمله هاء ، فيقيم نفسه مقام الغائب . فذلك كان الكلام للتوالى فيه ضمير
للتكلم وللخطاب لا يستطاب ؛ وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض ، وهو قل
معنوى لا لفظي ، وشرطه أن يكون الضمير في للتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى
للتفت عنه ، ليخرج ^(١) نحو أكرم زيداً ، وأحسن إليه ، فضمير « أنت » الذي هو
في « أكرم » غير الضمير في « إليه » .

واعلم أن للتكلم والخطاب والنية مقامات ، وللشهور أن الالتفات هو الانتقال من
أحدها إلى الآخر بعد التمييز بالأول .

وقال السكاكي : إما ذلك ، وإما التفسير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره .

المبحث الثاني : في أقسام

وهي كثيرة :

الأول

الالفاظ من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبسته على الاستماع حيث أقبل للتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل حماية وتخصيص بالمواجهة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(١) ، الأصل : « وإليه أرجع » ، فالفت من التكلم إلى الخطاب ، وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصيح قومه ، تطلقاً وإعلاماً بأنه يريد لنفسه ، ثم الفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله .

وأيضاً فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام منهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يبيع منه أنه لا يعبد فطره ومبدعه ؛ ثم حذرهم بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .

لنا جلوه من الالفاظ ، وفيه نظر ، لأنه إنما يكون منه إذا كان التصديق الإخبار عن نفسه في كلتا الجملتين ، وهما هنا ليس كذلك ، لجواز أن يكون أراد بقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) المخاطبين ؛ ولم يرد نفسه ، ويؤيده ضمير الجمع ، ولو أراد نفسه لقال : « ترجع » .

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين ، و « فطرنى » و « وإليه ترجعون » كلام واحد .

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله : ﴿ تَرْجِعُونَ ﴾ ظاهره الماصح الاستغفار الإنكارى ؛ لأنّ رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبد غير ذلك الراجع . فلهنى : كيف أعبد مَنْ إِلَهٍ رَجَوِىْ ؛ وإنما ترك « وإليه أرجع » إلى ﴿ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ ﴾ لأنّه داخل فيهم . ومع ذلك أفاد فائدة حسنة ؛ وهى أنه نبههم أنّهم مثله فى وجوب عبادة مَنْ إِلَهٍ رَجَوِىْ ؛ فعلى هذا ، الواو للحال ، وعلى الأول واو العطف .

ومنه قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(١) عدل عن قوله : « رَحْمَةً مِنَّا » إلى قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ؛ لما فيه من الإشعار بأنّ ربوبيته تقتضى رحمة ؛ وأنه رحم عبده ، كقوله : ﴿ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ ادْعُوا رَبِّكُمْ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَأَعْبُدُوا رَبِّكُمْ ﴾ ^(٤) . وهو كثير .
وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ^(٥) ولم يقل : « لنغفر لك » تعليقا لهذه المغفرة التامة باسمه المتضمن لائر أسمائه الحسنى ، ولهذا علق به النصر ، قال : ﴿ وَنُفَصِّرُكَ اللَّهُ نُصْرًا عَزِيْزًا ﴾ ^(٦) .

الثانى

من التكلم إلى النية

ووجهه أن يقهّم السامع أنّ هذا نمط للتكلم وقصده من السامع ، حضر أو غاب ،

(٢) سورة سبا ١٥

(١) سورة الحج ٧٧

(٦) سورة الفتح ٣

(١) سورة الكهف ٨٧

(٣) سورة الأعراف ٥٥

(٥) سورة الفتح ١ ، ٢

وأنه في كلامه ليس تمن يتلون ويهتج ، فيكون في الضم ونحوه ذا لَوْنَيْن ، وأراد بالانتقال إلى النية الإبقاء على الخطاب ؛ من قرعه في الوجه بهام المعجز ، فالتنية أَرْوَحُ له ، وأبقى على ما. وجهه أن يفوت ، كقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ ^(١) ، حيث لم يقل « لنا » تحريضا على فعل الصلاة حتى الربوبية .

وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا . . . ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿ فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٤) ، ولم يقل : « بي » .

وله فائدتان : إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالمصيبة لها ، والثاني تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات للذكورة ، من النبوة والأمية ، التي هي أكبر دليل على صِدْقِهِ ، وأنه لا يستحق الاتباع لقائه ، بل لهذه الخصائص .

الثالث

من الخطاب إلى التكلم

كقوله : ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّا تَخَيُّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ ^(٥) ؛ وهذا إنما يعمشى على قول من لم يشترط أن يكون للراد بالاتفات واحدا ؛ فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به ، ويمكن أن يمثل بقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُتُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ ^(٦) على أنه سبحانه نَزَّلَ قَسَمَهُ منزلة الخطاب .

(٢) سورة الفتن ٤ - ٦

(٤) سورة طه ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الكوثر ١ ، ٢

(٣) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة يونس ٢١

الرابع

من الخطاب إلى النبوة

كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِرَبِّكُمْ ﴾^(١) ، فقد التفت عن ﴿ كُنْتُمْ ﴾ إلى ﴿ جَرَّتْ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، وفائدة المدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم ، لتعجبه من فعلهم وكفرهم ، إذ لو استمرت على خطابهم لكانت تلك الفائدة .

وقيل : لأن الخطاب أولا كان مع الناس : مؤمنهم وكافرهم ؛ بدليل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾^(٢) ، فلو قال : « وجرت بكم » للزم الذم للجميع ، فالتفت من الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية ، فدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم ، وهم للوصوفون بما أخبر به عنهم .
وقيل : لأنهم وقت الركوب حصروا ، لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح ، فتأدام نداء الحاضرين . ثم إن الرياح لما جرت بما تشقى النفوس ، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان ؛ أنه إذا أمن غاب ، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فكرم الله بصيغة النبوة ؛ قال : ﴿ وَجَرَّتْ بِرَبِّكُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾^(٣) ثم قال : ﴿ بِطَافٍ عَلَيْهِمْ ﴾^(٤) ، فانتقل عن الخطاب إلى النبوة ، ولو ربط بما قبله لقال : « بطاف عليكم » ، لأنه مخاطب لا مخبر ، ثم التفت قال : ﴿ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٥) فكرر الالتفات .
وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾^(٦)

(٢) سورة الزخرف ٧٠

(٤) سورة الروم ٣٩

(١) سورة يونس ٢٢

(٣) سورة الزخرف ٦١

وقوله : ﴿ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْمِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ ^(١)
 وقوله : ﴿ إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَاقْطِعُوا آمُرَهُمْ
 بَيْنَهُمْ ﴾ ^(٢) ، والأصل « قطعتم » عطفًا على ما قبله ، لكن عدل من الخطاب إلى النية ،
 قيل : إنه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ، ويجههم عليه
 قائلًا : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله !
 وجعل منه ابن السجري : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٣) ، وقد سبق أنه على
 حذف للقول ، فلا التفت .

الخامس

من النية إلى التكلم

كقوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
 الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ^(٤) .
 ﴿ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) .
 ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ ^(٦) .
 وقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُتَسْقَاهُ ﴾ ^(٧) وفائدته أنه لما كان

(٢) سورة الأنبياء ٩٢ ، ٩٣

(٤) سورة الإسراء ١

(٦) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

(١) سورة المجرات ٧

(٣) سورة الضحى ٣

(٥) سورة فصلت ١٢

(٧) سورة طه ٩

سَوَّقُ السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر ، دالاً على القدرة الباهرة ، والآية العظيمة التي لا يتدر عليها غيره ، عدل عن لفظ التنبية إلى التكلم ؛ لأنه أدخل في الاختصاص ، وأدل عليه وأنعم .

وفيه معنى آخر ، وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية ، منها ما أخبر به سبحانه بسببه ؛ وهو سَوَّقُ السحاب ، فإنه يسوق الرياح ، فتسوق لللائكة بأمره ، وإحياء الأرض به بواسطة إنزاله ، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكم وعلمه . وعادته سبحانه في كل هذا لأففال أن يغير بها بنون التعظيم ، الدالة على أن له جنداً خلقاً قد سخرهم في ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾^(١) ، أى إذا قرأه رسولنا جبريل . وقوله : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾^(٢) .

وأما إرسال السحاب فهو سحب يأذن في إرسالها ، ولم يذكر له سبباً ، بخلاف سَوَّقُ السحاب ، وإنزال المطر فإنه قد ذكر أسبابه : ﴿ أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾^(٣) . ﴿ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُنْزِلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾^(٤) .

وجعل الزخشرى منه قوله : في سورة طه : ﴿ وَأُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾^(٥) : وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التثاناً ، وجعل قوله : ﴿ وَأُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾^(٦) آخر كلام موسى ، ثم ابتداء الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمالحتها .

وأشار الزخشرى^(٧) إلى أن قائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على

(٢) سورة طه ١٠٢

(٤) سورة النحل ٦٠

(٦) الكشاف ٣ : ٥٣

(١) سورة القيامة ١٨

(٣) سورة طه ٢٧

(٥) سورة طه ٥٣

التنخيص بالقدرة ؛ وأنه لا يدخل تحت قدرة واحد، وهو معنى قول غيره: إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة . وكذا يفعلون لكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال نستغرب، أو تهتم الخطاب؛ وإنما قال: ﴿ فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً ﴾^(١)، لإفادة بقاء اللط زماناً بعد زمان .

ومثله : ﴿ فَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الْأَدْنَىٰ بِمِصَابِيحَ ﴾^(٢)، عدل عن النبوة في « فضاهن » و « سواهن » إلى التكلم في قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾^(٣)، قيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً؛ تكذيباً لمن أنكر ذلك .

وقيل : لما كانت الأفعال للذكورة في هذه الآية نوعين :

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام للذكورة ، وهو خلق الأرض في يومين، وجعل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها ، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام؛ ثم الإخبار بأنه استوى إلى السماء ، وأنه أتمها وأكلها سبباً في يومين ؛ فأتى في هذا النوع بضمير النسب ، عطفاً على أول الكلام في قوله : ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ فَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ . . . ﴾^(٥) الآية .

والثاني: قصده الإخبار مطلقاً، من غير قصدمدة خلقه، وهو ترتيب سماء الدنيا بمصابيح، وجعلها حفظاً؛ فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك ؛ بخلاف ما قبله ؛ فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته . وأما ترتيب

(٢) سورة فصلت ١٢

(١) سورة الحج ٦٣

(٤) سورة فصلت ١٢

(٣) سورة فصلت ٩ ، ١٠

السماء الدنيا بالمصاييح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم ، فالتفت من النية إلى التكلم ، قال : ﴿ زَيْنًا ﴾ .

فائدة

[في تكرار الالتفات في موضع واحد]

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(١) في أربعة مواضع ؛ فانتقل عن النية في قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ، إلى التكلم في قوله : ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ، ثم عن التكلم إلى النية في قوله : ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ ، بالياء على قراءة الحسن ، ثم عن النية إلى التكلم في قوله : ﴿ آيَاتِنَا ﴾ ؛ ثم عن التكلم إلى النية في قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

وكذلك في الفاتحة ، فإن من أولها إلى قوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٢) أسلوب غيبة ، ثم التفت بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) إلى أسلوب خطاب في قوله : ﴿ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، ثم التفت إلى الغيبة بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٥) ، ولم يقل « الذين غضبت » كما قال : ﴿ أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) .

السادس

من النية إلى الخطاب

كقوله : ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِالرَّحْمَنِ وَلَدَا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ ^(٧) ، ولم يقل :

(٢) سورة الفاتحة ٤ ، ٥ ، ٧

(١) سورة الإسراء ١

(٣) سورة مريم ٨٨ ، ٨٩

« لقد جاءوا » للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موثقاً عليه ، مفكراً عليه قوله ، كأنه يخاطب به قوماً حاضرين .
وقوله : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْخَسِرَةِ إِذْ يَفُصَّ الْأَمْرُ ﴾^(١) ، ثم قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ وَسَقَامُ رَبِّهِمْ شَرَّابًا طَهُورًا . إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾^(٣) .
وقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ ﴾^(٤) .
وقوله : ﴿ فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَطُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ ﴾^(٥) .
وقوله : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشُّسْنَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾^(٧) .

وقوله : ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ ... ﴾^(٨) الآية .
وقوله : ﴿ وَظَلَمْنَا عَلَيْكُمُ النَّعَامَ وَأَتْرَكْنَا عَلَيْكُمُ النَّارَ وَالْأُولَى ﴾^(٩) .
وقوله : ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَحِكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١٠) .
وقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾^(١١) .
وقوله حكاية عن الخليل : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَهْوُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

- | | |
|------------------------|-----------------------|
| (١) سورة مريم ٣٩ | (٢) سورة مريم ٧١ |
| (٣) سورة النحل ٢١ ، ٢٢ | (٤) سورة آل عمران ١٠٦ |
| (٥) سورة التوبة ٣٥ | (٦) سورة الفرقان ٤٥ |
| (٧) سورة البقرة ٦ | (٧) سورة البقرة ٥٧ |
| (٩) سورة الأحزاب ٥٠ | (١٠) سورة الأنعام ٦ |

تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ^(١) ، إلى قوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ . . .﴾ ^(٦) الآية .

وجعل بعضهم منه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ ^(٧) ، وهو عجيب لأن «الذين» موصول لفظه للنبية ، ولا بد له من عائد وهو الضمير في «آمنوا» ، فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب ! فهذا مما لا يعقل .

وقوله : ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ . إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ ^(٨) ؛ فقد التفت عن النبية وهو «مَالِكِ» إلى الخطاب وهو : ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾ ^(٩) .

ولك أن تقول : إن كان التقدير : قولوا الحمد لله ، ففيه التفتان - أعنى في الكلام للمأمور به :

أحدهما : في لفظ الجلالة ، فإن الله تعالى حاضر ، فأصله الحمد لك .

والثاني : ﴿إِيَّاكَ﴾ لجيئته على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدر : «قولوا» كان في «الحمد لله» التفتان عن التكلم إلى النبية ؛ فإن الله سبحانه حمده نفسه ، ولا يكون في «إياك»

- | | |
|--------------------------|-------------------------|
| (١) سورة التنبؤ ١٦ ، ١٧ | (٢) سورة التنبؤ ١٦ ، ١٧ |
| (٣) سورة إبراهيم ١٩ - ٢١ | (٤) سورة الأعراف ١٧٥ |
| (٥) سورة الأعراف ١٧٦ | (٦) سورة التنبؤ ٢٨ ، ٢٩ |
| (٧) سورة التنبؤ ٦ | (٨) سورة الفاتحة ٤ ، ٥ |

نبد ﴿ التفات ﴾ لأن « قولوا » مقدرة معها قطعا ؛ فلما أن يكون في الآية التفات ، أو لا التفات بالكلية .

السابع

بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكله

فيكون التفاتاعنه ، كقوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) بعد ﴿ اُنْمَتْ ﴾ ^(٢) ؛ فإن للمنى « غير الذين غضبت عليهم » ذكره التنوخي في « الأسمى القريب » والغفاجي ، وابن الأثير وغيرهم .

واعلم أنه على رأى السكاكي تجب الأقسام الستة في القسم الأخير ، وهو الاعتقال التقديرى .

وزعم صاحب « ضوء الصباح » أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والنية موضع التكلم ، ووضع التكلم موضع الخطاب ، ومثل الثالث بقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ^(٣) ، مكان « وما لكم لا تسجدون الذى فطركم » .

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤) ثم قال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرَّاءِ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَالْبَلَّغِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ^(٦) .

البحث الثالث في أسبابه

اعلم أن الالتفات ^(٥) فوائد عامة وخاصة ؛ فمن العامة التفنن والاعتقال من أسلوب إلى آخر

(٢) سورة يس ٢٢

(٤) سورة النساء ١٦٢

(١) سورة الفاتحة ٧

(٣) سورة البقرة ١٧٧

(٥) ت : « اليقين » تحريف .

لما في ذلك من تشييط السامع ، واستجلاب صفاته ، واتساع مجارى الكلام ، وتسهيل الوزن والقافية .

وقال البيانىون : إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حسن تغيير الطريقة . ونازعهم القاضى شمس الدين بن الجوزى وقال : الظاهر أن مجرد هذا لا يكتفى فى المناسبة ، فإننا رأينا كلاماً طويلاً فى هذا ، والأسلوب محفوظ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۝۰۰۰ ﴾^(١) إلى أن ذكر عشرة أصناف ، وختم به ﴿ الَّذِينَ أَفْقَهُ كَثِيرًا مِّنَ الدِّكْرِ ﴾ ، ولم يغير الأسلوب ؛ وإنما للناسبة أن الإنسان كثير القلب ، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن ، ويقلبه كيف يشاء ، فإنه يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة ، وآخر يكون حاضراً فيضرب ، فافقه تعالى لما قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) تنبه السامع وحضر قلبه ، فقال : ﴿ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٣) . وأما " الخاصة فمختلف " باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده للتكلم .

فمنها قصد تعظيم شأن المخاطب ، كافى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فإن المبدأ إذا انتصح حمد مولاه بقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » الدال على اختصاصه بالحمد وجا من نفسه الصبر ك للإقبال عليه سبحانه ؛ فإذا انتقل إلى قوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) على رويته لجلبهم قوى تحرّكه ، فإذا قال : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ الدال على أنه متمم بانواع النعم ؛ جليلها وحقيقها تزايد الصبر ك عنده ، فإذا وصل لـ ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وهو خاتمة الصفات الدالة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء ، فيتأهب قربه ، وتيقن الإقبال عليه بتخصيصه بناية الخضوع والاستمانة فى المهمات .

(٢) سورة الفاتحة ٢

(٤) ت « الخاصة مختلف » ؛

(١) سورة الأحزاب ٣٠

(٢) سورة الفاتحة ٥

وقيل : إنما اختير الحمد لفظ النية ، والمعبادة الخطاب ، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ؛ فإنك محمد نظيرك ولا تعبد ، إذ الإنسان يحمّد من لا يعبد ، ولا يعبد من لا يحمده ، فلما كان كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع النية في الخبر قال : « الحمد لله » ولم يقل « الحمد لك » ، ولفظ العبادة مع الخطاب قال : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ، على ما هو أعلى رتبة ؛ وذلك على طريق التأدب . وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة قال : « الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » مصرّحاً بذكر النعم ، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل « صراط للنعم عليهم » ؛ فلما صار إلى ذكر النضب روى عنه لفظ النضب في النسبة إليه لفظاً ، وجاء باللفظ متحرّفاً عن ذكر الناضب ؛ فلم يقل « غير الذين غضبت عليهم » ، تفادياً عن نسبة النضب في اللفظ حال للمواجهة .

ومن هذا قوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً »^(١) ؛ فإن التأدب في النية دون الخطاب .

وقيل : لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رباً للعالمين ورحماتاً ورحيماً ، ومالكاً ليوم الدين ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره ، مستماتاً به ، فغوّط بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة ، تعظيماً لشأنه كلّهُ ؛ حتى كأنه قيل : إِيَّاكَ ، يا مَنْ هذه صفاته نخصّ بالعبادة والاستماتة لا غيرك .

قيل : ومن لطائف التنبيه على أن مبتدأ الخلق النية منهم عنه سبحانه ، وقصورهم عن محاضرتة ومخاطبته ، وقيام حجاب العظمة عليهم ، فإذا عرفوه بما هو له ، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه ، وأقروا بالحمد له وتعبّدوا له بما يليق بهم ، تأهّلوا لمخاطباته ومناجاته قالوا : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

وفيه أنهم يُبدون بين يدي كلِّ دعاء له سبحانه ومناجاة له صفات عظمته لمخاطبته على الأدب والتعظيم ، لا عن النغلة والإغفال ، ولا عن اللعب والاستخفاف ، كن يدعو بلا تنية أو على تلعب وغفلة ، وهم كثير .

ومنه أن مناجاته لاتصلد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به ، كما لاتسجد الأعضاء إلا بعد التطهير من حدث الأجسام ؛ ولذلك قلتم الاستعاذة على القرآن .

قال الزمخشري : وكافي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ^(١) ، ولم يقل « واستغفرت لهم » [وعدل عنه إلى طريق الالتفات] ^(٢) لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره ، وأن شفاعته من اسمه الرسول بمكان ^(٣) .

ومنها : التنبيه على ماحق الكلام أن يكون واردا عليه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٤) ، أصل الكلام « وما لكم لا تميلون الذي فطركم » ولكنه أبرز الكلام في معرض للناحية لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ؛ ليتلطف بهم ، ويريهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ثم لما اقضى غرضه من ذلك ، قال : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٥) ليدل على ما كان من أصل الكلام ، ومقتضيا له ، ثم ساق هذا للساق إلى أن قال : ﴿ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ ^(٥) .

ومنها : أن يكون النرض به التميم لمعنى مقصود التكميل ؛ فيأتى به محافظة على تميم

(٢) تكملة من الكشف .

(٤) سورة يس ٢٢

(١) سورة النساء ٦٤

(٣) الكشف ٢ : ٤٠٨

(٥) سورة يس ٢٥

ما قصد إليه من المعنى للطلب له ، كقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) ، أصل الكلام « إنا مرسلين رحمة منا » ، ولكنه وضع الظاهر موضع المصير ، للإنتظار بأن الربوبية تقتضى الرحمة للمربوبين ، للقدرة عليهم ، أو لتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر ، أو الإشارة إلى أن الكتاب إنما هو إليه دون غيره ، ثم التفت بإعادة المصير إلى الرب الموضوع موضع المصير ، للمعنى المقصود من تسمي للمعنى .

ومنها : قصد المبالغة ، كقوله تعالى . ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ فِيهِمْ ﴾ ^(٢) كأنه يذكر لنيرهم حالهم ، ليمتدح منها ويستدعى منه الإنكار والتقبيح لها ؛ إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أن ما يشهدونه بعد الإجماع من البنى فى الأرض بغير الحق ، مما ينكر ويضيق .

ومنها : قصد الدلالة على الاختصاص ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَدْيٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِهِ ﴾ ^(٣) فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلاد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دألاً على القدرة الباهرة التى لا يقدر عليها غيره ، عدل عن لفظ النية إلى التكلم ؛ لأنه أدخل فى الاختصاص وأدل عليه : « سقنا » و « أحيينا » .

ومنها : قصد الاهتمام ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . قَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ ^(١) ، فدلل عن الغيبة في « قضاهن » ، وأوحى « إلى التكلم في « زينا السماء الدنيا » للاهتمام بالإخبار عن نفسه ، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ ؛ وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظًا ولا رجومًا ، فدلل إلى التكلم والإخبار عن ذلك ، لكونه مهمًا من مهمات الاعتقاد ، ولتكذيب الفرةقة للمعتدة بطلانه .

ومنها : قصد التوبيخ ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا آتِنَا زَبْحًا وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝ ^(٢) ، عدل عن الغيبة إلى الخطاب ، للدلالة على أن قاتل مثل قولهم ، ينبغي أن يكون مؤتمنًا ومتكرراً عليه ؛ ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور ، قال : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ ۝ ^(٣) ، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۝ ^(٤) ؛ قال : ﴿ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۝ دون « قطعتم أمركم بينكم » ، كأنه ينهى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين وصحح عندهم ما فسدوه ، ويوبخهم عليه قائلا : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، فطروا أمر دينهم به قطعاً ، تمثيلاً لأخلاقهم في الدين .

فائدة

اختلف في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ^(١) بعد ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٢) .

قيل : إن الكلام تم عند قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، وهذا الذي بدمه من قول الله صديقاً لهم .

وقيل : بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى التبيين ، كقوله : ﴿ حَقٌّ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ يَوْمَ ﴾ ^(٣) .

فإن قلت : قد قال في آخر السورة : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ^(٤) ، فلم عدل عن الخطاب هنا ؟ قلت : إنما جاء الالتفات في صدر السورة ، لأن اللقاع يقتضيه ، فإن الإلهية تقتضى الجبر والشر لتتصف للظالمين من الظالمين ، فكان المدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى . وأما قوله تعالى في آخر السورة : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ^(٥) ؛ فذلك اللقاع مقام الطلب للمبد من ربه أن يُنم عليه بفضل ، وأن يجاوز عن سيئاته ، فلم يكن فيه ما يقتضى المدول عن الأصل للستمر .

البحث الرابع فى شرط

تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضير فى التثقل إليه عائداً فى نفس الأمر إلى التثقل عنه ؛ وشرطه أيضاً أن يكون فى جملتين ، أى كلامين مستقلين ، حتى يتمتع بين الشرط وجوابه .

(٢) سورة يونس ٢٢

(١) سورة آل عمران ٩

(٣) سورة آل عمران ١٩٤

وفي هذا الشرط نظر، وقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزأى الجملة، كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾^(١).

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُؤَلِّمًا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾^(٢).

وقوله : ﴿وَأَمْرًا مُؤَمِّنَةً إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾^(٣)، بعد قوله : ﴿إِنَّا أَهْلَقْنَا لَكَ﴾^(٤)، التقدير : إن وهبت امرأة فمها للنبي ﴿إِنَّا أَهْلَقْنَا لَكَ﴾^(٥)، وجعلنا الشرط والجزاء كلام واحد.

وقوله : ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ﴾^(٦).
وقوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٧)؛
وفيه الضمان : أحدهما بين « أرسلنا » والجلالة ، والثاني بين الكاف في « أرسلنا »
« ورسوله » وكل منهما في كلام واحد .

وقوله : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾^(٨).
وقوله : ﴿فَنَنْبِئُكَ مِنْهُمْ قُلُوبَهُمْ جَزَاءُكُمْ جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾^(٩) ، وجوز
الزخشرى فيه أن يكون ضمير « جزاؤكم » يعود على « التائبين » على طريق الالتفات^(١٠).
وقوله : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(١١) ، على قراءة الياء .

- | | |
|--|-----------------------|
| (١) سورة التكبوت ٢٣ | (٢) سورة القصص ٥٩ |
| (٣) سورة الأحزاب ٥٠ | (٤) سورة الفرقان ١٧ |
| (٥) سورة النحل ٩٠ | (٦) سورة آل عمران ١٥١ |
| (٧) سورة الإسراء ٦٣ | (٨) الكشاف ٢ : ٢٨ |
| (٩) سورة البقرة : وانظر الكشاف ١ : ٢٤٧ . | |

وقوله : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ ^(١) ، قال التنوخي في « الأقصى القريب » : الواو للحال .

وقوله : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .

البحث الخامس

أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يفعل ذلك إذا ابتلي العاقل بخمسة جاهل متمصّب، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ؛ لأنه كلما كان خوضه معه أكثر ، كان بعده عن القبول أشدّ ، فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة ، وأن يؤخّر في كلام آخر أجنبي ويطلب فيه ، بحيث ينسى الأول ، فإذا اشتغل خاطره به أدرج له أثناء الكلام الأجنبي مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول ، ليتمكن من اتحياده .

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب « درة التنزيل » ^(٣) ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾ ^(٤) ، قال : إن قوله « وادكر » ليس متصلاً بما قبله ، بل نقل لهم عما هم عليه ، وللمقدمة للدرجة قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٦) .

وهذا الذي قاله يخرج الآية عن الاتصال ، مع أن في الاتصال وجوهاً مذكورة في موضعها .

(٢) سورة يس ٢

(١) سورة لائحة ١٢

(٣) هو درة التنزيل وغرة التأويل للإمام غير الدين الرازي .

(٥) سورة ص ٢٧ - ٢٩

(٤) سورة ص ١٨

والحق به الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١) قوله تعالى : ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ مَحْجُوبُوا . . . ﴾ الآية ؛ فهذا إنكار منهم للبث واستبعاد نحو الوارد في سورة « ص » ؛ فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله : ﴿ أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَقَيْنَاهَا . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٢) ، فبعد المدول عن مجاوبتهم ، في قولهم : ﴿ ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾^(٣) ، وذكر اختلافهم للسبب عن تكذيبهم ، في قوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾^(٤) ، صرف تعالى الكلام إلى نبيه ولؤميين ، فقال : ﴿ أَقَلَّمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَقَيْنَاهَا . . . ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا ﴾^(٦) ، وذلك حكمة تذكرك مشاهدة ، لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره ، فمقد تكرر هذا ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٧) .

وبما يقرب من الالتفات أيضا الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر ؛ وهو ستة أقسام ، كما سبق تقسيم الالتفات :

أحدها : الانتقال من خطاب الواحد لطلاب الاثنين ، كقوله تعالى : ﴿ أَجِئْنَا بِتِلْكَ آيَاتِنَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٨) .

الثاني : من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾^(٩)

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الترمذى الأندلسى ، للترقى سنة ٧٠٨ هـ له كتاب : ملائكة التأويل القاطع قوى الإلهاد والتعطيل في توجيه اللشايه القفلى من آى التنزيل ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٢ جامع ، وقد نُس في كتاب بدره التنزيل للعضد الرازى وزاد عليه أشياء (الدرر الكامنة : ١ : ٢٨٤)

(٢) سورة ق ٢٤	(٣) سورة ق ٦
(٤) سورة ق ١١	(٥) سورة ق ٣
(٦) سورة ق ٥	(٧) سورة ق ٦
(٨) سورة ق ١١	(٩) سورة يونس ٧٨
(١٠) سورة الطلاق ١	

الثالث : من الاثنين إلى الواحد ، كقوله : ﴿فَنُزِّلْنَا بِمُوسَىٰ وَآلِ هَارُونَ بِالنُّجُومِ الْمُبِينِ﴾^(١) ،
﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾^(٢) .

الرابع : من الاثنين إلى الجمع ، كقوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَجْعَلُوا لِي آلَافَ قَبِيلَةٍ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) ،
وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد ، فإنه نُفِيَ ثم جُمِع ، ثم وَحِدَ ، توسعا في الكلام .
وحكمة التثنية أن موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة ، ويمكنان في الشريعة ،
نفعهما بذلك ، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة ؛ لأن الجميع مأمورون بها ،
ثم قال لموسى وحده : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) ، لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه
البشارة والإنذار .

الخامس : من الجمع إلى الواحد ، كقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)
وقد سبق حكمه . ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿فَلَمَّا يَأْتِيََنَّكُم مِّنْهُ هُدًى﴾^(٧) ، ولم يقل «منا» مع أنه
لجميع أو للواحد للعظم نفسه ، وحكمته المناسبة للواقع ، فالهدى لا يكون إلا من الله ،
فناسب الخاص للخاص .

السادس : من الجمع إلى التثنية ، كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَغْلَبْتُمْ
أَنْ تَغْلِبُوا...﴾^(٨) إلى قوله : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾^(٩) .

السابع : ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في
اللفظ على طريق التلث أو الدعاء ، فالأول كقوله : ﴿وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
رَهْوَاقًا﴾^(١٠) ؛ والثاني كقوله : ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا فَقُلُوبُهُمْ...﴾^(١١) .

(٢) سورة يونس ٨٧

(١) سورة طه ٤٩ ، ١١٧

(٤) سورة البقرة ٣٨

(٢) سورة يونس ٨٧

(٦) هذا القسم وما بعده ٤ هو زيادة على

(٥) سورة الرحمن ٢٣ ، ٣٤

(٧) سورة الإسراء ٨١

ما ذكره قبل من تعقيب إلى ستة أقدام .

(٨) سورة التوبة ١٢٧

الثامن : من اللامى إلى الأمر ، كقوله : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ ﴾^(١) وقوله : ﴿ وَأَحِلَّتْ لَكُمْ الْآَنَامُ إِلَّا مَا يُغْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾^(٢) .

التاسع : من المستقبل إلى الأمر ، تعطيا لحال من أجرى عليه للمستقبل . وبالضد من ذلك فى حق من أجرى عليه الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ... ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾^(٤) ، فإنه إنما قال ﴿ أَشْهَدُ اللَّهَ ﴾ ، و ﴿ أَشْهَدُوا ﴾ ولم يقل : « وأشهدكم » ليكون موازنا له ؛ ولأشك أن معنى إلهاد الله على البراءة صحيح فى معنى يثبت التوحيد ؛ بخلاف إلهادهم ؛ فها هو الإلهادون بدينهم ، ودلالة على قوة اللبالة به ، فلذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجىء به على لفظ الأمر ، كما قول للرجل منكرا : أشهد على أى أحببك .

العاشر : من اللامى إلى المستقبل ، نحو : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ ﴾^(٥) ، ﴿ فَكُنَّا نَخْرُ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطِفُهُ الْعَاصِيرُ ﴾^(٦) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٧) .

والحكمة فى هذه أن للكفر لا كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبر عنه باللامى ، ليفيد ذلك مع كونه نافيا أنه قد مضى عليه زمان ؛ ولا كذلك الصد عن سبيل الله ، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن فى الفعل المستقبل إشارا بالتكثير ،

(٢) سورة الحج ٣٠

(١) سورة الأعراف ٢٩

(٣) سورة هود ٥٣ ، ٥٤ ؛ والآيتان بتامهما : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ .

(٥) سورة الحج ٢١

(٤) سورة طه ٩

(٦) سورة الحج ٢٥

فيُشمر قوله : « ويصدون » ، أنه في كل وقت يصد ذلك ، ولو قال : « وصدوا » لأشعر باقْطاع صدم .

الحادى عشر : عكسه ، كقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾^(١) ، ﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا نَاهُمْ ﴾^(٢) .

قالوا : والفائدة في الفعل للماضي إذا أُخبر به عن المستقبل القى لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقفاً ، لتزيله منزلة الواقع . والفائدة في المستقبل إذا أُخبر به عن الماضي لتعيين حيثة الفعل باستحضار صورته ، ليكون السامع كأنه شاهد ، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله : ﴿ يُنْفَخُ ﴾ للإشمار بتحقيق الوقوع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، كقوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾^(٣) ، والمعنى : « يبرزون » ، وإنما قال : ﴿ وَحَشَرْنَا نَاهُمْ ﴾ بعد ﴿ نُسِرُّ ﴾ ﴿ وَنَرَى ﴾ ، وهما مستقبلان ، فذلك .

(٢) سورة الكهف ٤٧

(١) سورة البقر ٨٧

(٣) سورة إبراهيم ٢١ .

التضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف ،
فإنما في الأسماء فهو أن تضمّن اسماً معنى اسم ؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً ، كقوله تعالى :
(حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلاَّ أَقُولَ عَلَىٰ آلِهَةٍ إِلَّا خَلْقٌ)^(١) ، ضمّن « حقيق » معنى « حريص »
ليفيد أنه محقّق بقول الحقّ وحريص عليه .

وأما الأفعال فإنّ تضمّن فعلاً معنى فعل آخر ، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً ؛
وذلك بأن يكون الفعل يتمدّى بحرف ، فيأتي متعلّياً بحرف آخر ليس من عادته التمدّد به ،
فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ، ليصحّ تمدّده به .

واختلفوا أيّهما أولى ؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أن التوسع في الحرف
وأنه واقع موقع غيره من الحروف أولى .

وذهب المحقّقون إلى أن التوسع في الفعل وتمدّده بما لا يتمدّى لتضمّنه معنى ما يتمدّى
بذلك الحرف أولى ؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر .

مثاله قوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)^(٢) ، فضمّن « يشرب » معنى
« يروى » ، لأنه لا يتمدّى بالباء ، فلذلك دخلت الباء ، وإلا فـ « يشرب » يتمدّى
بنفسه ، فأريد باللفظ الشرب والرى معاً ، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد .

وقيل : التجوّز في الحرف ؛ وهو الباء ؛ فإنّها بمعنى « من » .

وقيل : لا مجاز أصلاً ، بل المعين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء ؛

لا إلى الله نفسه ، نحو نزلت بعين ، فصار كقوله : مكثنا يشرب به .

وعلى هذا : ﴿ فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ مِّمَّا زَكَّاهُمْ ﴾ ^(١) ، قاله الراغب .

وهذا بخلاف الجواز ؛ فإن فيه المثلول عن مسماه بالكسبية ، ويراد به غيره ، كقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ^(٢) ، فإنه استعمل « أراد » في معنى مقاربة السقوط ؛ لأنه من لوازم الإرادة ، وإن من أراد شيئاً قد قارب فعله ، ولم يرد باللفظ هذا للمنى الحقيقي الذي هو الإرادة البتة . والتضمين أيضاً مجاز ؛ لأن اللفظ لم يوضع للتحققة والمجاز معاً ، والجمع بينهما مجاز خاص يسمونه بالتضمين ، تفرقة بينه وبين المجاز للطلق .

ومن التضمين قوله تعالى : ﴿ أَجِلٌ لَكُمْ كَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّغَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٣) ؛ لأنه لا يقال : رخت إلى المرأة ؛ لكن لما كان بمعنى الإفشاء ساغ ذلك .

ومكثنا قوله : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ ^(٤) ؛ وإنما يقال : هل لك في كذا ؟ لكن للمنى أدموك إلى أن تزكَّى .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ ^(٥) ، فجاء به « من » ، لأنه ضمن التوبة معنى الغفر والصفح .

وقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاظِهِمْ ﴾ ^(٦) ، وإنما يقال : خلوت به ، لكن ضمن « خلوا » معنى « ذهبوا » ، وانصرفوا ، وهو معادل لقوله : ﴿ لقوا ﴾ ؛ وهذا أولى من قول من قال : إن « إلى » هنا بمعنى الباء ، أو بمعنى « مع » .

وقال مكثي : إنما تأت الباء ؛ لأنه يقال : خلوت به إذا سمرت منه ، فأتى به « إلى » لدفع هذا الوم .

(٢) سورة الكهف ٧٧

(٤) سورة والتنازعات ١٨

(٦) سورة البقرة ١٤

(١) سورة آل عمران ١٨٨

(٣) سورة البقرة ١٨٧

(٥) سورة الفورى ٢٥

وقوله : ﴿لَا تَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) ، قيل : الصراط منصوب على للقول به ، أى لأزمن لك صراطك ، أو لأملكته لهم ، و « أقعد » وإن كان غير متعدّ ضمن معنى فعل متعدّ .

وقوله : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾^(٢) ، ضمن « تعدّ » معنى « تنصرف » ، فعلى به « من » . قال ابن الشجرى : ومن زعم أنه كان حق الكلام ؛ «لا تعدّ عينك عنهم » بالنصب ؛ لأن « تعدّ » متعدّ بنفسه فباطل ، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد . وأنت لا تقول : جاوز فلان عينه عن فلان ، ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يتضمنها محمولا أيضاً على : لا تنصرف عينك عنهم ، وإذا كان كذلك ، فالتى وردت به التلاوة من رفع العين يشول إلى معنى النصب فيها ؛ إذ كان «لا تعدّ عينك» بمنزلة «لا تنصرف» ومعناه لا تنصرف عينك عنهم ، فالتعلل مسند إلى العين ، وهو فى الحقيقة موجه إلى النهي صلى الله عليه وسلم ، كما قال : ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾^(٣) ، أسند الإعجاب إلى الأموال ، وللمنى لا تُعْجِبَ بأموالهم .

وقوله : ﴿أَوْ لَتَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٤) ، ضمن معنى « لتدخلن » أو « لتصيرن » ؛ وأما قول شبيب : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودُ فِيهَا﴾^(٥) فليس اعتقاداً بأنه كان فيهم ، بل مؤول على ماسبق . وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البسض إلى الجماعة ، أو قاله على طريق للشاكلة لكلامهم ، وهذا أحسن .

وقوله : ﴿أَلَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾^(٦) ، ضمن « لا تشرك » معنى « لا تفصل » والعدل : التسوية ، أى لا تسوى به شيئاً .

(٢) سورة الكهف ٢٨

(٤) سورة إبراهيم ١٣

(٦) سورة الحج ٢٦

(١) سورة الأعراف ١٦

(٣) سورة التوبة ٨٠

(٥) سورة الأعراف ٨٩

وقوله: ﴿وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(١) ضَمَّنَ معنى «أنا بوا» فندى بحرفه .
 وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾^(٢) ضَمَّنَ (لَتُبْدِيَ بِهِ)
 معنى «تخبر به» أو «تعلم» ليفيد الإظهار معنى الإخبار؛ لأن الخبر قد يقع سرا
 غير ظاهر.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٣)، جوز الزخشرى نصب
 ﴿مَقَامًا﴾، على الظرف على تضمنين ﴿يبعثك﴾ معنى «يعميك» .
 وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٤)، قال الفارسي: ومن قرأ «فَأَجْمِعُوا»
 بالقطع أراد فاجموا أمركم وشركاءكم، كقوله:
 * مَتَلِّمًا سَيْفًا وَرُمْحًا *

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾^(٥)، قال ابن سيده: عداه: «من» لأنه
 في معنى كشف الفزع .
 وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾^(٦)، فإنه يقال: ذل له،
 لا عليه، ولكنه هنا ضَمَّنَ معنى التطفل والتحنن .
 وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾^(٧) ضَمَّنَ ﴿يُؤَلُّونَ﴾ معنى «يتمنونون»
 من وطنين بالآلية .

وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَىٰ آلَاتٍ لَّا عَلَىٰ﴾^(٨) أى لا يسمعون .
 ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾^(٩)، أى أنزل .
 ﴿فَبِمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾^(١٠)، أى أحل له .

- (٢) سورة القصص ١٠
 (٤) سورة يونس ٧١
 (٦) سورة المائدة ٥٤
 (٨) سورة الصافات ٨
 (١٠) سورة الأحزاب ٣٨

- (١) سورة هود ٢٣
 (٣) سورة الإسراء ٧٩
 (٥) سورة سبأ ٢٣
 (٧) سورة البقرة ٢٢٦
 (٩) سورة القصص ٨٥

﴿وَمُطَهَّرًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) أى عَمَزَكَ .
 ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢) أى لا يَرْضَى .
 ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾^(٣) ، أى أُنِيبُوا إِلَيْهِ وارجعوا .
 ﴿هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ﴾^(٤) ، أى زال .
 ﴿فَلْيُحَذِّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٥) ، فإنه يقال : خالفت زيدا ، من غير احتياج لتعديده بالجاء ؛ وإنما جاء محمولا على « ينصرفون » أو « يزيغون » .
 ومثله تعدي « رحم » بالباء فى نحو : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٦) حملا على « رموف » ، فى نحو : ﴿رَمُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٧) ، ألا ترى أنك تقول : رأفت به ، ولا تقول : رحمت به ؛ ولكن لما وافقه فى اللفظ نزل منزله فى التعدي .
 وقوله : ﴿إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ قَعِيرٍ﴾^(٨) ، ضمن معنى « سائل » .
 ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾^(٩) ، قال الزمخشري : ضمن معنى « تحاملوا » ، فضاء : « حَلَى » ، والأصل فيه « من » .

تنبهات

الأول : الأكثر أن يُراعى فى التعدي ما ضمن منه ، وهو المحذوف لا للذكور ، كقوله تعالى : ﴿أَرَفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾^(١٠) ، أى الإفضاء .
 وقوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(١١) ، أى يروى بها ، وغيره مما سبق .

- (٢) سورة يونس ٨١
- (٤) سورة المائدة ٢٩
- (٦) سورة الأحزاب ٤٣
- (٨) سورة القصص ٢٤
- (١٠) سورة البقرة ١٨٧

- (١) سورة آل عمران ٥٥
- (٣) سورة فصلت ٦
- (٥) سورة التور ٦٣
- (٧) سورة التوبة ١٢٨
- (٩) سورة المطففين ٢
- (١١) سورة الدھر ٦

ولم أجد مراعاة للفظ به إلا في موضعين : أحدهما قوله تعالى : ﴿ يُجَالُ لَهُ ﴾ إبراهيم^(١) ، على قول ابن الضائع أنه ضمن « يقال » معنى « ينادى » و « إبراهيم » نائب عن الفاعل ؛ وأورد على نفسه : كيف عدى باللام والنداء لا يعدى به ؟ وأجاب بأنه روعي الملقوظ به ؛ وهو القول ؛ لأنه يقال : قلت له .

الثاني : قوله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٢) ؛ فإنه قد يقال : كيف يمتلئ التكليف بالرضع ؟ فأجيب بأنه ضمن « حرّم » المعنى اللغوي ، وهو المنع . فاعترض كيف عدى بـ « على » والمنع لا يعدى به ؛ فأجيب بأنه روعي صورة اللفظ .

الثاني : أن التضمن يطلق على غير ما سبق ؛ قال القاضي أبو بكر في كتاب « إيجاز القرآن »^(٣) : هو حصول معنى فيه من غير ذكره باسم [أو صفة]^(٤) هي عبارة عنه ، ثم قسمه إلى قسمين : أحدهما ما يفهم من البنية ، كقولك : معلوم ؛ فإنه يوجب أنه لا بد من عالم . والثاني من معنى العبارة [من حيث لا يصح إلا به]^(٥) كالصفة ، فضارب يدل على مضروب . قال : والتضمن كله إيجاز ، قال : وذكر أن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ من باب التضمن ؛ لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى ، أو التبرك باسمه .

وذكر ابن الأثير في كتاب « المعاني المبتدعة » : أن التضمن واقع في القرآن خلافا لما أجمع عليه أهل البيان ؛ وجعل منه قوله تعالى في الصفات : ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٦) .

ويطلق التضمن أيضاً على إدراج كلام النير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى ،

(٢) سورة القصص ١٢ .

(٤) تسكئة من إيجاز القرآن

(١) سورة الأنبياء ٥٦ .

(٣) إيجاز القرآن ص ٤١٢ - ٤١٣ .

(٥) سورة الصفات ١٦٦ .

أو لترتيب النظم ؛ ويسمى الإبداع كإبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله تعالى حكاية عن قول للانسكة : ﴿ قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الْدِمَاءَ ﴾ ^(١) .

ومثل ما حكاها عن الناقين : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ آبَاؤُنَا ﴾ ^(٣) .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾ ^(٥) ، ومثله في القرآن كثير .

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية .

ويقرب من التضمن في إيقاع فعل موقع آخر لإيقاع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة؛

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ ^(٦) .

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ ^(٧) .

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ ^(٨) .

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ ^(٩) .

﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمُ مِنْ مَّجِيصٍ ﴾ ^(١٠) .

وشرطاً بن عطية في ذلك ألا يكون متعلقه حسياً ، كما تقول العرب في رجل يرى

حاضراً : أظن هذا إنساناً ، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحسّ بسد ، كالآيات السابقة .

(١) سورة البقرة ١١

(٢) سورة البقرة ١١٣

(٣) سورة البقرة ٢٤٩

(٤) سورة ص ٢٤

(١) سورة البقرة ٣٠

(٢) سورة البقرة ١٣

(٣) سورة البقرة ٤٦

(٤) سورة الكهف ٥٣

(٥) سورة فصلت ٤٨

قال الراغب في « الترمية » : الظن إصابة للطلب بضرب من الأمانة متردّد بين يقين وشك ، فيقرّب تارة من طرف اليقين ، وتارة من طرف الشك ، فصار أهل اللغة يُسترونه بهما ؛ فحقّ رأيّ إلى طرف اليقين أقرب استعمال معه « أن » الثقله والخفّة فيهما ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾^(١) ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾^(٢) . ومتى رأيّ إلى الشك أقرب استعمال معه « أن » التي للمعلومين من الفعل ، نحو ظننت أن يخرج . قال : وإنما استعمال الظن بمعنى العلم في قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾^(٣) لأمرين :

أحدهما : للتنبيه على أن علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة ، كالظن في جنب العلم .

والثاني : أن العلم الحقيقي في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنبیین والصديقين للمعتين بقوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾^(٤) ، والظن متى كان عن أمانة قوية فإنه يُمدّح به ، ومتى كان عن تخمين لم يُمدّح ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾^(٥) . وجوز أبو الفتح في قوله : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٦) أن يكون المراد بها اليقين ، وأن تكون على بابها ، وهو أقوى في المعنى ، أي قد يمنع من هذا التوهم ، فكيف عند تحقيق الأمر ، فهذا أبلغ كقوله : « يكفيك من شرّ سماعه » أي لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر وشدته لاجتنب للماصي ، فكيف عند تحقق الأمر ! وهذا أبلغ .

وقيل : آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد ، والباقي بمعنى اليقين ، والترك بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك بخلاف اليقين ، وإن اشتركا جميعاً في وجوب الجزم بهما .

(٢) سورة الأعراف ١٧١

(٤) سورة الحجرات ١٥

(٦) سورة المطففين ٤ ، ٥

(١) سورة البقرة ٢٤٩

(٣) سورة البقرة ٤٦

(٥) سورة الحجرات ١٧

وكذلك قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴾ ^(١).

وقد جاء عكسه وهو التجوز عن الظن بالعلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ ^(٢) ، ولم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظاهرياً .

وقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٣) ، وكان يحكم بالظن وبالظاهر .

وقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْتُمُوهُمْ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ ^(٤) وإنما يحصل بالامتحان في الحكم ، ووجه التجوز أن بين الظن والعلم قدراً مشتركاً ودرجاً مشتركاً ؛ فتجوز بأحدهما عن الآخر .

(٢) سورة يوسف ٨١

(٤) سورة الممتحنة ١٠

(١) سورة المائدة ٢٠

(٣) سورة الإسراء ٣٦

وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي

كقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ ^(١) .
﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ^(٢) .

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٣) .
﴿ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ . . . ﴾ ^(٥) الآية ؛ ولهذا جعلها العلماء
من أمثلة الواجب .

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ ^(٦) على قراءة نافع ، أى لا ترفثوا ولا تفسقوا .
﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) قالوا : هو خير ، وتأويله نهى ، أى لا تنفقوا
إلا ابتغاء وجه الله ، كقوله : ﴿ لَا يَسْأَلُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ^(٨) وكقوله : ﴿ لَا تَصَارُ وَالِدَةٌ
بِوَالِدِهَا ﴾ ^(٩) ، على قراءة الرفع . وقيل : إنه نهى بحزوم - أعنى قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُ ﴾ - ولكن
ضمت إنباءا للضمير ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما لم ترده عليك إلا أنا حرم » .
وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(١٠) ، ضمن
« لا تعبدون » معنى « لا تسبدوا » بدليل قوله بسند : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١١) ، وبه يزول
الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر ؛ لكن إن كان « حسنا » مفعولا لأحسنوا ، فسطفُ

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٤) سورة يوسف ٦٢

(٦) سورة البقرة ١٩٧

(٨) سورة الواقعة ٨٩

(١٠) سورة البقرة ٨٤

(١) سورة البقرة ٢٣٣

(٣) سورة الرعد ٢٤

(٥) سورة المائدة ٨٩

(٧) سورة البقرة ٢٧٢

(٩) سورة البقرة ٢٣٣

« قولوا » عليه أولى لاتفاقهما لفظا ومعنى ، وإن كان التقدير و « يحسنون » فهو الذى قبله ، والعطف على التريب أولى . وقيل : ﴿ لَا تَمْبُدُون ﴾ أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهام أن للنهى يسارع إلى الانتهاء ، فهو مخبر عنه .

وكذا قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ ^(١) فى موضع « لا تسفكوا » .

وقوله فى سورة الصف : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) عطفا على قوله : ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٣) ، ولهذا جزم الجواب .

وقوله : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(٤) إلى قوله : ﴿ وَأَمَّا تَزُوا الْيَوْمَ ﴾ ^(٥) ؛ فإن اللام يشتمل على تضمين ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ معنى الطلب ، بدليل ما قبله : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تَقْظَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ^(٦) ، فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفا بالفاء ، على قوله : ﴿ إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ ^(٧) وعلم لجميع الخلق لسموم قوله : ﴿ لَا تَقْظَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ^(٨) ، وإن الخطاب الوارد به على سبيل الالتفات ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٩) ، خطاب عام لأهل الحشر ، فيكون قوله : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(١٠) إلى قوله : ﴿ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴾ ^(١١) مقيدا بهذا الخطاب لكونه تفصيلا لما أجله : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١٢) ، وإن التقدير أن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، ثم جاء فى التفسير أن قوله هذا : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴾ ^(١٣) يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة ، بتزويل ما هو للتكوين مزية الكائن ، أى إن أصحاب الجنة منكم يا أهل الحشر ، يؤول حالهم

(٢) سورة الصف ١٣

(٤) سورة يس ٩

(٦) سورة يس ٥٣

(١) سورة البقرة ٨٤

(٣) سورة يس ٥٥

(٥) سورة يس ٤

(٧) سورة يس ٥٥

إلى أسد حال ، والتقدير حينئذ « فامتازوا عنكم إلى الجنة » ، هكذا قرره السكاكي في « الفتح » .

قيل : وفيه نظر ؛ لأنها إذا كانت طلبية وممتاها أمر للؤمنين بالقباب إلى الجنة ، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل الحشر .

ولهذا قال بعضهم : إن تضمين أصحاب أهل الجنة لأهل الجنة ليس المراد منه أن الجملة نفسها طلبية ، بل معناه أن يقرر جملة إنشائية بعدها ، بخلاف قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَوَمِّنُونَ بِآلِهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَقِفُونَ . يَنْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ^(٢) ، فإنه يقال : كيف جاء الجزم في جواب الخبر ؟ وجوابه أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك ، إذ المعنى : آمنوا وجاهدوا .

وقال ابن جني : لا يكون « ينفر » جوابا لـ « هل أدلكم » وإن كان أبو العباس قد قلله ، لأن للفرقة تحصل بالإيمان بالآلالة . انتهى . وقد يقال الآلالة : سبب السبب . إذا علمت هذا ؛ فإتاما يحى الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته ؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد ، وهذا هو المشهور .

وفيه طريقة أخرى قلت عن القاضى أبى بكر وغيره ؛ وهى أن هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية ؛ ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه ليس خبرا عن الواقع ؛ حتى يلزم ما ذكره من الإشكال ؛ وهو احتمال عدم وقوع خبره ؛ فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع ؛ أما الخبر عن الحكم فلا ؛ لأنه لا يقع خلافه أصلا .

وضع الطلب موضع الخبر

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ قُلْ أَتَقِفُوا عَلَوْنًا أَوْ كَرِهًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَشَاقَّةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَآتَيْنَاهُم مِّنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَالَّذِي عَصَاكَ ﴾ ^(٤) قوله : ﴿ وَالَّذِي ﴾ معطوف على قوله . ﴿ أَنْ بُورِكَ ﴾ ذ « ألقى » وإن كان إنشاء لفظا ، لكنه خير معنى . وللمنى : فلما جاءها قيل بورك من في النار . وقيل : ألقى .

واللوجب لهذا قول النحاة إن « أَنْ » هذه مفسرة لا تأتي إلا بمد فعل في معنى التول ، وإذا قيل : كتبت إليه أن أرجع ، وناداني أن قم ، كله بمنزلة : قلت له ، وقال لي قم . كذا قاله صاحب المفتاح .

وما ذكره من أن « بورك » خبرية لفظا ومعنى ممنوع ؛ لجواز أن يكون دعاء وهو إنشاء ؛ وقد ذكر هذا التقدير الفارسي وأبو البقاء ، فتكون الجملتان متفتحتين في معنى الإنشاء ؛ فتكون مثل ﴿ لا تسبدون إلا الله ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا كَيْفَنَّا نُرْذِّوْا وَلَا نَكْذِبُ ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ وَإِنَّمَا لَسَاكَاذِيُون ﴾ ^(٦) ؛

فإنه يقال : كيف ورد التمنى على التكذيب وهو إنشاء ؟

(٢) سورة التوبة ٥٣

(٤) سورة النمل ٨ - ١٠

(١) سورة مريم ٧٥

(٣) سورة البقرة ١٢٥

(٥) سورة الأنعام ٢٧ ، ٢٨

وأجاب الزمخشري أنه ضمن معنى البتة ، وأجاب غيره بأنه محمول على اللفظ من الشرط والخير ؛ كأنه قيل : إن زدنا لم نكذب وآمنا . والشرط خير ، فصح ورود التكذيب ^(١) عليه .

وقوله : ﴿ أَتَيْبُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ ^(٢) ، أي ونحن حاملون ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٣) والكذب إنما يرد على الخير .

وقوله : ﴿ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْبِئْ ﴾ ^(٤) ؛ حديره : ما أسمعهم وأبصرهم الآن الله تعالى لم يحجب منهم ، ولكنه دل الكافرين على أن هؤلاء قد نزلوا منزلة من يستجب منه . وتما يدل على كونه ليس أمراً حقيقياً ظهور الفاعل الذي هو الجار والجرور في الأول ، وفعل الأمر لا يبرز فاعله أبداً .

ووجه التجوز في هذا الأسلوب أن الأمر شأنه أن يكون ما فيه داعية للأمر ؛ وليس الظاهر كذلك ، فإذا عبر عن الخير بلفظ الأمر أشعر ذلك بالداعية ، فيكون ثبوته وصدقه أقرب . هذا بالنسبة لكلام الرب لا لكلام الله ؛ إذ يستحيل في حقه سبحانه الداعية لفعل .

بقي الكلام في أيهما أبلغ ؟ هذا القسم أو القى قبله ؟ . قال الكواشي في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسُدُّ لَهُ الرِّجْلُ مَدًّا ﴾ ^(٥) ، الأمر بمعنى الخير ؛ لضمه الزوم ؛ نحو إن زرتنا فلنكرمك ، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم . وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ لَا تَمِيدُونَ إِلَّا إِلَهُ ﴾ ^(٦) ، ورود الخير ؛ للراد الأمر أو انتهى ، أبلغ من صريح الأمر والنهي ؛ كأنه سورح فيه إلى الامتنال والخير عنه .

(٢) سورة الفكيوت ١٢

(٤) سورة مريم ٧٥

(١) حاشية م : « التكذيب على انتهى » .

(٣) سورة مريم ٤٠

(٥) سورة البقرة ٨٣

وقال النووي في شرح « مسلم » في باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها : وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يخطبُ الرجل على خطبة أخيه ، وَلَا يَسُومُ على سَوْمِ أخيه » ، هكذا هو في جميع النسخ ، « ولا يسوم » بالواو « ولا يخطب » بالرفع ، وكلاهما لفظه لفظ الخبر ؛ والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي ، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه ، والنهي قد يقع بخلافه ، فكان للمنى : عاملوا هذا النهي معاملة خير الحتم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ولا تسأل المرأة طلاق أختها » يجوز في « تسأل » الرفع والكسر ^(١) ، والأول على الخبر القى يراد به النهي ، وهو للناسب لقوله قبله : « لا يخطبُ وَلَا يَسُومُ » ، والثاني على النهي الحقيقي . انتهى .

(١) لحسية م : « أى لانتفاء الساكنين وهو مجزوم يكون مقدر » .

وَضَعُ الْإِسْدَاءَ مَوْضِعَ التَّعْجِبِ

كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ ^(١)، قال القراء: معناه: فيالها من حسرة! والحسرة في اللغة أشد الندم؛ لأن القلب يبقى حسيرا.

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب «المبتدأ» عن البصريين أن هذهم أصعب مسألة في القرآن، لأن الحسرة لا تنادى، وإنما تنادى الأشخاص؛ لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب، كقوله: يا عجبا لم فلت! ﴿يَا حَسْرَةً عَلَىٰ مَا فُتِنْتُ﴾^(٣)، وهو أبلغ من قولك: العجب. قيل: فكأن التذير يا عجبا احضر، يا حسرة احضري! وقرأ الحسن: ﴿يَا حَسْرَةَ الْعِيَادِ﴾.

ومنهم قال : الأصل « يا حمرته » ثم أستقلوا الماء تخفيفاً ، ولهذا قرأ عامم
(يَا أَسْفَاهُ عَلَىٰ يَوْسُفَ)^(٣) .

وقال ابن جني في كتاب « الفسر » معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصح نداؤه لكان هذا وقتها .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَا بَشْرَى ﴾ ^(١) ، قالوا : معنى النداء فيما لا يقتل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة ؛ فإذا قلت : يا عجبا ! فكأنك قلت : اعجبوا ، فكأنه قال : يا قوم أبشروا .

قل أبو الفتح في «الخطاريات» : وقد توضع الجلة من البتة والخير موضع

(٢) عبادة الأصنام

٢٠ - المذبح (١)

(٤) سورة يوسف ١٩

(۳) سورة يوسف

للفعل به ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ ^(١) بعد قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَنْهَارَ لِيَتَرَكَّبُوا مِنْهَا ﴾ ^(٢) ، للنفى : ولتتعضوا بها ، عطفا على قوله : ﴿ لِيَتَرَكَّبُوا مِنْهَا ﴾
وعلى هذا قال : ﴿ وَلَتَقْبَلُنَّوْا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ^(٣) . وكذلك قوله : ﴿ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴾ ^(٤) ، أى ولتأكلوا منها . ولذلك أتى : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ ^(٥) ،
فصطف الجلالة من الفعل ومرفوعه على للفعل له .

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾ ^(٦) ، أى ولأنى
رَبُّكُمْ فاقفون ، فوضع الجلالة من للبندأ والخبر موضع المفعول له .

وبهنا يبطل تعلق مَنْ تعلق على ثبوته فى قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(٧) ، وقوله :
إن هذا ليس من مواضع الابتداء لجواز تهدير : وأذان بأن الله برىء ، وبأن
رسوله كذلك .

وضع جمع القلة موضع الكثرة

لأن المجموع يقع بعضها موقع بعض ، لاشتراكها في مطلق الجمعية ، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْفَافِ آمِنُونَ﴾^(١) ، فإن المجمع بالألف والتاء للقلة ، وغرف الجنة لا بمعنى .

وقوله : ﴿مَنْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) ، ورُتَبُ الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة .

وقوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿وَأَسْتَفِيقُنَّهَا أَنْفُسُهُمْ﴾^(٤) ، وهو كثير .

وقيل : سبب ذلك في الآية الأولى دخول الألف واللام الجنسية ؛ فيكون ذلك تكثيراً لها ، وكان دخولها على جمع القلة أولى من دخولها على جمع الكثرة ، إشارة إلى قلة من يكون فيها ، ألا ترى أنه لا يكون فيها إلا للؤمنون !

وقد نص سبحانه على قلةهم بالإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾^(٥) ، فيكون التكثير الماخول في قوله : ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْفَافِ﴾^(٦) ، لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع الكثرة ؛ ولكن من جهة ما اقتضته الألف واللام للجنس .

واعلم أن جموع التكثير الأربعة وَجَعِي التصحيح - أعني جمع التأنيث وجمع التذكير - كل ذلك للقلة ؛ أما جموع التكسير فبالوضع ، وأما جمعا التصحيح ؛ فلائهما

(٢) سورة آل عمران ١٦٣

(٤) سورة القمل ١٤

(٦) سورة سبأ ٣٧

(١) سورة سبأ ٣٧

(٣) سورة الزمر ٤٧

(٥) سورة ص ٢٤

أقرب إلى التثنية ؛ وهي أقل العدد ، فوجب أن يكون الجمع للشابه لما بمنزلتها في القلة ، وما عللها من الجوع فيرد تارة للقلة وتارة للكثرة بحسب القرائن ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَفْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(١) . ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ أَنْعَمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) . ﴿ إِلَّا إِلَهُهُمُ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ ^(٥) . ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(٦) . ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ^(٧) . ﴿ وَكُنْتُمْ أَشْقَىٰ أُمُومًا ﴾ ^(٨) . ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(٩) . ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١٠) . ﴿ يَسْمِعُهُمْ وَأُبْصِرُهُمْ ﴾ ^(١١) . ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(١٢) . ﴿ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ^(١٣) . ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(١٤) . ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(١٥) . ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ ^(١٦) . ﴿ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ ﴾ . ﴿ وَأَتَقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ ^(١٧) . ﴿ بِالْغَوَىٰ أَتَمْنَانِكُمْ ﴾ ^(١٨) . ﴿ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاحُهُنَّ ﴾ ^(١٩) . ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ ^(٢٠) . فإن قلت : ليس هذا منه ، بل هي للقلة ، لأنها خمس .

قلت : لو كان كذلك لما صح : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ^(٢١) .

(١) سورة الفاتحة ٧	(٢) سورة البقرة ٢
(٣) سورة البقرة ٥	(٤) سورة البقرة ١١
(٥) سورة البقرة ١٢	(٦) سورة البقرة ١٤
(٧) سورة البقرة ١٦	(٨) سورة البقرة ٢٨
(٩) سورة البقرة ٣١	(١٠) سورة البقرة ٢٠
(١١) سورة البقرة ٤٤	(١٢) سورة الطلاق ١
(١٣) سورة التوبة ٧٠	(١٤) سورة البقرة ٨٥
(١٥) سورة البقرة ١٥٤	(١٦) سورة البقرة ١٩٧
(١٧) سورة المائدة ٨٩	(١٨) سورة البقرة ٢٣٢
(١٩) سورة البقرة ٢٣٨	(٢٠) سورة البقرة ٢٣٩

(فَيَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) ^(١)؛ فالمراد منها واحد، والجواب عن أحدها الجواب عن الآخر.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ^(٢). ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾ ^(٣)، ﴿الْمَسَايِيرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ ^(٤) الآية. ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٥) الآية. ولا تعمى كثرة

ومن شواهد مجيء جمع القلة مراداً به الكثرة قول حسان رضي الله عنه:
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْتَمَعْنَ فِي الضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا ^(٦)
وَحُكِّيَ أَنَّ النَّابِغَةَ قَالَتْ لَهُ: قَدْ قَلَّتْ جَنْتُكَ وَأَسْيَافُكَ ^(٧).

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة فيما له جمع كثرة، وفيما لا جمع له كثرة في كلامهم. وصححها بعضهم قال: يعني أنه كان ينبغي لحسان تجنب اللفظ الذي أصله أن يكون في القلة، وإن كان جائزاً في اللسان وضعه لقربة إذا كان للوضع موضع مدح، أو أنه وإن كانت القلة بمعنى الكثرة، لكن ليس في كل مقام. ومن المشكل قوله تعالى: ﴿فَيَضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ^(٨) فإن «أضغافاً» جمع قلة فكيف جاء بعده كثرة!

والجواب أن جمع القلة يستعمل مراداً به الكثرة، وهذا منه.

تَشْبِيهَات

الأول: إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة، فإن لم يكن فلا،

- | | |
|---|-----------------------|
| (١) سورة البقرة ٢٣٦. | (٢) سورة البقرة ٢٦٦. |
| (٣) سورة البقرة ٢٧١. | (٤) سورة آل عمران ١٧. |
| (٥) سورة الأحزاب ٣٥. | (٦) ديوانه |
| (٧) في اللوح ٦٠: «أنت شاعر، ولكتك أقلت أجناتك وأسيفاتك، وغفرت بمن ولدت؛ ولم تغفر بمن ولدك». | (٨) سورة البقرة ٢٤٥. |

كقوله: ﴿أَيَّامًا مَّتَدُودَاتٍ﴾^(١)؛ فَإِنَّ «أَيَّامًا» أفعال مع أنها ثلاثون، لكن ليس لليوم جمع غيره؛ ومن ثم أفرد السَّمْعَ وجمع الأبصار في قوله: ﴿وَعَلَىٰ تَنَمُّهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٢) لأن «فلا» ساكن العين صحيحها لا يجمع على «أفعال» غالباً؛ وليس له جمع تكسير؛ فلما كان كذلك اكتفى بدلالة الجنس على الجمع.

وجعل بعضهم من هنا «أغسكم» على كثرتها في القرآن؛ وليس كذلك، قد جاء ﴿وَإِذَا الثُّمُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وحكته هنا ظاهرة، لأن للراد استيعاب جميع الخلق في الخمر. ونظيره: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾^(٣) لإمكان «الثمار» وليس رأس آية.

ومنه: ﴿آيَاتٍ مُّحْكَمَاتٍ﴾^(٤) لإمكان «آي» ، ولا يقال إنه لطلب للشاكلة قد قال تعالى بعده: ﴿وَأُخْرُ مُّشَاهِبَاتٍ﴾^(٥)، فدل على عدم للشاكلة لإمكان «أخرى» . وكذلك قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٦)، وليس رأس آية ، ولا فيه مشاكلة، لإمكان «الأنهر» .

وقد جاء أغس للغة، كقوله: ﴿وَأَغْسَا وَأَنْفُسُكُمْ﴾^(٧)، وقيل: للراد نسان من ياب: ﴿فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٨).

الثاني: إنما يتم في المنكر أما المرفع فيستغنى بالعموم عن ذلك ، وبهذا يخدم في كثير مما سبق جملة من هذا النوع . وقد قال الزخري في قوله تعالى: ﴿مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾^(٩) : إنه جمع قلة ، وضع موضع جمع الكثرة^(١٠) ، وردّ عليه بأن «أل» في «الثمار» بالعموم فيصير كالثمار ، ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة ، وكذلك يتحسان السابق فإن الجفنت مرفوعة: «أل» «وَأَسِيفَانَا» مضاف ، ليم .

- | | |
|---------------------|----------------------|
| (١) سورة البقرة ١٨٤ | (٢) سورة البقرة ٧ |
| (٣) سورة البقرة ٢٦٦ | (٤) سورة آل عمران ٧ |
| (٥) سورة البقرة ٢٥ | (٦) سورة آل عمران ٦١ |
| (٧) سورة التحريم ٤ | (٨) سورة البقرة ٧٢ |
| (٩) الكشاف ١ : ٧٩ | |

تذكير النُوت

يكثر في تأويله بذكر ، كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١) ،
على تأويلها بالوعظ .

وقوله : ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾^(٢) ، على تأويل البلدة بالمكان ، وإلا لقال :
« مَيِّتة » .

وقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاءَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾^(٣) ، أى الشخص أو الطالع .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٤) ، أى بيان ودليل وبرهان .

وقوله : ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمْ مَذَرَارًا﴾^(٥) .

ولما يترك التأييد كما يترك في صفات للذكر ، لا كما في قولهم : امرأة مطمار ؛ لأن
السماء بمعنى المطر ، مذكر ، قال :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٍ رَعِيَّتَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٦)

ويجمع على اسمية وسمى ، قال المعجاج :

• تَلَقُّهُ الْأَرْوَاحُ وَالسَّمَى^(٧)

وقوله : ﴿وَإِذَا حَصَرَ الْقَيْسَمَ﴾^(٨) ، إلى قوله : ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^(٩) ، ذكر الضمير ؛

لأنه ذهب بالقسم إلى المقسوم .

(٢) سورة ق ١١

(٤) سورة الأعراف ٨٥

(٦) لماوية بن مالك بن جعفر ؛ للتضائيات

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة الأنعام ٧٨

(٥) سورة الأنعام ٦

ص ٣٥٩ ؛ والبيت من شواهد التلخيص ؛ ونبه بنى شراخ إلى جرير ، وليس له .

(٧) اللان ١٩ ، ١٢٣ ، ونبه إلى رؤية . (٨) سورة النساء ٨

وقوله : ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لَتُفِيَكُمْ بِمَا فِي بطونهم ﴾^(١) ، ذهب بالأنعام إلى معنى النعم ، أو حمله على معنى الجمع .

وقوله : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) ، ولم يقل « قرية » قال الجوهري : دُكِّرَتْ^(٣) على معنى الإحسان . وذكر القراء أن العرب تفرق بين النسب ، والقرب من المكان ، فيقولون : هذه قريبتى من النسب ، وقريبى من المكان ، فلوا ذلك فرقاً بين قرب النسب والمكان .

قال الزجاج : وهذا غلط ؛ لأن كل ما قُرب من مكان ونسب ، فهو جار على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث ؛ يؤيد أنك إذا أردت القرب من المكان ، قلت : زيد قريب من عمرو ، وهذا قرية من العباس ، فكذا فى النسب .

وقال أبو عبيدة^(٤) : دُكِّرَ « قريب » لتذكير المكان ، أى مكاناً قريباً . وردّه ابن السجري بأنه لو صح لنصب « قريب » على الظرف .

وقال الأخفش : المراد بالرحمة هنا للطر ؛ لأنه قد تقدم ما يقتضيه ، فعُمل المذكر عليه .

وقال الزجاج : لأن الرحمة والنفراى بمعنى واحد ؛ وقيل : لأنها والرحم سواء . ومنه : ﴿ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴾^(٥) ، فعملوا الظاهر على المعنى ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾^(٦) .

وقيل : الرحمة مصدر ، والمصدر كما لا يجمع لاتؤنث .

وقيل : « قريب » على وزن « فيل » و « فيل » يستوى فيها المذكر والمؤنث حقيقةً كان أو غير حقيقى . ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^(٧) .

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(١) سورة الضحل ٦٦

(٣) الصحاح ١ : ١٩٨ ؛ بصرف فى البارة .

(٥) سورة الكهف ٨١

(٤) انظر جازى الفرقان لأبى عبيدة ١ : ٢١٦

(٧) سورة يس ٧٨

(٦) سورة الكهف ٩٨

وقيل : من حذف اللضاف وإقامة اللضاف إليه مقامه ، مع الالتفات إلى المحذوف ، فكأنه قال : وإن مكان رحمة الله قريب ، ثم حذف للكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره .

وقيل : من حذف للوصوف وإقامة الصفة مقامه ، أى إن رحمة الله شئ قريب أولطيف ، أو يرّ أو إحسان .

وقيل : من باب إكساب اللضاف حكم اللضاف إليه ؛ إذا كان صالحا لحذف والاستغناء عنه بالتأني ، والشهور في هذا تأنيث للذكر لإضافته إلى مؤنث ، كقوله :
مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيحٌ تَسْفَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ التَّوَّاسِمِ^(١)

قال : « تسفت » والفاعل مذكر ؛ لأنه اكتسب تأنيثا من الرياح ، إذ الاستغناء عنه جائز ، وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى اللضاف تأنيثا لم يكن له ، فلأن تعطيه تذكيرا لم يكن له - كافي الآية الكريمة - أحق وأولى ؛ لأن التذكير أولى والرجوع إليه أسهل من الخروج عنه .

وقيل : من الاستغناء بأحد للذكورين لكون الآخر تبعاً له ، ومعنى من معانيه . ومنه في أحد الوجوه قوله تعالى : ﴿ فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾^(٢) ، فاستغنى عن خبر الأعناق بخبر أعماقها ؛ والأصل هنا إن رحمة الله قريب ، وهو قريب من الحسين ، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الوجود ، وسوغ ظهور ذلك للمنى .

ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾^(٣) ، قال البنوي : لم يقل « قريبة » لأن تأنيثها غير حقيق ، وعجزها الوقت .

وقال الكسائي: إتيانها قريب .

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَرْيَحُ صَرْصِرًا﴾^(١)، ولم يقل: «صرصرة» كما قال: ﴿يَرْيَحُ صَرْصِرًا عَاتِيَةً﴾^(٢) لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبهه باب «حائض» ونحوه؛ بخلاف «عاتية» فإن غير الريح من الأسماء للؤثة يوصف به .

وأما قوله تعالى: ﴿السَّاءُ مُنْفِطِرٌ بِهِ﴾^(٣)، ففي تذكر «منفطر» خمسة أقوال: أحدها: للقراء، أن الساء تذكر وتوث، فجاء «منفطر» على التذكير .
والثاني: لأبي على أنه من باب اسم الجنس الذي بينه وبين واحدته التاء، مفردة سماء؛ واسم الجنس يذكر ويؤث، نحو: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾^(٤) .
والثالث: للكسائي، أنه ذكر حلا على معنى السقف .

والرابع: لأبي على أيضاً على معنى النسب؛ أي ذات افطر؛ كقولهم: امرأة مريض، أي ذات رضاع .

والخامس: للزمخشري، أنه صفة تلحق محذوف مذكر، أي شيء منقطر .
وسأل أبو عثمان للزجاج بحضرة للتوكل قوماً من النحويين؛ منهم ابن السكيت وأبو بكر بن قادم عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ يَفِيًا﴾^(٥)؛ كيف جاء بنير هاء .
ونحن نقول: امرأة كريمة، إذا كانت هي الفاعل وليست بمنزلة «القتيل» التي هي بمعنى «للقوم»؛ فأجاب ابن قادم وخط، فقال له للتوكل: أخطأت، قل يا بكر - للمازني، قال: «بنى» ليس لـ «فيل» وإنما هو «فول» والأصل فيه «بنوى»، فلما التقت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو في الياء، قيل: «بنى» كاقول: امرأة

(١) سورة الزمل ١٨

(٢) سورة مريم ٢٨

(٣) سورة الحاقة ٦

(٤) سورة النمل ٢٠

صبور ، بغير هاء ؛ لأنها بمعنى صابرة ؛ فهذا حكم « قول » إذا عدل عن فاعله ، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء ، كما قال :

• منها اثنتان وأربعون حُوبة^(١) •

بمعنى « محلوبة » حكاه التوجيهي في « البصائر » .

وقال البغوي في قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُضِمْ إِلَى الْعِطَامِ فِيهِ رَمِيمٌ ﴾^(٢) ، ولم يقل « رمية » ، لأنه ممدول عن فاعله ، وكما كان ممدولاً لمن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعله ، كقوله : ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا ﴾^(٣) ، أسقط الهاء ؛ لأنها مصروفة عن « باغية » .

وقال الشريفي للرفع في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلَئِذَاكَ خَلَقَهُمْ ﴾^(٤) إن الضمير في ذلك يعود للرحمة ، وإنما لم يقل « تلك » ؛ لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، كقوله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾^(٥) ولم يقل « هذه » ؛ على أن قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ﴾^(٦) ، كما يدل على الرحمة يدل على « أن يرحم » ويمحوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم ، والتذكير في موضعه .

قال : ويمحوز أن يكون قوله : ﴿ وَلَئِذَاكَ خَلَقَهُمْ ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان ، وكونهم فيه أمة واحدة ، ولا محالة أنه لهذا خلقهم .

ويطابق هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٧) ، قال : فأما قوله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والقطاب عن الحق فيه

(٢) لسترة من اللقطة ؛ ومجزة .

• سُودًا كَتَافِيَةِ النَّرَابِ الْأَسْحَمِ •

(٣) سورة مريم ٢٨

(٢) سورة يس ٧٨

(٤) أملى للرفعى ١ : ٧٠ مع تصرف واختصار .

(٦) في الأصول : « وتلك » وسوابه من الأملى

(٥) سورة هود ١١٨ ، ١١٩

(٨) سورة القارئات ٦ •

(٧) سورة الكهف ٩٨

بالمعنى والشبهات . وذكر أبو مسلم^(١) بن مجريفه معنى غريباً ، فقال : معناه أن خلف هؤلاء الكفار يختلف سلفهم في الكفر ، لأنه سواء قولك : خلف بعضهم بعضاً ، وقولك^(٢) اختلفوا كما سواء قولك : قتل بعضهم بعضاً ، وقولهم : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفله ما اختلف المصران ، [والجديان]^(٣) ، أى جاء كل واحد منهم بعد الآخر .

واختلف في قوله : ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَمَبْرَةٌ تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾^(٤) ، قال الكسائي ، أى من بطون ما ذكرنا .

وقال القراء : ذَكَرَ لأنه ذهب إلى اللفظ ؛ يعنى معنى النعم ، وقيل : الأنعام تذكر وتؤث .

وقال أبو عبيدة : أراد البعض ، أى من بطون أيها كان ذا لبن^(٥) .

وأسكر أبو حاتم تذكير الأنعام ، لكنه أراد معنى النعم .

(١) هو أبو مسلم محمد بن مجريفه ، أحد القسرين على مقعب الفترة ؛ تولى سنة ٢٧٠

(٢) الأصول : « قوله » ، وسواها من الأمالي . (٣) من الأمالي .

(٤) سورة النحل ٦٦ (٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٦٢

(٤) سورة النحل ٦٦

تأنيث المذكر

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا ﴾^(١) ؛ فأنث «الفردوس» ، وهو مذكر ، حلا على معنى الجنة .

وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا ﴾^(٢) ؛ فأنث «عشر» حيث جردت من الماء مع إضافته إلى الأمثال ، وواحدما مذكر ، وفيه أوجه :

أحدها : أنث لإضافة الأمثال إلى مؤنث ؛ وهو ضمير الحسنة ، والمضاف يكتبب أحكام للمضاف إليه ، فتكون كقوله : ﴿ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾^(٣) .

والثاني : هو من باب مراعاة المعنى ؛ لأن الأمثال في المعنى مؤنثة ؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة ، فلما أريد تأكيد الإحسان إلى المطيع ، وأنه لا يضيع شيء من عمله ؛ كأن الحسنة المنتظرة واقعة ، جل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع ، وإشارة إليه ، كما جعلت الماء في قولهم : راوية وعلامة ، تنبيها على المعنى للمؤنث للراد في أنفسهم ، وهو النايه والنهاية ؛ ولذلك أنث المثل هنا توكيدا لتصوير الحسنة في نفس المطيع ؛ ليكون ذلك أذمى له إلى الطاعة ، حتى كأنه قال : « فله عشر حسنات أمثالها » حذف وأقيمت صفت مقامه ، وروعي ذلك المحذوف الذي هو المضاف إليه ، كما يراعى للمضاف في نحو قوله : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾^(٤) ، أي « أوكذى ظلمات » ، وراعه في قوله : ﴿ يَنْشَأُ مَوْجٌ ﴾ ، وهذا الوجه هو الذي عول عليه الزمخشري ، ولم يذكر سواه .

وأما ابن جني فذكر في « المحقَّب » الوجه الأول ، وقال : فإن قلت : فهلا حملته

على حذف للوصوف، فكانه قال : « فله عشر حسنات وأمثالها » ؟ قيل : حذف وإقامة للوصوف مقامه ليس يستحسن في القياس ؛ وأكثر ما أتى في الشعر، ولذلك حمل « دانية » من قوله : « وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا »^(١) ؛ على أنه وصف جنة أو « وجنة دانية » عطف على « جنة » من قولهم : « وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً »^(٢) ؛ لما قدر حذف للوصوف وإقامة الصفة مقامه ، حتى عطف على قوله : « مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ »^(٣) فكانت حالا مطبوعة على حال .

وفي « كشف المشكلات »^(٤) للأماماني . حذف للوصوف هو اختيار سيبويه ، وإن كان لا يرى حسن « ثلاثة مسلمين » ، بحذف للوصوف .

وقوله تعالى حكاية عن لقمان : « يَا بُنَيَّ إِنِّي أَنَا تَكَ مِثْقَالِ حَبَّةٍ »^(٥) فأتت القمل المسند لـ « مثقال » وهو مذكور ، ولكن لما أضيف إلى « حبة » اكتسب منه التأنيث ، فساغ تأنيث فعله .

وذكر أبو البقاء في قوله تعالى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »^(٦) أن التأنيث في « ذائقة » باعتبار معنى « كل » لأن معناها التأنيث ، قال : لأن كل نفس نفوس ، ولو ذكر على لفظ « كل » جاز^(٧) - يعني أنه لو قيل : كل نفس ذاتي ، جاز .

وهو مردود ؛ لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه « كل » إذا كانت نكرة ، ولا يجوز أن يعتبر كل .

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة البقر ١٤ | (٢) سورة البقر ١٢ |
| (٣) سورة البقر ١٣ | (٤) ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٩٥ |
| (٥) سورة لقمان ١٦ | (٦) سورة آل عمران ١٨٥ |
| (٧) إملأه مامن به الرحمن ١ : ٩٤ | |

وقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ^(١) ؛ فإن الظاهر عود الضمير إلى الإبداء ؛ بدليل قوله : ﴿ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ^(٢) ، فذكر الضمير المائد على الإخفاء ، ولو قصد الصدقات لقال : « فهي » ؛ وإنما أنت « هي » والقي عاد إليه مذكر ؛ على حذف مضاف ، أي وإبداءها نم ما هي ، كقوله : القرية أسألمها .

ومنه (سَمِيرًا) ^(٣) وهو مذكر ، ثم قال : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ فحله على النار .
وأما قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ ^(٤) ، قيل : الضمير عائد على الآيات للتقدمة في اللفظ .

وقال البغوي : إنما قال : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾ ، بالتأنيث ، لأنه أجرى على طريق جمع التكسير ، ولم يجر على طريق التثنية للذكر على اللؤث ؛ لأنه فيها لا يمتل .
وقيل في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ^(٥) : إن للراد آدم فأنته ردًا إلى النفس . وقد قرئ شاذًا « من نفس واحد » .

وحكى التعلبي في تفسيره ^(٦) في سورة « اقترَب » بإسناده إلى الليرد ؛ سئل عن ألف مسألة ، منها : ما الفرق بين قوله تعالى : ﴿ جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ^(٧) وقوله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ ﴾ ^(٨) وقوله : ﴿ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ^(٩) و ﴿ كَانَهُمْ أُعْجَازُ

(١) سورة البقرة ٢٧١

(٢) سورة الفرقان ١١ ، ١٢ ، والأيان : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيغًا وَرَفِيرًا ﴾ .

(٣) في تفسيره للشي الكسف والبيان .

(٤) سورة فصلت ٣٧

(٥) سورة الأنبياء ٨١

(٦) سورة يونس ٢٢

(٧) سورة المائدة ٧

تَحْزَلِ مُتَقَرِّرٍ^(١) ، قال : كل ما ورد عليك من هذا الباب ، فلك أن تردّه إلى القلظ تذكيرا ، ولك أن تردّه إلى اللقى تأنيثا ؛ وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيق ، فطارة يلحظ معنى الجنس فيذكر ، وطارة معنى الجماعة فيؤنث ؛ قال تعالى في قصة شعيب : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ^(٢) ﴾ ، وفي قصة صالح : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ^(٣) ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا^(٤) ﴾ ، وقرئ : « تشابهت » .

وأبدى الشبلي الحذف والإثبات معنى « ما قال : إنما حذف منه ؛ لأن « الصيحة » فيها بمعنى العذاب والعزى ، إذ كانت مضافة بقوله : ﴿ وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ^(٥) ﴾ ، فتوى التذكير ؛ بخلاف قصة شعيب ، فإنه لم يذكر فيها ذلك .

وأجاب غيره : بأن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح ، فيجى فيها التذكير ، فيطلق ويراد بها الوحدة من المصدر ، فيكون التأنيث أحسن .

وقد أخبر سبعمائة عن العذاب الذى أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور ، كلها مفردة اللفظ :

أحدها : الرجفة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ^(٦) ﴾ .

والثاني : الظلّة ، في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ^(٧) ﴾ .

والثالث : الصيحة ، وجمع لم الثلاثة ؛ لأن الرجفة بدأت بهم فأبحروا في الفضاء ، خوفا من سقوط الأبنية عليهم ، فضربتهم الشمس بحرّها ، ورفضت لهم الظلّة ، فهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس ، فنزل عليهم العذاب وفيه الصيحة ؛ فكان ذكر الصيحة مع الرجفة والظلّة أحسن من ذكر الصياح ، فكان ذكر التاء أحسن .

(٢) سورة هود ٩٤

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٦) سورة النكبات ٣٧

(١) سورة القمر ٢٠

(٣) سورة هود ٦٧

(٥) سورة هود ٦٦

(٧) سورة الشعراء ١٨٩

فإن قلت : ما الفرق بين قوله سبحانه : ﴿ قَسِمْنَاهُ مِنْ هَدًى وَأَنْهَى عَنْ قَسْمِهِمْ مِنْ حَقِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ﴾^(١) ، وبين قوله : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٢) .

قيل : الفرق بينهما من وجهين :

لقضى ومعنوى :

أما اللغوي ، فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٣) ، أكثر منها في قوله : ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(٤) ، والحذف مع كثرة الحواجز أحسن .

وأما للمعنوي فهو أن « مَنْ » في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(٥) ، راجعة على الجماعة ، وهي مؤنثة لفظاً ؛ بدليل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾^(٧) ، أى من تلك الأمم ، ولو قال « ضَلَّتْ » لحيث التاء . والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً - فكان لإثبات التاء أحسن من تركها ، لأنها ناجية فيما هو من معنى الكلام للتأخر .

وأما ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٨) ، فالفرق مذكر ، ولو قال : « ضَلُّوا » لكان بغير تاء ، وقوله : ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾^(٩) في معناه ، فجاء بغير تاء ، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب ، أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم ، إننا كان في مركبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم .

تَسْبِيحٌ

جاء عن ابن مسعود : ذكروا القرآن . فقام منه ثلث أن ما احتمل تأنيته وتذكيره كان تذكيره أجود .

(٢) سورة الأعراف ٣٠

(١) سورة النحل ٣٦

(٣) سورة النحل ٣٦

(٤) - ٧٤ - برهان - ثالث

ورُدَّ بأنه يتمتع بإرادة تكبير غير الحقيقي التائيث ، لكثرة ما في القرآن منه بالتائيث : ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾^(١) . ﴿وَأَلْقَتْ السَّكِّ بِالسَّاقِ﴾^(٢) . ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾^(٣) . وإذا امتنع لإرادة غير الحقيقي ، فالخفيّ أولى .

قالوا : ولا يستقيم لإرادة أن ما احتمل التذكير والتائيث غلب فيه التذكير ، لقوله تعالى : ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾^(٤) . ﴿أَعْيَازُ تَحُلُ خَاوِيَةً﴾^(٥) ، فأنث مع جواز التذكير ، قال تعالى : ﴿أَعْيَازُ تَحُلُ مُنْقَرٍ﴾^(٦) ، ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾^(٧) : قال : فليس للراد ما فهم ، بل للراد للوعظة والهداء ، كما قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ ..﴾^(٨) إلا أنه حذف الجارة ، وللمقصود ذكروا الناس بالقرآن ، أي ابشروهم على حفظه كيلا ينسوه .

وقال الواحدى : إن قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب ، وللراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتائيث ولم يمتحج في التذكير إلى مخالفة للضعف ذكر ، نحو : ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾^(٩) .

قال : ويدل على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة كهمزة والكسائي ذهبوا إلى هذا فقرأوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير ، نحو : ﴿يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ﴾^(١٠) . وهذا في غير الحقيقي .

[ضابط التائيث]^(١١)

ضابط التائيث ضربان :

حقيقى وغيره ، فالخفي لا يمتحج التائيث من فعله غالبا إلا أن يقع فصل ، نحو :

(٢) سورة القيامة ٢٩

(٤) سورة ق ١٠

(٦) سورة القمر ٢٠

(٨) سورة ق ٤٥

(١٠) سورة التور ٢٤

(١) سورة الحج ٧٢

(٣) سورة إبراهيم ١١

(٥) سورة الحاقة ٧

(٧) سورة يس : ٨٠

(٩) سورة البقرة ٤٨

(١١) هذا الضابط ناقض . ت .

قام اليوم هند ، وكلما كثر الفصل حَسُنَ الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ما يمكن جمعا .
 وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل حَسَنٌ ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ ﴾ ^(١) ،
 فإن كثر الفصل ازداد حسنا ، ومنه : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ ^(٢) ويحسن الإثبات
 أيضا ؛ نحو : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ ^(٣) لجمع بينهما في سورة هود .
 وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف ، واستدل عليه بأن الله تعالى قدمه عليه حيث جمع
 بينهما في سورة واحدة . وفيما قاله نظر .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير في نوع الالتفات ؛ وطلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة للهددة للتوعد بها ، فيمدل فيه إلى لفظ للماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه ، كقوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَرْعٌ مِّنَ السَّوَاتِ﴾** ^(١)

وقوله في الزمر : **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ﴾** ^(٢)

وقوله : **﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾** ^(٣)

وقوله : **﴿وَيَوْمَ نُسِدُ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾** ^(٤) أي نحشرهم .

وقوله : **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾** ^(٥) . ثم تارة يُجمل للتوقع فيه كالواقع ، فيؤتى بصيغة الماضي مراداً به المضي ، تنزيلاً للتوقع منزلة ما وقع ، فلا يكون تسييراً عن المستقبل بلفظ الماضي ، بل يُجمل المستقبل ماضياً مبالغة .

ومنه : **﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾** ^(٦) . **﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾** ^(٧) ونحوه .

وقد يعبّر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل ؛ فهو مجاز لفظي ، كقوله تعالى :

- | | |
|---------------------|-------------------|
| (١) سورة النمل ٨٧ | (٢) سورة الزمر ٦٨ |
| (٣) سورة إبراهيم ٢١ | (٤) سورة الكهف ٤٢ |
| (٥) سورة الأعراف ٤٨ | (٦) سورة النحل ١ |
| (٧) سورة الأعراف ٤٤ | |

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ مَزْجَعٌ﴾^(١)؛ فإنه لا يمكن أن يراد به اللغز، لأنفاة: «يُنْفَخُ» الذي هو مستقبل في الواقع. وقائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق، وإنه من شأنه لصحته أن يعبر عنه بالماضي وإن لم يرد منه. والفرق بينهما أن الأول مجاز، والثاني لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾^(٢)؛ أي يقول، عكسه لأن المضارع يراد به الدعوية والاستمرار، كقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، أي فكان استحضار الصورة تكوُّنه. وقوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾^(٥) أي ما تَلَّتْ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ﴾^(٦)، أي علينا.

فإن قيل: كيف يصور التقليل^(٧) في علم الله؟ قيل: المراد أنهم أقل معلوماته؛ ولأن المضارع هنا بمعنى الماضي فـ «قد» فيه للتحقيق لا التقليل.

وقوله: ﴿فَلَمْ يَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾^(٨)، أي لم قتلهم! وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْيَقِينَةُ﴾^(٩) أي لم يصاروا حتى تأتيهم. وقوله: ﴿مُتَّفَكِّينَ﴾^(١٠)، قال مجاهد: «متبين» وقيل: زائلين من الدنيا.

(١) سورة الواقعة ١١٦

(٢) سورة آل عمران ٥٩

(٣) سورة الحجر ٩٧

(٤) سورة البقرة ٩١

(٥) سورة البقرة ١٠٠

(١) سورة النمل ٨٧

(٢) سورة البقرة ٤٤

(٣) سورة البقرة ١٠٢

(٤) أي التقليل المراد من كلمة «قد».

(٥) سورة البقرة ١

وقال الأزهري : ليس هو من باب « ما انك » و « ما زال » إنما هو من اشكك
الشيء إذا اغفل عنه .

وقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ ۖ ﴾ ^(١) ، المعنى : فلم عذب آباءكم بالسخط والقتل ؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بد ؛ لأن الجاحد يقول : إني لا أعذب ، لكن
احتج عليهم بما قد كان .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۖ ﴾ ^(٢) .
فدل عن لفظ « أصبحت » إلى « تصبح » ، قصدا للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض
لأهميته ؛ إذ هو المقصود بالإزال .

فإن قلت : كيف قال النحاة : إنه يجب نصب الفعل للقرون بالقاء إذا وقع جواب
الاستفهام ، كقوله : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ۖ ﴾ ^(٣) و « تصبح »
هنا مرفوع ؟

قلت : لوجوه :

أحدها : أن شرط القاء المتضمنة للنصب أن تكون سببية ، وهنا ليست كذلك ، بل
هي للاستئناف ؛ لأن الرؤية ليست سببا للإصباح .

الثاني : أن شرط النصب أن ينسبك من القاء وما قبلها شرط وجزاء ، وهنا ليس
كذلك ؛ لأنه لو قيل : إن تر أن الله أنزل ماء تصبح ؛ لم يصح ؛ لأن إصباح الأرض حاصل ؛
سواء رُئي أم لا .

فإن قيل : شاع في كلامهم إنشاء فعل الرؤية ، كما في قوله : « ولا تزال - تراها - ظالمة »

أى ولا تزال ظالة ، وحينئذ فالنصب إلى الإنزال لا إلى الرؤية ؛ ولا شك أنه يصح أن يقال : « إن أنزل نُصِب » ، فقد انقضى الشرط والجزاء .

قلت : إلقاء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب ، فمن أين لنا ما يقتضى تعيين حمل الآية عليه ؟

الثالث : إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب قلبه إلى النفي ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْمِي إِلَيْنِ ﴾^(١) ، وإذا دخلت على نفي قلبه إلى الإيجاب ؛ فالهمزة في الآية للتقرير ، فلما اتصل الكلام من النفي إلى الإيجاب لم ينتصب الفعل ، لأن شرط النفي ككون السابق متقياً محضاً : ذكره المزني^(٢) في « البرهان » .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ﴾^(٣) .

الرابع : أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الفرض لأن معناه إثبات الاخضرار ، فكان ينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار ، مثله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت فقتشكر ! إن نصبت فأنتم نافي لشكره ، شك تقيطه ، وإن رفعت فأنتم مثبت لشكره . ذكر هذا الزمخشري في الكشاف ، قال : وهذا ومثاله بما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقيف أهله .

وقال ابن اغباز : النصيب يسد المعنى ؛ لأن رؤية المخاطب للاء الذي أنزله الله ليس سبباً للاخضرار ؛ وإنما للاء نفسه هو سبب الاخضرار .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾^(٤) ،

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) المزني بن عبد الملك ، للمروفي بيضا ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) سورة طه ٩

(٤) سورة الحجدة ٧٧

قال : « تثير » مضارعا ، وما قبله وما بعده ماضيا ، مبالغة في تحقيق إثارة الرياح السحاب
للسامعين وتقدير تصوّره في أذهانهم .

فإن قيل : أجم الأفعال للذكورة في الآية إحياء للوتى ، وقد ذكر بلفظ الماضى ،
وما ذكرته يقتضى أولوية ذكره بلفظ المضارع ، إذ هو أمّ ، وإثارة السحاب سبب أعيد
على قريب .

قيل : لا نعلم بأهمية إحياء الأرض بعد موتها ؛ فالقدمت للذكورة أهمها وأدلتها على
القدرة أعجبها وأبدؤها عن قدرة البشر ، وإثارة السحاب أعجبها ؛ فكان أولى بالتنصيص
بالمضارع ؛ وإنما قال : إن إثارة السحاب أعجب لأن سببها أخفى ؛ من حيث إننا نعلم
بالقمل أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض ، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء .
فلو تخيلنا وظاهر العقل لم نقل : إن الرياح سببها ؛ لعدم إحساسنا بمادة السحاب وجهته .

ومن لواحق ذلك المدول عن المستقبل إلى اسم المفعول ، لتضمنه معنى الماضى ،
كقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ ﴾ ^(١) ، قريرا للجمع فيه ، وأنه لا بد أن يكون
معادا للناس ، مضروبا لجمعهم ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ ^(٢) ، لتعرف صحة هذا المعنى .

فإن قلت : الماضى أدل على المقصود من اسم المفعول ، فلم عدل عنه إلى ما دلالة
أضف ؟ قلت : ليحصل المناسبة بين « مجموع » و « مشهور » في استواء شأنهما طلبا
للتعديل في العبارة .

ومنه المدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ آتَيْنَ لَوَاقِعُ ﴾ ^(٣)
فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال ، بل في الحال .

مشكلة اللفظ للفظ

هي قسمان : أحدهما - وهو الأكثر - للمشكلة بالثاني للأول ، نحو : وأخذه ما قدم
وما حدث « . وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ ^(١) ؛ على منعب اليهود
وأن الجزء للجوار : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا ﴾ ^(٢) .
وقد تمع للمشكلة بالأول للثاني كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيدة : ﴿ الحمد لله ﴾
بكسر الهمزة ، وهي أفصح من ضم اللام للهمزة .

مشكلة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جزئاً لا كان للمعنى كذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾^(١) ، ولم يقل من « طين » كما أخبر به سبحانه في غير موضع : ﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِنْ طِينٍ ﴾^(٢) إنما عدل عن الطين التي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرد التراب لمعنى لطيف ؛ وذلك أنه أدنى المنصرين وأكثفهما ، لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية أنى بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك ؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمس في المعنى من غيره من العناصر ؛ ولما أراد سبحانه الامتنان على بنى إسرائيل أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهية الطير ، تعظيماً لأمر ما يخلق به يذنه ؛ إذ كان للطلوب الاعتداد عليهم بخلقهم ليظلموا قدر النعمة به .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَلٍّ ﴾^(٣) فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر ؛ لأنه أنى بصيغة الاستفراق ، وليس في العناصر الأربع ما يميم جميع المخلوقات إلا الماء ، ليدخل الحيوان البحرى فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَقْتَاتُ تَذْكُرُ يُوَسِّفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾^(٤) ؛ فإنه سبحانه أنى بأغرب ألقاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها ؛ فإن « والله » و « بالله » أكثر استعمالاً وأعرف من « تالله » لما كان الفعل الذى جاورتهم أغرب الصيغ التى فى بابه ؛ فإن « كان » وأخواتها أكثر استعمالاً من « تقات » وأعرف عند العامة ؛ ولذلك أنى بعدها بأغرب ألقاظ الملاك بالنسبة ، وهى لفظة « حرَض » :

(٢) سورة ص ٧١

(٤) سورة يوسف ٨٥

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٣) سورة النور ٤٥

ولما أراد غير ذلك قال : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِأَلْفِ جَهَنَّمَ ﴾^(١) ، لما كانت جميع الألفاظ مستعملة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾^(٢) ؛ فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين ، وهو الليل إليهم والاعتماد عليهم ، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم ، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم ؛ وهو مس النار التي هو دون الإحراق والاضطراب ؛ وإن كان للس قد يطلق ويراد به الإشمار بالذئاب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَنْ بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾^(٣) ؛ فإنه نشأ في الآية سؤال ، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعيينه بالفاعل ، ثم بالفعل ، فإن كان في الكلام مفعولان : أحدهما يمدى وصول الفعل إليه بالحرف ، والآخر بنفسه ، فلم ما تمدى إليه الفعل بنفسه ؛ وحل ذلك جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ ﴾^(٤) .

إذا ثبت هذا ، فقد يقال : كيف توخى حسن الترتيب في عجز الآية دون صدرها ؟ والجواب أن حسن الترتيب منمنه في صدر الآية مانع أقوى ، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخرج ؛ فيقتل الكلام بسبب ذلك ؛ فإنه لو قيل « لئن بسطت يدي إليك » والطاء والتاء متقاربة المخرج ؛ فلذلك حسن تقديم للفعل الذي تمدى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذي تمدى إليه بنفسه ؛ ولما أمن هذا المخذور في عجز الآية لما اقتضته البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية ، لتضمنه معنى الفعل الذي تصح به المقابلة ، جاء الكلام على ترتيبه : من تقديم للفعل الذي تمدى الفعل إليه بنفسه ، على

(٢) سورة هود ١١٣

(١) سورة طه ٤٢

(٤) سورة النحل ٢٤

(٣) سورة الأعراف ٢٨

للفعل الذى يمدى إليه بحرف الجرّ . وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ ؛ وأما اللفظ فلى
نظم الآية ؛ لأنه لما كان الأول حريصاً على التمدى على الضمير قدّم للصدى على الآلة ،
قال : «إلى يدك ، ولما كان الثانى غير حريص على ذلك ، لأنه قلّه عنه ، قدّم الآلة فقال :
«يدى إليك» ؛ ويدل لهذا أنه عير عن الأول بالفعل وفى الثانى بالاسم .

ويؤيد ذلك أيضاً قوله فى سورة المصنعة : ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ
وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾^(١) ؛ لأنه لما نسبهم للصدى الزائد قدّم ذكر للبسوط إليهم
على الآلة ؛ وذلك الجواب السابق لا يمكن فى هذه الآية .

ومثله قوله : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
يَا حَسْبُ﴾^(٢) ؛ مقتضى الصناعة أن يؤتى بالتجنيس للازدواج فى صدر الآية ، كما أتى به
فى مجزئها ، لكن منعه توخى الأدب والتهديب فى نظم الكلام ؛ وذلك أنه لما كان الضمير
الذى فى «يجزى» عائداً على الله سبحانه ، وجب أن يدل عن لفظ اللفظ الخاص إلى رديفه ،
حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه ، قال فى موضع السيئة : بما «عملوا» ، فموضع عن تجنيس
للتراوحة بالإرداف لما فيه من الأدب مع الله بخلاف قوله : ﴿وَجَزَاهُ سِنِّيَّةً سِنِّيَّةً
مِثْلَهَا﴾^(٣) ، فإن هذا المحذور منه موقوف ، فجرى الكلام على مقتضى الصناعة .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّمْسِ﴾^(٤) ؛ فإنه سبحانه خصّ الشَّمْسَ
بالذكر دون غيرها من النجوم ؛ وهو ربّ كل شيء ، لأن العرب ظهروا فيهم رجل يعرف
بأبن أبى كبشة عبد الشَّمْسِ ، ودعا خلقاً إلى عبادتها .

وقوله : ﴿وَمَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٥) ،
ولم يقل : «لا تملكون» لما فى الفقه من الزيادة على العلم .

(٢) سورة التجم ٣١

(٤) سورة التجم ٤٩

(١) سورة المصنعة ٢

(٣) سورة الشورى ٤١

(٥) سورة الإسراء ٤٤

وقوله حكاية عن إبراهيم : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾^(١) فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له ، ولكنه قال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ ﴾^(٢) فذكر الخوف وليس ، وذكر العذاب ونكره ولم يصفه بأنه يقصد التهويل بل قصد استعطافه ؛ ولهذا ذكر « الرحمن » ولم يذكر « المنتقم » ولا « الجبار » على ، حد قوله :

فما يوجع الحرمان من كف حازم كما يوجع الحرمان من كف رازق
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَصَلَّى بِالَّذِينَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٣) فإنه قد يقال : ما الحكمة في التمييز بالسخرية دون الاستهزاء ؟ وهلا قيل : « لحاق بالذين استهزءوا بهم » ليطابق ما قبله ؟

والجواب أن الاستهزاء هو إسماع الإساءة ، والسخرية قد تكون في النفس ولهذا يقولون : سخرت منه كما يقولون : عجبت منه ؛ ولا يقال : تنجبت ذلك لما في ذلك من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات ؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثا في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾^(٤) ، وإنما لم يقل : « نستهزى بكم » لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء .

وأما قوله : ﴿ أَفَلَا يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾^(٥) فالعرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل ، كقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾^(٦) ؛ وهو مجاز حسن ؛ وأما الاستهزاء التي نحن بصدده فهو استهزاء حقيقة ، لا يرضى به إلا جاهل .

ثم قال سبحانه : ﴿ فَصَلَّى بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾^(٧) ، أى حاق بهم من الله الوعيد

(٢) سورة الأنعام ١٠

(٤) سورة البقرة ١٥

(٦) سورة الأنعام ١٠

(١) سورة مريم ٤٥

(٣) سورة هود ٣٨

(٥) سورة التوبة ٦٧

البالغ لم على السنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بالسنتهم ، فنزلت كل كلمة منزلتها .
وقوله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(١) ولم يذكر
الكعبة ، لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة ، فإن استقبال عينها خرج عليه ، بخلاف القريب ؛
ولما خص الرسول بالخطاب تعظيما وإيجابا لشرعته عظم تصريحا بموم الحكم ، وتأكيذا
لأمر القبلة .

فائدة

إذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى ، بدئ باللفظ ثم بالمعنى ؛ هذا هو الجادة في القرآن ،
كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ﴾ ^(٢) ، أفرد أولا باعتبار اللفظ ، ثم جمع
ثانيا باعتبار المعنى ، قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) فساد الضمير مجوعا ؛ كقوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ^(٤) ،
فساد الضمير من « يدخله » مفردا على لفظ « من » ، ثم قال : « خالدين » وهو حال
من الضمير .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٥) .
وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَقِيئِي آلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ ^(٦) .
وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَنْ ﴾ ^(٧) إلى قوله : ﴿ فَلَا
آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لِيُجْزِلُوا بِهِ ﴾ ^(٨) .

وقد يجرى الكلام على أوله في الإفراد ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجْزِبُكَ

(٢) سورة البقرة ٨
(٤) سورة الأنعام ٢٥
(٦) سورة التوبة ٧٥ ، ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤٩ ، ١٥٠
(٣) سورة الطلاق ١١
(٥) سورة التوبة ٤٩

قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْغِصَامِ . . . ﴿١﴾ (الْأَحْيَاءِ ، فكرر فيها ثمانية ضمائر ، كلها عائد على لفظ « من » ، ولم يرجع منها شيء على معناها ، مع أن للمنى على الكثرة .

وقد يقتصر على معناها في الجميع ، كقوله تعالى في سورة يونس : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (٢) . وما ذكرنا من البداية باللفظ عند الاجتماع هو الكثير ، قال الشيخ علم الدين العراقي : ولم يحىء في القرآن البداية بالحلل على للمنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ (٣) ، فانت « خالصة » حملا على معنى « ما » ، ثم راعى اللفظ فذكر ؛ وقال : ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا » .

واعترض بعض الفضلاء وقال : إنما يتم ما قلناه من البداية بالحلل على للمنى في ذلك ؛ إذا كان الضمير الذي في الصلة التي في بطون هذه الأنعام يقدر مؤنثا ؛ أما إذا قدر مذكرا فالبدء إنما هو بالحلل على اللفظ .

وأجيب بأن اعتبار اللفظ للمنى أمر يرجع إلى الأمور التقديرية ؛ لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ ؛ وإذا كان كذلك صدق أنه إنما بدى في الآية بالحلل على للمنى ؛ فيتم كلام العراقي .

وقل الشيخ أبو حيان في تفسيره عن ابن عصفور : أن الكوفيين لا يميزون الجمع بين الملتئمين إلا بفصل بينهما ؛ ولم يستبر البصريون الفاصل ، قال : ولم يرد السماع إلا بالفصل ، كما ذهب إليه الكوفيون . ونازعه الشيخ أمير الدين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى^(١) ، وقال : ألا تراه كيف جمع بين الجنتين دون فصل ! انتهى .

والقى ذكره ابن عصفور في شرح « القرب » : شَرَطَ الكوفيون في جواز اعتبار اللفظ بعد اعتبار للمنى الفصل ؛ فيجوزون : مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا إخواننا ، ولا يجوزون : مَنْ يقومون وينظر في أمرنا إخواننا ؛ لعدم الفصل ، وإما ورد السماع بالفصل . انتهى .

وهذا يقتضى أَنَّ الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجنتين ؛ إلا أن يقدم انحصار للمنى ويؤخر اعتبار اللفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^(٢) ، إما بدئى فيه بالحمل على اللفظ .

وقال ابن الحاجب : إذا حُمِلَ على اللفظ جاز الحمل بعده على للمنى ؛ وإذا حُمِلَ على للمنى ضُفَّ الحمل بعده على اللفظ ؛ لأنَّ للمنى أقوى ، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ ، وينصف بعد اعتبار للمنى القوي الرجوع إلى الأضعف .

وهذا ممتنع بأن الاستبراء دلَّ على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار للمنى ، وكثرة موارده تدل على قوله ؛ وأما السواد إلى الفصل بعد اعتبار للمنى فقد ورد به التنزيل ، كما ورد باعتبار للمنى بعد اعتبار اللفظ ، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما ، بعد الآخر من غير ضعف .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَنْتَ مِنْكُمْ فِي رَسُولِهِ وَتَمَلَّ صَالِحًا ﴾^(٣) قرأه الجماعة بتذكير « يَنْتَ » حملا على لفظ « مَنْ » في التذكير « وتَمَلَّ » بالثاني ، حملا على معنهما ؛ لأنها للمؤنث . وقرأ حزة والكسائي « يَمَلَّ » بالتذكير فيها حملا على لفظها

رعاية للناسبة في التتاطفين . وتوجيه الجماعة أنه لما تقدم على الثاني صريح التانيث في « منكن » حسن الحل على اللغى .

وقال أبو الفتح في « المختص » : لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى اللغى . وقد يورد عليه قوله : « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ »^(١) ثم قال : « حَتَّى إِذَا جَاءَنَا »^(٢) ، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى اللغى ؛ إلا أن يقال : إن الضمير في « جاء » يرجع إلى الكافر لدلالة السياق عليه ؛ لا إلى « مَنْ » .

ومنه الفرق بين « أسقى » و « سقى » بغير همز ؛ لا لا كلفته في السقيا ؛ ومنه قوله تعالى : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا »^(٣) فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة ، بل جميع ما يقع فيها من اللذات يقع فرصة وعفوا ، بخلاف « أسقى » بالهمزة ، فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين ؛ كقوله تعالى : « وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا »^(٤) ، « لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا »^(٥) ، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبداً .

ومنه قوله تعالى : « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَقْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ »^(٦) ، قال أبو سلمة محمد بن بحر الأصبهاني في تفسيره : إنما خص للوزون بالذكر دون للكيل ، لأمرين :

أحدهما : أن غاية للكيل ينهى إلى للوزون ، لأن سائر المكيلات إذا صارت قطعاً دخلت في باب للوزون وخرجت عن للكيل ، فكان الوزن أعم من للكيل .
والثاني : أن في للوزون معنى للكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء .

(٢) سورة المجر ٢١

(١) سورة الزخرف ٣٦ ، ٢٧ ، ٢٨

(٤) سورة الجن ١٦

(٣) سورة المرسلات ٢٧

(٥) سورة المجر ١٩

ومقايسته وتمديده به ، وهذا للمنى ثابت فى السكيل ، يخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى السكيل .

وقال الشريف المرتضى فى « النور »^(١) : هذا خلاف للقصود ؛ بل للراد بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة ، فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرّة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾^(٢) ، فذكر فى مدة اللبث السنة ، وفى الانفصال العام ؛ للإشارة إلى أنه كان فى شدائد فى مدته كلها ، إلا خمسين عاما قد جاءه الفرج والنوّه ؛ فإن السّنة تستعمل غالبا فى موضع الجذب ؛ ولهذا تسموا شدة الفحط سنة .

قال السهلبى : ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان أقما ؛ إلا أن الخمسين منها كانت أعواما ، فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة ؛ لأن الخمسين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية ، بنحو عام ونصف .

وأبني على هذا المنى قوله : ﴿ فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^(٣) وقوله : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ نَّجْمًا تَمُودُونَ ﴾ ؛ فإنه كلام ورد فى موضع الكثير والتتبع بمدة ذلك اليوم ، والسنة أطول من للعام .

(١) النور ١ : ١٣ ؛ وعبارته : « ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ماسلكه أبو مسلم ؛ وإنما أراد تعالى بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة . . . » .

(٢) سورة الطّاج ٤

(٣) سورة التّكوير ١٤

الخاتمة

نحو الحوقلة والبسطة ، جملة ابن الزمكاني من ^(١) نظوم القرآن ، ومثله بقوله :
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ ^(٢) ، قال : وكفى ، من كفيته الشيء ؛ ولم يحىء للعرب كفيته
بالشيء ، فجعل بين الفعلين الفعل للذكور ؛ وهو متمدن ، وخمن من الفعل اللازم وهو
اكتفيت به ، بالباء ، وكذلك انتصب « شهيذا » على التمييز أو الحال ؛ كأنه قيل :
كفى بالله فأكف به ، فأجمع فيه الخبر والأمر .

الإنزال

من كلامهم إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض ؛ يقولون : ملحه ومدحه ، وهو كثير ، ألت فيه للصنفون ، وجعل منه ابن فارس ^(١) قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ فَبُكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٢) ، قال : قارئ واللام متعاقبان ، كما تقول العرب : فلق الصبح وفرقه . قال : وذكر عن الخليل - ولم أسمعه سمعا - أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَبُكَاسُوا خِلَالِ آفَاقٍ ﴾ ^(٣) ، إنما أراد « فحاسوا » قامت الجيم مقام الحاء . قال ابن فارس : وما أحسب الخليل قال هذا ، ولا أحقه عنه .

قلت : ذكر ابن جني في « المحاسب » : أنها قراءة أبو السمال ، وقال : قال أبو زيد - أو غيره : قلت له : إنما هو « فحاسوا » ، قال : حاسوا وجاسوا واحد . وهذا يدل على أن بعض القراء يغيّر بلا رواية ، ولذلك ^(٤) نظائر انتهى .

وهذا الذي قاله ابن جني غير مستقيم ، ولا يحل لأحد أن يقرأ إلا بالرواية . وقوله : « إنها بمعنى واحد » لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح وقائل ذلك ، والقارئ به هو أبو السوار التنوخي لا أبو السمال فاعلم ذلك . كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني ، قال : حدثنا للزّبي ، قال : سألت أبا السوار التنوخي ، قرأ : « فحاسوا » بالحاء غير الجيم ، قلت : إنما هو « فحاسوا » ، قال : حاسوا وجاسوا واحد ، يعني أن التنزيل بمعنى واحد ؛ وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة ، والنرض كما جازت بالأولى ، فقد غلط في ذلك وأسأه .

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) في قته اللغة ١٧٣

(٤) انظر المحاسب الورقة ٩١ ، البحر المحيط لأبي حيان ٦ : ١٠

(٣) سورة الإسراء ٥

وزعم الفارسي في تذكرته في قوله : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ ﴾^(١) ، أنه بمعنى حب الخليل ؛ وسُميت الخليل خيرا لما حصل بها من العز والتمتع ، كما روى : « الخليل مقود بنواصيها الخير » ، وحينئذ فالمصدر مضاف إلى المفعول به .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ تَوَاقِعَ ﴾^(٢) : إن أصله « ملايح » ، لأنه يقال : أفتح الريح السحاب ، أي جمته ، وكل هنا تميم معنى ، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك .

وذكر أبو عبيدة في قوله : ﴿ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾^(٣) ، معناه « تصلدة » ، فأخرج المال الثانية ياء لكسرة المال الأولى ، كما حكاه صاحب « الترتيب »^(٤) . وحكى عن أبي رباح في قول امرئ القيس^(٥) :

• فَسَلِّ يَا بَنِي نِيَا بِكَ تَنْسَلِ •

معناه « تَنْسَلِ » فأخرج اللام الثانية [ياء] لكسرة اللام الأولى ، ومثله قول الآخر :

وَأِنِّي لَا سَتَمِي وَمَا بِي نَسَمَةٌ لِّلَّ خِيَالًا مِّنْكَ يَلْقَى خِيَالِي^(٦)

أراد استنسى ؛ فأخرج السين ياء .

وقال الفارسي في « التذكرة »^(٧) : قرأ أبو الحسن - أو من قرأه - قوله تعالى فيها حكى عن يعقوب في القلب والإبدال : ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾^(٨) ، « غير

(٢) سورة الحجر ٢٢

(١) ص ٣٢

(٣) سورة الأفعال ٣٥

(٤) لحمد بن علي الأزدي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقل عنه السيوطي في الزمر .

(٥) ديوانه ١٣ ؛ وصدرة .

• وَإِنْ نَكَ سَاءَ نَكَ مَنِّي خَلِيقَةٌ •

(٦) لجنون بن عامر ، تزيين الأسواق ٧٠ (٧) هي للروعة بتذكرة أبي علي ؛ ذكر .

صاحب كشف الظنون ص ٣٨٤ ، وقال : « وهو كبير في عجليات ، لجه أبو التفتح عثمان بن جني » .

(٨) سورة الأنعام ١٤٥

عائد ، واستحسنه القارمى ألا يمود إليه كما يمود في حال السعة من العشاء إلى الفداء .
وقيل في قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ بُنِينَ وَبَنَاتٍ ﴾^(١) : إن خرقه واخترقه ،
وخلقه ، واختلقه بمعنى ؛ هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير ، وقول قریش
في اللانكة .

وجوز الزخشرى كونه^(٢) من خرق الثوب ؛ إذا شقه ، أى أنهم اشتقوا له
بنين وبنات .

المحاذاة

ذكره ابن فارس ^(١)، وحقيقته أن يؤتى باللفظ على وزن الآخر لأجل انضمامه إليه؛ وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفردا؛ كقولهم: أتيتهم الندايا والمشايا، فقالوا: الندايا لانضمامها إلى المشايا.

قيل: ومن هذا كتابة للصحف، كتبوا: ﴿وَالْقَلِيلَ إِذَا سَجَىٰ﴾ ^(٢) بالياء؛ وهو من ذوات الواو؛ لما قرن بغيره مما يكتب بالياء.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَسَطَطُهُمْ﴾ ^(٣) فاللام التي في ﴿لَسَطَطُهُمْ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾. ثم قال: ﴿فَلَقَا تَلَوُّكُمْ﴾ فهذه حوزيت بفتح اللام؛ وإلا فالنفي: لَسَطَطُهُمْ عَلَيْكُمْ فَتَلَوُّكُمْ.

ومثله: ﴿لَا عَذَابَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَةَ﴾ ^(٤) فيها لاما قسم - ثم قال: ﴿أَوْ كَيَا نَبِيٍّ﴾، فليس ذا موضع قسم؛ لأنه عذر ^(٥) للمحمد؛ فلم يكن ليقسم على المحمد أن يأتي بمضر، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه ^(٦).

(١) قه اللغة ١٥

(٢) سورة الضحى ٢

(٣) من قوله تعالى في سورة النساء ١٠: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَطُهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَا تَلَوُّكُمْ﴾.

(٤) سورة البقره ٢١

(٥) في الأصول: «حذر المحمد»؛ وما أتجه من قه اللغة.

(٦) بعده في قه اللغة: «ومن الباب: وزنه فارتد، وكلته فاكثال، أى استوفاه كيلا ووزنا؛ ومنه

قوله جل تناؤه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾؛ تستوفونها؛ لأنها حق للأزواج على النساء.»

ومنه ^(١) الجزء عن الفصل بمثل لفظه نحو : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

بِهِمْ ﴾ ^(٢) أى يجازيهم جزاء الاستهزاء .

وقوله : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَجَزَاءً سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ^(٥) .

(١) في قوله اللفظة « ومن هذا الباب الجزء على الفصل بمثل لفظه » .

(٢) سورة آل عمران ٥٤

(٣) سورة البقرة ١٤ ، ١٥

(٤) سورة الشورى ٤٠

(٥) سورة التوبة ٧٩

قواعدي في الشفي

قد تقدم في شرح معاني الكلام جل من قواعده ؛ ونذكر هاهنا زياتات .

اعلم أن نقي القات للوصوفة قد يكون نهيًا للصفة دون القات ، وقد يكون نهيًا للقات . وانتهاء النهي عن القات للوصوفة قد يكون نهيًا عن القات ، وقد يكون نهيًا عن الصفة دون القات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(١) ، فإنه نهى عن القتل بغير الحق . وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِنْثَانٍ ﴾^(٢) .

ومن الثاني قوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾^(٣) ، ﴿ وَلَا تَوْنُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(٤) ، أى فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم مسلمين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام ؛ كقول القاتل : لا تصل إلا وأنت خاشع ، فإنه ليس نهيًا عن الصلاة ، بل عن ترك الغشوع .

وقوله : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى... ﴾^(٥) الآية .

وقد ذكرنا أن النقي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام :

الأول : بنفى المسند نحو ، ما قام زيد بل قد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾^(٦) فالمراد نقي السؤال من أصله ؛ لأنهم متفقون ؛ ويلزم من نفيه نقي الإلحاف .

(١) سورة الأنعام ١٥١

(٢) سورة آل عمران ١٥٢

(٣) سورة البقرة ٢٧٢

(٤) سورة الإسراء ٣٣

(٥) سورة الواقعة ١٥

(٦) سورة النساء ٤٣

الثاني : أن ينفي للسند إليه ، فينتفى السند ، نحو ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود ؛ لأنه يلزم من عدم زيد نفي القيام . ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا تَنْفَسُهُمْ شِفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ^(١) ، أى لا شافعين لم فتفسهم شفاعتهم .
ومنه قول الشاعر ^(٢) :

مَلَى لَا حِبَّ لَا يُهْتَدَى لِنَارِهِ *

أى : على طريق لا مناره ، فيهتدى به ؛ ولم يكن مراده أن يثبت للنار فينتفى الاهتداء به .

الثالث : أن يُنقى للعلق دون للسند وللشد إليه ، نحو ما ضربت زيدا بل عمراً .
الرابع : أن ينفي قيد السند إليه أو للعلق ؛ نحو ما جاءنى رجل كاتب بل شاعر ، وما رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً ؛ فلما كان النفي قد ينصب على السند وقد ينصب على للسند إليه أو للعلق ، وقد ينصب على القيد احتمل في قولنا : ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون النفي هو القيد ؛ فيفيد الكلام رؤية غير الكاتب ؛ وهو احتمال مرجوح ؛ ولا يكون للنفي للسند ؛ أى القيل ، بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه ؛ لا على رجل ولا على غيره ؛ وهو في المرجوحية كالنفي قبله .

(٢) هو امرؤ القيس ، ديوانه ٦٦ ، وبقية

(١) سورة الدھر ٤٨

* إِذَا سَأَلَهُ الْعُرْدُ النَّبَاتِيَّ جَرَجَرًا *

نفى الشئى رَأْسًا

لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء عمره ، كقوله تعالى فى صفة أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾^(١) فنفى عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة ، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة ، كقوله تعالى : ﴿وَرَأَى النَّاسَ سَكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسَكَرَىٰ﴾^(٢) أى ما هم بسكارى مشروب ، ولكن سكارى قرع .

وقوله : ﴿لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(٣) ، وهم قد نطقوا بقولهم : ﴿يَالَيْفَنَّا نُرْذِ وَلَا نُكْذِبُ آيَاتِ رَبِّنَا﴾^(٤) ، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فسكأنهم لم ينطقوا .

وقوله : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٥) .

وقوله : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٦) .

ومنه قوله : ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٧) ، فإن للمنزلة احتجوا به على نفي الرؤية ، لأن النظر لا يستلزم الإبصار ، ولا يلزم من قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٨) إبصار .

وهذا وهم ، لأن الرؤية قال على أمرين : أحدهما الحسبان والثانى العلم ، والآيتين للنفى الأول ، أى تحسبهم ينظرون إليك ؛ لأن لم أعينا مصنوعة بأجفائها وسوادها يحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه ، وليست تبصر شيئاً .

(٢) سورة الحج ٢

(٤) سورة الأنعام ٢٧

(٦) سورة الملك ١٠

(٨) سورة النبا ٢٣

(١) سورة طه ٧٤

(٣) سورة الرسلات ٣٥ ، ٣٦

(٥) سورة الأعراف ١٧٩

(٧) سورة الأعراف ١٩٨

ومنه : ﴿ فَتَاتُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِسْمَهُمْ لَا يُؤْمِنُ لَهُمْ ﴾^(١).

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) ؛ فإنه وصّتهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القسوى ، ثم ضاه أخيراً عنهم لعدم جرّهم على موجب العلم ؛ كذا قاله السكاكي وغيره . وقد يقال : لم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد ، لأنّ للثبّت أولاً نفس العلم ، وللنفي إجراء العمل بمقتضاه . ويحتمل حذف القولين أو اختلاف أصعاب الضميرين . قال : ونظيره في النفي والإثبات قوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٣).

قلت : للنفي أولاً التأثير ، والثبّت ثانياً نفس الفعل .

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^(٤) والمضى : إن لم تفعل بمقتضى ما بليت فانت في حكم غير المبلغ ، كقولك لطالب العلم : إن لم تفعل بما علمت فانت لم تعلم شيئاً ، أى في حكم من لم يعلم .



ومنه نفي الشيء مفيداً والمراد فيه مطلقاً ؛ وهذا من أساليب العرب يقصدون به اللباقة في النفي وتأكيده ، كقولهم : فلان لا يرجى خيره ، ليس المراد أن فيه خيراً لا يرجى ، غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه .

ومنه : ﴿ وَتَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾^(٥) ، فإنه يدلّ [على] أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف القتل بما لا بدّ أن يكون من الصفة ، وهى وقوعه على خلاف الحق .

(٢) سورة البقرة ١٠٢

(٤) سورة المائدة ٦٧

(١) سورة التوبة ١٢

(٣) سورة الأقال ١٧

(٥) سورة آل عمران ٢١

وكذلك قوة: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾^(١)، إنه لو وصف لهذا
الهاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^(٢)، تليظ ونأكيد في تحذيرم الكفر.

وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٣)؛ لأن كل من لما لا يكون إلا قليلا،
فصار نقي الثمن القليل ثمنا لكل من.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾^(٤)، فإن ظاهره نفي الإلحاق في السألة،
والحقيقة نفي السألة البتة؛ وعليه أكثر للفسرين، بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(٥)، ومن لا يسأل لا يلحق قطعا؛ ضرورة أن نفي الأعم يستلزم
نفي الأخص.

ومثله قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٦)، ليس المراد نفي الشفيع
بقيد الطاعة؛ بل شيء مطلقا؛ وإنما قيده بذلك لوجوه:

أحدها: أنه تشكيل بالكفار؛ لأن أحدا لا يشفع إلا بإذنه؛ وإذا شفع بشفع،
لكن الشفاعة مختصة بالمؤمنين، فكان نفي الشفيع الطامع تنبيها على حصوله لأعدائهم؛
كقولك لمن يناظر شخصا صديق نافع: لقد حدثت صديقا نافعا، وإنما تريد التنويه بما
حصل لنفيه، لأن له صديقا ولم يشفع.

الثاني: أن الوصف اللازم للموصوف ليس بلازم أن يكون للتصيد؛ بل يدل لأغراض
من تحسنته أو تبيحه، نحو: له مال يجمع به، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا﴾^(٧) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٨).

(٢) سورة البقرة ٤١

(٤) سورة البقرة ٢٧٣

(٦) سورة سبأ ٤٤

(١) سورة المؤمن ١١٧

(٣) سورة البقرة ٢٧٣

(٥) سورة غافر ١٨

(٧) سورة البقرة ١٧٤

الثالث : قد يكون الشفيع غير مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوم صورة الشفاعة من غير إجابة ، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة ؛ وإنما دلّ على التلازم دليل الشرع .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ ﴾ ^(١) أى من خوف القل ، فنفي الولي لانتفاء خوف القل ؛ فإن اتخاذ الولي فرع عن خوف القل وسبب عنه .

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(٢) ، نفي القلبية ؛ والمراد نفي أصل النوم والسنة عن ذاته ؛ ففي الآية التصريح بنفي النوم وقوعا وجوازا ، أما وقوعا فيقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(٣) ، وأما جوازا فيقوله : ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ ، وقد جمعها قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ لَا يَنَامُ وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ » .

وقوله : ﴿ قُلْ أَتَلْبِثُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَمْلِكُ ﴾ ^(٤) ؛ أى بما لا وجود له ، لأنه لو وجد لمليه بوجود الوجوب ، تعلق علم الله تعالى بكل معلوم .

وقوله تعالى : ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ ^(٥) ، على قول من نفي القبول لانتفاء سببه ، وهو التوبة ، لا يوجد توبة فيوجد قبول .

وعكسه : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾ ^(٦) ، فإنه نفي لوجدان العهد ؛ لانتفاء سببه ، وهو الوفاء بالعهد .

وقوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ^(٧) ، أى من حجة ، أى لا حجة عليها ، فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة .

(٢) سورة البقرة ٢٥٥

(٤) سورة آل عمران ٩٠

(٦) سورة يوسف ٤٠

(١) سورة الإسراء ١٩١

(٣) سورة يونس ١٨

(٥) سورة الأعراف ١٠٢

ونظيره من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : «البحال أعور والله ليس بأعور» ، أى بذى جوارح كواهل بشخيل جوارح له نواقص .

ونظيره قوله تعالى : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي) ^(١) ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد فساد البحر ؛ بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل فساد البحر ولا بعده . وحاصل الكلام : لنفذ البحر ولا تنفذ كلمات ربى .
ووقع في شعر جرير قوله :

فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَنْيَبَ وَاشْيِهِ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ ^(٢)
قال الأعمشى : أنشدته كذلك لخلف الأحر ، قال : أصليحه :
* فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فإنه لا خير بخير بعده شر ، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب ، قال الأعمشى :
قلت : والله لا أرويه أبدا إلا كما أوصيتنى ^(٣) .

(١) سورة الكهف ١٠٩

(٢) ديوانه ٤٨٠ ، وروايته : « وذلك يوم » .

(٣) الخبر كما رواه المزياني بسنده في اللوح عن عيسى بن إسماعيل ١٢٥ : سمعت الأعمشى يقول :

قرأت على خلف شعر جرير : قلنا بلغت قوله :

ويوم كَلِمَاتِهِمُ التَّعَاةَ مُحِبِّبٍ إِلَيَّ هَوَاهُ غَالِبٍ لِي بِاطِلُهُ
رُزْقَنَا بِهِ الصَّيْدَ التَّرِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كُنْ نَبْلُهُ مَحْرُومَةً وَحَبَّائِلُهُ
فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَنْيَبَ وَاشْيِهِ وَأَقْصَرَ عَازِلُهُ

قال : وله ! وما ينفعه خبر يقول إلى شر ! قلت له : مكنا قرأت على أبي عمرو ، فقال له : صدقت ، وكنا لله جرير ، وكان قليل التحقير معرود الألفاظ ؛ وما كان أبو عمرو ليترك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يقول ؟ قال : الأجود له لو قال :

* فَيَاكَ يَوْمًا خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فروه مكنا ، فقد كانت الرواة قدما تصلح من أشعار القدماء . قلت : والله لا أرويه بعد هذا إلا مكنا !

قل ابن رشيقي هذه الحكاية في « المدة » وصورتها^(١).

قال ابن النثير: ووقع لي أن الأصمعي وخلف الأحمر وابن رشيقي أخطئوا جميعا وأصاب جرير وحده؛ لأنه لم يُرد إلا « فيالك يوم خير لا شرفيه »، وأطلق « قبل » لثني كما قلناها، في قوله تعالى: « لَنَفَعُ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَعَكِلِمَاتُ رَبِّي »^(٢)، وقوله تعالى: « اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا »^(٣) وقوله: « أَمْ لَكُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَكُمْ أَدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا »^(٤)؛ فإن ظاهره نفى هذه الجوارح، والحقيقة توجب نفى الآية عن يكون له فضلا عنهم لا يكون له.

وقوله: « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ »^(٥)، فالمراد لا ذاك ولا علمك به؛ أي كلاهما غير ثابت.

وقوله: « يَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا »^(٦)؛ أي شركاء لا ثبوت لها أصلا، ولا أنزل الله بإشراكها حجة، وإنزال الحجة كلاهما منتفٍ.

وقوله: « أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ »^(٧)، أي مالا ثبوت له ولا علم الله متعلقا به؛ ضيا للملزوم وهو النبأية بنفى لازمه، وهو وجوب كونه معلوما للعلماء بالثبات، لو كان له ثبوت، بأي اعتبار كان.

وقوله: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدْلِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ قُبُلَ تَوْبَتِهِمْ »^(٨)

(١) السبعة ٢ : ١٩٣ : قال ابن رشيقي بعد أن أورد الخبر: « قلت أنا: أما هذا الإصلاح فليح الظاهر، غير أنه خلاف الظاهر؛ وذلك أن الشاعر أراد أنه كان في ليله وقال: ثم تارق حبيبه نهارا؛ وذلك هو الصريح الذي ذكر، والرواية جله لم يفارق؛ فغير عليه للثني؛ إلا أن تكون الرواية: « ويوم كلبهم الحبارى »، فحينئذ على أن « دون » تحتل ما قصد، وتحتل معنى « قبل »، فهي لفظة مشتركة، ويسكون أيضا بمعنى « بعد »، لأنها من الأضداد، ولكن في غير هذا اللوح ».

(٢) سورة الكهف ١٠٩
(٣) سورة الأعراف ١٩٥
(٤) سورة آل عمران ١٥١
(٥) سورة آل عمران ٩٠
(٦) سورة الرعد ٢
(٧) سورة لقمان ١٥
(٨) سورة يونس ١٨

أصله لن يجبروا فلن يكون لم قبول توبة، فأثر الإلحاق دعابا إلى انضمام للزوم باقتضاء اللازم ؛ وهو قبول التوبة الواجب في حكمة تعالى وقدس .

وقوله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا قِتْيَا نِكْمَ عَلَى الْبِنَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا ﴾ ^(١) ، معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد محصنا ؛ لأنها تزلت فيمن يفعل ذلك .

ونظيره : ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْفًا مُضَاعَفَةً ﴾ ^(٢) ، وأكل الربا منهى عنه قليلا وكثيرا ؛ لكنها تزلت على سبب ؛ وهو ظلم ذلك ؛ ولأنه مقام تشنيع عليهم ، وهو بالكثير أليق .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) الآية ؛ للمنى آمنا بالله دون الأصنام وسائر ما يدعى إليه دونها ، إلا أنهم نوا الإيمان باللائكة والرسل والكتب للنزلة والهدى والآخرة والأحكام الشرعية ، ولهذا أنه لما رآه قوله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ ^(٤) ، بعد إثباته إيمانهم ، لأنه ضرورى لا اختيارى ، أوجب ألا يكون الكلام منسوقا لنى أمور يراعى فيها الحصر والتقييد ، كقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ ^(٥) ، فإنه لم يقدم للقول فى « آمنا » حيث لم يرد ذلك للمنى ، فركب تركيبا يوجه أفراد الإيمان بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان .

وقوله : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَنِيِ الْحَقِّ ﴾ ^(٦) ، قليل من هذا الباب ، فهى صفة لازمة ، وقيل التكبر قد يكون بحق ، وهو التزعم عن الفواحش والله تانا والتباعد من فعلها . وأما قوله : ﴿ وَالْإِنَّمِ وَالْبَنَى بَنِيِ الْحَقِّ ﴾ ^(٧) ، فإن أريد بالبنى العظم كان قوله : ﴿ بَنِيِ الْحَقِّ ﴾ تأكيذا ، وإن أريد به الطلب كان قيذا .

(٢) سورة آل عمران ١٣٠
(٤) سورة الملك ٢٩
(٦) سورة الأعراف ٣٣
(٣٦) - برهان - ثالث

(١) سورة التور ٣٣
(٣) سورة المؤمن ٨٤ ، ٨٥
(٥) سورة الأعراف ١٤٦

مقدمة

اعلم أن نقي العام يدل على نقي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ولا يدل عليه على نفيه ؛ ولا شك أن زيادة المفهوم من الغلط توجب الالتزام به ، فذلك كان نقي العام أحسن من نقي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(١) ، ولم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : ﴿ أضاءت ﴾ لأن النور أم من الضوء ؛ إذ يقال على القليل والكثير ؛ وإنما يقال الضوء على النور الكثير وقلبك قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٢) ففي الضوء دلالة على الزيادة ، فهو أخص من النور ، وعلمه لا يوجب عدم الضوء ، لاستلزام عدم العام عدم الخاص ، فهو أبلغ من الأول ، والفرض لإزالة النور عنهم أصلا ، ألا ترى ذكره بعده : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ﴾^(٣) .

وماعنا دقيقة ، وهي أنه قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾^(٤) ، ولم يقل : « أذهبه » لأن الإذهاب بالشيء إشعاره بمنع عودته ، بخلاف الذهاب ؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب ، ومتفق من الرجوع .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَأْقُوزِمُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ ﴾^(٥) ، ولم يقل : « ضلال » ؛ كما قالوا :

(١) . سورة البقرة ١٧

(٢) سورة يونس ٥

(٣) سورة البقرة ١٧

(٤) سورة الأعراف ٦١

﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ ﴾^(١) ، لأنّ نقي الواحد يلزم منه نقي الجنس البتة .
وقال الزمخشري^(٢) : لأن الضلالة أخص من الضلال ، فكان أبلغ في نقي الضلال
منه^(٣) ، فكانه قال : ليس بشيء من الضلال ، كما لو قيل : [لك]^(٤) لك ثمرة
قلت : مالى ثمرة .

ونازعه ابن اللّيث^(٥) وقال : تعليله فيها أبلغ [من نقي الضلال] لأنها أخص
[منه]^(٦) وهذا غير مستقيم ، فإنّ نقي الأعم أخص من نقي الأخص ، ونقي الأخص أم
من نقي الأعم ، فلا يستلزمه لأنّ^(٧) الأعم لا يستلزم الأخص . فإذا قلت : هذا ليس بإنسان
لم يلزم سلب الحيوانية عنه ، وإذا قلت : هذا ليس بحيوان ، لم يكن إنساناً ، والحق
أن يقال : الضلالة أدنى من الضلال [وأقل]^(٨) ، لأنها لا تطلق إلا على النقص
[الواحدة]^(٩) منه ، والضلال يصلح للقليل والكثير ، ونقي الأدنى أبلغ من نقي الأهل
لا من جهة كونه أخص ، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأهل .



والثاني : كقوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(١٠) ، ولم يقل
« طولها » ، لأن العرض أخص ، إذ كل ماله عرض فله طول ، ولا ينمكس . وأيضاً
إذا كان للشيء صفة ينفي ذكرها عن ذكر صفة أخرى ، مدلّ عليها كان الاختصار عليها
أولى من ذكرها ؛ لأن ذكرها كالتكرار ، وهو مملّ ؛ وإذا ذكرت فالأولى تأخير
الدلالة على الأخرى ؛ حتى لا تكون المؤخرة قد قدمت الدلالة عليها .

(١) الكشاف ٢ : ٨٩

(٢) سورة الأعراف ٦٠

(٣) من الكشاف .

(٤) عن قه « .

(٥) في حاشيته على الكشاف للزجوة بالانصاف (٢ : ٨٩) .

(٦) من حاشية ابن اللّيث .

(٧) حاشية ابن اللّيث : « ضرورتاً للأعم » .

(٨) سورة آل عمران ١٣٣

(٩) من حاشية ابن اللّيث .

وقد يحلّ بذلك مقصود آخر كافٍ قوله : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(١) لأجل الجمع وإذا كان ثبوت شيء أو غيره يدل على ثبوت آخر أو غيره ، كان الأولى الاختصار على الحال على الآخر ، فإن ذكرت فالأولى تأخير الحال .

وقد يحلّ بذلك مقصود آخر ؛ كافٍ قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(٢) وعلى قياس ما قلنا ينبغي الاختصار على صغيرة ، وإن ذكرت الكبيرة منها فليذكر أولا .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا ﴾^(٣) وعلى ذلك القياس يكفي « لها آف » أو يقول « ولا تنهرها » ، « فلا قل لها آف » ؛ وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهي عن التأفif ، والعناية بالنهي ؛ حتى كأنه قال : نهى عنه مرتين : مرة بالفهم ، وأخرى بالنطق .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٤) فإن النوم غشية قبيلة تقع على القلب تمنع معرفة الأشياء ، والسنة مما يقدمه من النعاس ، فلم يكتف بقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ ﴾^(٥) ؛ دون ذكر النوم ؛ لثلاث يقوم أن السنة إما لم تأخذ لضعفها ، ويوم أن النوم قد يأخذ لقوته ؛ فجمع بينهما لنفي التوهمين ، أو السنة في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب ؛ تلخيصه هو منزعه عن جميع الفقرات ، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٦) لأنه خلقها بما فيها ، وللشراكة إما جمع فيا فيها ، ومن يكن له ما فيها ؛ فحال نومه ومشاركته ؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لتسدتا بما فيها . وأيضا فإنه يلزم من نفي السنة نفي النوم أنه لم يقل لا ينام ؛ وإنما قال : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ ﴾^(٧)

(٢) سورة الكهف ٤٩

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(١) سورة مريم ٥١

(٣) سورة الإسراء ٢٣

يعنى لا تقلبه ؛ فكأنه يقول : لا ينلّه القليل ولا الكثير من النوم . والأخفى القلة بمعنى القهر والقلية ؛ ومنه سُمي الأسير : مأخوذاً وأخذاً . وزيدت « لا » في قوله : ﴿ وَلَا نَزْمٌ ﴾^(١) لتفيها عنه بكل حال ، ولولاها لاحتمل أن يقال : لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة ، وإذا ذكرت صفات فإن كانت للدمح فالأولى الاعتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى ؛ ليكون للدمح متزايداً بتزايد الكلام ؛ فيقولون : فقيه عالم ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ، ولا يمسون هذا لقصد للنفي ؛ لأنه لو قدم الأبلغ لكان الثاني داخلًا تحته ، فلم يكن لذكره معنى ؛ ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالسلّم .

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل : أيهما أبلغ على ثلاثة أقوال :
ثالثهما أنهما سواء .

قال الأتليشي^(٢) : والحق أنك مهما نظرت إلى شخص ، فوجدته مع شرف العقل والنفس كريمًا ، الأخلاق والسجايا ، مقتدل الأفعال وصفته بالكمال ، وإن وجدته وصل إلى هذه الرتبة بالكسب والمجاهدة وإمالة الرذائل وصفته بالفضل ؛ وهذا يقتضى أنهما متضادان ؛ فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بجوز .

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾^(٣) إنما قدم الغيب مع أن علم الغيبات أشرف من المشاهدات ، والتدح به أعظم ، وعلم البيان يقتضى تأخير المدح . وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عتًا ، والعلم يشرف بكثرة متعلقاته ؛ فكان تأخير الشهادة أولى .

وقول الشيخ : إن للشاهدات له أكثر ، فيه نظر ؛ بل في غيبه ما لا يحصى ﴿ وَتَخْلُقُ

(١) سورة البقرة ٢٠٠

(٢) الأتليشي : منسوب إلى أتليش ، بضم الميم وسكون القاف ، إحدى مدن الأندلس . وله عند

ابن عديم الجيبي الأتليشي ؛ شرح المصباح ، واختصر كتاب مشكل القرآن لابن فورك ؛ وتوفى سنة ٥٠٢

(٣) سورة المؤمنون ٩٢

وانظر مجمل البيان ١ : ٣١٢

جَالَا تَعْلَمُونَ^(١)؛ وإنما الجواب أن الاعتقال للأمدح ترقى؛ فالمقصود هنا بيان أن
الغيب والشهادة في علمه سواء، فزُل الترقى في اللفظ منزلة ترقى في المعنى، لإفادة استوائهما
في علمه تعالى. ويوضحه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(٢)
فصرح بالاستواء.

هذا كله في الصفات، وأما للوصفات فلي العكس من ذلك؛ فإنك تبدأ
بالأفضل، فتقول: قام الأمير ونائبه وكتابه؛ قال تعالى: ﴿وَالْغَلِيلَ وَالْبَيْتَالِ وَالْحَمِيرَ
لَقَدْ كَبُّوهُمَا...﴾^(٣) الآية، قدّم الغليل لأنها أحد وأفضل من البیتال، وقدّم البیتال على
الحمير لثقل أيضاً.

فإن قلت: قاعدة الصفات متفوضة بالقاعدة الأخرى؛ وهى أنهم يقدمون الأهم فالأهم
في كلامهم كما نصّ عليه سيبويه وغيره.

وقال الشاعر:

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي قُوسِنَا وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
قُلْتُ لَهُ نَمَّاكَ فِيهِمْ أَعْمَاهَا وَدَعُ أَمْرَنَا إِنْ لَهُمُ لِلْقَدَمِ

قلت: المراد بقوله: «قدّم الأهم فالأهم» فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين،
وأحدهما أهم من الآخر؛ فإنه قدّم، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانا
صفتين لشيء واحد؛ فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث.

هذا كله في صفات المدح؛ فإن كانت للذم قد قالوا: ينبغي الابتداء بالأشدّ ذمّاً،
كقوله تعالى: ﴿مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٤)؛ قال ابن النفيس^(٥): في كتاب

(٢) سورة الرعد ١٠

(٤) سورة النحل ٩٨

(١) سورة النحل ٨

(٣) سورة النحل ٨

(٥) هو على بن أبى الحرز القرشي علاء الدين، المعروف بابن النفيس؛ أعلم أهل عصره بالطلب؛
سكن مصر وتوفى بها سنة ٦٩٨؛ ذكره السيوطي في الطبقات ٥: ١٢٩؛ وكتابه طريق النفاة،
ذكره صاحب كشف الظنون ص ١١١٤

« طريق النصيحة » : وهو عندى مشكل ؛ ولم يذكّر توجيهه .

وقال حازم فى « منهاجه » : يُبْدَأُ فى الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح ، وما النفس بضديعه أعنى ، ويبدأ فى الأدم بما ظهور القبح فيه أوضح ، والنفس بالالتفات إليه أعنى ؛ وَيَنْتَقِلُ فى الشيء إلى ما يليه من اللزجة فى ذلك ، ويكون بمنزلة للصوّ الذى يُصوّر أولاً ما حلّ من رسوم تخطيط الشيء ، ثم ينتقل إلى الأدقّ فالأدقّ .

فائدة

نفى الاستطاعة قد يراد به نفى الامتناع ، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه ؛ عموه هل نستطيع أن نكلّمك ؟ بمعنى هل تعمل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل ؟ وقد حمل قوله تعالى حكاية عن الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ ^(١) على النفى الأول ؛ أى هل يمجئنا إليه ؟ أو هل يفعل ربك ؟ وقد علموا أن الله قادر على الإنزال ، وأن عيسى قادر على السؤال ، وإنما استفهموا هل هنا صارف أو مانع ؟ وقوله : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ ^(٢) . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدًّا ﴾ ^(٣) . ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ ^(٤) . وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة كقوله تعالى : ﴿ لَنْ نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ^(٥) .

(١) سورة المائدة ١١٢

(٢) سورة الأنبياء ٤٠

(٣) سورة الكهف ٦٧

(٤) سورة يس ٠

(٥) سورة الكهف ٧٢

فائدة

قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾^(١) ، قالوا : المجاز يصح فيه

بمخلاف الحقيقة ، لا يقال للأسد : ليس بشجاع .

وأجيب بأن للراد بالرمي هنا المرتب عليه ، وهو وصوله إلى الكفار ؛ فالوارد عليه

السلب هنا مجاز . لا حقيقة ؛ والتقدير : وما رميت خلقا إذ رميت كسبا ، أو ما رميت انتهاء

إذ رميت اجتداء ؛ وما رميت مجازا إذ رميت حقيقة .

إِخْرَاجُ الْكَلَامِ مَخْرَجَ الشَّكِّ فِي اللفظ دُونِ الْحَقِيقَةِ لِضَرْبِ مِنَ السَّامِعَةِ وَحَسْمِ الْعِنَادِ

كقولہ : ﴿وَأَنَا أَوْ يَا كُمْ لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١) ؛ وهو يعلم أنه على الهدى ، وأنهم على الضلال ، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك ، قاضيا ومساحة ، ولا شك عنده ولا ارتياب .

وقوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(٢) .
ونحوه : ﴿فَقُلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣)
أورده على طريق الاستفهام ؛ وللمنى : هل يوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين لكم من للشاهد ولاح منكم في الخبايا : ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٤) نهالكما على الدنيا ؟

ولمّا أورد الكلام في الآية على طريق سوقٍ غير المعلوم سياتي غيره ، ليؤدبهم التامل في التوقع عن يتصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسببا عنه أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، فيلزمهم به على ألفت وجه ؛ إبقاء عليهم من أن يهاجمهم به وتاليا فلقلبهم ، ولذلك التفت عن الخطاب إلى التنية ، تخاديا عن مواجهتهم بذلك .
وقد يخرج الواجب في صورة للكن ، كقوله تعالى : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٥) .

﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾^(٦) .

(٢) سورة الزخرف ٨١

(٤) سورة الإسراء ٧٩

(١) سورة صبا ٢٤

(٣) سورة النزال ٢٢

(٥) سورة المائدة ٥٢

و (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) ^(١) .
 (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) ^(٢) .

وقد يخرج الإطلاق في صورة التضييد كقوله : (حَقًّا يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ
 الْغِلَاطِ) ^(٣) .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَسْكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
 اللَّهُ رَبُّنَا) ^(٤) فاللحن لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله ؛ لما كان معلوما أنه يشاؤه ؛
 إذ يستحيل ذلك على الأنبياء ، وكل أمر قد علق بما لا يكون قد نفي كونه على
 أبعد الوجوه .

وقال قطرب : في الكلام تقديم وتأخير ، والاستثناء من الكفار لا من شعيب ،
 وللحنى : لَنَنْخُرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ ، والذين آمنوا معك من قريتنا ؛ إلا أن يشاء الله أن نمودوا
 في منتهم . ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب : (وَمَا يَسْكُونُ لَنَا أَنْ نَمُودَ فِيهَا) ^(٥) ،
 على كل حال .

وقيل : الماء عائنة إلى القرية ، لا إلى الله .

الاعراض عن ضريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِمْ جِيراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١)، أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر، فتغنيا لمقدار الجزاء، لما فيه من إيهام للمقدار، وتنزيلا له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيان، على حدّ «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط، تنبيها على عظم ما ينال، وتغنيا لبيان ما أتى به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢)، وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره للببدأ الذي هو الذين عن ذكر خيره إلى الشروع في كلام آخر، فبقى مبتدأ على مبتدأ وجمع، وللمنى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾^(٣) من خبر للببدأ الأول، وتحديده: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ، لأننا لا نضيع أجر من أحسن عملا.

المسلم

وهو أن يأتي النير بكلام يتضمن معنى ، فتأتي بضده ؛ فإنك قد خدمت ما ينافي
 للتكلم الأول ؛ كقوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)^(١)
 هدمه بقوله : (مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ)^(٢) ، ويقول : (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)^(٣)
 ويقول : (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)^(٤) ؛ فتدبره إن كنتم صادقين في دعواكم .
 ومنه : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ)^(٥)
 هدمه بقوله : (ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ)^(٦) ، وقوله : (مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ)^(٧) .
 ومنه : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)^(٨) هدمه بقوله :
 (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)^(٩) ، أي في دعواهم الشهادة .

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٤) سورة المائدة ١٨

(٦) سورة المؤمنون ٩١

(١) سورة المائدة ١٨

(٣) سورة آل عمران ٥٧

(٥) سورة التوبة ٣٠

(٧) سورة المنافقون ١

التوسّع

منه الاستدلال بالنظر في اللكوت ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) .

ويكثر ذلك في قدرات العقائد الإلهية : لتسكن في النفوس ، كقوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ ^(٢) ؛ وذلك بعد ذكر النطفة وقلبها في مراتب الوجود ، وتطورات الخلقة .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

ومنه التوسّع في ترادف الصفات ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ ظُلُمَاتٌ لَبِثُهَا بَعْضٌ إِذَا أُخْرِجَ بِدِهِ لَمْ يَسْكَنْدْ يَرَاهَا ﴾ ^(٤) ، فإنه لو أريد اختصاره لكان : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ ^(٥) مظلّم .
ومنه التوسّع في الهم في الهم كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مِثْنٍ . هَمَّازٍ مَشَاهِدٍ يَنْتَمِيهِ ﴾ ^(٦) إلى قوله : ﴿ عَلَى أَنْحَرِ طُورٍ ﴾ ^(٧) .

(٢) سورة القيامة ٤٠

(٤) سورة النور ٤٠

(٦) سورة القلم ١٦

(١) سورة البقرة ١٦٤

(٣) سورة الزمر ٦٧

(٥) سورة القلم ١٠ ، ١١

التشبيه

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب للماني أقادها كمالا ،
وكساها حلة وجلا ، قال للبرد في « الكامل » : هو جارٍ في كلام الرب حتى لو قال
قاتل : هو أكثر كلامهم لم يبعد .

وقد صنف فيه أبو القاسم^(١) بن البنداري البغدادي كتاب « الجان في
تشبيهات القرآن » .

[مباحث التشبيه]

وفيه مباحث :

الأول

في تعريفه

وهو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه .

وقيل : أن ثبت للشبه حكما من أحكام الشبه به .

وقيل : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد ؛ كالطيب
في للسك ، والضياء في الشمس والنور في القمر . وهو حكم إضافي لا يرد إلا بين الشيئين
بمخلاف الاستمارة .

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن نافيا ، الأديب الفاعر القوي ، التوفي سنة ٤١٠ هـ
ويوجد من كتابه الجان نسخة مصورة بمهد المطبوعات بجامعة الدول العربية ؛ عن نسخة خطوطة بمكتبة
الأسكندرية .

الثاني

في الفرصه منه

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جليّ ؛ وإدناؤه البعيد من القريب ؛
ليفيد بيّانا .

وقيل : الكشف من المعنى للقصود مع الاختصار ؛ فإنك إذا قلت : زيد أسد ، كان
الغرضُ بيان حال زيد ، وأنه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك ؛ إلا أنا لم نجد
شيئا يدل عليه سوى جعلنا إياه شيئا بالأسد ، حيث كانت هذه الصفات مخصصة به ،
فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا : زيد شهم شجاع قوى البطش ونحوه .

الثالث

في أنه حقيقة أو مجاز

والمحققون على أنه حقيقة ، قال الزنجاني^(١) في «الميار» : التشبيه ليس بمجاز ؛
لأنه معنى من المعاني ؛ وله ألفاظ تدل عليه وضما ؛ فليس فيه قل القفط عن موضوعه ؛
وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل ؛ لأنه كالأصل لها ، وهما كالفرع له .
والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يحى على حد الاستعارة .
وتوسط الشيخ عز الدين ، فقال : إن كان بحرف فهو حقيقة ، أو بحذفه فمجاز ، بناء
على أن الحذف من باب المجاز .

(١) هو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني ؛ أحد علماء الريّة ؛ توفي
سنة ٦٥٥ ذكره الزركلي في الأعلام ٢ : ٦٠٨ (الطليعة الريّة) ، وصاحب كشف الخافون ١٧٤٣ .

الراب
في أدواته

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبه، ونحوهما، قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾^(١). ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى﴾^(٢). ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا مُنْشَرِّجًا﴾^(٣) ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾^(٤).
والأفعال كقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّلَمَانُ مَاءً﴾^(٥) ﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَى﴾^(٦).

والحروف إما بسيطة كالسكاف؛ نحو: ﴿كَرَّمَادِ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾^(٧) ﴿كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾^(٨) وإما مركبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٩).

الخامس

في أقسامه

وهو ينقسم باعتبارات:

الأول

أنه إما أن يشبه بحرف، أو لا.

وتشبيه الحرف ضربان:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه قطع، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾^(١٠). وقوله: ﴿وَلَهُ الْخَاجِرَاتُ الْبُشَيَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١١).

- | | |
|-----------------------|----------------------|
| (١) سورة آل عمران ١١٧ | (٢) سورة هود ٢٤ |
| (٣) سورة البقرة ٢٥ | (٤) سورة البقرة ٧٠ |
| (٥) سورة التور ٣٩ | (٦) سورة طه ٦٦ |
| (٧) صورة إبراهيم ١٨ | (٨) سورة آل عمران ٩١ |
| (٩) سورة الصافات ٦٥ | (١٠) سورة التور ٣٥ |
| (١١) سورة الرحمن ٢٤ | |

(فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءَ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) ^(١).

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) ^(٢).

(وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ لُؤْلُؤٍ مَكَنُونٍ) ^(٣).

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ^(٤).

وثانيها : أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكّد ، ليكون ذلك علماً على قوة التشبيه وثبات كيدته ، وكقوله تعالى : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) ^(٥).

(كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) ^(٦).

(وَإِذْ تَنْقَضُ الْجِبِلَّ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) ^(٧).

(تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) ^(٨).

(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ^(٩).

فإن قيل : كيف استرسل أهل الجنة وقوله : (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) ^(١٠) ، ولا شك أنه ليس به ، واحتزت بلبس فقالت : (كَأَنَّهُ هُوَ) ^(١١) ، ولم قل : هو هو ؟

قيل : أهل الجنة وقّعوا بأن الفرض مفهوم ؛ وأن أحداً لا يستغنى في الحاضر أنه عين المسئلة للماضي ؛ وأما بلبس فالبس عليها الأمر ، وظننت أنه يشبهه ،

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٤) سورة الحديد ٢١

(٦) سورة الصافات ٤٩

(٨) سورة القمر ٢٠

(١٠) سورة البقرة ٢٥

(١) سورة الرحمن ٣٧

(٣) سورة الواقعة ٢٢ ، ٢٣

(٥) سورة الرحمن ٨

(٧) سورة الأعراف ١٧١

(٩) سورة المائدة ٧

(١١) سورة النحل ٤٢

لأنها بَنَتْ عَلَى الْمَادَّةِ ، وهو أن السِّرير لَا يُقْتَل من إِقْلَام إلى آخر في طَرَقَة عَيْن .

وأما التشبيه بغير حرف ، فيُقصد به اللبائفة ، تنزيلاً لثاني منزلة الأول تجوِّزاً ، كقوله :
﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَرَسْرَجًا مُنِيرًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٣) .

وكذلك : ﴿ تَمْرٌ مَرَّةً السَّحَابِ ﴾ ^(٤) .

وجعل الفارسيّ منه قوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ^(٥) ، أي كأنها في بياضها من فضة ، فهو على التشبيه ، لا على أن القوارير من فضة ، بدليل قوله : ﴿ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيَاضًا ﴾ ^(٦) ، قوله : ﴿ بَيَاضًا ﴾ مثل قوله : ﴿ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ .

تنبيهان

الأول : هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض اللواضع ، والفرق بينهما - كما قاله حازم وغيره - أن الاستعارة ، وإن كان فيها معنى التشبيه ، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها ، والتشبيه بتقدير حرف على خلاف ذلك ؛ لأنّ تقدير حرف التشبيه واجب فيه .
وقال الرماني في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٧) ، أي تبصره ، لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها .

(٢) سورة الأحزاب ٤٦

(٤) سورة النمل ٨٨

(٦) سورة الصافات ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الأحزاب ٦

(٣) سورة آل عمران ١٣٣

(٥) سورة النحل ١٥ ، ١٦

(٧) سورة الإسراء ٥٩

وقد اختلف البيانون في نحو قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﴾^(١) ، إنه تشبيه بليغ أو استعارة ؟ والمحققون - كما قاله الزغشري - على الأول ، قال :^(٢) لأن الاستعارة مذكورة - وهم المناقون - ، أي مذكورة في تقدير الآية ، والاستعارة لا يذكر فيها للمستعار له^(٣) ، ويجعل الكلام خلوا عنه ، بحيث يصلح^(٤) لأن يراد به للقول عنه و [للقول]^(٥) إليه لولا القرينة^(٦) ، ومن ثم ترى للفقين السحرة [منهم ، كأنهم]^(٧) يفتابسون التشبيه ويضربون عنه^(٨) صفحا .

وقال السكاكي : لأن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر ، وتناسى التشبيه ، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة ، فلا يجوز أن يكون استعارة .

الثاني : قد يترك التشبيه لفظا ويراد معنى ، إذ لو لم يرِدْ معنى ولم يكن متبوعا ، كان استعارة .

مثاله قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾^(٩) ، فهذا تشبيه لا استعارة ، لذكر الطرفين : الخيط الأسود ، وهو ما يعتد به من غسق الليل شيئا بخيط أسود وأبيض ، ويُنَبِّأُ بقوله : ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ والفجر - وإن كان بياننا للخيط الأبيض - لكن لما كان أحدهما بياننا للآخر لدلالته عليه ، اكتفى به عنه ، ولولا البيان كان من باب الاستعارة ؛ كما أن قولك : رأيت أسدا ، استعارة ، فإذا زدت « من فلان » صار تشبيها ، وأما أنه لم يزيد ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ حتى صار تشبيها ؟ وهلا أقصر به

(١) الكشاف ١ : ٨٠

(١٠) سورة البقرة ١٨

(٢) عبارة الكشاف : « والاستعارة إما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار .

(٣) الكشاف : « صالحا لأن يراد به للقول عنه » . (٤) من الكشاف .

(٥) الكشاف : « لولا دلالة الحال أو نحو الكلام ؛ كقول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَارِكِ السَّلَاحِ مُعَذِّفٍ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ

(٧) سورة البقرة ١٨٧

(٦) الكشاف : « عن نومه » .

على الاستمارة التي هي أبلغ ! فلأن شرط الاستمارة أن يدلّ عليه الحال ، ولو لم يذكر
(مِنَ الْيَجْرِ) لم يعلم أن الخيطين مستطاران من « بدا الفجر » ، فصار تشبيها .

التقسيم الثاني

ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام ، لأنها :

إما حسيان ، كقوله تعالى : (حَقَّ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) ^(١) ، وقوله : (كَأَنَّهُمْ
أَعْبَارُ نَحْلٍ مُنْقَرِعٍ) ^(٢) .

أو عقليان ، كقوله تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ
أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً) ^(٣) .

وإما تشبيه للمقول بالحسوس ، كقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ
أَوْ لِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَنَكَبُوتِ) ^(٤) ؛ وقوله : (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) ^(٥) ، وقوله : (كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) ^(٦) ، لأن حملهم
والنوراء ليس كالحمل على الماتق ، إنما هو القيام بما فيها .

وأما عكسه فنمّه الإمام ، ، لأن العقل مستفاد من الحس ، ولذلك قيل : مَنْ قَدْ حَسَا
قَدْ قَدَّ عَلِمَا ؛ وإذا كان الحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به ، يستلزم جعل الأصل فرعا
والفرع أصلا ، وهو غير جائز .

(٢) سورة القمر ٢٠

(٤) سورة المنكبوت ٤١

(٦) سورة الجمعة ٥

(١) سورة يس ٣٩

(٣) سورة البقرة ٧٤

(٥) سورة إبراهيم ١٨

وأجازه غيره كقوله :

وَكَاَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهِ سُنَنِ لَاحَ يَنْهِنُ اِبْدَاعُ^(١) .

ويقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام :

الأول : قد يشبه ما وقع عليه الخاسة بما لا تقع ، اعتمادا على معرفة التقيض والصدق ، فإن إدراكها أبلغ من إدراك الخاسة ، كقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٢) ، فشبّه بما لا تشك أنه منكر قبيح ، لما حصل في قلوب الناس من بشاعة صور الشياطين ، وإن لم ترها عيانا .

الثاني : عكسه ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ ﴾^(٣) ، أخرج ما لا يحسن - وهو الإيمان - إلى ما يحسن - وهو السراب - وللمنى الجامع بطلان العموم بين شدة الحاجة وعظم الناقصة .

الثالث : إخراج ما لم يجرى المادة به إلى ما جرت به ، نحو : ﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا أَلْجَلَّيْلَ قَوْعِهِمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٤) ، والجامع بينهما الاتساع بالصورة . وكذا قوله : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ مِنِ السَّمَاءِ ﴾^(٥) ، والجامع بهجة والزينة ، ثم الهلاك ، وفيه العبرة .

الرابع : إخراج ما لا يعرف بالبدئية ، إلى ما يُعرف بها ، كقوله : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٦) ، الجامع العظم ، وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

(١) البيت لقفاى التنوخى ؛ وهو من شواهد للفتاح ١٤٦ ، وانظر البيضة ٢ : ٣١٠ ،

(٢) سورة الصافات ٦٥

(٣) سورة الأعراف ١٧١

(٤) سورة آل عمران ١٣٢

وأمرار البلاغة ٢٠٧

(٥) سورة التور ٣٩

(٦) سورة يونس ٢٤

الخامس : لإخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقوله : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ^(١) ، والجامع فيها العظم ، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من اللاء .
وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن .

التقسيم الثالث

ينقسم إلى مفرد ومركب :

والرَّكْبُ أَنْ يُنْزَعَ مِنْ أُمُورٍ مُجْمُوعٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ؛ كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٢) ، فالتشبيه مركب من أحوال الخمر ؛ وذلك هو تحمل الأسفار التي هي أوعية العلم ، وخزائن ثمره العقول ، ثم لا يُنْخَسُ ما فيها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحوال التي ليست من العلم في شيء ، فليس له بما يحمل حظ سوى أنه يتقل عليه ويتعبه .
وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخْتَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ أَخْتَذَتْ بَنَاتِهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(٤) ، قال بعضهم : شبه الدنيا بالماء ، ووجه الشبه أمران : أحدهما أن للاء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت ، وإن أخذت قدر الحاجة انضمت به ، فكذلك الدنيا . وثانيهما أن للاء إذا أطبقت كفك عليه لصفظه لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا ، وليس للراد تشبيهها بالماء وحده ؛ بل للراد تشبيهه بهجة الدنيا في قلة البقاء والدوام بأنيق النيات الذي يصير بعد تلك البهجة والمضاضة والطراوة إلى ما ذكر .

(١) سورة الرحمن ٢٤

(٢) سورة البقرة ٥

(٣) سورة العنكبوت ٤١

(٤) سورة الكهف ٤٥

ومن تشبيه الفرد بالركب قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾^(١) ، فإنه سبحانه أراد تشبيه نوره الذي يلقى بقلبه للؤمن ، ثم مثله بمصباح ؛ ثم لم يفتح بكل مصباح ؛ بل بمصباح اجتمعت فيه أسباب الإضاءة ؛ بوضعه في مشكاة ؛ وهي الطائفة غير النافذة ؛ وكونها لا تنفذ ؛ لتكون أجمع للتبصر ، وقد جل فيها مصباح في داخل زجاجة ، فيه الكوكب الذي في صفائها ، ودُهن للمصباح من أصنى الأدهان وأقواما وقودا ، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية ، فلا تعيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تعيبها أعدل إضاءة .

وهذا مثل ضرب به الله للؤمن ، ثم ضرب للكافر مثلين : أحدهما : ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَمَةٍ ﴾^(٢) ، والثاني : ﴿ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾^(٣) ، شبه في الأول ما به من لا يقدر الإيمان للتعبر بالأعمال التي يحسبها قيمة ، ثم يحجب أمه ، بسراب يراه الكافر بالسافرة ، وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيعيبه فلا يجد ماء ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم .

البعث السادس

ينظم قواعد تتعلق بالتشبيه

الأولى : قد تشبّه أشياء بأشياء ، ثم تارة يصرح بذكر للشبهات ، كقوله تعالى :

(١) سورة النور ٣٥

(٢) من قوله تعالى في سورة النور ٢٩ : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَمَةٍ يُحْسِبُهَا النَّاسُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ . ﴾

(٣) من قوله تعالى في سورة النور ٤٠ ، في الآية : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَتَنَاهَا مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا . ﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الَّذِينَ﴾^(١)، وتارة لا يصريح به بل يعمى مطوياً على سنن الاستعارة ، كقوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ سَانِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مَلِغٌ أجاجٌ﴾^(٢)، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ...﴾^(٣) الآية .

قال الزرخسرى^(٤) : والذى عليه علماء البيان أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات للركبة^(٥) لا للفرقة ؛ بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى [معزولا بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجة ذلك]^(٦) فتشبهها بنظائرها كما ذكرنا^(٧) ، ونشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء تضامت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى، كقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الْقَوْرَةَ...﴾^(٨) الآية .

ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات ؛ كما في تمثيل الله حال اللناقين أول سورة البقرة ، قال الزرخسرى : وأبلغه الثانى ؛ لأنه أدل على فرط الحيرة ، وشدة الأمر وقطاعته ؛ ولذلك أخر ، قال : وم يجدرجون فى نحو هذا ، من الأهون إلى الأعظم .

الثانية : أعلى مراتب التشبيه فى الألفية ترك وجه الشبه وأداته ، نحو زيد أسد ؛ أما ترك وجهه وحده ، فكقوله : زيد كالأسد ؛ وأما ترك أداته وحدها ؛ فكقوله : زيد الأسد شدة .

وفى كلام صاحب «القطح» إشارة إلى أن ترك وجه الشبه أبلغ من ترك أداته ؛ قال : لمعوم وجه الشبه .

- | | |
|--|-------------------|
| (١) سورة طهر ٥٨ | (٢) سورة طهر ١٢ |
| (٣) سورة الزمر ٢٩ | (٤) الكشاف ١ : ٦٦ |
| (٥) الكشاف : « دون للفرقة » . | (٦) من الكشاف |
| (٧) عبارة الكشاف : « كما فعل امرؤ القيس وجاء فى القرآن » . | |
| (٨) سورة البقرة ٥ | |

وخالفه صاحب « ضوء الصباح »^(١) لأنه إذا عمّ واحتمل التعدد ، ولم يبق دلالة على ما به الاشتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم ؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذم لا ملح ، وهو غير لازم في ترك الأداة ؛ إلا أن يقال : يلزم مثله من تركها ، لأن قرينة ترك الأداة ، تصرف إرادة للدخول دون الهمم وذكرها كقولك : زيد كالأسد شدة .

الثالثة : قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين التشبيه ، ولكنه ملتبس به ، واعتد على فهم المخاطب ، كما قال تعالى : ﴿ كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾^(٢) الآية ، للراد : كونوا أنصارا لله خالصين في الاقبياد ؛ كشأن مخاطبي عيسى إذا قالوا . ومما دل على السياق قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾^(٣) ، وفيه زيادة ، وهو تشبيه الخطارق بالاعتاد .

الرابعة : إذا كانت قائدة ، إنما هي تريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له ، فحقه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم ، والتصد التنبيه بالأدنى على الأعلى ، مثل قياس الصوري ؛ ولا سيما إذا كان الدنو جدا أو الملو جدا ، وعليه بنى المرعى قوله :
ظلماتك في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه تمان ما يحكي
وقول آخر :

كالبهر والكاف أني ضفت زائدة فيه فلا تظننها كاف تشبيه

(١) اختصر ابن مالك كتاب الفتاح وسماه للصبح في تلميح الفتاح ؛ ونقله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن للرا كشي للضرب ، ثم شرحه وسماه ضوء الصباح على ترجيز للصبح . كشف الظنون : ١٠٨٩

(٢) سورة الميف ١٤

(٣) سورة الأعراف ١٧١

وأما قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورٍ كَمِشْكَاةٍ﴾^(١) فيمكن أن يكون التشبيه به أقوى لكونه في القعن أوضح ؛ إذ الإحاطة به أتم .

وأما قوله تعالى : ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾^(٢) ؛ فهو من تشبيه التريب بالأغرب ؛ لأن خلق آدم من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم ، وأوقع في النفس . وفيه دليل على جواز القياس ، وهو رد فرع إلى أصل لشبه ما ؛ لأن عيسى رُدَّ إلى آدم لشبه بينهما ؛ وللعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم ، فكذلك خلق عيسى من غير أب .

وقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِسْدَدٌ﴾^(٣) شبههم بالخشب ، لأنه لا روح فيها ، وبالمسندة لأنه لا اعتناء بالخشب في حال تسديده .



الخامسة : الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به ، وهو الكامل ، كقولك : ليس القضة كالقضب ، وليس المبد كالمر ؛ وقد تدخل على المشبه لأسباب : منها وضوح الحال ، كقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرُكَ الْأَتَى﴾^(٤) ؛ فإن الأصل وليس الأتى كالذكر ؛ وإنما عدل عن الأصل ؛ لأن معنى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَرُكَ﴾ الذي طلبت ﴿كَأَلَا أَتَى﴾ التي وهبت لها ، لأن الأتى أفضل منه . وقيل : لمرعاة القواصل ، لأن قبله : ﴿إِنِّي وَصَّيْتُهَا أَتَى﴾^(٥) .

ووم ابن الزملكاني في « البرهان » حيث زعم أن هذا من التشبيه المقلوب ، وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى .

(١) سورة آل عمران ٥٩

(٢) سورة آل عمران ٣٦

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) سورة النافعين ٤

وقيل : لما كان جَمْلُ الفرع أصلا والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات يقتضى اللبانة في التشبيه ؛ كقولهم : القمر كوجه زيد ، والبحر ككتفيه ، كان جمل الأصل فرعاً والفرع أصلاً في كماله اقل يقتضى نقيّ اللبانة في الشابة ؛ لانقي للشابة ، وذلك هو المقصود هنا ، لأن للشابة واقعيين الذكر والأنثى في أمم الأوصاف وأغلبها ، ولهذا يُقَاد أحدهما بالآخر .

ومنها قصد اللبانة ، فيقلب التشبيه ، ويُجَل للشبه هو الأصل وبسبب تشبيه العكس ؛ لاشتراكه على جمل للشبه مشبهاً به ، وللشبه بمشبها ؛ كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ ^(١) ، كان الأصل أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع ؛ لأن الكلام في الربا لا في البيع ، لكن عدلوا عن ذلك ونجسوا ، إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز ، وأنه الخلق بالخل .

ويمحتمل أن يكون الراد لإلزام الإسلام ، فيحرم البيع قيلمًا على الربا ، لاشتراكه على الفضل طرداً لأصلهم ؛ وهو في النقي بعض على علة التحريم ؛ ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ^(٢) ، وفيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتضاؤها من غير تمريض لإجرائها على قانون واحد ، وأن الأسرار الإلهية كثيراً ما تمنعني ؛ وهو أعلم بمصلح عباده فيسلم له عنان الاقياد ؛ وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجدل ، وجاء الجواب بذلك للضرورة ، وأن الحكمة فرقت بينهما . وفيه إبطال التباس في مقابلة النص .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٣) ؛ فإن الظاهر العكس ، لأن

الخطاب لعمدة الأوثان ؛ وتوهمها آلهة ، تشبيها بالله سبحانه ، وقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فحولت في خطابهم ؛ لأنهم بالتوا في عبادتهم وغلوًا ، حتى صارت عندهم أصلا في العبادة ، والخالق سبحانه فرعا ، فجاء الإشكال على وفق ذلك .

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق خطوطا بأشد الإلزامين ؛ وهو تقيص للقدس لا قديس الناقص .

قل السكاكي : وعندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحى القادر من الخلق ترميضا بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى . وجعل منه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(١) بدل « هو اه إله » فإنه جعل للفقول الأول ثانيا والثانى أولا ؛ لفتنيبه على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلهه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾^(٣) ، فإن بعضهم أورد أن أصل التشبيه يشبه الأدنى بالأعلى فيقال : « أفضل الجرمين كالمسلمين ، والفجار كالمؤمنين » ، فلم خولفت القاعدة !

ويقال : فيه وجهان :

أحدهما : أن الكفار كانوا يقولون : نحن نسود في الآخرة ، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعا لنا ، فكما أعزنا الله في هذه الدار يمزنا في الآخرة ، فجاء الجواب على معتد أنهم أعلى ، وغيرم أدنى .

الثانى : لما قيل قبل الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ

ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا^(١)؛ أى يظنون أن الأمر يهمل، وأن لاحشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك، ولكن يظنون أنا مجمل للؤمنين كالمجرمين، والمقتين كالنجار.

السادسة: أن التشبيه في القدم يشبه الأعلى بالأدنى، لأن القدم مقام الأدنى، والأعلى ظاهر عليه فيشبه به في السلب، ومنه قوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ^(٢)﴾، أى في النزول لا في العلو.

ومنه: ﴿أَمْ يَحْمِلُ الْمُنْفِقِينَ كَالْحِجَارِ^(٣)﴾ أى في سوء الحال؛ وإذا كان في للدح يشبه الأدنى بالأعلى فيقال: تراب كالسك، وحمى كاليقوت، وفي القدم: مسك كالتراب ويقوت كالزجاج.

السابعة: قد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ^(٤)﴾. فإن التقدير: ومثل واعظ الذين كفروا، فالمشبه الواعظ، وللقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناثق للأغنام، وهى لا تنقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه، وإنما وقع التشبيه على النعم التى ينطق بها الراعى، ويمدّ صوته إليها، وفيه جوه: أحدها: أن المعنى: مثل الذين كفروا كمثل النعم لا تفهم نداء الناق، فأضاف المثل إلى الناق، وهو فى المعنى المنعوق به، على القلب.

ثانيها: ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك، كمثل الذى ينطق، أى مثلهم فى الإعراض

ومثلنا في الدعاء والإرشاد ، كمثل الناقب بالغم ، فحذف للثل الثاني كفاء بالأول ، كقوله :
 ﴿سَرَّائِيلَ يَقِينُكُمْ الْخُرُ﴾^(١) .

ونالها : أن للغي : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام - وهي لا تمقل ولا تسمع -
 كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ؛ وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بـ « ينعق » و « لا » تؤكد
 الكلام ، ومستانها الإلقاء .

رابعا : أن للغي ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واستعزازهم
 بإياها ، كمثل الراعي الذي ينعق بشفة ناديا ، فهي تسمع نداء ولا تفهم معنى كلامه ،
 فيشبه من يدعو الكفار من للمبوعات من ذون الله بالغم من حيث لا تمقل الخطاب .
 وهذا قريب من الذي قبله ، ويفترقان في أن الأول يقتضى ضرب للثل بما لا يسمع
 الدعاء والنداء جملة ، ويجب صرفه إلى غير الغم ، وهذا يقتضى ضرب للثل بما لا يسمع
 الدعاء والنداء جملة ، وإن لم يفهمها ، والأصنام - من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة -
 يجب أن يكون داعيا ناديا أسوأ حالا من منادى الغم . ذكر ذلك الشريف للارتضى
 في كتاب « غرر الفوائد »^(٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿كَسَلٌ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ...﴾^(٣) الآية ، وإنما وقع التشبيه
 على الحرث اقوى أهلكته الريح ، قيل فيه إخمار ، أى مثل إهلاك ما ينفقون كمثل
 إهلاك ريح .

قال تلمب : فيه تهديم وتأخير ، أى كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح
 فيها صر فأهلكته .

(١) سورة التحل ٨١

(٢) وهو الكتاب المعروف بأمانى للارتضى ٢١٧ : ٢١٨ -

(٣) سورة آل عمران ١١٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَصِبِّ
آلِهِ ﴾^(١) ، فإنَّ التقدير : كما يحب المؤمنون الله ، قال : وحذِفَ الفاعل ، لأنه غير ملتبس .
واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك ، فإنَّ المعنى حاصل بتقديره مبنيا للفاعل .
وأجيب بأنه تقدير معنى ، لكنَّ محافظةً على اللفظ فلا يقدَّرُ الفاعل ، إذ الفاعل في
باب المصدر فضلة ، فلذلك جعله كذلك في التقدير .

الاستعارة

هي من أنواع البلاغة ، وهي كثيرة في القرآن ، ومنهم من أنكره ؛ بناء على إنكلز
المجاز في القرآن ، والاستمارة مجاز ، وقد سبق تقديره . ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي
إطلاق لفظ الاستمارة فيه ، لأن فيها إيحاء الحاجة ، وهذا كما منع بعضهم لفظ : القرآن
مخلوق ، وهو لا ينكر وقوع المجاز ، والاستمارة فيه إنما توقف على إذن الشرع .

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإبهام ؛ وقد يعمون الإبهام للذكور
لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب الفصاحة .

وقال الطرطوسي^(١) : إن أطلق للسلدون الاستمارة فيه أطلقناها وإن امتنوا
امتنتا ؛ ويكون هذا من قبيل أن الله تعالى عالم ، والعلم هو العقل ، ثم لا نصِّفه به
لعدم التوقيف . انتهى .
والشهور تجويز الإطلاق .

[مباحث الاستعارة]

ثم فيها مباحث :

الأول

وهي « استعمال » ، من العارية ، ثم قلت إلى نوع من التخيل^(٢) لقصد للبانة

(١) هو القاضي نجم الدين إبراهيم بن علي الطرطوسي المتوفى سنة ٧٥٨ ، صاحب كتاب عمدة المحكام
فيها لا يتخذ من الأحكام ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٢) ت : « التخيل » .

في الضمير والتشبيه مع الإيجاز؛ نحو قيت أسداً، وتنفى به الشجاع.
وحقيقتها أن نستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة
ذلك إظهار الخفي، وإيضاح الظاهر الذي ليس يعلم، أو يحصل للبانة أو للجموع.
فمثال لإظهار الخفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^(١)، فإن حقيقته أنه في
أصل الكتاب؛ فاستعير لفظ «الأم» للأصل؛ لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ
القروع من الأصول. وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمروء حتى يصير مروءاً، فيفضل السامع
من حد السامع إلى حد البيان؛ وذلك أبلغ في البيان.

ومثال لإيضاح ما ليس يعلم ليصير جلياً، قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الْقُلُوبِ﴾^(٢)؛ لأن للراد أمر الولد بالقل لوالديه رحمة؛ فاستعير للولد أولاً جانب، ثم
جانب جناح؛ وتقدير الاستمارة القرية: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَانِبَ الْقُلُوبِ»، أي اخفض
جانبك ذلاً.

وحكمة الاستمارة في هذا جعل ما ليس بمروءاً؛ لأجل حسن البيان، ولما كان
للراد خفض جانب الولد للوالدين؛ بحيث لا يئني الولد من القل لها والاستمارة مركبة؛
احتيج من الاستمارة إلى ما هو أبلغ من الأولى؛ فاستعير الجناح، لما فيه من اللعان التي لا تحصل
من خفض الجناح؛ لأن مَنْ مَيَّلَ جَانِبَهُ إِلَى جِهَةِ السُّفْلِ أَذْنَى مِيلٍ، صدق عليه أنه خفض
جانبه؛ وللراد خفض يلصق الجنب بالإبط؛ ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر؛
وأما قول أبي تمام:

لَا نَسْتَقِي مَاءَ السَّلَامِ فَمَنْ نَقَى صَبَّ قَدْ اسْتَضْبِطَ مَاءَ بَكَافٍ^(٣)
فيقال: إنه أرسل إليه فارودة، وقال: ابست إلى فيها شيئاً من ماء اللام؛ فأرسل

(٢) سورة الإسراء ٢٤

(١) سورة الزخرف ٤

(٣) ديوانه ١ : ٢٥

أبو تمام : أن أبنت لي ريشة من جناح الذلّ أبنت إليك من ماء لللام .
وهذا لا يصحّ له تلاقى به ، والفرق بين التشبيهين ظاهر ؛ لأنه ليس جعل الجناح للذلّ
كجعل الماء لللام ، فإن الجناح للذلّ مناسب ؛ فإن الطائر إذا وهى وتمب بسط جناحه
والتي قسه إلى الأرض . وللإنسان أيضاً جناح ؛ فإن يديه جناحاه ، وإذا خضع وأستكان
يطلألى من رأسه ، وخفض من بين يديه ، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذلّ ، وصار
شبهاً مناسباً ، وأما ماء لللام فليس كذلك في مناسبة التشبيه فلذلك استهجن منه . على أنه
قد يقال : إن الاستمارة التخيلية فيه تابعة للاستمارة بالكناية ؛ فإن تشبيه اللام بظرف
الشراب لاشتماله على ما يكرهه الشارب لمرارته ، ثم استمار اللام له كآتاه ، ثم يخرج منه شيء
يشبه بلأه ؛ فالاستمارة في اسم الماء .

الثاني

في أنها قسم من أقسام المجاز ؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له .
وقال الإمام غفر الدين : ليس بمجاز لعدم النقل . وفي الحقيقة هي تشبيه محذوف الأداة
لفظاً وتقديراً ؛ ولهذا حذوها بعضهم بادعاء معنى الحقيقة في الشيء ، مبالغة في التشبيه .
كقولهم : انشقت عصام ؛ إذا تفرقوا ، وذلك للعصا لا للقوم ، ويقولون : كشفت الحرب
عن ساق .

ويؤثران في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة فلا خفاء أنه تشبيه ؛ ويرى حذفنا
يلتبس بالاستمارة ؛ فإذا ذكرت للشبه كقولك : زيد الأسد ، فهذا تشبيه بليغ ، كقوله
تعالى : ﴿ مِمَّنْ بَنَیْكُمْ عُصَى ﴾ ^(١) ، وإن لم يذكر المشبه به فهو استمارة ، كقوله :
لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السِّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لِيَدُ أَغْفَارِهِ لَمْ تَقْلَمْ ^(٢)

(٢) البيت لزهير من اللطعة ؛ ديوانه ٢٣ .

(١) سورة البقرة ١٨

شاكى السلاح ؛ أى سلاحه ذو شوكة ، أى شاكك . وللفظ : التليط اللحم . واليد : الشعر الثرائم
فوق من الأسد .

فهذه استعارة قلت لها وصف الشجاع ؛ إلى عبارة صالحة للأسد ، لولا قرينة السلاح
لشككت : هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضارى ؟

الثالث

لا بد فيها من ثلاثة أشياء أصول : مستعار ، ومستعار منه ، وهو اللفظ ؛ ومستعار له
وهو المعنى ؛ ففى قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَقَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ^(١) المستعار الاشتغال ، والمستعار
منه النار ، والمستعار له الشيب ، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار
ليبيض الشيب .

وفائدة ذلك وحكته وصف ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر . وأصل الكلام
أن يقال : واشتعل شيب الرأس ؛ وإنما قلب للبيانة ؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع
الرأس ؛ ولو جاء الكلام على وجهه لم يند ذلك السوم . ولا يحنى أنه أبلغ من قولك : كثر
الشيب فى الرأس ؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى ؛ والحق أن المعنى يمار ؛ أولاً ثم بواسطته يمار
اللفظ ، ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان الشبه مقروراً بينهما ظاهراً ؛ وإلا فلا بد من
التصريح بالشبه ؛ فلو قلت : رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قوله :
« مثل المؤمن كمثل النخلة » أو « الخامة » لكنت كالمفتر ^(٢).

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ^(٣) ؛ وحقيقته « بدأ
انتشاره » و « تنفس » أبلغ ؛ فإن ظهور الأنوار فى الشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً ،
بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة .

(١) سورة مريم ٤

(٢) ما حديثان نقلهما السيوطى فى الجامع الصغير ٢: ٢٦٦ ؛ أحدهما عن أبى هريرة : « مثل المؤمن كمثل
خامة الزرع من حيث أنها الريح كفتأتها ، فإذا سكنت اعتسلت ؛ وكذلك المؤمن يكفأ باللاء ، ومثل القاجر
كالأرزة مياه مستدة ؛ حتى يصبها الله تعالى إذا شاء » . وثانيهما عن ابن عمرو : « مثل المؤمن مثل
النخلة ، إن أكلت أكلت طيباً ؛ وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن وقت على عدد نحر لم تكسره ،
ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن تفتت عليها احترت ، وإن وزنت لم تنقص » .

(٣) سورة التكاوير ١٨

وقوله: ﴿الْأَيْلُ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾^(١)، لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه،
ويزول عنه حالا غلّا، كذلك اغصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الاغصال لما
فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٢).

﴿سَلَسَمَهُ عَلَى الْغُرْطُومِ﴾^(٣).

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾^(٤)، ويقولون للرجل للذئب: إنما هو حمير.

وقوله: ﴿وَالْتَفَتِ السَّقَى بِالسَّقَى﴾^(٥).

﴿أَيْنَمَا لَرَدُّوْهُمْ فِي الْخَافِرَةِ﴾^(٦)، أى فى الخلق الجديد.

﴿بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(٧).

﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٨).

﴿لَنَسْفَقًا بِالْأَنفِيسِ﴾^(٩).

﴿وَأَمْرًا لَهُمْ جَمَلًا أَلْطَفَ﴾^(١٠).

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(١١).

﴿وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(١٢).

-
- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) سورة يس ٣٧ | (٢) سورة الكهف ٢٩ |
| (٣) سورة نون ١٦ | (٤) سورة الدثر ٥٠ |
| (٥) سورة القيامة ٢٩ | (٦) سورة التازط ١٠ |
| (٧) سورة الطنن ١٤ | (٨) سورة البلد ٤ |
| (٩) سورة الطلق ١٥ | (١٠) سورة البلد ٤ |
| (١١) سورة النحل ٢٩ | (١٢) سورة النكيت ٦٧ |

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(١) .
 ﴿أَلَا إِنَّا طَارِفُونَكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ﴾^(٢) ، وللراد حفظهم وما يحصل لهم .
 وقوله تعالى : ﴿أَفِرَّ الصَّلَاةَ﴾^(٣) ، أى أتمها كما أمرت .
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾^(٤) ، أى عصمك منهم ، رواه شعبة عن أبيه
 وجاء عن الحسن .

﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾^(٥) .
 ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾^(٦) .
 ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾^(٧) .
 ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٨) .
 ﴿بَلْ قَدْ فَحَفُفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْمِقُهُ قَدْ ذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾^(٩) ، فالتمغ
 والتخفف مستعار .

﴿فَفَرَرْنَا عَلَىٰ أَذَانِهِمْ﴾^(١٠) ، يريد لا إحساس بها ، من غير صمم .
 وقوله : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(١١) ، فإنه أبلغ من « يُلَغ » ، وإن كان بمعناه ،
 لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ ؛ فقد لا يؤثر التبليغ ، والصدع يؤثر جزما .

(٢) سورة الأعراف ١٣١

(٤) سورة الإسراء ٦٠

(٦) سورة الأنعام ٥٩

(٨) سورة الإسراء ١٢

(١٠) سورة الكهف ١١

(١) سورة الصراء ٢٢٥

(٣) سورة الإسراء ٧٨

(٥) سورة الزخرف ٤

(٧) سورة الأعراف ١٥٤

(٩) سورة الأنبياء ١٨٠

(١١) سورة المجبر ٩٤

الرابع

تنقسم إلى مرشحة - وهي أحسنها - وهي أن تنظر إلى جانب للمستشار وتراعيه ، كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ ^(١) ، فإن للمستشار منه القى هو الشراء هو للرأى هنا ، وهو الذى رشح لفظى الربح والتجارة للاستشارة لما بينهما من اللامعة .

وإلى تجريدية ؛ وهي أن تنظر إلى جانب المستشار ، ثم تأتى بما يناسبه ويلائمه ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ ^(٢) ، فالمستشار اللباس ، والمستشاره الجوع ، فبعد الاستشارة ، بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستشاره وهو الجوع ، لا المستشار وهو اللباس ، ولو أراد ترشيحها قال : وكساها لباس الجوع . وفى هذه الآية مراعاة المستشاره ؛ الذى هو المعنى ، وهو الجوع والخوف ؛ لأن ألها يذاق ولا يلبس .

وقد نبه على ملاحظة المستشار الذى هو اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا أَنَّهُ حَمَلَةٌ الْخَلْبِ ﴾ ، إذا حملنا الخلب على النجمة فاعتبر اللفظ قال : « حمالة » ولم يقل : « راوية » فيلاحظ المعنى .

وأما الاستشارة بالكناية فهي ألا يصريح بذكر المستشار ، بل تذكر بعض لوازمه تنبها به عليه ، كقوله : شجاع يقتدرس أقرانه ، وعالم يفترق منه الناس ، تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر .

ومنه إجاز العقل كله عند السكاكى .

ومن أقسامها - وهو دقيق - أن يسكت عن ذكر المستعار ثم يوصي إليه بذكر شيء من نوابه ورواده ؛ تنبيها عليه ، فيقول : شجاع يقتل أقارنه ، فنبهت بالافتراض على أنك قد استعرت له الأسد .

ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ^(١) ، فنبهه بالنقض انتهى هو من نوابج الحيل ورواده ، على أنه قد استعار للعهد الحيل لما فيه من باب الوصية بين المتعاهدين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ ^(٢) ، لأن حقيقة « عملنا » لكن « قدِمنا » أبلغ ؛ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة التلذذ من سفره ؛ لأنه من أجل إهمالهم السابق عاملهم ؛ كما يفعل النائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمر به . وفي هذا تحذير من الاعتراض بالإهمال .

وقوله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَتَّيْنَاهُ سَحَابًا مَخْلُبًا ﴾ ^(٣) ، لأن حقيقة « طنى » علا ، والاستمارة أبلغ ، لأن « طنى » ، علا قاهرا .

وكذلك : ﴿ يَرْجِعُ صَرْصَرًا نَبِيًّا ﴾ ^(٤) ، لأن حقيقة « عاتية » شديدة ، والمتو أبلغ ، لأنه شدة فيها تمرد .

وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْغُولًا إِلَىٰ عُنُقِكَ ... ﴾ ^(٥) ، الآية ؛ وحقيقته : لا تمنع ما تملك كل للنع ، والاستمارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غلّ البدين إلى العنق ، وحال النلول أظهر .

(٢) سورة الفرقان ٢٣

(٤) سورة الحاقة ٦

(١) سورة البقرة ٢٧

(٣) سورة الحاقة ١١

(٥) سورة الإسراء ٢٩

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ^(١) ، قيل : أخرجت ما فيها من السكون .

وقيل : يحى به اللوى ، وأنها أخرجت موتها ، فحى اللوى قولا تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن ؛ لأن الحمل يسى قولا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَهْلَتْ ﴾ ^(٢) .

ومنها : جعل الشيء لشيء وليس له من طريق الادعاء والإحاطة به نافذة فى آيات الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٤) . ويسى التخيل : قال الزمخشري : ولا تعبد بأيا فى علم البيان أدق ولا أعون فى تامل الشبهات منه ، وأما قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ^(٥) قال الفراء : فيه علامة أوجه :

أحدها : أنه جعل ظاهرها رؤوس الشياطين فى التقيح .

والثانى : أن العرب تسمى بعض الحيات شيطانا ، وهو ذو القرن .

والثالث : أنه شوك قبيح للنظر ، يسى رؤوس الشياطين .

فلى الأول يكون تخيلا ، وعلى الثانى يكون تشبيها غصصا .

تقسيم آخر

الاستمارة فرع التشبيه ، فأنواعها كأنواعه خمسة :



(٢) سورة الأعراف ١٨٩

(٤) سورة الزمر ٦٧

(١) سورة الزلزلة ٢

(٣) سورة الفراء ١٤

(٥) سورة الصافات ٦٠

الأول : استمارة حتى لحق بوجه حتى ، كقوله تعالى : ﴿ وَاشْتَقَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(١) ؛ فإن الستار منه هو النار ، والستار له هو الشيب ، والوجه هو الانبساط ؛ فالمرآن حسيان والوجه أيضا حتى ، وهو استمارة بالكناية ؛ لأنه ذكر التشبيه ، وذكر المشبه وذكر الشبه به مع لازم من لوازم المشبه به ؛ وهو الاشتغال .

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾^(٢) أصل اللوج حركة للياء ؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستمارة .



الثاني : حتى لحق بوجه عقى ، كقوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(٣) . فالستار له الريح . والستار منه المرأة ، وهما حسيان ، والوجه النع من ظهور النتيجة^(٤) ، والأثر وهو عقى وهو أيضا استمارة بالكناية .

قال في الإيضاح^(٥) : وفيه نظر ، لأن المقيم صفة للمرأة لا اسم لها ؛ ولهذا جل صفة للريح ، لا اسما . ولحق أن الستار منه مافى المرأة من الصفة التي تمنع من التحيل والستار له ما فى الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإقلاع شجر [والجامع لهما ما ذكر]^(٦) . وهو منقطع بالنهاية ، لأن المراد من قوله : « الستار منه » المرأة التي عيرتها بالقيم ، ذكرها السكاكي بلفظ ما صدق عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنبَلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٧) ، الستار له ظلمة النهار من ظلمة الليل ، والستار منه ظهور السلوخ عند جهته ، والجامع عقى وهو ترتب أحدها على الآخر .

(١) سورة مريم ٤	(٢) سورة الكهف ٩٩
(٣) سورة القاريات ٤١	(٤) ت، م؛ التفعة؛ وما أتته عن الإيضاح ٢ : ٢٩٧
(٥) الإيضاح ٧ : ٩٧	(٦) من كتب الإيضاح .
(٧) سورة هـ ٢٧	

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَنْفِنِ بِالْأَمْسِ ﴾^(١) ، أصل الحصيد النبات والجامع الملاك ، وهو أمر عقلي .

الثالث : معقول لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ بَشَّرْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾^(٢) ، فالرقاد مستعار للموت ؛ وها أمران معقولان ، والوجه عدم ظهور الأفعال ؛ وهو عقلي ، والاستعارة تصريحية لكون للشبه به مذكورا .

وقوله : ﴿ وَلَكَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ ﴾^(٣) المستعار السكوت ، والمستعار له الفضب ، والمستعار منه الساكت ، وهذه ألفاظ الاستعارات ، لأنها استعارة معقول لمقول ، لشاركته في أمر معقول .

الرابع : محسوس لمقول ، كقوله تعالى : ﴿ مَسْتَهُمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾^(٤) ، أصل التماس في الأجسام ، فاستعير لتماما الشدة ، وكون للستار منه حسيا ، وللمستعار له عقليا ، وكونها تصريحية ظاهرا ، والوجه الحق وهو عقلي .

وقوله : ﴿ بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾^(٥) فالقذف والدمغ مستعاران .

وقوله : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمْ أَقْدَلَهُ أَيْتَنَّا تُحْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ فَنَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾^(٧) .

(٢) سورة يس ٥٢
(٤) سورة البقرة ٢١٤
(٦) سورة آل عمران ١١٢

(١) سورة يونس ٢٤
(٣) سورة الأعراف ١٥٤
(٥) سورة الأنبياء ١٨
(٧) سورة آل عمران ١٨٧

وقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ^(١) وكلّ خَوْضٍ ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخَوْضِ في الماء .
وقوله : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ^(٢) استمارة لبيانه عما أوحى إليه ، كظهور ماء في الأرجاجة عند انصداعها .

وقوله : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ ^(٣) ، البنيان مستعار وأصله للحيطان .
وقوله : ﴿وَيَبْمُوهَا عِوَجًا﴾ ^(٤) العِوَجُ مستعار .
وقوله : ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ^(٥) وكلّ ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار .

وقوله : ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ^(٦) .
﴿الْمَ تَرَأَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾ ^(٧) ؛ الوادي مستعار ، وكذلك الهَيِّمان ، وهو على غاية الإيضاح .
﴿وَلَا تَحْمِلْ يَدَكَ مَقُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ^(٨) .



الخامس : استمارة معقول لحسوس : ﴿إِنَّا لَنَّا طَغَى الْمَاءَ﴾ ^(٩) للستمار منه التكثير ، وللستمار له الماء ، والجامع الاستملاء للفرط .
وقوله : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا يَرِيعُ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ^(١٠) ، العتوّ هاهنا مستعار .

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) سورة الأنعام ٦٨ | (٢) سورة الحجر ٩٤ |
| (٣) سورة التوبة ١٠٩ | (٤) سورة هود ١٩ |
| (٥) سورة إبراهيم ١ | (٦) سورة الفرقان ٢٣ |
| (٧) سورة الشعراء ٢٢٥ | (٨) سورة الإسراء ٢٩ |
| (٩) سورة المائدة ١١ | (١٠) سورة المائدة ٦ |

وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ ^(١) قلقت الغيظ مستمار .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْتَهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٢) ، فهو أفصح من مضيتة .

﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ^(٣) .

ومنها الاستمارة بلفظين ، كقوله تعالى : ﴿ فَوَاكِيرَ أَمِنْ فِضَّةٍ ﴾ ^(٤) ؛ يعنى تلك

الأواني ليس من الزجاج ، ولا من النضة ، بل فى صفاء القارورة وبياض النضة .

وقد سبق عن الفارسيّ جعله من التشبيه .

ومثله : ﴿ فَغَسَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ ^(٥) ، ينهى عن الدوام والسوط ينهى

عن الإيلام ؛ فيكون للراد - والله أعلم - تمذيتهم عذاباً دائماً مؤلماً .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٤) سورة القمر ١٦

(١) سورة الملك ٨

(٣) سورة محمد ٤

(٥) سورة القجر ١٣

التورية

وتسمى الإيهام والتضليل والمغالطة والتوجيه ؛ وهي أن يكلم للكلم بلفظ مشترك بين معنيين : قريب وبعيد ، ويريد للمعنى البعيد ، يوم السامع أنه أراد القريب ؛ مثله قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾^(١) ، أراد بالنجم النبات الذى لا ساق له ، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب ، لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر . وقوله : ﴿ وَهَؤُلَاءِ يَصَلُّونَ فِي الْمِحْرَابِ ﴾^(٢) والمراد المعرفة . وقوله : ﴿ وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمٌ ﴾^(٣) ، أراد بها فى نعمة وكرامة ، والسامع يتوهم أنه أراد من النعمة .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾^(٤) أراد بالأيدى القوة المخلوقة . وقوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾^(٥) ، أى مقرطون جميل فى آذانهم القِرطة ، والمخلوق الذى فى الأذن يسمى قرطاً وخَلْدَةٌ ، والسامع يتوهم أنه من المخلود . وقوله : ﴿ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ عَرَفَهَا هُمْ ﴾^(٦) ، أى علمهم منازلهم فيها ، أو يوم إرادة التعرف ، الذى هو الطيب .

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾^(٧) . وقوله : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَوْحَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ ﴾^(٨) فذكر « رضوان » مع « الجنات » مما يوم إرادة خازن الجنات .

(٢) سورة آل عمران ٢٩

(٤) سورة التلاوات ٤٧

(٦) سورة القتال ٦

(٨) سورة التوبة ٢١

(١) سورة الرحمن ٦

(٣) سورة النازحة ٨

(٥) سورة القمر ١٩

(٧) سورة المائدة ٤

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنًا﴾^(١) أى أرعنا سمعنا وانظر إلينا والكفار يقولونها «فاعل» من الرعونة. وقال أبو جعفر: هى بالعبرانية، فلما عوتبوا قالوا: إنما قول مثل ما يقول المسلمون، فهى للمسلمون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْمُكِيدُ﴾^(٢) قوله: ﴿الوَلِيُّ﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الولي لسياده بالرحمة والنفرة، وقوله: ﴿الحديد﴾ يحتمل أن يكون من «حامد» لسياده للطيمن، أو «محمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه. ويحتمل أن يكون الولي من أسماء للطر، وهو مطر الربيع، والحديد بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الغيث.

وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، فلفظة «ربك» رشحت لفظة «ربة»، لأن يكون تورية؛ إذ يحتمل أنه أراد بها الإله سبحانه واللاك، فلما اقتصر على قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي﴾^(٣)، ولم تدل لفظة «ربة» إلا على الإله فلما تلمست لفظة «ربك» احتمل للمعنيين.

تنبيه

[في الفرق بين التورية والاستخدام]

كثيراً ما تلبس التورية بالاستخدام؛ والفرق بينهما أن التورية استعمال للمعنيين في اللفظ وإعمال الآخر؛ وفي الاستخدام استعمالها مما يقرينتين.

(١) من قوله تعالى في سورة البقرة ١٠٤:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا نَنْظُرُكُمْ وَأَتَمِّمُوا﴾.

(٢) سورة الشورى ٢٨

(٣) سورة يوسف ٤٢

وحاصله أن للشرك إن استعمل في مفهومين معا فهو الاستغلام ؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطنا فهو التورية .

ومثال الاستغلام قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ ﴾ ^(١) ، فإن لفظة « كتاب » يراد بها الأمد المحكوم والكتوب ، وقد توسطت بين لفظتين ، فاستغلت أحدهما مضمينا ، وهو الأمد واستغلت « يمحو » للمفهوم الآخر ، وهو للكتوب . وقوله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ ^(٢) ؛ فإن الصلاة تمحل لإرادة نفس الصلاة ، وتمحل لإرادة موضعها قوله : ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا ﴾ ^(٣) استغلت لإرادة نفس الصلاة ، وقوله : ﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ ^(٤) ، استغلت لإرادة موضعها .

التجريد

وهو أن تصد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مبين له، فتخرج ذلك إلى أفعاله بما احتلت ذلك، كقولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين معه الأسد، ولئن سأله لتسألن معه البحر. فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبمراً وهو عينه هو الأسد والبحر؛ لا أن هناك شيئاً مضملاً عنه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات، وهو عينه وهذه تلك الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وإنما هذا ناب عن قوله: «وَأَعْلَمُ أَنِّي عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٣)؛ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤).

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْغُلْدِ﴾^(٥)، ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلده وغير دار خلده، بل كلها دار خلده؛ فكأنك لما قلت: في الجنة دار الغلدة اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم ودار أكل وشرب وغلده، فجدت منها هذا الواحد، كقوله: «وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُنَفِّسُوا حَكْمٌ عَدْلٌ».

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٦)، على أحد

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠

(٤) سورة الأحزاب: ٢١

(٣) سورة آل عمران: ١٩٠

(٥) سورة ق: ٣٧

التأويلات في الآية عن ابن مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة، وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة، قال ابن عطية: في تفسيره هذه الآية: إن نطفة الإخراج في تنقل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما قول في صبي جيد البنية: يخرج من هذا رجل قوى.

وقد يحتمل قوله: ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْكَبْرِ﴾^(١)، أي الحيوان كله ميتة، ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد.

وذكر الزخشري أن عمرو بن عبيد قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٢)، بالرفع، بمعنى حصلت منها [سما] ^(٣) ورْدَة، قال: وهو من التجريد. وقرأ علي وابن عباس في سورة مريم: ﴿يَرْبُّنِي وَإِثْمِي مِنْ آلٍ يَعْتُقُونَ﴾^(٤)، قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْبُّنِي منه وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكانه جرد منه وارثاً.

(٢) سورة الرحمن ٣٧، وانظر الكشاف ٤: ٣٥٨

(٤) سورة مريم ٦

(١) سورة الأنعام ٩٥

(٣) من الكشاف.

التجْنِيسُ

وهو إما بأن تساوى حروف الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقِيمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾^(١) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ . فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾^(٢) ؛ وفي ذلك رد على من قال^(٣) : ليس منه في القرآن غير الآية الأولى .

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾^(٤) .

وإما لاحق ، بأن يختلف أحدا الحرفين ، كقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِيُحِبُّ أَخْذَ الْعَذَابِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٥) .

﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾^(٦) .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾^(٧) .

﴿ بَيَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِفَيْسِرِ الْحَقِّ وَبَيَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾^(٨) .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ ﴾^(٩) .

وإما في الخطأ ، وهو أن تشبها في الخط لا اللفظ ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(١٠) .

(٢) سورة الصافات ٧٢ ، ٧٣

(١) سورة الروم ٥٥

(٣) هو ابن الأثير صاحب اللؤلؤ السائر ؛ ذكره في الجزء الأول ص ٢٤٦

(٥) سورة العاديات ٧ ، ٨

(٤) سورة القيامة ٢٩ ، ٣٠

(٧) سورة الأنعام ٢٦

(٦) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٩) سورة النساء ٨٣

(٨) سورة ظفر ٧٥

(١٠) سورة الكهف ١٠٤

وقوله : ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ^(١) .
وأما في السمع قرب أحد الحرجين من الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ
نَافِذَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَافِثَةٌ ﴾ ^(٢) .

تَسْمِيَّات

الأول : نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى وقال : عندي ^(٣) أنه ليس
بتعجيس أصلا ، وأن الساعة في اللوامين بمعنى واحد ، والتعجيس أن يفتق اللفظ
ويختلف المعنى ، وألا تكون إحداها حقيقة والأخرى مجازا ؛ بل تكونا حقيقتين ؛ وإن
زمان القيامة - وإن طال - لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة ؛ لأن قدرته
لا يجزئها أمر ، ولا يطول عندها زمان ؛ فيكون إطلاق لفظ « الساعة » على أحد اللوامين
حقيقة ، وعلى الآخر مجازا ؛ وذلك يخرج الكلام من التعجيس ؛ كما لو قلت : ركب
حمارا ، ولقيت حمارا ، وأردت بالثاني البليد . وأيضا لا يجوز أن يكون المراد بالساعة
الساعة الأولى خاصة ؛ وزمان البعث ، فيكون لفظ الساعة مستعملا في اللوامين حقيقة
بمعنى واحد ؛ فيخرج عن التعجيس .

الثاني : يقرب منه الاقتضاب ، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللفظ ،
كقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ ﴾ ^(٤) .
وقوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(٥) .
وقوله : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣

(٤) سورة الروم ٤٣

(٦) سورة الواقعة ٨٩

(١) سورة الشعراء ٧٩ ، ٨٠

(٣) انظر الفلك السائر ١٣

(٥) سورة البقرة ٢٧٦

وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْشَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاهُ عَرِيضٍ﴾^(١).

﴿قَالَ إِنِّي لَمَمْلِكٌ مِنْ أَتَالَيْنِ﴾^(٢).

﴿وَجَعَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾^(٣).

﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾^(٤).

﴿تَقَلَّبَ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٥).

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾^(٦).

﴿أَنَا قَدْ كُنْتُ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٧).

الثالث: اعلم أن الجناس من الحاسن اللفظية لا للمعنوية، ولهذا تركوه عند قوة المعنى بقره؛ ولذلك مثالان:

أحدهما قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَمَلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٨)، فذكر الرازي في تفسيره^(٩) أن الكاتب للقلب بالرشيدى، قال: لو قيل: «أَتَدْعُونَ بَمَلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» [أوهم أنه أحسن، لأنه كان]^(١٠) تحصل به رعاية معنى التبعين أيضاً؛ مع كونه موازاً لـ «تذرون».

وأجاب الرازي: بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكلفات، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ.

وقال بعضهم: مراعاة للمعاني أولى من مراعاة الألفاظ، فلو كان «أَتَدْعُونَ»

(٢) سورة الشعراء ١٦٨

(٤) سورة يوسف ٨٤

(٦) سورة الأنعام ٧٩

(٨) سورة الصافات ١٢٥

(١٠) من تفسير الفخر الرازي.

(١) سورة فصلت ٥١

(٣) سورة الرحمن ٥٤

(٥) سورة النور ٣٧

(٧) سورة التوبة ٣٨

(٩) تفسير الفخر الرازي ٧ : ١٠٩

« وتدعون » كما قال هذا القائل لوقم الإبل على القارى فيجعلها بمعنى واحد تصحيفا منه،
وحينئذ فينخرم اللفظ، إذا قرأ و « تدعون » الثانية بكون الالف؛ لاسيما وخط المصحف
الإمام لا ضبط [فيه] ولا قط .

قال : وبما صحف من القرآن بسبب ذلك وليس قراءة قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾^(١) بالسین للمهمة .

وقوله : ﴿ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾^(٢) بالباء للوحدة .

وقوله : ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُفْنِيهِ ﴾^(٣) بالعين للمهمة .

وقرأ ابن عباس « مَنْ فرعون » على الاستفهام .

قلت : وأجاب الجويني عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه : أن « يذر » أخص من
« يدع » وذلك لأن الأول ، بمعنى ترك الشيء اعتناء ، بشهادة الاشتقاق ، نحو الإيداع ،
فإنه عبارة عن ترك الودعة مع الاعتناء بحالها ، ولهذا يختار لها مَزْهُو مؤتمن عليها ؛ ومن ذلك
الذمة بمعنى الراحة . وأما « تذر » فمساها الترك مطلقا ، والترك مع الإعراض^(٤) والرفض
الكلّي ؛ ولا شك أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول ؛ فأريد هنا تبشيع سالم
في الإعراض عن ربه ، وأنهم بلغوا الناية في الإعراض .

قلت : ويؤيده قول الراغب^(٥) : يقال : فلا يذر الشيء أى يقذفه لقلة الاعتداد به^(٦) .

وَالْوَزْنُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ [وتسميتها بذلك]^(٧) لقلة الاعتداد به ؛ نحو قولهم [فيم لا يندبه]^(٨) : هو
لحم على وزنم ، قال تعالى : ﴿ أَجِئْتَنَا لَعَنَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَنَذَرْنَا مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٩) وقال تعالى :
﴿ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ ﴾^(١٠) . ﴿ نَذَرُهُمْ وَمَا يَسْتُرُونَ ﴾^(١١) ﴿ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنْ آَرَءَابَا ﴾^(١٢)

(١) سورة الأعراف ١٥٦

(٢) سورة عبس ٣٧

(٣) في المفردات ٥٣٩ مع تصرف في الباء ؛ وتقديم وتأخير .

(٤) في المفردات : « لقلة اعتداده به » .

(٥) من المفردات .

(٦) سورة الأعراف ١٢٧

(٧) سورة الأنعام ١١٢

(٨) سورة البقرة ٢٧٨

(٩) سورة الأعراف ١٥٦

(١٠) سورة عبس ٣٧

(١١) في المفردات ٥٣٩ مع تصرف في الباء ؛ وتقديم وتأخير .

(١٢) من المفردات .

(١٣) سورة الأعراف ١٢٧

(١٤) سورة الأنعام ١١٢

(١٥) سورة البقرة ٢٧٨

(١٦) سورة الأعراف ١٢٧

ولما قال: ﴿يَذَرُونَ﴾ ولم يقل «يتركون» و«يُخَلِّقُونَ» قللك . انتهى .
وعن الشيخ كمال الدين بن الزمكاني أنه أجاب عن هذا السؤال بأن التجنيس تحسين،
ولما يستعمل في مقام الوعد والإحسان ؛ وهذا مقام تهويل ، والتصد فيه للنفى ، فلم يكن
لمراعاة اللفظة فائدة .

وفيه نظر ، فإنه ورد في قوله : ﴿وَيَوْمَ تَهُومُ السَّاعَةُ﴾^(١) .
للتال الثاني : قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٢) قال :
معناه : وما أنت مصدق لنا ، فيقال : ما الحكمة في المدول عن الجناس ، وهلا قيل :
« وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين » ، فإنه يؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية
التجنيس اللفظي ؟

والجواب أني «مؤمن لَنَا» من للنفى ما ليس في «مصدق» ، وذلك أنك إذا قلت :
« مصدق لي » فمعناه . قال لي : صدقت ، وأما « مؤمن » فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن ،
ومقصودهم التصديق وزيادة ، وهو طلب الأمن ؛ فلهذا عدل إليه .

فأمل هذه الطائفت الغربية ، والأسرار المجيبة فإنه نوع من الإيجاز !

فائدة

قال الخفاجي : إذا دخل التجنيس تقى عِدَّة طباقا ، كقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ﴾^(٣) ، لأن «الذين لا يملكون» هم الجاهلون ، قال :
وفي هذا يخلط التجنيس بالطباق .

(٢) سورة يوسف ١٧

(١) سورة الباقية ٢٧

(٣) سورة الزمر ٩

الطَّبَاق

هو أن يُجمع بين متضادين مع مراعاة الضابل ، كالبياض ، والسواد ، والليل والنهار؛ وهو قسمان : لفظي ومعنوي؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(١)، طابق بين الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

ومثله : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(٢) .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^(٣) .

﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ أَفْكَارًا وَمِنْ مُّذْمَذَمٍ رُّفُودٍ﴾^(٤) .

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿تَوَلَّى الْمَلِكُ مَن نَّشَاءُ وَتَنَزَّعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ نَّشَاءُ . . .﴾^(٦) الآية .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ . وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٧) .

ثم إذا شرط فيها شرط وجب أن يشترط في ضدتيهما ضد ذلك الشرط ، كقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . . .﴾^(٨) الآية ، لما جعل التعبير

(١) سورة التوبة ٨٢

(٢) سورة الحديد ٢٣

(٣) سورة النجم ٤٣ ، ٤٤

(٤) سورة الكهف ١٨

(٥) سورة الرعد ١٠

(٦) سورة آل عمران ٢٦

(٧) سورة فاطر ١٩ - ٢٧

(٨) سورة الليل ٦ ، ٥

مشتركا بين الإعطاء والتقى والتصديق ، وجعل ضده وهو التعبير مشتركا بين أضداد تلك الأمور ، وهى النع والاستغناء والتكذيب .

ومنه : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ^(١) ، قَائِلٌ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْدُنُو .
وقوله : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(٣) ، فذكر الليل والنهار وهما ضدان ، ثم قايها بضدين وهما الحركة والسكون ، على الترتيب ، ثم عبر عن الحركة بلفظ « الإرداف » فاستلزم الكلام ضربا من الحسن زائدا على البالغة ، وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ « اجزاء الفضل » ليكون الحركة تكون للمصلحة دون للفسدة ؛ وهى تسير إلى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على راحة العقل ، وسلامة الحس ، وإضافة الظرف إلى تلك الحركة المحصورة واقمة فيه ، لينتهى للتحرك إلى بلوغ المأرب .

ومن الطباق المعنوى قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٤) ، معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون .

وقوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ ^(٥) ، قال أبو على : فى « الحجة » : لما كان البناء رفعا للمبنى قول بالفرش القى هو على خلاف البناء ، ومن ثم وقع البناء على ما فيه ارتفاع فى نصيبه إن لم يكن مدرا .

(٢) سورة النازية ١٣ ، ١٤

(٤) سورة يس ١٠ ، ١٦

(١) سورة المائدة ٢٢ و ٢٣

(٣) سورة القصص ٧٣

(٥) سورة البقرة ٢٢

ومنه نوع يسمى الطباقي الخفي ؛ كقوله تعالى : ﴿ تَمَّا حَطَلْنَاهُمْ أَغْرَقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا ﴾ ^(١) ، لأن الفرق من صفات الماء ، فكأنه جمع بين الماء في النار والنار ، قال ابن منذر ^(٢) : وهي أخفى مطابقة في القرآن .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ ^(٣) ؛ فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر ، وهذا أيضاً فيه تدييج بديهي .

ومنه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ^(٤) ، لأن معنى القصاص القتل ، فصار القتل سبب الحياة .

قال ابن المنز ^(٥) ؛ وهذا من أملح الطباقي وأخفاه .

وقوله تعالى في الزخرف : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ^(٦) ؛ لأن « ظَلَّ » لا تستعمل إلا نهاراً ، فإذا لمع مع ذكر السواد كأنه طباقي يذكر البياض مع السواد .
وقوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَالِي أَذْهَبَكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ^(٧) .

(٢) هو الأمير أسامة بن منذر ؛ أحد أبطال

الإسلام وأصحابهم وعمراتهم ؛ وصاحب كتاب لباب الآداب ، والبدیع فی قد الشعر . توفي سنة ٥٨٤ .

(٤) سورة البقرة ١٧٩

(٣) سورة يس ٨٠

(٥) هو عبد الله بن المنز الحليفة الباسي ، وصاحب كتاب البدیع ؛ توفي سنة ٢٩٦

(٧) سورة ظفر ٤١

(٦) سورة النحل ٥٨

المقابلة

[مباحث للفتاوى]

وفيها مباحث :

الأول : في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ، ويخالفه في بعضها ، وهي من باب « المقابلة » ، كالمقابلة والمضاربة ، وهي قريبة من الطباق ؛ والفرق بينهما من وجهين :
الأول : أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا .

والثاني : لا يكون الطباق إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها ؛ ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة .

الثاني : في أنواعها

وهي ثلاثة : نظري ، وضيئي ، وخلق . والخلق أعمها في التشكيك ، وأزومها بالآويل ، والضيئي ثانيها ، والنظري ثالثها .

وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلي : أن القرآن كله وارد عليها بظهور نكته الحكيمية العلمية ، من الكائنات والزمانيات والوسائط الروحانيات والأوائل الإلهيات ؛ حيث اتصلت من حيث تملدت ، واتصلت من حيث انفصلت ؛ وأنها قد ترد على شكل المربع تارة ، وشكل المثلث أخرى ، وعلى شكل

الثالث ، إلى غير ذلك من التشكيلات الجبية ، والترتيبات البديعة ، ثم أورد أمثلة من ذلك .

مثال مقابلة النظيرين ، مقابلة السنة والنوم في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(١) ؛ لأنها جئتا من باب الرقاد للتأيل باليقظة .

وقوله : ﴿ وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ ^(٢) ، وهذه هي مقابلة التقيضين أيضاً ، ثم السنة والنوم باضرادهما متقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يتقابلان التقيض الذي هو اليقظة . ومثال مقابلة الخلفين ، مقابلة الشر بالرشد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ^(٣) ، مقابل الشر بالرشد ؛ وهما خلافان ، وضد الرشd التقيض ، وضد الشر الخير ، والخير الذي يخرج لفظ الشر ضمناً نظير الرشd قطعاً ، وأنى الذي يخرج لفظ الرشd ضمناً نظير الشر قطعاً حصل من هذا الشكل أربعة ألقاظ : نطقان وضمنان ؛ فكان بهما رباعيتان .

وهذا الشكل الرابع يقع في تفسيره على وجوه ، فقد يرد وبضمه مفسر ، مثل ما ذكرناه ، وقد يرد وكله مفسر ، كقوله تعالى : ﴿ قَلَّا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ ^(٤) مقابل « صدق » بـ « كذب » « وصلى » الذي هو أقبل بـ « وتولى » . قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ^(٥) ، اللغو في الحيثية للنكرة والتأنيب في الحيثية التاكرة ، واللغو منشأ للنكر ومبدأ درجاته ، والتأنيب منشأ التكبر ومبدأ درجاته ، فلا نكير إلا بعد منكر ، ولا اعتقاد إنكار إلا بعد اعتقاد تأنيب ، ومنشأ اللغو في أول طرف للكروحات وآخره في طرف الخطورات ومبدأ التأنيب . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ^(٦) مقابل الإفساد بالتسبيح والحمد ، وسفك الدماء بالتقديس ،

(٢) سورة الكهف ١٨
(١) سورة القيامة ٣١ ، ٣٢
(٦) سورة البقرة ٣٠

(١) سورة البقرة ٢٥٥
(٣) سورة الجن ١٠
(٥) سورة الواقعة ٢٥ ، ٢٦

التسبيح بالحمد إذن ينفي الفساد، والتقديس ينفي سفك الدماء، والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقديس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح؛ فإن التسبيح بالحمد للإصلاح لا لفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقديس؛ وهذا شكل مربع، من أرضى وهو الإفساد وسفك الدماء، وسمأى وهو التسبيح والتقديس، والأرضى ذو فصلين، والسمأى ذو فصلين، ووقع النفس من الطرفين المتوسطين؛ فالطرفان الإفساد في الطرف الأول، والتقديس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض، وأول السماء، فالأول منصرف على الآتى والآخى ملقت إلى الماضى :

وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُوجَزٍ يَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى وَعَقْدِهِ يُعْصِمُ^(١)
لَقَدْ جَمَعَ الْإِسْمُ الْحَمْدَ كُلَّهَا مَقَاسِمُهَا بِمَجْمُوعَةِ الْمَشَائِخِ
وهذا القدر القى ذكره هذا الخبر مرعى عظيم، يوصل إلى أمور غير متجاسر عليها .
كافى آية الكرمى وغيرها .

وقسم بعضهم للقبالة إلى أربع :
أحدها : أن يأتى بكل واحد من اللقدمات مع قرينة من التوائى ، كقوله تعالى :
(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)^(٢) .
والثانية : أن يأتى بجميع التوائى مرتبة من أولها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) .
وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) .

(٢) سورة التبا ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢١٧

(١) ياسع : يذبح .

(٣) سورة القصص ٧٢

الثالث : أن يأتي بجميع القلمات ثم بجميع التوائى مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(١).

الرابع : أن يأتي بجميع القلمات ثم بجميع التوائى مخططة غير مرتبة، ويسمى اللغز كقوله تعالى : ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾^(٢) فنبهه قوله : ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كنسبه قوله : ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ إلى : ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، لأن القولين التباينين يصلدان عن متباينين .

وكما قال تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) فنبهه قوله : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٦) كنسبه قوله : ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٧) إلى قوله : ﴿فَتَطْرُدَهُمْ ﴾^(٨) فجعل المتقدمين التاليين بالاتصاف .

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان :
مقابل فى اللفظ دون المعنى، كقوله تعالى : ﴿وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرُوهًا مَكْرًا﴾^(٩) .

(١) سورة البقرة ٢١٤

(٢) سورة النمل ٥٠

(٣) سورة آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧

(٤) سورة الأنعام ٥٢

ومقابل في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْمِرُ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(١)؛ فإنه لو كان الضايل هنا من جهة اللفظ، لكان التصدير: «وإن اهتديت، فإنما اهتديت لها».

وبيان قابل هذا الكلام من جهة المعنى، أن النفس كل ما هو عليها لها، فهو أعنى أن كل ما هو وبال عليها وصار لها فهو بسببها ومنها؛ لأنها أمانة بالسوء، وكل ما هو بما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إلها، وهذا حكم لكل مكلف، وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه، لأنه إذا دخل تحته مع علو محله كان غيره أولى به.

ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَا بَاتٌ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فإنه لم يدع الضايل في قوله: ﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، لأن القياس يقتضي أن يكون «والنهار لتبصروا» فيه «، وإنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأن معنى «مبصرًا» تبصرون فيه طرق الضرب في الحاجات.

واعلم أن في قابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمل، وهو يحصل غالباً بالقواصل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ﴾^(٣) إلى قوله: ﴿لَا يَشْرُونَ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿لَا يَسْلُون﴾^(٦). فانظر فاصلة الثانية ﴿يَسْلُون﴾ والتي قبلها ﴿يَشْرُونَ﴾ لأن أمر الדיانة والوقوف على أن المؤمنين: يجمعون وهم مطيعون محتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكسب الناظر

المعرفة والعلم ؛ وإنما النفاق - وما فيه من الفتنة والفساد - أمر دينوي مبني على العادات معلوم عند الناس ، فذلك قال فيه ﴿ يَسْلُوْنَ ﴾ .
وأيضاً فإنه لما ذكر السَّعَةِ^(١) في الآية الأخرى - وهو جمل - كان ذكر العلم طباقاً وعلى هذا نحى " فواصل القرآن ، وقد سبق في بابه .

ومن للجابة قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَمْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَمْدُكُمُ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾^(٢) ، فقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء ، ثم قوبل بشئ واحد وهو الوعد ، فأوهم الإخلال بالثاني ، وليس كذلك ؛ وإنما لما كان الفضل مقابل للفقر ، والنفرة مقابلة للأمر بالفحشاء ؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة ، والنفرة تقابل العقوبة ، استغنى بذكر اللقابل عن ذكر مقابله ، لأن ذكر أحدهما ملازم ذكر الآخر .

(١) من قوله في الآية : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٨

تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾^(١) .

ومن مقابلة أربعة بأربعة : ﴿ قَالَمَا مِنْ أَغْطَىٰ وَأَتَقَىٰ... ﴾^(٢) الآية .

ومن مقابلة خمس بخمس قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾^(٣) ، للدلالة على الحقير والكبير . وهو من الطباق الخفية ، الثاني : ﴿ قَالَمَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ و ﴿ أَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، الثالث : ﴿ يَضِلُّ ﴾ و ﴿ يَهْدَى ﴾ به ، والرابع : ﴿ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ ، الخامس : ﴿ يَقْطَعُونَ ﴾ و ﴿ أَنْ يُوْصَلَ ﴾ .

ومن مقابلة ست بست : قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيقِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا ﴾^(٤) ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوْثِقْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

(٢) سورة الليل ٥ - ١٠ ، والآيات بكتلتها :

(١) سورة التوبة ٨٢

﴿ قَالَمَا مِنْ أَغْطَىٰ وَأَتَقَىٰ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ فَنُصِّرُهُ لِلْيَمْرَى . وَأَمَا مِنْ بَحِلٍّ وَاسْتَفْتَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ فَنُصِّرُهُ لِلْعَمْرَى ﴾ .

(٣) سورة البقرة ٢٦ ، وسدسها : ﴿ قَالَمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،

وَأَمَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ، يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ ﴾ .

(٤) سورة آل عمران ١٤

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ^(١) ، قَابِلُ الْجَنَاحِ وَالْأَنفَارِ وَالْغُلَّةِ وَالْأَزْوَاجِ وَالطَّيْرِ وَالرِّضْوَانِ
يُزَاءُ النِّسَاءَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَمَّ بِالْحَرْثِ ، وَهَذَا طَرَفَانِ مُتَشَابِهَانِ ، وَفِيهِمَا الشَّهْوَةُ وَالْمَاشِ
الْمُنْيَاوِي ، وَآخِرُ ذِكْرِ الْأَزْوَاجِ كَمَا يَجِبُ فِي التَّرْتِيبِ الْآخَرَوِي ، وَخَمَّ بِالرِّضْوَانِ .

فَسَادَةٌ

قد يحى نظم الكلام على غير صورة القابلة في الظاهر ؛ وإذا تؤمل كان من أكل
للقابلات ؛ ولعلك أمثلة :

منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَمْرَى . وَأَنْكَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا
وَلَا تَضْحَى ﴾ ^(٢) قَابِلُ الْجُوعِ بِالْمَرْمَى ؛ وَالطَّمَأُ بِالضَّحَى ^(٣) ؛ وَالوَاقِفُ مَعَ الظَّاهِرِ رُفَا
يُحِيلُ أَنْ الْجُوعَ بِقَابِلِ بِالطَّمَأِ ، وَالْمَرْمَى بِالضَّحَى .

وللدقق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة ؛ لأن الجوع ألم الباطن والضحي
موجب لحرارة الظاهر ، فاقترنت الآية جميع نفي الآفات ظاهرا وباطنا ؛ وقابل الغلو بالغلو ،
والاحترق بالاحترق . وهاتنا موضع الحكاية المشهورة بين المتنبي وسيف الدولة ؛
لما أنشد :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

(٢) سورة طه ١١٨ ، ١١٩

(١) سورة آل عمران ١٤ ، ١٥

(٣) في اللسان عن الليث : « ضحى الرجل يضحي ضحا ، إذا أصابه حر الشمس » .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٨٦ ، وبه :

تَمْرٌ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَّمَى هَرِيمَةً وَوَجْهَكَ وَصَّاحٌ وَتَفَرَّكَ بِأَسْمٍ

وقتل الكبير عن الواحدى : لما أنشد للثني هذا البيت واقى بعده ، أنكر عليه سيف الدولة تطبيق
عجز البيت على صدرها ، وقال له : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثاني ، وعجز الثاني على الأول ؛
ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لَذَّةً وَلَمْ أَتَبَلَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أَتَبَا الرُّقَى الرَّوَّى وَلَمْ أَقُلْ لِحِطْلِي كُرَى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ =

ومنها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَسْمُ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ﴾ ^(١) ؛
فإنه يتبادر فيه سؤال ؛ وهو أنه لم لا قيل : « مثل الفريقين كالأعمى والبصير ، والأسم
والسميع » ، لتكون اللقابة في لفظ « الأعمى » وضده بالبصير ، وفي لفظ « الأسم »
وضده السميع .

والجواب أنه يقال : لما ذكر انسداد العين أتيه بانسداد السمع ، وبضد ذلك لما
ذكر اختناح البصر أعقبه بافتتاح السمع ؛ فاتفقت الآيات الكريمة هو الأنسب في اللقابة
والآتم في الإيجاز .

== قال : ووجه الكلام في البيان على ما قاله أهل العلم بالسر ، أن يكون مجز الأول على الثاني ، والثاني على
الأول ؛ ليستقيم الكلام ، فيكون ركوب الميل مع الأمر للخيال بالكسر ، وسببه الخرج مع تبطن السكائب .
فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ؛ لأن صبح أن القى استهوك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالسر
فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب معرفة الحائك ؛ لأن البراز
يعرف جلته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من التزلية إلى التوبة ؛ وإنما قرن امرؤ القيس قبة النساء بركة الركوب
لصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منزلة الأعداء ؛ وأنا لما ذكرت اللوت في أول
البيت أتيته بذكر الردى ليجالسه . ولا كان وجه التهزم لا يخلو من أن يكون محبوساً ، وعينه من أن
تكون باكية ، قلت : « وجهك واضح » ، لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة ووجهه
بجسامة دينار .

رد العجز على الصَّدد وعكس

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ لَّكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(١) .
 ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾^(٢) .

النَّكْس

وهو أن يقدّم في الكلام جزء ثم يؤخر ، كقوله تعالى : ﴿ لَا مَنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا مَنٍّ يَحِلُّونَ لَهُمْ ﴾^(٣) وقدره الزَّخْشَرِيُّ^(٤) ، أى لا حلّ بين المؤمن والمشرِك ، والآية صرّحت بنفي الحلّ من الجمعَيْن ، قد يستدلّ بهما من قال : إن الكفار مخاطبون بالفروع .
 ومثله قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾^(٥) أى ذبايحكم ، وهذه رخصة للمسلمين .

(٢) سورة الثالثة : ٩٦
 (٤) الكشاف : ٤١٣

(١) سورة الأنبياء : ٣٧
 (٣) سورة المائدة : ١٠
 (٥) سورة الثالثة : ٥

الْجَمُّ الْخَصْمُ بِالْحَجَّةِ

وهو الاحتجاج على المعنى المتصود بحجة عقلية ، قطع الماند له فيه . والجب من ابن المنز في يديه ، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن ، وهو من أساليبه .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) ثم قال النعاة : إن الثاني امتنع لأجل امتناع الأول ، وخالفهم ابن الحاجب وقال : المتنع الأول لأجل الثاني ؛ فالتعدد منتف لأجل امتناع الفساد .

وقوله : ﴿قُلْ يُخَصِّبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٣)

وقوله حكاية عن الخليل : ﴿وَرَجَّهْ قَوْمَهُ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٦) ؛ المعنى أن

الأهون أدخل في الإمكان من غيره ؛ وقد أمكن هو ، فالإعادة أدخل في الإمكان من بدء الخلق .

وقوله تعالى : ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ

بِمَا خَلَقَ . . .﴾^(٧) الآية ، وهذه حجة عقلية ، تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدت كل منهما بخلقها ، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر ، ويؤدي إلى تنافي

(٢) سورة يس ٢٩ ، ٨١

(٤) سورة الروم ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٢٢

(٣) سورة الأنعام ٣٠ ، ٨٣

(٥) سورة المؤمنون ٩١

مقدوراهما^(١) ؛ وذلك يبطل الإلهية ، فوجب أن يكون الإله واحدا ثم زاد في الحجاج
 قال : (وَلَمَّا بَقَضُوهُمْ غَلَىٰ بَعْضُهُمْ)^(٢) ، أى ولتلب بعضهم بعضا في المراد ، ولو أراد
 أحدهما إحياء جسم والآخر إيمانه لم يصح^(٣) ارتفاع مرادها ؛ لأن رفع التقيضين
 محال ، ولا وقوعهما للتضاد ، فنفي وقوع أحدهما دون الآخر ؛ وهو القلوب وهذه
 تسمى دلالة التمانع ، وهى كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى : (إِنْ لَّا يَنْتَهِوا عَنِ
 ذِي الْأَرْشِيِّ سَيَلَا)^(٤) .

وقوله : (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ)^(٥) .
 وقوله : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا بَعَدُ مَا كُفِّرُوا أَمْ يَحْمِلُونَ أَوْ أَمْ يَحْمِلُونَ)^(٦) فبين أنا
 لم نخلق للى لتعذره علينا ، فوجب أن يكون الخالق غيرنا .

ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمات ، وذلك من أول سورة الحج
 إلى قوله : (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)^(٧) ، فنطق على خمس نتائج من عشر
 مقدمات ؛ فالمقدمات من أول السورة : (وَأُنَبِّتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَشِيرٍ)^(٨) ،
 والنتائج من قوله : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)^(٩) إلى قوله : (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ مَنْ
 فِي الْقُبُورِ)^(١٠) .

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقول : أخبر الله أن زلزلة الساعة شئ عظيم ،
 وخبره هو الحق ، ومن أخبر عن النيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق ، وأنه يأتي بالساعة

(٢) سورة المؤمنون ٩٦

(٤) سورة الإسراء ٤٧

(٦) سورة الواقعة ٥٨ ، ٥٩

(٨) سورة الحج ٥

(١) ت : « مقدورهما » .

(٣) ت : « رفع » .

(٥) سورة الأهل ٢٣

(٧) سورة الحج ٧

(٩) سورة الحج ٦

على تلك الصفات ولا يُسلم صدق الخبر إلا بإحياء للوقى ، ليدركوا ذلك ، ومن يأتي بالساعة يحى للوقى ؛ فهو يحى للوقى . وأخبر أنه يحمل الناس من هول الساعة سُكاري لشدة العذاب ، ولا يقدر على عموم الناس لشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير ؛ فإنه على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة يُجازى فيها من يعادل في الله بغير علم ، ولا بد من مجازاته ، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية ، ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور ، فهو يبعث من في القبور . والله ينزل الماء على الأرض الملوثة فتنبت من كل زوج بهيج ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من القبور .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾^(١) مقدمتان وتليجة ، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلال يوجب سوء العذاب ؛ فأنتج أن اتباع الهوى يوجب سوء العذاب . وقوله : ﴿ فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾^(٢) ، أى القمر أفل ، وربى ليس بأقل ، فالقمر ليس بربى ، أنجبه بقياس اقترانى جلّى من الشكل الثانى ، واحتج باتّباعه على الحدث ، والحدث على الحدث .

التقسيم

وليس المراد به القسمة العقلية التي يحكم عليها للتكلم ؛ لأنها قد تفتنى أشياء مستحيلة كقولهم : الجواهر لا تختر إلا أن تكون مجتمعة أو متفرقة ، أو لا متفرقة ولا مجتمعة ، أو مجتمعة ومتفرقة ، ما ، أو بعضها مجتمع وبعضها متفرق ، فإن هذه القسمة صحيحة عقلاً ، لكن بعضها يستحيل وجوده ، وهو استيفاء للتكلم أقسام الشيء ؛ بحيث لا ينادر شيئاً وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء ، كقوله تعالى : ﴿ قَمِئُهُمْ ظِلَالٌ لِّفَسِهِمْ وَمِنْهُم مَّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْغِيَرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١) فإنه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة ؛ إما ظالم نفسه ، وإما سابق مبادر إلى الغيورات ، وإما مقصد فيها ، وهذا من أوضح التفسيرات وأكملها . ومثله قوله : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾^(٢) ، وهذه الآية مماثلة في اللفظ لتي قبلها ، وأصحاب للمشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب اليمين هم المتصدون ، والسابقون هم السابقون بالغريبات .

كذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾^(٣) الآية ، فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها .

وقوله : ﴿ وَأَلْفُ خَلْقٍ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ مَا يَشَاءُ ﴾^(٥) ، وهو في القرآن كثير ، وخصوصاً في سورة براءة . ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾^(٦) ، وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لها .

(١) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(١) سورة طه ٣٢

(٢) سورة مريم ٦٤ ، وبمعناها : ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

(٣) سورة الرعد ١٢

(٤) سورة النور ٤٥

وقوله : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ ^(١) ، فاستوفت أقسام الأوقات ، من طرقي كل يوم
ووسطه مع للطاقة والمقابلة .

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ ثَمَرِهِمْ قَسَمَ اللَّهُ لَقَدْ لَبِثُوا فِيهَا
سَبْعِينَ نَجْمًا مِّنَ السَّاعَةِ ﴾ ^(٢) ، فلم يترك سبعا من
قسم من أقسام الهيئات .

ومثله آية يونس : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًّا ﴾ ^(٣) .
لكن وقع بين ترتيب الآيتين مناصرة أوجبها للبالغة ، وذلك أن المراد بالذكر
في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم الاضطجاع ، وإذا زال بعض الضرر قد المضطجع ،
وإذا زال كل الضرر قام القاعد ، فدعا لتم الصحة ، وتكمل التوبة .

فإن قلت : هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة ، فإنها تحصل في الكلام
حسن اتساق ، واختلاف الألفاظ مع المعاني ، وقد عدل عنها إلى « أو » التي سقط
مها ذلك .

قلت : يأتي التضرع على أقسام ، فإن منه ما يتضرع المضرور عند وروده ، ومنه
ما يقمده ، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئا ، والدعاء عنده أولى من التضرع ،
فإن الصبر والجزع عند الصدمة الأولى ، فوجب المدول عن الواو ، لتوحي الصدق في الخبر ،
والكلام بالاختلاف ، ويحصل النسق ، والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد ،
وبالثاني عن أشخاص فتلب الكثرة ، فوجب الإتيان بـ « أو » واجدئ بالشخص القدي
تضرع لأن خبره أشد فهو أشد تضرعا ، فوجب تقديم ذكره ، ثم القاعد ؛ ثم القائم ،
فحصل حسن الترتيب واختلاف الألفاظ ومعانيها .

وقوله : ﴿يَهْبِ لَنْ يَشَاءَ إِنَّا نَا وَيَهْبِ لَنْ يَشَاءَ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءَ عَقِيماً﴾^(١) ، قسم سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود ، لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بهبة الإناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما له ، أو لا يهب شيئاً . وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينقل منها إلى أهل منها ، وهي هبة الذكور فيه ، ثم انتقل إلى أهل منها وهي وهبها جميعاً ، وجاءت^(٢) كل أقسام العطية بلفظ الهبة ، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير ، وقال فيه ﴿يَجْعَلُ﴾ فدلّ عن لفظ الهبة للتناير بين المأني ، كقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُمُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَمَعْنَاهُ حُطَامًا﴾^(٣) ، فذكر امتداد إيمانه بلفظ الزرع ، ومعنى الحرمان بلفظ الحسل .

وقيل : إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق .

أحدها : جبراً لمن^(٤) ، لأجل استئصال الأبوين المكاهن .

الثاني : أن سياق الكلام أنه فاعل لما يشاء ، لا ما يشاء الأبوان ، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء ؛ فبدأ بذكر الصنف الذي يشاءه ولا يريد به الأبوان غالباً .

الثالث : أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يتدوهن ؛ أي هذا النوع الحقير عندكم مقدّم عندي في الذكر .

الرابع : قدّمهن لضعفهن ، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم .

وقيل : لينقله من التّم إلى القرج .

وتأمل كيف عرف سبحانه الذكور بعد تنكير ، فجبر قص الأنوثة بالقديم ، وجبر قص التأخر بالتصريف ، فإن التصريف تنويه .

(٢) ت : « وجاء فيه كل أقسام العطية » .

(١) سورة النورى ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) سورة الواقعة ٦٣ - ٦٥ .

وهذا أحسن مما ذكره الواحدى أنه عرف الذكور لأجل القاصلة .

ولما ذكر الصنفين معا قدم الذكور ، فأعطى لكل من الجنسين حقه من الضمير والتأخير . والله أعلم بما أراد .

بقى سؤال آخر ؛ وهو أنه عطف الثانى والرابع بالواو ، والثالث بـ « أو » ولمعه ، لأن هبة كل من الإناث والذكور قد لا يجترن بها ، فكأنه وهب لهذا الصنف وحده أو مع غيره فلذلك نصبت « أو » . فأمل لطائف القرآن وبدائمه !

ومن هذا التقسيم أخذ بعض العلماء أن الخلقى لا وجود له ؛ لأنه ليس واحدا من للذكورين ، ولا حجة فيه ، لأنه مقام امتنان ؛ ولله بنو الخلقى أحسن وأعظم . أو لأنه باعتبار ما فى نفس الأمر ؛ والخلقى لا يخرج من أحدهما .

التعديد

مى إيقاع الألفاظ للبدّة على سياق واحد؛ وأكثّر ما يؤخذ فى الصفات ؛ ومقتضاها
ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ، ويجريها مجرى الوصف فى الصديق على ما صدق ؛
وذلك يقلّ عطف بعض صفات الله على بعض فى التنزيل ، وذلك كقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ اخْلُقْ الْبَارِئُ الْمَصُورُ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾ ^(٣) .

وإنما عطف قوله : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ^(٤) ؛ لأنها أسماء

مقتضاه للماعى فى موضوعها ، فوقع الوم بالطف عن يستبعد ذلك فى ذات واحدة ؛

لأن الشئ الواحد لا يكون ظاهراً باطناً من وجه ، وكان العطف فيه أحسن . ولذلك

عطف « الناهون » على « الآمرون » ، « وأبكارا » على « ثيبات » من قوله : ﴿ الْقَائِمُونَ

الْمُحَادِّثُونَ الْخَامِدُونَ السَّامِعُونَ الْأَرَاءِ كُيُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافِظُونَ لِأُحُودِ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ أَرْوَاهَا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ

سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ^(٦) ، فجاء العطف لأنه لا يمكن اجتماعها فى محل واحد

بجلاف ما قبله .

وقوله : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ^(٧) ، إنما عطف

(٢) سورة المفسر ٢٥

(٤) سورة الحديد ٣

(٦) سورة النجم ٥

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٣) سورة المفسر ٢٣

(٥) سورة التوبة ١١٢

فيه بعضاً ولم يعطف بعضاً ، لأن « غافراً » و « قابلاً » يشيران بمحدث للنفرة والقبول ، وهما من صفات الأنفال وقلة في غيظه لا في نفسه ، فدخل العطف للمغايرة لتزولها منزلة الجليتين ، تنبيها على أنه سبحانه يفعل هذا ويقبل هذا . وأما شديد المقاب فصفة مشبهة ، وهي تشعر بالهوام والاستمرار ؛ فتدل على القوة ، ويشبه ذلك صفات القات .

وقوله : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ ^(١) ، المراد به ذاته ، فترك العطف لاتحاد للمنى .

وقد جاء قليلا في غير الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴾ ^(٢) الآية ، قال الزمخشري ^(٣) : العطف الأول كقوله : ﴿ نَبِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ، في أنهما جنسان مختلفان ، إذا اشتراكا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما ، وأما العطف الثاني فن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : أن الجامعين والجامعات لهذه الصفات ^(٤) أعدّ لهم مغفرة . انتهى .

وقال بعضهم : الصفات للتماطية إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه ، كقوله : ﴿ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ ^(٥) ، فإن الموصوف « الله » ، وإما في النوع كقوله : ﴿ نَبِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ ^(٦) فإن الموصوف الأزواج ، وقوله : ﴿ آلَ مِرْيُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٧) ، فإن الموصوف النوع الجامع للصفات للتقدمة . وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ . فإن دل دليل على أنه من عطف الصفات اتبع كهذه الآية ، فإن هذه الأعداد لمن جمع الطاعات المشر ، لالمن اغرد بوحدة منها ؛ إذ الإسلام والإيمان كل منهما شرط في الآخر ، وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي ، ومن كان مسلما مؤمنا فله أجره ، ولكن ليس هذا الأجر العظيم الذي أعدّه الله في هذه الآية

(٢) سورة الأحزاب ٣٥

(٤) الكشاف : « لهذه الطاعات » .

(٦) سورة التحريم .

(١) سورة غافر ٣

(٣) الكشاف ٣ : ٤٢٦

(٥) سورة غافر ٣

(٧) سورة التوبة ١١٢

الكرمية، وقرّن به إعداد المنفرة زائدا على المنفرة ؛ فلتخصّص هذه الآية جبل الزخشرى ذلك من عطف الصفات ، والموصوف واحد ؛ فلو لم يكن كذلك واحتمل تقدير موصوف مع كل صفة وعلمه جُعل على التقدير ؛ فإن ظاهر المطف التنابير . ولا يقال : الأصل عدم التقدير ؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل .

ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ۝ ١٠٠ ﴾ ^(١) الآية ، ولو كان من عطف الصفات لم يستحقّ الصلقة إلا من جميع الصفات الثمان ، ولذلك إذا وقف على التفهيم والنسابة والفقراء استحقّ مَنْ فيه إحدى الصفات .

ثم بمون الله وجميل توفيقه الجزء الثالث من كتب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى
ويليه الجزء الرابع وأوله : مقابلة الجمع بالجمع ؛ وهو أحد أساليب القرآن للتدرّج تحت النوع السادس والأربعين

فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	القسم الحادى عشر (*) : للثنى وإرادة الواحد
٦	القسم الثانى عشر : لإطلاق الجمع وإرادة الواحد
٨	القسم الثالث عشر : لإطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع
٨	القسم الرابع عشر : التكرار على وجه التأكيد
١١	فوائد التكرير
٢٣	صنيمهم عند استئصال تكرير اللفظ
٣٤	القسم الخامس عشر : الزيادة فى بنية الكلمة
٣٦	القسم السادس عشر : الضمير
٣٨	الجملة الضميرية
٢٨	القسم السابع عشر : خروج اللفظ مخرج الغالب
٤٠	القسم الثامن عشر : القسم
٤٧	القسم التاسع عشر : إبراز الكلام فى صورة التصحيل ليدل على بقية الجملة
٤٨	القسم للوفى العشرين : الاستثناء والاستدراك
٥١	القسم الحادى والعشرون : للبيان
٥٥	الاخلاف فى تقدير للبيان فى الكلام

(*) تابع أقسام التوكيد ، وهو الأسلوب الأول من أساليب الفركان التندرجة تحت النوع السامى والأربعين ، وأوله فى الجزء الثانى من ٢٨٧

٥٦	القسم الثاني والعشرون : الاعتراض
٦٤	حكم الاعتراض بين واو المطف وما دخلت عليه
٦٤	القسم الثالث والعشرون : الاحتراس
٦٨	القسم الرابع والعشرون : التذييل
٧٠	القسم الخامس والعشرون : التتيم
٧٠	القسم السادس والعشرون : الزيادة
٧٥	حروف الزيادة
٧٥	زيادة « إن »
٧٦	زيادة « أن »
٧٦	زيادة « ما »
٧٨	زيادة « لا »
٨٢	زيادة « من »
٨٣	زيادة « الباء »
٨٥	زيادة « اللام »
٩٠	القسم السابع والعشرون : الاشتغال
٩١	القسم الثامن والعشرون : التعليل

الأسلوب الثاني

الحذف

١٠٣	فصل في أن الحذف نوع من أنواع المجاز على المشهور
١٠٤	فصل في أن الحذف خلاف الأصل

أوجه الكلام على الحذف

صفحة	
١٠٤	الوجه الأول : في فوائده
١٠٤	الوجه الثاني : في أسبابه
١٠٨	الوجه الثالث : في أدلته
١١١	الوجه الرابع : في شروطه
	الوجه الخامس : في أقسامه :
١١٧	١ - الانقطاع
١١٨	٢ - الاكتفاء
١٢٣	٣ - الضمير والتمثيل
١٢٤	٤ - الاستدلال بالمثل لشئين ، وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٥ - أن يقتضى الكلام شيئين وهو في الحقيقة لأحدهما
١٢٦	٦ - أن يذكر شيئان يعود الضمير على أحدهما دون الآخر
١٢٩	٧ - الحذف القاطع
١٣٤	٨ - الاختزال

حذف الاسم

١٣٥	حذف للبتداء
١٣٩	حذف الخبر
١٤٣	حذف الفاعل
١٤٦	حذف للمضاف وإقامة للمضاف إليه مقامه
١٥٢	حذف للمضاف إليه
١٥٢	حذف المضاف والمضاف إليه
١٥٣	حذف الجار والمجرور

١٥٤	حذف للموصوف
١٥٥	حذف الصفة
١٥٦	حذف للمطوف
١٥٧	حذف للمطوف عليه
١٥٨	حذف للبدل منه
١٥٨	حذف الموصول
١٥٩	حذف المخصوص في باب نم إذا علم من سياق الكلام
١٦٠	حذف الضمير المنصوب المتصل
١٧٠	حذف المفعول
١٧٩	حذف الحال
١٨٠	حذف المنادى
١٨٠	حذف الشرط
١٨١	حذف جواب الشرط
١٨٣	حذف الأجوبة
١٩٢	حذف جواب القسم
١٩٤	حذف الجملة
١٩٦	حذف القول

حذف الفاعل

١٩٨	الخاص
١٩٩	العام
٢٠٩	حذف الحرف
٢١٥	لائحة ، في حذف الجار ثم إصال الفعل إلى المجرور

صفحة

٢١٦

فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى

٢٢٠

الإيجاز

القول في التبريم والتأخير

٢٢٣

الفصل الأول : أسبابه

٢٢٨

الفصل الثاني : أنواعه

النوع الأول ما قرره والمعنى عليه

(وهو أقسام)

٢٢٩

١ - التقدم بالسبق

٢٤٦

٢ - بالآلات

٢٤٧

٣ - بالملّة والسبب

٢٤٩

٤ - بالمرتبة

٢٥١

٥ - بالفاعلية

٢٥١

٦ - بالتعظيم

٢٥٢

٧ - الشرف

٢٦٢

٨ - الغلبة والكثرة

٢٦٢

٩ - سبق ما يقتضى تقديمه

٢٦٣

١٠ - مراعاة اشتقاق اللفظ

٢٦٥

١١ - الحث عليه خيفة من التهاون به

٢٦٥

١٢ - لتحقيق ما يبلده واستغنائه عنه في تصويره

٢٦٦

١٣ - الاهتمام عند الخطاب

٢٦٧

١٤ - للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

٢٦٨	١٥ - للتنبيه على أن السبب مرتب	
٢٦٨	١٦ - التنقل	
٢٧٠	١٧ - الترقى	
٢٧١	١٨ - مراعاة الأفراد	
٢٧٢	١٩ - التحذير منه والتنفير عنه	
٢٧٢	٢٠ - التخويف	
٢٧٣	٢١ - التصحيح من شأنه	
٢٧٣	٢٢ - كونه أدل على القدرة	
٢٧٣	٢٣ - قصد الترتيب	
٢٧٤	٢٤ - خفة اللفظ	
٢٧٤	٢٥ - رعاية القواصل	
	النوع الثاني	
٢٧٥	مما قدم والنية به التأخير	
	النوع الثالث	
٢٨٤	مما قدم في آية وأخر في أخرى	
	أسلوب القلب	
٢٨٨		قلب الإسناد
٢٩٢		قلب للمطوف
٢٩٢		العكس
٢٩٣		للسوى
٢٩٤		مقلوب البعض

٢٩٤	للدرج
٢٩٦	الترقى
٢٩٧	الاقتصاص
٢٩٩	الإلناز
٣٠٠	الاستطراد
٣٠١	الترديد

التقليب وهو أنواع :

٣٠٢	: تقليب المذكر	الأول
٣٠٣	: تقليب التكلم على المخاطب والمخاطب على النائب	الثاني
٣٠٥	: تقليب الماقل على غيره	الثالث
٣٠٨	: تقليب المتصف بالشئ على ما لم يتصف به	الرابع
٣٠٩	: تقليب الأكثر على الأقل	الخامس
٣١٠	: تقليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس	السادس
٣١١	: مغمور فيا بينهم ، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع	السابع
٣١١	: تقليب الوجود على ما لم يوجد	الثامن
٣١١	: تقليب الإسلام	التاسع
٣١١	: تقليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بنير هذا الوجه	العاشر
٣١٢	: تقليب الأشهر	

الاتفات

(وفيه مباحث)

٣١٤	البحث الأول في حقيقته
٣١٤	البحث الثاني في أقسامه :
٣١٥	الأول : من التكلم إلى الخطاب
٣١٦	الثاني : من التكلم إلى الغيبة
٣١٧	الثالث : من الخطاب إلى التكلم
٣١٨	الرابع : من الخطاب إلى الغيبة
٣١٩	الخامس : من الغيبة إلى التكلم
٣٢٢	السادس : من الغيبة إلى الخطاب
٣٢٥	السابع : بناء القمل للمفعول بعد خطاب فاعله .
٣٢٥	البحث الثالث في أسبابه
٣٣١	البحث الرابع في شرطه
٣٣٣	البحث الخامس في أنه يقرب من الاتفات قل الكلام إلى غيره
٣٣٨	التضمين
	وضع الخبر موضع الطلب
٣٤٧	في الأمر والنهي
٣٥٠	وضع الطلب موضع الخبر
٣٥٣	وضع النداء موضع التعجب
٣٥٥	وضع جمع القلة موضع الكثرة
٣٥٩	تذكير للثبوت
٣٦٥	تأنيث للذكر

٣٧٢	التصوير عن المستقبل بلفظ للماضي وعكسه
٣٧٧	مشاكلة اللفظ للفظ
٣٧٨	مشاكلة اللفظ للمعنى
٣٨٧	النتجت
٣٨٨	الإبدال
٣٩١	الهاذاة
٣٩٣	قواعد في النفي
٣٩٥	نفي الشيء رأساً
	إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من السامحة
٤٠٩	وحسم المتباد
٤١١	الإعراض عن صريح الحكم
٤١٢	المقدم
٤١٣	التوسع

القشبيه

(وفيه مباحث)

٤١٤	الأول	: في تعريفه
٤١٥	الثاني	: في الترض منه
٤١٥	الثالث	: في أنه حقيقة أو مجاز
٤١٦	الرابع	: في أدواته
٤١٦	الخامس	: في أقسامه
٤٢٣	السادس	: يظم قواعد تتعلق بالقشبيه

مقدمة

الاستمارة

(وفيها مباحث)

٤٣٢	: هي « استعمال » من المارية	الأول
٤٣٤	: في أنها قسم من أقسام المجاز	الثاني
	: لا بد فيها من ثلاثة أصول : مستمار ، ومستمار منه ،	الثالث
٤٣٥	ومستمار له	
٤٣٨	: تنقسم إلى مرشحة وتجريدية	الرابع
٤٤٠	: هي فرع التشبيه وأنواعها كأنواعه	الخامس
٤٤٥		التورية
٤٤٦	الفرق بين التورية والاستخدام	
٤٤٨		التجريد
٤٥٠		التجنيس
٤٥٥		الطباق

المقالة

(وفيها مباحث)

٤٥٨	حقيقتها
٤٥٨	أنواعها

أقسامها

٤٦٠	: أن يأتي بكل واحد من اللقدمات مع قرينة من القوافي	أحدها
٤٦١	: أن يأتي بجميع التوائ مرتبة من أولها	ثانيها
	: أن يأتي بجميع اللقدمات ثم بجميع التوائ مرتبة من آخرها	ثالثها

٤٦١	رابعها : أن يأتي بجميع اللقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة
٤٦٢	مقابلة الشيء بمثله
٤٦٤	تقسيم
٤٦٥	قاعدة ، قد يحىء نظم الكلام على غير صورة القابلة في الظاهر
٤٦٧	رد السجز على الصدر
٤٦٧	المكس
٤٦٨	إلجام الخصم بالحجة
٤٧١	التضيق
٤٧٥	التحديد

